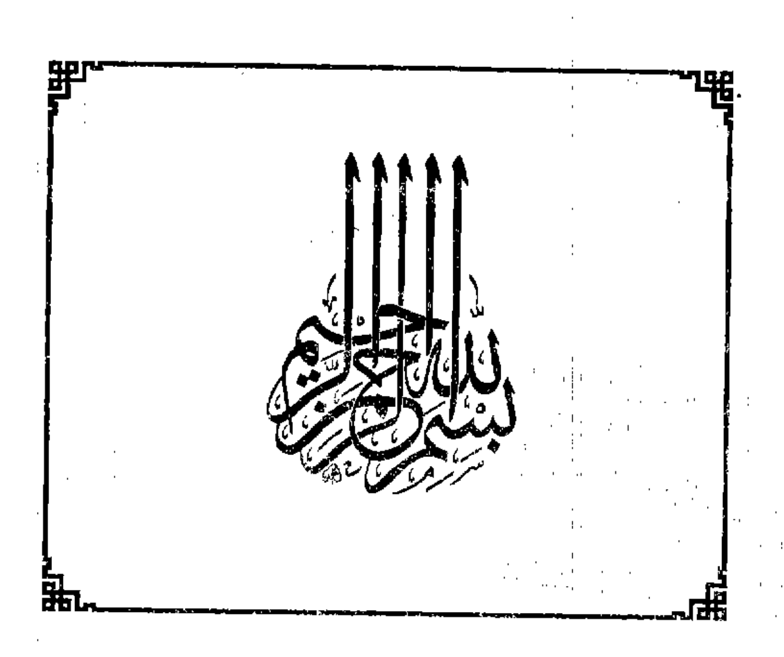
مَنْهَجِيَّةُ جَمْعِ السُّنَّةِ

وَجَمْعِ الأَنَاجِيلِ

دراسة مُقارنة

دكتورة

عزّية علي طه


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الباب الثاني
جمع الأناجيل

الباب الثالث

استمرار حيرة النصارى وتخبطهم

الباب الرابع
جمع السنّة النبوية الشريفة

الباب الخامس

مقارنة وتحليل

تمهيـــد

منذ أن أشرق نور الإسلام على هذا الوجود وكل أعدائه من الكفرة ومن المشركين والنصارى لا يفترون عن الكيد له والدس عليه، ولقد استمر هذا العداء إلى يومنا هذا بل وازداد حدة وعنفواناً.

ولقد تمثلت قمة هذا العداء في الحروب الصليبية التي أظهرت مدى حقد المشركين على هذا الدين الحنيف وتصديهم له ومحاولة محوه وكسر شوكته بقوة السلاح، ولكن جيوش المسلمين تصدت لهم وسجلت عليهم انتصارات ساحقة كما هو معروف في تاريخ الإسلام، وخلصت بلاد المسلمين من شرورهم وآثامهم. ولكن أعداء الله من اليهود والنصارى لم ينسوا هذه الهزائم المتلاحقة على أيدي المسلمين فاستمروا في كيدهم وطغيانهم ومؤامراتهم إلى أن تيسرت لهم السبل وعادوا فغزوا ديار المسلمين واستولوا عليها فيما يعرف بالاستعمار. وكان أول ما اهتموا به هو التهجم على دين الله الحنيف ومحاولة محوه من الوجود والحيلولة بين المسلمين وبين أمجادهم وتاريخهم وعقيدتهم.

ولعل من أشد الأسلحة فتكاً في هذا الغزو الاستعماري الصليبي الحاقد ما تبعه من محاولات تنصير وسيطرة فكرية وشعورية على نظم المسلمين من حكم وتعليم وسياسة وكل ما له صلة بحياتهم الدنيوية والأخروية.

واستمرت حملات المستشرقين على القرآن والسنة فأخذوا يهاجمون السنة بشتى الوسائل محاولين النيل منها. وكثرت البحوث في هذا الشأن، كما ازدادت الأفكار الساعية لهدم الإسلام من قبل أعدائه من الكفار.

ولقد منَّ الله عليَّ أن أعيش في ديار الغرب وأدرس دياناتهم عن كثب، وأطلع على كتبهم وأفكارهم وبحوثهم ومناقشاتهم وجدلهم العقيم فيما يختص بموضوع الديانات. ولقد كان التحاقي للدراسات العليا بقسم الأديان بإحدى الجامعات الأمريكية بمثابة فرصة مواتية لمعرفة عقائدهم وعباداتهم وأفكارهم حيث مكثت بتلك الجامعة لمدة أربع سنوات متوالية حضرت فيها مئات من المحاضرات وحلقات النقاش في قاعات المحاضرات وفي كنائسهم ومعابدهم

أيضاً، وتتلمذت على أشهر أساتذتهم من أمثال البروفسور هانز رويتر المستشرق الهولندي المعروف. وهو من أشهر المستشرقين الذين يجيدون كثيراً من اللغات الشرقية بما فيها اللغة العربية. بل إن هذا المستشرق شارك في وضع معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف.

وتتلمذت على البروفسور جون كوب والبروفسور جون هيك والبروفسور جوزيف هوف وغيرهم. وهؤلاء الثلاثة يعتبرون من أكبر الفلاسفة وأشهر المفكرين المعاصرين القائمين على مدرسة اللاهوت الشهيرة المسماة بمدرسة اللاهوت المتطور The Process Theology. وهذه المدرسة تستند على نظرية خاطئة عن الإله، وفحوى فلسفة هذه المدرسة اللاهوتية أنها تدعي بأن الله ليس بكامل، وأنه في نمو مستمر، فهو يخلق الخلق ليضيفهم إلى ذاته فيزداد الله بذلك قوة. وهم يزعمون بأن مظاهر نقصه سبحانه وتعالى تتجلى في عدم تمكنه من السيطرة على الشر الذي يسود العالم، فالله في نظرهم محتاج للبشر، كاحتياجهم إليه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً.

وتتلمذت كذلك على البروفسيرة جي دوقلس، زعيمة الحركة النسائية الحديثة لبعض نصارى الأمريكان، والتي تنادي بمساواة المرأة بالرجل انطلاقاً من رفضها هي وصويحباتها لفكرة الإله المذكر. فالإله (الأب) والإله (الابن) في نظرهن يجب أن يكون فيهما عنصر الذكورة والأنوثة بقدر متساو لكي يحفظ هذا التنظيم للجنسين حقوقاً متساوية!!

وقبل التحاقي بتلك الجامعة الأمريكية لعمل الدكتوراه في مقارنة الأديان كنت أتعجب ومازلت من أفكار هؤلاء الناس. ورغم اقتناعي التام بضلال هؤلاء الناس إلا أنني كنت آمل في معرفة شيء عن منطق هؤلاء الناس وعن كيفية اتباعهم لعقائد فاسدة كعقيدة التثليث وغيرها. وما كنت أتخيل بأن هؤلاء الناس الذين برعوا في جميع أوجه الحياة بما في ذلك إبداع كل العلوم والمعارف المعاصرة والتي سهلت كثيراً من أوجه الحياة للناس وأمدتهم بأسباب القوة التي أخذتهم حتى الوصول للقمر، لم أكن أتخيل أنهم بهذا القدر من التعصب الأعمى، والتمسك بملة آبائهم وأجدادهم دون تدبر ولا وعي، ولا إدراك.

ليس هذا فحسب؛ بل إنهم اشتطوا في العدوان على عقائد من خالفهم الرأي ولم يتورعوا عن الكذب والدس والبهتان كي يبرروا معتقداتهم الباطلة ويسيئوا إلى العقائد الأخرى وخاصة الدين الإسلامي الحنيف. ورغم ما كنت ألاقيه من عنت ومشقة في الصبر على أذاهم باستماعي لطعنهم في دين الله، بجانب مضايقاتهم المتكررة لي باعتباري مسلمة يجب أن ترتد عن دينها، أو حتى تحاول أن تهدم بعض أركانه باسم التطور، إلا أنني صبرت.. مكتفية بممارسة أضعف الإيمان في تغيير هذا المنكر. وكان هدفي من الصمود أمام تحدياتهم، وكثير بلواهم طيلة هذه المدة، الإحاطة بكل ما يمكن معرفته عن عقائدهم الفاسدة ووسائلهم المنكرة في نشرها بين الناس، من طرق تنصير باسم تبشير وغيره، واستراتيجية تهجمهم على الديانات الأخرى وخاصة الإسلام.

لكن بعد هذه السنوات الطوال وبعد أن درست جميع المواد المطلوبة واجتزت جميع الامتحانات، وتحصلت على درجة الماجستير في مقارنة الأديان وقمت بالتسجيل لدرجة الدكتوراة أيضاً، رأيت من واجبي أن أعود للأزهر الشريف مرة أخرى كي أكمل حصولي على درجة الدكتوراه في الحديث النبوي الشريف التي كنت قد بدأت العمل فيها قبل سفري للولايات المتحدة. ولقد اخترت موضوعاً لأطروحتي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما تحصلت عليه من معارف أثناء دراستي بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد استقر الرأي أن أكتب هذه الرسالة حول منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة النبوية الشريفة في دراسة مقارنة، وذلك إجلاء للحقيقة ودحضاً للباطل وتثبيتاً للمؤمنين، وتفنيداً لبعض الشكوك التي انتابت أذهان بعض المسلمين فيما يختص بدينهم وعقيدتهم من جراء كتابات المستشرقين وأفكارهم التي وجدت طريقها إلى بعض شبابنا المسلم فانخدع بها وانقاد لها، وتبناها في بعض الأحيان باسم التطور والرقي والتحديث ومجاراة الأمم التي سبقتنا في مضمار الحضارة، وأي حضارة؟!

قد يثير بعض القراء سؤالاً مفاده: لماذا لم تقم الكاتبة بإجراء هذه المقارنة بين منهجية جمع القرآن الكريم وجمع أناجيل النصارى (باعتبارها كتبهم المقدسة) بدلاً من إجرائها بين منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل؟

والإجابة على ذلك تتلخص فيما يلي:

١ ـ إن القرآن الكريم قد وصل إلينا من مصدره الأصلي متواتراً وذلك عن طريق التلقين والتدوين معاً، وهو مقطوع بصحته جميعه، لا يشذ عن ذلك حرف واحد. أما الأناجيل فلم يصل إلينا منها ولا حرف واحد بالتواتر، ولهذا فليس هناك أي مجال للمقارنة بينها وبين القرآن الكريم.

٢ ـ هناك بعض أوجه الشبه بين الأحاديث الواهية والموضوعة وبين نصوص أناجيل النصارى المتداولة بينهم حاليًا، كما أن هناك بعض أوجه الشبه في أساليب وضع وتداول هذه الأحاديث الموضوعة وبين أناجيل النصارى مما يبرر إجراء بعض الدراسات المقارنة في هذا الشأن.

٣ ـ لقد انصب هجوم المستشرقين والمنصرين في مجمله على أساليب جمع وتدوين السنة النبوية الشريفة وادعوا بأن أسانيدها ضعيفة ومتونها موضوعة ومقتبسة من بعض كتبهم؛ ولهذا فقد حرصت الباحثة على دراسة هذا الموضوع ودحض افتراءاتهم في هذا الشأن.

٤ ـ إن هذه الدراسة التي نحن بصددها دراسة في تخصص الحديث النبوي الشريف وليست في تخصص الدراسات القرآنية ولهذا فقد اهتمت الباحثة بموضوع الدراسات المقارنة في جانب الحديث النبوي الشريف دون غيره.

الغرض من البحث:

١ ـ إعطاء بعض الأمثلة التي توضح هجوم المستشرقين وتطاولهم على الإسلام وخاصة السنة النبوية الشريفة ويشتمل ذلك على: التهجم على شخص رسول الله ﷺ وعلى رسالته، التهجم على الصحابة والتابعين، التهجم على أئمة المسلمين. كما يشتمل أيضاً على صور من التهجم على الإسلام عامة، بجانب النشاطات التنصيرية في بلاد المسلمين والوسائل والطرق التي يتبعها المنصرون في محاربة الإسلام، وذلك لكي يطّلع المسلمون على صور من الهجوم السافر الظالم المجحف في حق دينهم الحنيف آملة أن يكون هذا حافزاً لهم للتعمق في معرفة دينهم وللتصدي لمثل هذا الهجوم البغيض ولكي يساهم كل غيور على دينه في دحض مثل هذه الادعاءات والافتراءات المتهافتة وتفنيدها والرد عليها.

٢ ـ محاولة دراسة المبادىء والأسس التي قامت عليها الديانة المسيحية منذ نشأتها وحتى القرون الوسطى كما يراها النصارى أنفسهم ويشتمل ذلك الحديث عن: (عقيدة التثليث ـ مبدأ الخطيئة ـ عقيدة الصلب ـ فكرة اللاهوت الخلاصي ـ نشأة الكنائس ـ طقوس النصارى الدينية).

كما أننا سنحاول دراسة الوسائل والأساليب التي اتبعها النصارى في جمع الأناجيل منذ بداية رسالة السيد المسيح عليه السلام وحتى يومنا هذا حيث أن عملية تطوير الأناجيل مازالت مستمرة.

وفي هذه الدراسة سوف أقوم بإذن الله بتوضيح الوسائل والمعايير التي اتبعها المسيحيون في تحقيق أقوال السيد المسيح والأسس التي تم بموجبها رفض أو قبول الأقوال المتداولة عنه تمهيداً لمقارنة هذه المعايير التي ارتضاها المسيحيون لقبول ما جاء في أناجيلهم بالأسس والمعايير التي تم بموجبها تصنيف الأحاديث النبوية الشريفة إلى (صحيح، حسن، ضعيف ثم موضوع) ثم انظر بعد ذلك أي المقاييس المتبعة أدق، وأجعل من ذلك مقياساً لمدى صحة ما جاء في أناجيلهم.

وسأركز جهدي إن شاءالله في تحقيق المتن والسند باعتبارهما من أهم المؤشرات والمقاييس التي يمكن الاعتماد عليها في رد اتهامات المستشرقين لسنة رسول الله ﷺ، وهي تهم كما سنرى كثيرة ومجحفة، وأن بعضها من التفاهة والتهافت بحيث لا تستحق الرد عليها، وبعضها ربما أثار بعض الشبهات والبلبلة في أذهان العامة. وهذه سأقف عندها قليلاً توضيحاً للحق وإجلاءً للشكوك.

٣ ـ إعطاء نبذة مختصرة عن تطور الديانة المسيحية عبر القرون من العصور الوسطى إلى عصرنا الحاضر. وسأتناول في هذا الموضوع الصراع الذي احتدم بين الكنيسة الكاثوليكية وبين رواد النهضة العلمية في أوربا وكيف تصدت الكنيسة للعلماء باسم الدين وحاربتهم وحكمت عليهم بالكفر والهرطقة لأنهم أتوا بنظريات مناقضة لآراء الكنيسة. هذا الصراع أدى إلى انفصام وعداوة مستفحلة بين الدين المسيحي الذي اعتبره الناس عقبة أمام تطور البشرية وبين الأفكار العلمية المستنيرة التي نادى بها العلماء.

وعندما اشتد ضغط الكنيسة على هؤلاء العلماء فإن كثيراً منهم قد تخلوا عن

ديانتهم وأصبحوا علمانيين، لا دين لهم أو حتى ملاحدة. وسوف نرى كيف اضطرت الكنيسة تحت الهجوم المتواصل من أعدائها إلى الرضوخ لمتطلباتهم وإدخال التعديل تلو التعديل في مبادئها وأسسها حتى أن البابوات قد عمدوا في فترات متعاقبة إلى إعادة كتابة الإنجيل وحذف بعض الفقرات منه وإضافة فقرات أخرى إرضاءً لأنصار التحرير والتطوير والمنادين بمسايرة روح العصر.

٤ ـ إعطاء نبذة توضح معنى السنة النبوية الشريفة وأهميتها في التشريع الإسلامي باعتبار أنها شارحة للقرآن الكريم وموضحة له ومشرعة في نفس الوقت.

كما ستشتمل هذه الدراسة على طرق جمع وحفظ وكتابة الحديث منذ عهد النبي ﷺ وصحابته إلى عهد التابعين وأتباعهم من الأئمة أصحاب المصنفات في الحديث النبوي الشريف.

وتشتمل هذه الدراسة أيضاً على الأسس التي تم بموجبها تحقيق وتدوين الحديث النبوي الشريف وتصنيفه إلى (صحيح وحسن وضعيف ثم موضوع).

وسيكون تركيزنا في هذا الباب على موضوعي المتن والسند باعتبارهما المحور الأساسي لهذه الدراسة تمهيداً لمقارنة ذلك بالأسس التي تم بموجبها تحقيق المتن والسند بالنسبة للأناجيل المعتبرة لدى النصارى. كل ذلك في محاولة لتقرير أي الفريقين قد اعتمد على أسس ثابتة وموضوعية وأيهما تحرى الدقة في جمع وتدوين تراثه الديني. ولنرى أي التراثين قد طالته يد التحريف وأيهما قد حافظ على أصالته.

٥ ـ وأخيراً سوف نقوم بمحاولة المقارنة والتحليل بناء على ما تجمع لدينا من معلومات. وسنحاول إن شاءالله تحليل الأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين الأناجيل ومقارنتها بالأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين السنة النبوية الشريفة.

وسيشتمل هذا الباب أيضاً على نقد وتحليل لبعض المفاهيم المغلوطة التي قامت عليها الديانة المسيحية كما أوردها علماء النصارى أنفسهم، وسوف نتبع ذلك ببيان وجه الصواب في الأمر كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وسيشتمل هذا الباب أيضاً على تلخيص لنتائج البحث وخاتمة.

أسئلة البحث:

أما أسئلة البحث فتتلخص فيما يلي:

١ ـ ما الأسس التي اعتمد عليها النصارى في جمع أناجيلهم؟

٢ ـ من الأشخاص الذين قاموا بجمع الأناجيل؟ ومتى تم جمعها؟ وما الطرق التي اعتمدوا عليها في تحقيق أناجيلهم؟

٣ ـ ما الأسس التي تم بموجبها جمع الحديث النبوي الشريف؟

٤ ـ من أشهر الأئمة الذين قاموا بجمع الحديث النبوي الشريف؟ ومتى جمعوه؟ وما الطرق التي اعتمدوا عليها في تحقيق أحاديثهم؟

٥ ـ هل هناك مآخذ على طريقتهم في جمع الحديث؟

٦ ـ أي المنهجين أقوى وأكثر تثبتاً وأقرب إلى الصحة من الآخر؟

الباب الأول

في التهجم على السنة النبوية الشريفة والإسلام بصورة عامة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التهجم على رسول الله ﷺ.

الفصل الثاني: التهجم على أساليب جمع الحديث الشريف.

الفصل الثالث: التهجم على الإسلام بصورة عامة.

الفصل الأول

في التهجم على رسول الله ﷺ

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: التهجم على الوحي.

المبحث الثاني: التهجم على شخص رسول الله ﷺ.

المبحث الأول: التهجم على الوحي

إن أعداء الإسلام كثيرون وهم يتفننون بشتى الطرق وأحدث الوسائل للنيل من ديننا الحنيف وسنة نبينا الكريم محمد ﷺ وإنني إن شاءالله في هذا الباب سأحاول توضيح آرائهم ومحاولاتهم اليائسة لإطفاء نور الله.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[(١)].

وسأحاول في هذا البحث إن شاءالله توضيح بعض الأسلحة والوسائل والسبل التي ينتهجونها في الكيد للإسلام والنيل من السنة الشريفة؛ لأن هدم السنة هو هدم للإسلام وطمس معالم السنة طمس للإسلام؛ ولأن السنة النبوية الشريفة هي بمثابة المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، كما أنها شارحة وموضحة لكثير من آيات القرآن الكريم. ويعتبر علماء الديانات الغربية أن الإسلام هو أكبر عدو لهم. وهذه العداوة نماها المستشرقون في دراسات مشوهة عن الإسلام والسنة النبوية الشريفة. من ذلك أن بعض المستشرقين قد حاول النيل من سنة نبينا الكريم وتشويهها والزعم بأن محمداً رسول الله ﷺ افترى الإسلام وادعى بأنه رسول: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾[(٢)]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾[(٣)].

كما يحاول المستشرقون تشويه الإسلام بإطلاق اسم «المحمديين» على المسلمين للإيهام بأنهم أتباع محمد ﷺ وعباده كتبعية النصارى لعيسى بن مريم وتقديسهم وعبادتهم وتأليههم إياه[(٤)].

---

(١) سورة الصف: ٨.

(٢) سورة السجدة: ٣.

(٣) سورة الفرقان: ٤.

(٤) انظر كتاب: Encyclopedia of Religion and Ethics, James Hansting with the assistance of John Selbie, M.A.D.D and Larit's H Gray, New York, Charles Scribner's Sons, 1916, Volume 8 P.P. 871 - 884.

ولقد حاول المستشرقون أيضاً النيل من الإسلام بادعاء أن محمداً ﷺ ما هو إلا شخص ادعى النبوة، وأنه لم يكن رسولاً مرسلاً من قبل الإله، وأن ما كان يجده رسول الله ﷺ من مشقة عند نزول الوحي عليه ما هي إلا ظواهر مرضية. وفي هذا لم يأت المستشرقون بجديد، فقد تشابهت أقوالهم بأقوال كفار قريش المشركين الأميين رغم أن المستشرقين يدعون العلم والمعرفة والموضوعية في التفكير، ويدعون أنهم ينتسبون إلى أرقى صور المدنية والحضارة.

قال المستشرقون: أن محمداً ﷺ شاعر، وقال عرب الجاهلية أنه ﷺ شاعر: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وقال المستشرقون أن محمداً ﷺ يعاني من ظواهر مرضية، وقال عرب الجاهلية أن محمداً ﷺ به مس من جنون ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]. وكما أن محاولات كفار مكة وهم في قمة جاهليتهم وجلافتهم لم تقم عائقاً في سبيل الدعوة فإن أقوال المستشرقين لم تجدهم شيئاً أيضاً. ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[3].

وفيما يلي نستعرض بعضاً من ترّهاتهم التي تحدثوا بها في مجالسهم وبنوا عليها مؤلفاتهم:

القول بأن الوحي ظاهرة مرضية:

أنكر الكاتب المسيحي ماكدونالد نزول الوحي على النبي ﷺ وقال: إن محمداً ﷺ عندما تحدث عن الإلهام كان غرضه والباعث من وراء ادعائه هو تفسير بعض الظواهر الكونية التي لا يمكن تفسيرها إلا بإمكانية الاتصال المباشر

---

(١) سورة الأنبياء: ٥.

(٢) سورة الصافات: ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ٣.

بين المُلهَم والمُلهِم. ويزعم ماكدونالد أن محمداً ﷺ لما وجد الكهنة من حوله يُصدقون ويتمتعون بكثير من التأييد الشعبي، وكانوا من الكثرة بحيث لا يستطيع الإنكار عليهم جاراهم وقال لصحابته: إن الكهنة أحياناً يصدقون في حديثهم وتنبؤاتهم.

وقام الكاتب ماكدونالد بكل تلك المحاولات اليائسة ليثبت أن ما كان يجده الرسول ﷺ ليس بوحي.

ويتهم ماكدونالد رسولنا الكريم بأن الغيرة قد أخذته من غلام يهودي كان يدعى ابن صياد؛ لأنه كان يتمتع بنفس الظواهر التي سماها ماكدونالد ظواهر مرض الصرعة. ويزعم ماكدونالد بأنه من الطبيعي أن تختلط على محمد ﷺ الأمور لذا فإنه حاول اتهام ابن صياد بأنه أحد الكهان الذين يتلقون إلهامهم من الشياطين. ويرى هذا الكاتب الصليبي الحاقد أن دهشة محمد كانت عظيمة عندما علم بأن الشاب اليهودي يتمتع بنفس الظواهر الإلهامية التي ادعاها محمد لنفسه. كما ادعى ماكدونالد بأن محمداً ﷺ قد تضايق من ابن صياد لأنه خشي من منافسته له وخشي أن يلتف الناس حوله. بل ادعى ماكدونالد بأن النبي ﷺ كان يتتبع هذا الشاب اليهودي بنفسه خوفاً من أن يتغلب عليه. ويقول أيضاً: بأن هذا الشاب كان في الثالثة عشرة من العمر أي كان طفلاً صغيراً. وأن محمداً ﷺ استمر في تتبعه إلى أن اكتشف بأنه لا خطورة من ورائه فتركه وشأنه. ويعقب ماكدونالد بقوله: أن حقد محمد وأتباعه على ابن صياد ظلا يلاحقانه طيلة حياته رغم أن اليهودي كان قد اعتنق الإسلام. ويقول: لقد بلغ بمحمد ﷺ وأتباعه الحقد أنهم كانوا يشككون في صحة إسلام هذا اليهودي وينغصون عليه حياته، بل أن الشك والمطاردة كانا مصير هذا الرجل اليهودي إلى أن مات. ولقد أورد ماكدونالد بأن محمداً ﷺ قد أمر أتباعه بعدم التعامل معه، وادعى بأن اليهودي رغم إسلامه كان كثيراً ما يتضرر من محمد وأتباعه وكان يشكو إلى الرسول ﷺ سوء معاملة أتباعه ولكن تضرره وشكواه لم يجدياه شيئاً. يقول ماكدونالد في كتابه «الميول الدينية في الإسلام» ما ترجمته: (كان هناك طفل يهودي في الثالثة عشرة من العمر يدعى ابن صياد حير محمداً لأنه كان مصاباً بنفس المرض الذي

كان مصاباً به محمد نفسه، وهو مرض الصرعة. كان هذا الشاب اليهودي يدّعي كذلك بأنه يوحى إليه، بل كان يهود المدينة يحترمونه ويعتبرونه رسولاً مرسلاً إليهم. وقد ورد في السيرة النبوية أن محمداً مر يوماً بجانب الغلام اليهودي فضربه محمد بكفه في ظهره ودار بينهما الحوار التالي:
محمد: هل تشهد بأني رسول الله؟
نظر إليه الغلام اليهودي وقال: أشهد بأنك رسول الوثنيين (أو قال رسول خاص بقبيلتك)، فلكزه محمد لكزة قوية بفظاظة وقال: أما أنا فإني أؤمن بالله وجميع رسله.
وقال ثانية للغلام: ماذا ترى؟ قال الغلام: أرى صدقاً وكذباً.
قال محمد: إن الأمور اختلطت عليك. ثم قال: إني أخفي عليك شيئاً. يريد أن يختبر الغلام، فأجابه الغلام قائلاً: الدخـ . .

وكان محمد في تلك اللحظة يفكر في سورة تسمى بسورة الدخان، ففاجأه اليهودي بالإجابة فصرخ محمد في وجهه قائلاً: أغرب عني، إنك لن تستطيع أن تتفوق عليَّ. وعند ذلك سأل عمر بن الخطاب محمداً بأن يسمح له بضرب عنق اليهودي، فقال محمد: لو أنه حقًّا هو لما استطعت أن تفعل شيئاً ضده وإن لم يكن هو فلا فائدة من ضرب عنقه. وكان محمد يشك في أمر اليهودي وحقيقة نبوته. وكان أيضاً يراوده الشك بأن اليهودي هو المسيح الدجال. . وأراد محمد أن يعرف حقيقة اليهودي بإدراكه في إحدى نوبات مرضه وفي غفلته. فذهب محمد واختبأ وراء جذع نخلة كان الغلام اليهودي يجلس دائماً عندها وذلك ليسترق السمع إلى حديثه، وكان الفتى راقداً تحت تلك الشجرة يهمهم بكلمات، ولكن أم الصبي أبصرت محمداً فحذرت ابنها الذي أمسك عن الكلام. فقال محمد: لو دعته يتحدث لانجلت لي أمور كثيرة. . وقد أسلم اليهودي فيما بعد إلا أن محمداً وأتباعه كانوا يشكون فيه دائماً. . إنه لمن الواضح والبين أن محمداً كان يميز ما حوله من ظواهر شبيهة بالظاهرة التي كانت تعتريه، وكان يعلم أنه لا توجد خطورة عليه من تلك الظواهر وأصحابها، ولكن كان يجب عليه أن يضع لها تعليلاً لكي لا ينصرف الناس منه إليها، فأخبر من حوله بأنه أوحى إليه أن تلك الظواهر الشبيهة بظاهرته إنما هي من التكهن، فبينما يؤيده هو ملك يسمى بروح

القدس فإن الكهنة يؤيدهم الجن. . ولكن بالرغم من كل تلك المحاولات كان معارضوه يلقبونه بالشاعر رغم أن ما كان يقوله يفتقر إلى مقومات الشعر في عصره ولا يرتقي لمستوى حديث الشعراء. ولقد لقبه آخرون بالكاهن. وقال بعضهم الآخر بأنه مؤيد من قبل الجن)[1].

ويدّعي الكاتب ماكدونالد بأن السبب الذي رفع مقام النبي ﷺ عن بقية الكهنة والذين سماهم ماكدونالد بالمرضى إنما هو اهتمام النبي ﷺ بالفقراء والمساكين وأنه كان يساعد عند الحاجة. ويرى ماكدونالد أن هناك سبباً آخر أدى إلى بروز محمد ﷺ وسط غيره وهو أنه جاء بفكرة التوحيد الخالصة للإله الواحد وإقراره بأن العلاقة بين الإله والعبد علاقة مباشرة خاصة عند الصلاة.

الادعاء بأن الوحي منقول عن اليهود والنصارى:

ادعى المستشرقون أن محمداً ﷺ بنى ديانته الجديدة بعد ملاحظاته للمسيحية واليهودية وأخذه الكثير عنهما ولولا ذلك لما تم بناء الإسلام. يقول في ذلك المستشرق فريلاند أبوت ما ترجمته:

«. . . ولقد بذل الكتاب والباحثون كثيراً من الجهود من أجل اكتشاف الجذور الحقيقية للدعوة المحمدية والأسباب التي حدت بمحمد ادعاء النبوة. وبالرغم من هذا فإن النتائج في هذا الشأن غير مطمئنة. ولقد قال أناس أن محمداً كان يتلقى التعليم على يدي أستاذ يهودي، وهذا ربما كان صحيحاً. ولقد ادعى بعضهم أن محمداً قد تلقى العلم على يدي راهب نصراني من سوريا، وهذا أيضاً ربما يكون صحيحاً. ولقد ادعى آخرون أن المجتمع التجاري الذي كان يعيش فيه محمد ربما ساعده على مقابلة كثير من أصحاب الديانات الأخرى وأنه قد استقى من هؤلاء التجار بعضاً من أصول دينهم وعقائدهم فبنى عليها وجعلها أصلاً لدعوته، وهذا أيضاً ربما يكون صحيحاً. ولكن الصحيح في آخر الأمر أن محمداً لم يدع أبداً بأنه جاء بدين جديد أو دين أصيل. ولقد كرر المرة تلو الأخرى أن ما جاء به هو عبارة عن تجديد لما سبقه من رسالات. ومن الغريب في الأمر أن

---

(١) انظر كتاب: The Religious Attitude and Life in Islam, Duncan Black Macdonald, The University of Chicago, Illinois, 1906, P.P. 34-37.

إرجاع معظم المبادىء الإسلامية لأصول الديانات السابقة من يهودية أو نصرانية أو غيرهما لا ينال مطلقاً من عقيدة المسلمين، ولا يؤثر فيهم وذلك ربما لأن المسلمين عادة لا يلجأون إلى نقد وتمحيص عقائدهم كما يفعل المستنيرون من النصارى. وهذا ربما يرجع إلى اعتقادهم التام بأن القرآن ما هو إلا كلام الله فلا داعي لانتقاده»[١].

ويرى المستشرق وليام موير أن تأثر محمد ﷺ باليهودية كان أكثر من تأثره بالمسيحية. ويدعي موير أن الرسول عليه الصلاة والسلام اعتمد اعتماداً كبيراً على آراء النصارى وأفكارهم، خاصة الأفكار التي كانت سائدة في عصره لأن المسيحية كانت ديانة محترمة ومبجلة لدى معظم الناس. ويعتقد هذا الكاتب أن آراء محمد عن المسيحية أتت قاصرة ومتصفة بالعنف والقسوة لأن محمداً ﷺ ـ بزعمه ـ لم يدرس المسيحية حق دراستها. ويرى الكاتب أن محمداً قد درس المسيحية عن مصادر غير موثوق بها. ويدعي هذا الكاتب أن محمداً قد أنكر شيئاً مهمًا جدًا في عقيدة النصارى. ويعني بذلك قصة صلب المسيح المزعومة والتي يعتبرها وليام موير أمراً عظيماً وحادثاً فريداً من نوعه، بل هي أساس عقيدة النصارى واللبنة الأولى التي بنيت عليها ديانتهم. يقول وليام موير في كتابه «حياة محمد» ما ترجمته:

(لقد حاول محمد الاستفادة بقدر جهده من الرقيق النصارى الذين كانوا يحيطون به في مكة ومن نسخ الأناجيل المتفرقة التي كانت متناثرة بأيدي النصارى من حوله. ولقد استقى كثيراً من المعلومات من أحد علماء النصارى، وكان يدعى ورقة بن نوفل. ومن تلك المعلومات التي تجمعت لديه كوّن محمد فكرة مشوشة عن قصة منقذنا ومخلصنا وفادينا المسيح. وبالرغم من أطماع محمد في جذب انتباه النصارى وجمعهم حوله نجد أنه اهتم باليهودية أكثر من اهتمامه بالمسيحية، فأقواله عنهم جاءت وبها كثير من الصحة. ولكن محمداً لم يحاول دراسة تاريخ الكنائس وتاريخ المسيحية وما تم في الديانة المسيحية من تكوين دساتير ثابتة.

---

(١) انظر كتاب: Islam and Pakistan, Freeland Abote, Cornell University Press, New York, 1968, P.P. 14-15.

ولم يبال بتتبع أصول تلك الدساتير في بيئة النصارى، بل اكتفى بالشيء القليل عن المسيحية والذي يتمثل في بعض القصص عن سيرة المسيح، مولده وحياته، ناقلاً تلك القصص من بعض القساوسة الذين عاصروه. وبالرغم من أن محمداً أكد القول بأن عيسى هو المسيح وهو آخر أنبياء بني إسرائيل وأعظمهم إلا أنه أنكر بنوته للإله بشدة كما أنكر بعض مبادىء المسيحية العامة إلا أنه لم يدخل في صراع مع النصارى كما فعل ذلك مع اليهود فيما بعد. . . إننا نشك في أن محمداً حاول فهم مبادىء المسيحية الحقة قبل الحديث عن المسيحية، لذلك أتى بصورة مشوهة وغير واضحة عن المسيحية تدل على محدودية معلوماته التاريخية عن تلك الديانة رغم أنه أتى بالكثير عن اليهودية مما يدل على أنه كان محاطاً بعلماء اليهود وكتبهم المقدسة أكثر من إحاطته بعلماء النصارى. فمثلاً: محمد لم يتحدث عن قصة تعميد الأطفال عند النصارى، ولا عن قصة العشاء الأخير لدى النصارى ولا عن مبدأ بولس الذي ينادي بأن المسيح قدم نفسه فداء للبشرية ومات كفارة عن ذنب آدم أبي البشر. . هذا بالرغم من أنه ذكر قصة الصلب ونفاها بشدة ولم نجد أن محمداً أدخل شيئاً من طقوس النصارى وعباداتهم في الإسلام رغم أنه أدخل الكثير من شعائر اليهود. هذا وبالرغم من أن الإسلام لم يتأثر بمبادىء المسيحية وطقوسها إلا أن المسيحية تحتل مكانة عظيمة وسامية لدى المسلمين. بل إن مكانتها لدى محمد كانت أكبر من مكانة اليهودية.

وفي بداية دعوة محمد لا نجد أثراً لأقوال تدل على أن دينه أتى مكملاً للأديان الأخرى، ولم يشعر محمد بأن هذا الدين له علاقة بأي دين آخر بل كان كل همه هو ذم عبادة الأوثان والمناداة بالتوحيد دين إبراهيم الجد الأكبر للعرب. ولكن عندما شعر محمد بالحاجة لمجاراة اليهود والنصارى عمد للاقتباس من دينهم زاعماً أن ما جاء به من كتاب إنما هو مكمل للديانتين اليهودية والمسيحية، فكان هذا الزعم بمثابة طوق النجاة لمحمد وقد سَلِم به من نقد الكثيرين لديانته ومعارضتهم لها. ولم يكتف محمد بهذا بل ادعى أن القرآن أعظم من التوراة والإنجيل رغم زعمه أن الكتب الثلاثة من عند الإله)[1].

---

(١) انظر كتاب: The Life of Mohammad From Original Sources, Sir William Muir
=K.G.SL., A New and Revised Edition by T.H. Weir, Edinburgh, John Grant,

ويقول ريتشارد بيل، بنفس روح الحقد الصليبي: أن النصارى العرب كانت لهم علاقات وطيدة بمحمد، لذا فإن ريتشارد يرى أن رسول الله ﷺ كان متأثراً تأثراً واضحاً في أحاديثه وأفعاله بالنصارى. وهو يرى أن النصارى هم الذين أعطوه فكرة عن الأديان وماهيتها.

يقول بيل في كتابه «نشأة الإسلام في بيئة المسيحية» ما ترجمته: (... وكما كانت المسيحية هي العامل المساعد على تحقيق أمجاد الإمبراطورية الرومانية لا نستطيع أن نغفل الحقيقة الأخرى الثابتة وهي أن المسيحية كانت من العوامل التي ساعدت المحمديين لتقوية شوكتهم أيضاً. كما يجب أن لا نغفل عن الحقيقة المؤكدة بأن السبب الرئيسي لانتشار دعوة محمد هو تعصب العرب لقوميتهم، إذ أننا نجد أن من أوائل الذين اعتنقوا دعوة محمد هم أعراب مكة والمدينة وأن من أوائل الذين ساندوه هم النصارى العرب الذين سكنوا الجزيرة العربية، لذا نحن نرى أنهم قد وقفوا بجانب الدعوة الجديدة لأسباب قومية وعنصرية إذ أعجبهم أن يكون هناك رسول عربي مستقل عن بقية الرسل الذين كانوا ينحدرون من سلالات غير عربية.

ومما لا شك فيه أن النصارى العرب الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام كان لهم دور كبير في بناء هذا الدين، وهم الذين وضحوا لمحمد ماهية الأديان وأعطوه فكرة ثابتة عن حقيقة الأديان؛ لأن دعوة محمد لم تكن دعوة دينية بقدر ما كانت دعوة سياسية محضة. ولم تأت الفكرة التي تنادي بأن الإسلام دين ودولة إلا بعد أن رأى محمد تلك الحقيقة في الديانة المسيحية، بجانب ما تجمع لديه من معلومات عن أسفار العهد القديم)[١].

وهكذا استمر الكاتب في كذبه وتخرصاته مدعياً أن محمداً ﷺ قد أخذ ضمن ما أخذ عن المسيحية فكرة أن الإسلام دين ودولة، والكاتب يعلم كما نعلم جميعاً بأن المسيحية لم تكن ديناً ودولة في يوم من الأيام. ولقد ورد في كتبهم المحرفة بسأن المسيح قال لحوارييه (دعوا ما لله وما لقيصر

=

1912, P.P. 148-149.

(١) انظر كتاب: The Origin of Islam in its Christian Environment, Richard Bell, Franc Cass and Co. L.T.D. 1968, PP. 2-5.

لقيصر)[1]. فأين هي فكرة الدولة المسيحية إذن حتى يأخذها محمد ﷺ عن المسيحية؟

ولقد تشابهت أقوال المستشرقين في هذا الزعم فنرى الكاتب ستوبارت في كتابه «نظم العقائد المختلفة في الأديان الأخرى المغايرة للمسيحية: الإسلام ومؤسس الإسلام» نجده يطعن في رسول الله ﷺ أيضاً. فبعد أن يسوق الكاتب قصصاً عن رحلات رسول الله ﷺ قبل مبعثه إلى الشام وغيرها للتجارة، يقول ما ترجمته: (خلال تلك الرحلات التي كان يقوم بها محمد لمختلف نواحي جزيرة العرب وخارجها أنه لا شك قد التقى بالكثير من النصارى، كما أنه كان يدخل كثيراً من دور العبادات، ويحضر مناقشات النصارى وجدلهم. ومن المحتمل أن يكون محمد قد حضر كذلك احتفالاتهم وطقوسهم وبالتالي يكون قد عرف الكثير عن آراء طوائف النصارى المختلفة من أمثال آريوس والذي كان يدعو إلى التوحيد، ولابد أن يكون قد التقى ببعض أنصار طائفة آريوس الذين كانوا يسمون بالآريوسيين والذين أنكروا ألوهية السيد المسيح وأنكروا أن الله ثالث ثلاثة متساوين في الألوهية. كما يمكن أن يكون قد التقى أيضاً بطائفة السابليين Sabellians الذين قالوا بأن الآلهة الثلاثة متصلون اتصالاً وثيقاً بعضهم ببعضهم الآخر وطائفة الاتوشيين Eutychians الذين قالوا بأن الألوهية والبشرية في المسيح مندمجتان ومنصهرتان انصهاراً تامًّا بحيث لا يستطيع الشخص التمييز بينهما، واليعقوبية الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح له طبيعة واحدة، والمريمانية الذين جعلوا مريم والدة المسيح الآلهة الثالثة مع عيسى ووالده. والكولريديانية Collyridians الذين عبدوا مريم كآلهة. وفي سوريا رأى محمد النصارى وعباداتهم وطقوسهم المنتظمة. ومما لا شك فيه أن محمداً أعجب بعبادات النصارى المنتظمة خاصة عندما قارنها بالعبادات التي كانت سائدة في مكة في البيئة التي نشأ هو نفسه فيها. ولكن محمداً انشغل بالدعوة عن متابعة المسيحية فظل يتلقاها على أيدي بعض النصارى بمكة والذين أساءوا فهم المسيحية بجانب فهمهم الخاطىء لبعض نصوص الإنجيل، ومما لا شك فيه أن هذا هو السبب الذي أدى

(١) انجيل مرقص ١٢: ١٧.

إلى أن يأتي محمد بآراء خاطئة عن المسيحية)[1].

وقد ادعى المستشرق اليهودي قوتين أن الإسلام ما هو إلا نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية. وزعم أن محمداً ﷺ لم يأت بجديد، واعتبره مديناً في دعاويه للمعلمين اليهود والنصارى وغيرهم ممن التقوا به في صباه. يقول قوتين لتدعيم موقفه ما ترجمته:

(إن القرآن يحتوي على كثير من الآثار والأفكار والتصورات التي ترجع في أصلها إلى الديانتين اليهودية والمسيحية، كما يحوي بعض الإشارات التي توحي بأن هناك معلمين من اليهود والنصارى الذين تلقى محمد تعاليم الدين على أيديهم. والدليل على أن الإسلام تأثر تأثراً كبيراً باليهودية واكتسب منها القوة أن موسى يحتل مكانة رفيعة في القرآن. ولا أريد هنا أن أحصي عدد المرات التي ذكر فيها موسى ولكن إن قارناها بالمرات التي ذكر فيها عيسى نجدها تفوقها بكثير، فإن موسى ورد ذكره أكثر من مائة مرة بعكس عيسى الذي ذكر أربع مرات فقط، وفي فترة القرآن المكي. كما أن القصص والآثار المتعلقة بموسى وآثاره تمتد لتشمل جميع سور القرآن، موسى قد استحوذ على تفكير محمد وأثار إعجابه للدرجة التي استدعته ابتكار كتاب مقدس خاص به هو نفسه مجاراة لموسى. . وأن الحل الذي اقترحه للإجابة على السؤال الخاص والذي يدور حول الأشخاص الذين تلقى محمد رسالته على يديهم وماهيتهم يبدو واضحاً جليًا إذا تأملنا فكرة التوحيد التي جاء بها محمد. أن محمداً لم يكن موحداً ولم تنشأ فكرة التوحيد لربه لميوله نحو التوحيد ولكنها نشأت لميوله القوية تجاه الديانة اليهودية.

وختاماً لهذه المقالة أريد أن أقول، سواء قبلت افكاري واقتراحاتي عن أصل الديانة الإسلامية أو لم تقبل، فإن هناك شيئاً واحداً ثابتاً لا يستطيع أن ينكره أحد وهو أن المعارك التي خاضها محمد وسجل فيها انتصارات هائلة على أقرانه وأفراد عشيرته العرب كانت تتبنى فكرة نادى بها اليهود من قبل، فكرة نبعت في تلال جودا بفلسطين قبل عدة قرون من بعث محمد)[2].

---

(١) انجيل مرقص ١٢ : ١٧.

(٢) انظـر كتـاب: Non-Christian Religious Systems, Islam and Its Founder, J.H Stobart, New York, Pottyong and Co., P.P. 52, 55.

ويرى الكاتب اليهودي إبراهام كاتش أيضاً أن فكرة التوحيد ما هي إلا فكرة يهودية محضة، بل أن التوحيد هو أصل الديانة اليهودية وهذا ثابت بزعمه في قول الإله يهوى لليهود في كتاب (Deut: 46): استمعوا بني إسرائيل: إن إلهكم إله واحد. وجاء محمد ﷺ ليقول: «لا إله إلا الله»[١].

أما الكاتب المسيحي نورمان فإنه يرى أن فكرة التوحيد ظهرت أولاً عند المسيحية، فبعد أن كان النصارى يعبدون ثلاثة آلهة متفرقة (الإله، المسيح، روح القدس) توحدت كلمة النصارى في مؤتمر نيقيا في القرن الرابع الميلادي وضمت الآلهة الثلاثة بعضها لبعضها الآخر بحيث صاروا إلهاً واحداً يتركب من ثلاثة آلهة مندمجين بعضهم في بعضهم الآخر ليكوّنوا جسداً واحداً. ويعتبر هذا الكاتب اندماج الآلهة وتداخلها توحيداً!!!

ثم يدعي نورمان بأن هذه الفكرة قد راقت لمحمد ﷺ فنادى بالوحدانية[٢]. وعلى الرغم من أن المستشرقين النصارى اتهموا محمداً ﷺ بأنه أخذ فكرة التوحيد عن النصارى فإن دونكان بلاك ماكدونالد يعترف بأن التوحيد فكرة غريبة على النصارى بل على الديانة المسيحية بزعمه. ويقول: أن فكرة التوحيد فكرة مشوهة لصورة الإله الحقيقي، تلك الصورة الحقيقية التي يعتبرها ماكدونالد متمثلة في عقيدة الثالوث لدى النصارى. ويعتقد ماكدونالد أن الشخص الذي يؤمن بفكرة التوحيد كما جاء بها محمد لن يستطيع أن يدعي بأنه قد عرف الإله الحقيقي حق معرفته. فصورة الإله التي نمت في ذهن ماكدونالد هي صورة الإله المكون من ثلاثة أقانيم، لهذا فهو يعتبر التوحيد فكرة خاطئة فلسفيًا، ويدعي بأن الإنسان لن يتمكن من معرفة إله غريب وبعيد عنه، ويقول أنه لا يعرف هذا الإله الغريب وبالتالي لا يستطيع هذا الإله الغريب معرفته. ويرى ماكدونالد في قول القرآن

---

(١) انظر كتاب: Jews and Arabs; Their Contacts Through Ages, Solomon David Goitein, Schocken Books, New York, 1955.

(٢) انظر كتاب: Judaism in Islam; Biblical and Talmudie Background of the Koren and its Commentaries, Suras II and III» by Abraham I.katsh, Published For New York University Press by Block Publishing Company, 1954, P.P. 4,5.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] أن محمداً جعل الإله غريباً وبعيداً عن إدراك الأفهام والعقول. ويقول ماكدونالد أن إله محمد نقيض للإنسان وبعيد منه. ونسي ما جاء بالقرآن الكريم من أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3].

ثم يستطرد ماكدونالد إلى القول في تعجب كيف يلتقي النقيضان؟ ثم يستنتج من هذا الاستطراد والجدل العقيم نتيجة أقبح من تساؤلاته ويقول: إذن الفكرة الصحيحة للإله هي الفكرة التي جاءت بها المسيحية، ثلاثة آلهة يمثلون إلهاً واحداً، إلهاً جاء وعاش مع البشر ومات من أجلهم. هذا هو الإله الحقيقي الذي يريد ماكدونالد وأمثاله من المنصرين أن يثبتوه في أذهان البشر..

ثم يتهم الكاتب أتباع محمد ﷺ بأنهم نقضوا مبدأ التوحيد بعد وفاته واعترضوا على تلك الفكرة وأتوا بأشياء مناقضة لذلك المبدأ كفكرة الحلول في الإله وغيره من عقائد الصوفية. ويقول ماكدونالد ليؤكد زعمه ونتائجه التي توصل إليها من خلال تفكيره القاصر: أن هذه هي النتائج الطبيعية لفكرة غريبة عن البشر، فكرة لم يستطع المسلمون تحملها لفترة طويلة[4].

---

(١) انظر كتاب: Islam and the West; The Making of an Image, Norman Daniel Edinburgh, the University Press, 1970, P.P 196-197.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة ق: ١٦.

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

المبحث الثاني: التهجم على شخص رسول الله ﷺ

بالرغم من أن المستشرقين قد اتهموا محمداً ﷺ بأنه نقل الوحي عن اليهود والنصارى، وبالرغم من زعمهم بأنه أراد أن يكوّن ديناً خاصًا به مجاراة لليهود والنصارى، فإن هؤلاء المستشرقين قد عادوا وادعوا بأن محمداً ﷺ، لم يكن رجل دين، ولم يكن هدفه من دعوته إنشاء دين جديد، إنما كان غرضه في المقام الأول غرض سياسي وأهدافه كانت مادية بحتة. وقد زعموا أيضاً أن محمداً ما كان يريد أن يبتعد عن ديانة كفار مكة المشركين إنما كان يطمع في السيادة عليهم. ولقد وجه المستشرقون كثيراً من التهم الباطلة لشخص رسول الله ﷺ نستعرض هنا بعضاً منها:

اتهام الرسول ﷺ بتقليد كفار مكة:

ادعى المستشرق الفريد غيوم أن محمداً ﷺ ما كان يرغب في الابتعاد عن طريقة آبائه ـ ويقصد بذلك كفار قريش ـ لذلك يرى غيوم أن النبي ﷺ لم يأت بشيء جديد في الطقوس والعبادات الخاصة بالإسلام يميزه كثيراً عن طقوس وعبادات كفار قريش. ويرى غيوم أن ذلك يظهر عند تأدية المسلمين لمناسك الحج، من تقديم كسوة الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود، والشرب من ماء زمزم وغيره. واتهم الفريد غيوم النبي ﷺ بأنه قدم قرباناً للصنم (العزى) في صباه ليستدل بذلك على أن محمداً ﷺ كان يعبد الأصنام قبل مبعثه لذا فإنه تأثر بعبادتها بعد مبعثه أيضاً. وقد جاء في كتابه المسمى «الإسلام» ما ترجمته: (إن عادات الجاهلية قد تركت أثراً بيناً في الإسلام، ويتجلى لنا ذلك بوضوح تام في طقوس شعيرة الحج.. ونرى أن تقديم الأضحية كقرابين للآلهة كان شيئاً مألوفاً لدى عرب الجاهلية. وبالرغم من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يعيرون تلك الأشياء اهتماماً كبيراً، إلا أن بعضهم كان يمارس تلك العادات كتقليد شاع عندهم.. ومما لا شك فيه أن كثيراً من الأماكن والواحات، التي تعتبر مراكز هامة لأداء فريضة الحج ومناسكه، كانت لها أهميتها الخاصة لتأدية العبادات بها. كان العرب

يفدون إلى تلك البقاع من المناطق المجاورة، كما كانت ترحل إليها القبائل المختلفة باعتبار أن تلك الأماكن مقدسة، بل أن كثيراً من القبائل استقرت بالقرب من الأماكن المقدسة لحمايتها.. تلك هي حقيقة مكة قبل أن يبعث فيها محمد، مكة التي كانت تقصدها مختلف قبائل العرب كل عام وذلك في شهر يعتبرونه مقدساً لأداء شعيرة الحج.. إن التقاليد التي شاعت عن محمد في صباه تروي أنه ذبح حملاً أبيض اللون قدمه قرباناً للعزى ومع هذا جاء القرآن فأدان عادات الجاهلية وطقوسها، كما أدان تقديس عرب الجاهلية للأحجار والأوثان ووصفها بأنها غير طاهرة ومن عمل الشيطان. تلك الأشياء حرمها القرآن وأمر المسلمين بأن لا يقربوها بل حرم على المسلمين أكل الذبائح التي تذبح في مثل تلك الأماكن لأنه اعتبر أن تلك الذبائح غير طاهرة. والإسلام حرم أيضاً عبادة الأصنام لأن الذين كانوا يعبدون تلك الأصنام ويجعلونها واسطة بينهم وبين الآلهه كانوا مخطئين في نظر الإسلام. ولكن بالرغم من ذلك أتى المسلمون وأدخلوا معظم هذه الممارسات ضمن شعيرة الحج التي يؤدونها كل عام. ويجب علينا أن نلاحظ هنا أن عمر بن الخطاب قال يوماً للحجر الأسود: إنك الحجر الذي يقبلك الحجاج ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك. ولعله من الملاحظ أن بعض الأشجار قد غدت مقدسة في بعض البيئات؛ لأن الناس اعتقدوا بأن الآلهة تسكنها وأن عادة وضع قطعة من القماش على جذع شجرة أو تعليق أشياء خاصة بالناس للتبرك بجذوع الأشجار وفروعها كانت طقوساً شائعة في الشرق الأوسط. ونستطيع أن نرى نفس الشيء في تقديس بعض الناس للآبار وعيون المياه وغيرها. كل هذه الأشياء مناقضة لفكرة توحيد الإله، لكن المسيحية واليهودية لم تستطيعا التخلص من تلك الطقوس والشعائر فلا غرابة إذا لم يستطع الإسلام التخلص منها كذلك)[1].

وادعى السيد وليام موير أن تأثر محمد ﷺ بقريش ناتج عما كان يحظى به من احترام القرشيين. ولقد زعم بأن قريشاً كانت تكن لمحمد كل مودة واحترام،

---

(١) انظر كتاب: Islam, Alfred Guillume, Penguin Book Made and Printed Ltd. Great Britain, Hunt Bernard Printing Ltd Aulesbury Set in Monotye Bembo, 1976, P.P 6-9.

وأن السنة والسيرة نسبت لقريش عداوة مختلقة. إن قريشاً في نظر موير رفضت الدين الجديد فقط ولكن بالرغم من ذلك لم يحاول القرشيون إيذاء محمد ﷺ. ولقد نفى موير عداوة قريش لمحمد ﷺ بشدة، وقال: لو أن قريشاً كانت تكن أدنى عداوة للرسول ﷺ لأخذت عائلته كرهائن عند هجرته إلى المدينة. وأشار إلى قصة هجرته ﷺ قائلاً ما ترجمته: «وبعد أن سار محمد مع أبي بكر للمدينة وقطعا مسافة طويلة سائرين على أقدامهما أصابهما الإرهاق فالتجآ إلى خيمة امرأة بدوية فلم تبخل عليهما تلك المرأة باللبن والطعام. وبعدما تناول محمد وأبو بكر وجبتهما تركاها وخرجا قاصدين المدينة، فوجدهما رجل يدعى سراقة بن مالك كان جادًا في البحث عنهما، ولما أبصرهما لم يبد اعتراضه على مغادرتهما مكة بل قال لهما: إن أكدتما لي إنكما ستغادران مكة في سلم دون أن تسببا أي مشاكل لأهل مكة فإني لن أعترض على فراركما. ثم قال لهما: واعلما تمام العلم أني لن أبوح بسركما لأحد، وهكذا نجا رسول العرب بنفسه.

وبعد فرار محمد إلى المدينة بقي علي بن أبي طالب في مكة ليقوم بحراسة ممتلكات محمد ومتاعه. وكان عليّ يظهر لقريش كل يوم. ولم يأبه القرشيون به مما يدل على أنه كان آمناً ولم يمسه أحد بسوء بل عامله القرشيون معاملة كريمة إلى أن رحل هو وأفراد أسرته وأسرة محمد وأسرة أبي بكر إلى المدينة.

لقد رحل محمد إلى المدينة وكان يعلم تمام العلم أن قريشاً لا تكن له ولا لأفراد أسرته أي عداوة ولم تسبب له قريش أي مضايقات شخصية. والشيء الوحيد الذي فعلوه هو أنهم أنكروا عليه دينه والشيء الذي يتوقعه الإنسان في مثل هذه المواقف هو معاداة قريش له أو حتى الاعتراض على رحيله من بينهم. إلا أن محمداً رحل في الوقت الذي راق له»[١].

الادعاء بأن محمداً ﷺ لم يكن إلا قائداً حربيًا:

زعم بعض المستشرقين بأن محمداً ﷺ لم يكن إلا قائداً حربيًا مظفراً. وقال بعضهم: أن نوايا محمد ﷺ الحربية لم تتجل بوضوح إلا بعد هجرته للمدينة. بل

---

(١) انظر كتاب: The Life of Mohammad, P.P. 123 - 142.

زعم هؤلاء أن هجرة محمد غيرت كثيراً من أفكاره التي كانت تراوده بمكة وجعلته أكثر ميلاً للتميز وحب السيطرة في بناء الأمجاد الشخصية. ومن ذلك نجد المستشرق ونسك يزعم بأن محمداً ﷺ كان قائداً حربيًا ومخططاً بارعاً نقل أعماله الحربية من مكة إلى المدينة لتنظيم وتطوير خطة حربية محكمة رسمها لكي يقوى موقفه ويعود لمكة غازياً.. وهذا كله حدث في نظر ونسك بعد أن ووجه محمد ﷺ بجبروت قريش وعدوانها. يقول المستشرق جي ونسك في كتابه «دستور المسلمين» ما ترجمته: (إن محمداً لم يكن في الحقيقة رجل دين بل كان قائداً حربيًا. فهو لم يكن ينوي أن يأتي بدين جديد يجمع الناس بقدر اهتمامه بالسيطرة على شعوب وأمم تدين له فيحكمها كما يشاء..

ولقد زعم محمد في بدء دعوته بأن الإله اختاره ليدعو العرب لنفس الديانة الواحدة التي مهدت لها الطريق من قبل اليهودية والمسيحية، ولذلك نجد أن جزءاً كبيراً من قرآنه يتحدث عن رسل الله الذين أرسلهم من قبل لكي يبشروا بنفس الرسالة الواحدة التي جاء هو بها أيضاً، ولكن عظماء قريش لم يتبعوا محمداً فاقتصر على دعوة طائفة قليلة آمنت به وبالوحي الذي يأتيه.. وظهر محمد في المدينة كقائد حربي يخطط لعمل حكومة دينية الشيء الذي لم يكن معهوداً لدى العرب في تلك الأزمان. بل أن العرب لم يكونوا يتوقعون ذلك من محمد المعدم اليتيم، ولذلك حاربوه فرحل إلى المدينة.. وكانت هناك عناصر يهودية بالمدينة ترقب ظهور رسول شبيه بموسى يجدون صفاته في كتابهم المقدس، لكن إذا تساءلنا هل تطلع اليهود إلى محمد باعتباره الرسول الذي يجدونه مكتوباً عندهم؟ نجد الإجابة هي لا. وكانت هذه الإجابة بمثابة ضربة قاصمة لمحمد الذي كان يطمع فيهم ولكن الظروف اضطرت محمداً إلى أن يقبلهم بما هم عليه من ديانة مدعياً بأن اليهود مازالوا متمسكين بديانتهم الأصلية، ديانة إبراهيم الخليل. ومنذ ذلك الحين نجد أن محمداً اهتم بالنبي إبراهيم وجعله أصل ديانته.. ويظهر تخطيط محمد الحربي البارع عندما نوى إبعاد اليهود عن المدينة. لقد أدرك محمد أن اليهود بعنادهم وشدة تمسكهم بديانتهم سيسببون له متاعب كثيرة في المدينة لذلك حاول التخلص منهم.. ومن دبلوماسية محمد أنه أمر الناس بطاعة الإله وطاعة محمد نفسه وهذا هو السر في نجاح دعوته وامتداد امبراطوريته في أقل من

نصف قرن من الزمان امتداداً واسعاً)[١].

ونجد أن فيليب حِتّى اللبناني الأصل والذي عمل أستاذاً لآداب اللغات السامية في بعض الجامعات الأمريكية قد ادعى أيضاً في كتابه «الإسلام والغرب» أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان دجالاً ومدعياً للنبوة وأنه كان سياسيًّا ماهراً. ويدّعي هذا المستشرق أيضاً بأن تخطيط محمد ﷺ الحربي لم يظهر إلا بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة. ويقول فيليب حِتّى في تطاول على الوحي: إن الوحي تغير كلية في المدينة، وصار يتحدث عن أسرى الحرب وخلافه من المشاكل الحربية وترك ما كان عليه من دعوة للعقيدة في مكة. وهو يشير بذلك إلى أن الإسلام في حد ذاته لم يكن إلا مطية لأطماع محمد ﷺ وأهوائه الشخصية.

وادعى فيليب حِتّى بأنه درس الإسلام دراسة وافية وقد توصل إلى النتيجة التي ظن أن دراسته الوافية قد هدته إليها وهي أن محمداً ﷺ بعد أن كان واعظاً في مكة انقلب إلى قائد حربي في المدينة. وقال فيليب حِتى متحسراً: أن تلك الهجرة كان لها أثر كبير في انتشار الإسلام هذا الانشار السريع الواسع. ولهذا السبب لا يستطيع فيليب حِتّى أن يغفر للرب هذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه عندما ترك محمداً عليه الصلاة والسلام يفلت من أعدائه عند هجرته، بل أن فيليب حِتّى يلوم الرب لوماً شديداً لأنه لم يمكن أعداء محمد ﷺ من الفتك به واغتياله قبل أن يتمكن من الهروب إلى المدينة.

ويعتقد فيليب حِتّى اعتقاداً راسخاً بأن غفلة الرب هي التي مكنت محمداً ﷺ من الهروب وبالتالي بدأت النواة الأولى للدولة الإسلامية في المدينة!![٢].

وادعى فريتجوف سكون في كتابه «فهم الإسلام» (أن محمداً لم يكن رسولاً حقًّا كما ادعى هو بل كان كذاباً خاصة في زعمه بأنه يمثل أداة لتنفيذ رسالة الإله

---

(١) انظر الكتاب: The Muslim Creed: Its Genesis and Historical Development, by A.J. Wensinck, Professor of Arabic in the University of Leiden, Cambridge University Press, 1932, P.P. 17-19.

(٢) انظر كتاب: Islam and the West, An Historical Cultural Survey, Philip K.Hitti D. Van Nostrand Co., Inc. Princeton, New Jersey, 1962, P. 11-12.

في الأرض وزعمه لصحابته بأن كل ما يقوم به إنما هو من أجل تنفيذ أغراض الإله في الأرض. ولقد أعانه على ذلك دهاؤه السياسي ومقدرته الفائقة في تسيير الأمور حتى في حياته الخاصة وأموره العائلية مضافاً إلى ذلك مقدرته الحربية الفذة وإجادته تقويم الأمور وتمحيصها ومعرفة أقدار الرجال)[١].

ويقول وليام موير في كتابه «حياة محمد» ما ترجمته: (لقد جذبت انتباه محمد الصراعات السياسية التي كانت تدور في سوريا وبيزنطة وغيرها من البلاد فحاول محمد اغتنام تلك الفرصة المواتية وبناء إمبراطوريته الخاصة، ولذا نراه يحاول أولاً وقبل كل شيء إيجاد مأوى له في المدينة بعد أن طرده أهل مكة وما جاورها. وبعد أن ثبّت أقدامه في المدينة نرى أنه حاول تحقيق أطماعه في ثروات بيزنطة وأيضاً حاول أن يحقق أحلامه التي كثيراً ما راودته في تقويض الإمبراطورية البيزنطية وضمها لملكه.. وقبل أن يرحل محمد إلى المدينة بقرون كانت الإمبراطورية البيزنطية إمبراطورية ذات قوة وهيبة، بل استطاعت أن تنتزع ممالك كثيرة كانت تسيطر عليها الإمبراطورية الإغريقية، بل امتد سلطان الإمبراطورية البيزنطية إلى كثير من البلاد التي كانت تحيط بالجزيرة العربية وكانت ممتدة امتداداً واسعاً في الشرق الأوسط. ولكن كانت الإمبراطوريات الكبرى في صراع دائم ونزاع مستمر، ووسط تلك الصراعات قامت الدعوة المحمدية. وكان محمد يناصر الإمبراطورية الرومانية ويقف بجانب قياصرة الروم والسبب الرئيسي في وقفته تلك هو أنه اقتنع اقتناعاً تامًا بأن الديانة المسيحية كانت ديانة محترمة لدى الكثيرين من الناس في ذلك الوقت، فظن محمد أن تلك الديانة يمكنها أن تندمج في دينه وتنصهر في دعواه فنادى بأن قياصرة الروم أفضل من عباد النيران والأوثان في بلاد فارس، لذلك نجده يزج في إحدى سور القرآن تنبؤات بانتصار الروم على الفرس. ولشدة رغبة محمد في إخضاع الروم له حاول أن يدرس الأناجيل مستعيناً بالمماليك النصارى الذين كانوا يقطنون مكة[٢]). ويكفي هذا المستشرق ردًّا اعترافه في ثنايا كتابه بأن نبوءة القرآن بانتصار الروم على الفرس قد حدثت فعلاً

---

(١) انظر كتاب: Understanding Islam, by Frithj of Schoun translated by D.M. Matheson Roy, Published by NC, New York, 1965, P.P. 88-91.

(٢) انظر كتاب: The Life of Mohammad, P. 122.

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾[1].

الزعم بأن أقوال الرسول ﷺ متناقضة:

لقد درج المستشرقون كعادتهم دائماً على مهاجمة الإسلام وترويج الشبهات حوله، من ذلك أنهم قد ادعوا بأن القرآن الكريم لم يكن وحياً منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى. لذا فإنهم يزعمون بأن القرآن والحديث شيء واحد. ولقد ادعوا أيضاً بأن القرآن يناقض السنة ويناقض بعضه بعضاً. بل زعموا كذلك بأن السنة أيضاً يناقض بعضها بعضها الآخر. ولقد ادعى المستشرق نورمان دانيال في كتابه «الإسلام والغرب» بأن القرآن من تأليف محمد ﷺ. ويقول بأنه يشك في أن الملك جبريل هو الذي أتى به كوحي للرسول ﷺ. كما يزعم هذا المستشرق بأنه من الصعب والعسير التمييز بين أقوال محمد فيما قال إنه قرآن وفيما قال إنه من السنة. ويقول أنه من العسير جدًّا تمييز نصوص القرآن من أحاديث الرسول ﷺ؛ لأن القرآن وأحاديث الرسول هي في رأيه متداخله ومختلطة ومتناقضة مؤلفها واحد وواضعها واحد وهو محمد بن عبدالله[2].

ويدعي جي ونسك أن أحاديث رسول الله ﷺ تناقض الواقع المعاش كما أنها متناقضة في ذاتها. فيقول هذا الكاتب متهكماً:

(لقد ادعى محمد في أحاديثه اقتراب الساعة، وتحدث عن علامات الساعة بل أشار بأصبعيه لبيان قربها ولكن من الجلي والواضح أن الساعة لم تأت طيلة هذه القرون الطوال). ويستدل هذا المستشرق بعدم قيام الساعة على عدم صدق نبوة محمد ﷺ ناسياً أن في الأناجيل الموجودة بأيديهم اليوم أقوال منسوبة للسيد المسيح يشير فيها إلى اقتراب الساعة ويدعو قومه إلى اليقظة والحذر لكي لا تأخذهم وهم على غفلة. فما هو رأي جي ونسك في تلك الأقوال الواردة في الإنجيل والمنسوبة للإله عيسى بزعمهم؟ وكيف يعللها؟

ولقد ورد في إنجيل لوقا قول منسوب للسيد المسيح ترجمته كالآتي:

---

(١) سورة الروم ١ ـ ٤.

(٢) انظر كتاب: Islam and the West, PP. 34-37.

«إذهبا واخبرا الناس بأن ملك الرب قد اقترب منهم. . تذكروا جيداً أن ملك الرب قد اقترب وأؤكد لكم أنه في يوم البعث سيرحم الرب قرية صدوم. . .»[1].

وماذا يقول ونسك في العبارة التي نسبت لعيسى في إنجيل مرقص ما ترجمته:

«. .وأقول لكم أن بعض من يقف معي الآن لن يموت حتى يرى مملكة الرب تأتي في قوة عظيمة»[2].

وماذا يقول في القول المنسوب لعيسى في إنجيل مرقص أيضاً ما ترجمته:

«لا أحد يعلم متى تأتي الساعة، لا الملائكة في السماء تعلم ولا الابن نفسه يعلم ذلك، بل العلم عند الأب وحده، ترقبوا قدومها وكونوا على يقظة تامة لأنكم لا تدرون متى تأتي الساعة. . تيقظوا لأنكم لا تعلمون متى سيقوم عليكم سيد الموقف، لذلك اليوم تيقظوا لكي لا يأتي ويجدكم نياماً والشيء الذي أقوله لكم: ترقبوا»[3].

ويقصد كتّاب الأناجيل بمملكة الرب أو ملك الرب ـ كما هو ظاهر ـ يوم البعث والحساب. ومما يدلنا على ذلك القصة التي وردت في إنجيل لوقا وترجمتها:

«بينما كان عيسى يلقي إحدى مواعظه سأله أحد الحاضرين قائلاً: يا سيد هل حقًا أن قليلاً من الناس فقط هم الذين سينجون من عذاب يوم البعث؟
فأجاب عيسى قائلاً: اعملوا ما في وسعكم لتمروا خلال منفذ ضيق؛ لأن كثيراً من الناس سيحاولون المرور خلاله ولكنهم لن يستطيعوا فعل ذلك، وسيغلق الباب في وجه كثير منهم، وسيأتي هؤلاء إلى الباب يطرقونه ويصيحون: يا سيدي دعنا ندخل ولكن سيجابهون بالرفض. وسيقولون عندها: لقد طعمنا وشربنا معك وإنك كنت تلقي تعاليمك في مدينتنا. . . لكن الإجابة ستكون إنني لا أعرفكم أغربوا عن وجهي أيها الأوغاد. كم سيبكي هؤلاء وسيصيحون في حرقة وندم

---

(١) انظر انجيل لوقا ١٠ : ١٠ ـ ١٢ مترجم عن .Good News Bible

(٢) انظر انجيل مرقص ٩ : ١ مترجم عن .Good News Bible

(٣) انظر انجيل مرقص ١٣ : ٣٢ ـ ٣٧ مترجم عن .Good News Bible

عندما يجدون الأنبياء أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب وكل الأنبياء داخل مملكة الرب بينما سيقذفون هم خارجها»[1].

وينتقد الكاتب جي ونسك الأحاديث الواردة في أفضلية الأعمال ويدعي بأن ترتيب أفضلية الأعمال الذي يظهر في بعض الأحاديث يناقض ترتيب تلك الأفضليات في أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ. ويسوق الكاتب حديثاً يستدل به على أن محمداً ﷺ كان متناقض القول. ويدعي جي ونسك أن الرسول ﷺ قد ناقض قوله في أن أركان الإسلام خمسة عندما سئل عن ذلك بل زج بصلة الرحم بعد إيتاء الزكاة وحذف بعضاً من أركان الإسلام التي كان ينادي بها من قبل.

ودعنا نورد ترجمة لحديثه كما ورد في كتابه «دستور المسلمين»:

(أتى بدوي لمقابلة محمد وأمسك بخطام ناقته وقال له: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني من النار. في البداية رفض محمد أن يجيبه، ثم استدار ناحية أصحابه وقال: حقًّا إن هذا الرجل قد هُدِيَ إلى الطريق القويم. ثم نظر إلى البدوي وقال: ماذا قلت؟ فكرر البدوي سؤاله فقال محمد: يجب أن تعبد الله دون أن تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم. الآن اترك خطام الناقة»[2].

وانتقد جي ونسك الحديث قائلاً ما ترجمته: (وكأن الطريق إلى الجنة في نظر محمد هو خدمة الإله فقط. ولم يذكر محمد الإيمان بالله ولا به هو نفسه في هذا الحديث ولم يذكر أيضاً لا الصوم ولا الحج)[2].

ولقد فات على ونسك أن المقام هنا ليس مقام الحديث عن أركان الإسلام، وفات عليه أيضاً أن الإسلام عام شامل لجميع جوانب الحياة من عبادات ومعاملات وغيرها. وفات عليه أن رسول الله ﷺ كان يحض المسلمين على فضائل الأعمال ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وفات على جي ونسك أيضاً أن رسول الله ﷺ كان فطناً يجيب السائل على حسب مقتضى حاله. يقول النووي معلقاً على هذا الحديث: (وكان السائل لا يصل أقاربه فأمره ﷺ بذلك)[3]. والحديث

---

(١) لوقا: ١٣: ٢٢ ـ ٢٩ مترجم عن Good News Bible

(٢) ، (٢) انظر كتاب: The Muslims Creed, PP. 26-39.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩، ١٠.

المشار إليه ورد في صحيح البخاري من حديث أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فقال القوم: ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: أرب[١] ماله، ثم قال ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، ذرها[٢] قال: كأنه على راحلته[٣].

وقد ظن جي ونسك مهتدياً بتفكيره القاصر وجهله بالإسلام وحقائق الإسلام أن الرسول ﷺ يقلل من قيمة بعض الأشياء ويرفع بعضها فوق بعض درجات حسب هواه. ويقول ونسك ما ترجمته: (إن محمداً عندما سئل مرة عن أي الأعمال أفضل؟ قال: الشهادة ثم الجهاد، وعندما سئل مرة أخرى قال: الشهادة وبر الوالدين، ثم الجهاد واضعاً بذلك فضيلة الجهاد في الحديث الأول في المرتبة الثانية بالنسبة للشهادة، أما في الحديث الثاني فقد وضع الجهاد في المرتبة الثالثة بعد بر الوالدين. ولكن في حديث بني الإسلام على خمس لم يظهر الجهاد مطلقاً فكان الترتيب كالآتي:

---

(١) فيه ثلاثة أقوال: ارب بوزن علم معناه الدعاء عليه.. أو بوزن حمل أي حاجة له وما زائدة للتقليل أي حاجة يسيرة أو بمعنى كثف والأرب الحاذق الكامل فحذف المبتدأ ثم سأل فقال: ما له أي ما شأنه». انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١، ٣٥ أرب ماله بفتح الهمزة والراء بعدها موحدة منونة أي له حاجة إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩، ١٠، أو للتعجب من حسن فطنته والتهدي إلى موضع حاجته (عمدة القارىء شرح صحيح البخاري ٢٢، ٩١).

(٢) قوله ذرها أي أترك الراحلة ودعها، كأن الرجل كان على الراحلة حين سأل المسألة وفهم رسول الله ﷺ استعجاله فلما حصل مقصوده من الجواب قال له: دع الراحلة تمشي إلى منزلك إذا لم يبق لك حاجة فيما قصدته (عمدة القارىء شرح صحيح البخاري ٢٢ر٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب فضل صلة الرحم من طريق أبو الوليد ١٣، ١٨، ١٩ (من فتح الباري)، وفي كتاب الزكاة باب قوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة من طريق جعفر بن عمرو نحوه ٤، ٥٠٤ (من فتح الباري).
وفي كتاب الأدب المفرد باب صلة الرحم ٣٣ من طريق أبو نعيم نحوه. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة ١ر١٧٢ر١٧٣ من طريق محمد بن عبدالله بن نمير نحوه.
وفي نفس الجزء والكتاب والباب ١٧٣، ١٧٤ عن طريق يحيى بن يحيى التيمي نحوه.

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله من استطاع إليه سبيلا»[١].

وادعى جي ونسك بأن مثل هذه الأحاديث تدل على فوضى في تفكير رسول الله ﷺ، وتدل على عدم تمكنه من تحديد أولويات الدعوة والتي اعتبرها ونسك غير ثابتة وغير متينة بل اعتبرها متقلبة ومتغيرة حسب مزاج الرسول ﷺ. وأشار هذا المستشرق إلى أن الرسول ﷺ كان يغير أولويات الدعوة حسب هواه وحسب خططه الحربية والتي تعمل في النهاية على تقوية ودعم نفوذه الشخصي وأمجاده الشخصية بين القبائل. ويرى جي ونسك أيضاً أن تناقض دعوة محمد ﷺ ظهرت بوضوح في عدم تمكنه من توحيد أصحاب الأديان الكبرى تحت رايته.

وأما الكاتب جون ألدن[٢] وليامز فقد طعن في ناسخ الحديث ومنسوخه ليستشهد بذلك على تناقض الحديث وبالتالي يصل إلى هدفه وهو القول بعدم صحة رساله محمد ﷺ.

وهذا يدلنا على جهل جون ألدن وليامز بحقيقة النسخ في الإسلام.

يقول سالم البهنساوي في كتابه «السنة المفترى عليها» ما نصه: (والنبي ﷺ عندما ينهى عن أمر، ثم يبيحه، يكون قد نهى عن حكم سابق وأتى بحكم جديد في زمان آخر غير الزمن الأول.

فقد نهى النبي ﷺ عن زيارة القبور، ونهى عن الأكل من لحوم الأضاحي، ثم أباح ذلك، وفي هذا روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم»**.

فهذا الحديث لا يكون لاغياً للحديث الأول، بل يبين أن زمان العمل به قد انتهى[٣].

---

(١) انظر كتاب: The Muslims Creed, P. 30-35.

(٢) انظر كتاب: Islam, Edited by John Alden Williams, George Braziller, New York, 1961, PP. 80-88.

(٣) السنة المفترى عليها، تأليف سالم البهنساوي: دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة =

إذن لا توجد هناك فوضى أو اضطراب أو تضارب في أقوال رسول الله ﷺ كما زعم هؤلاء المستشرقون بل تشريع مرن يوافق روح العصر ويعالج ما يستجد من أمور.

= الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٢٥٢.

الفصل الثاني

في التهجم على أساليب
جمع الحديث النبوي الشريف

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: صور من التهجم على جمع السنة في عصر الصحابة والتابعين.

المبحث الثاني: صور من التهجم على جمع السنة في عصر أتباع التابعين وأتباعهم.



المبحث الأول: صور من التهجم على جمع السنة في عصر الصحابة والتابعين

ادعى المستشرقون أن الصحابة والتابعين لم يتوخوا الدقة في جمع السنة النبوية الشريفة، فكانوا يضيفون إليها إضافات كثيرة ويحذفون منها ما يريدون حذفه، وينسبون لرسول الله ﷺ كل ما يروق لهم. وكما اتهموا رسول الله ﷺ بأنه كان ينقل الوحي عن اليهود والنصارى اتهموا الصحابة رضوان الله عليهم أيضاً بنقل أحاديث وردت في أسفار العهدين القديم والجديد ونسبتها للرسول ﷺ، كل ذلك حسداً من عند أنفسهم وتمسكاً بالباطل كي يدحضوا به الحق ويفتنوا الناس عن دينهم عن طريق الكذب والزور والبهتان.

ومن ذلك ما رواه المستشرق جون آلدن وليامز من أن فلاسفة الإسلام كانوا دائماً يعتبرون محمداً ﷺ المشرع الوحيد للإسلام في حياته. ثم جاء صحابته بعد وفاته بقوانين تنظم الشريعة الإسلامية متخذين من محمد مثالاً يحتذون به في وضع تلك القوانين الشرعية لإكمال بناء مدينة الإله في الأرض كما أراد لهم محمد.

ويرى جون آلدن أن المسلمين يعتبرون تلك الفترة التي عاش فيها محمد فترة خالية من الأخطاء ولذا جمعوا كل ما يجدونه أمامهم عن تلك الفترة وأضافوه للسنة النبوية ولذا اختلط الأمر على الصحابة تماماً؛ لأن السنة النبوية كانت متناقضة ومليئة بالأخطاء(١).

كما طعن المستشرق ونسك في أقوال رسول الله ﷺ ووصفها بالتناقض ـ كما رأينا سابقاً ـ حاول أيضاً أن ينسب للصحابة والتابعين بعد وفاة رسول الله ﷺ بأنهم كانوا متفرقين متنازعين غير متفقين في رواية أقوال الرسول. وقال إنه يشك في أن أركان الإسلام الخمسة والتي تعتبر معلماً بارزاً من معالم الإسلام هي

---

(١) HK/V ;JHF [,K øHG]K ,GDHL. ûHgSBLö Islam, PP. 80-81.

من أقوال محمد. ولقد زعم أن الصحابة والتابعين من بعده هم الذين وضعوها على لسانه. ولقد زعم أيضاً بأن أقوال محمد ﷺ والتي وصفها بالتضارب، لم تكن ترمي إلى وضع أركان ثابتة للديانة الإسلامية، واتهم الرسول ﷺ بأنه قد وضع أركان الإسلام في مكة ثم بدأ يحذف منها ما يشاء ويضيف إليها ما يشاء في المدينة. ويقول أن الصوم والذي لم يكن معروفاً في مكة بل ظهر بعد هجرة محمد إلى المدينة قد أضيف أيضاً إلى أركان الإسلام.

ويزج جي ونسك وسط كلامه حديثاً لرسول الله ﷺ ليستدل به على أن الشهادتين ليستا من أركان الإسلام الثابتة. ويستدل أيضاً من الحديث بأن الصحابة كانوا يعصون رسول الله ﷺ. ولقد أورد ذلك في كتابه «دستور المسلمين» ولم يذكر المصدر الذي استقى منه الحديث الذي استشهد به. وسوف أقوم هنا بإيراد ذلك الحديث بنصه كما جاء في صحيح البخاري:

أخرج البخاري من حديث طلحة بن عبيدالله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**. فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، **إلا أن تطوع**. قال رسول الله ﷺ: **وصيام رمضان**. قال: هل عليَّ غيره؟ قال: **لا، إلا أن تطوع**. فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: **أفلح إن صدق**»[1].

وقد اعتبر جي ونسك إجابة رسول الله ﷺ على المسائل (إلا أن تطوع) بأنها أمر جازم وتوجيه للرجل بأن لا يزيد على الصلوات الخمس وصيام رمضان شيئاً. ولذا فقد اعتبر جي ونسك أن الصلاة والصيام هما ركني الإسلام اللذين جاء بهما محمد ﷺ ولم يأت بغيرهما. أما الأركان الثلاثة الأخرى فقد ادعى ونسك أنها قد أضيفت للإسلام من قبل أصحاب محمد ﷺ بعد وفاته. ويريد جي ونسك بذلك أن ينفي عقيدة التوحيد عن المسلمين باعتبار أنها لم تكن من أركان الإسلام التي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام وقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾. ١ر١٠٦ (من فتح الباري).

جاء بها محمد ﷺ من الله تعالى ليصل إلى النتيجة التي يرمي إليها في كتابه المسمى بـ «دستور المسلمين»[1] وهي أن الصحابة والتابعين نقلوا فكرة التوحيد من أهل الكتاب، وزادوا ما شاءوا في عقيدتهم حسب ما تراءى لهم بعد أن توفي عنهم الرسول ﷺ.

أما حجج هذا المستشرق المسمى بجي ونسك فيبطلها التوضيح الذي ورد عند ابن حجر في التعليق على هذا الحديث حيث ورد ما نصه: (فإذا هو يسأل عن الإسلام أي عن شرائع الإسلام، وإنما لم يذكر له الشهادة لأنه علم أنه يعلمها، أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، أو ذكرها ولم يذكرها الراوي لشهرتها، وإنما لم يذكر الحج إما لأنه لم يكن فرض بعد أو الراوي اختصره. ويؤيد هذا الثاني ما أخرجه المصنف في الصيام من طريق إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل في هذا الحديث قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام فدخل فيه باقي المفروضات بل والمندوبات.. وفي رواية إسماعيل بن جعفر المذكورة أنه قال في سؤاله: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس، فتبين بهذا مطابقة الجواب للسؤال)[2].

ويفهم من هذا القول أن الرسول ﷺ قد ذكر بعض الأركان أو الأركان كلها. ويفهم منه كذلك أن الرسول ﷺ كان يرد على السائل حسب سؤاله. فقد ورد في رواية أن السائل قال: أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ إذن فالسؤال محدد معين أراد السائل أن يعرف هذا الشيء بعينه ولم يرد سواه. أما قوله أن الشهادتين ليستا أصلاً في الإسلام فقول باطل مردود لم نسمع به عند أحد من الناس طيلة هذه القرون الطوال، ولم أعثر على قول يشبهه حتى عند ألد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين. وهذا الزعم الباطل يمكن أن يفند أيضاً بما ورد في سياق تعليق ابن حجر على الحديث المذكور آنفاً حيث قال: «وإنما لم يذكر الشهادة لأنه علم أنه يعلمها». وقوله: «أو ذكرها ولم ينقلها الراوي».

أما زعمه بأن الرسول ﷺ قد أمر الرجل بأن لا يزيد على الفرض فقول باطل

---

(١) انظر كتاب: The Muslim Creeds, P.P 20-50.

(٢) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١ر١٠٧.

لما ورد من قول الطيبي في ذلك. . الاستثناء هنا من غير الجنس؛ لأن التطوع لا يقال فيه (عليك) فكأنه قال: لا يجب عليك شيء، إلا إن أردت أن تطوع فذلك لك. وقد علم أن التطوع ليس بواجب[1].

الزعم بأن الصحابة والتابعين قد غيروا الإسلام:

زعم بعض المستشرقين بأن الإسلام الذي أنزله الله على رسوله ﷺ قد تغير تغيراً كبيراً بعد وفاته ﷺ، خاصة السنة النبوية الشريفة. ويزعم هؤلاء أن السبب الرئيسي في تغير الإسلام هو انتشاره السريع المفاجىء ودخول أمم كثيرة في حظيرته كرهاً لا اختياراً، ولذلك فإن هؤلاء القوم كما ادعى المستشرقون كانوا لا يكنون أي ود ولا احترام لهذا الدين الجديد. ولقد ادعى هؤلاء المستشرقون أيضاً بأن الصحابة وتابعيهم هم السبب الرئيسي في تغير الإسلام وتبدل أقوال الرسول ﷺ.

يقول جي ونسك في كتابه «دستور المسلمين» ما ترجمته: (إن الأحداث السريعة التي تسبب الإسلام بخلقها نتيجة لانتشاره السريع المفاجىء من أهم الأسباب التي أدت إلى تغيّر إسلام محمد وتبدله. ففي عصر الفتوحات الإسلامية دخل الإسلام أناس لا يقيمون لهذا الدين وزناً ولا يكنون له أي احترام، بل وتسرب إلى الإسلام أناس يكنون له كل العداوة والبغضاء. ولقد حدث كل هذا بسبب حروب أبي بكر التي شنها على القبائل ليعيدها إلى حظيرة الإسلام. وكذلك كان انتشار الإسلام على يدي عمر بن الخطاب هو أيضاً بلية كبرى لأنه أدخل كثيراً من الأمم في الإسلام عنوة واقتداراً.

وبعد أن احتك المسلمون بأصحاب الديانات الأخرى علموا بأن كلمة إسلام كانت كلمة مؤقتة وأن الإسلام دين لأهل فترة معينة وشعروا بأن كلمة إسلام نفسها صارت تتغير بمرور الزمن في معناها. هذا وأننا نجد أن كلمتي إسلام وإيمان كانتا تعنيان شيئاً واحداً بالنسبة لمحمد فقد كانتا تعنيان الهروب من النار باعتناق الإسلام كدين. ولكن الصحابة والتابعين وأبناء الأجيال التالية لمحمد لم يعودوا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ر١٠٧.

يفسرون الإيمان والإسلام بأنهما الهروب من النار، ولم يقتنعوا بهذا التفسير أبداً فصاروا يبحثون عن ماهية الإسلام ولذلك ظهرت الآراء الفلسفية الكثيرة حول هذا الموضوع. وكانت الأهداف التي ترمي إليها تلك الآراء الفلسفية المتعددة التي ظهرت كفن جديد في الإسلام هي إيجاد معنى ثابت للإسلام لتقتنع به الأمم والقبائل المتفرقة والمتنوعة والمتعددة التي اعتنقت الإسلام، كما صار القول الذي كان سائداً في عصر محمد من أن المسلم هو الذي يمارس العبادات والطقوس صار كلاماً لا يقنع المسلمين فعمد علماء الإسلام في الأجيال التي تلت فترة حياة محمد وصحابته إلى وضع الخطوط العريضة لفلسفة جديدة لتوضيح الفرق بين الإيمان المجرد، والذي اعتبروه متمثلاً في قبول الإسلام وممارسة عباداته وطقوسه دون أن يكون المتقبل للإسلام مقتنعاً اقتناعاً تامًا به، وبين الإيمان والاقتناع التام بالإسلام ثم ممارسة شعائره وطقوسه وعباداته[١].

ولقد تجاهل هذا المستشرق كثيراً من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ التي توضح الفرق بين الإيمان والإسلام، وكأنه لم يقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾[٢].

وكأنه لم يطلع على أحاديث الرسول ﷺ في هذا المعنى، ومنها الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يخذله[٣]، ولا يحقره[٤]، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات. بحسب[٥] امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه،

---

(١) The Muslim Creeds, PP. 19-21.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

(٣) الخذل: ترك الإعانة والنصرة (النهاية في غريب الحديث والأثر ١ر٤١٢).

(٤) حقر الرجل إذا صار حقيراً أي ذليلاً (النهاية في غريب الحديث والأثر ١ر٤١٢).

(٥) الحسب: الكفاية أو كافيك كقولهم حسبك قول السوء والباء زائدة (النهاية في غريب الحديث والأثر ١ر٣٨١).

وماله، وعرضه»[1].

وفي إشارة الرسول ﷺ إلى صدره دليل على أن الإيمان عمل قلبي تميز عن الإسلام وذلك لأن الأفراد المخاطبين كانوا مسلمين ولم يشك أحد في إسلامهم. وهذا ما قال به العلماء.. يقول الإمام النووي: «التقوى هاهنا.. وفي رواية: إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم.. الأعمال الظاهرة لا تحصل بالتقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته، أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة»[2].

وقول ونسك أن الإيمان والإسلام كان معناهما الهروب من النار باعتناق الإسلام، قول باطل. فالإيمان هو خشية الله وتقواه في السر وفي العلن. يقول الأبي في معنى التقوى: التقوى مصدر اتقى والمتقي هو الذي بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية من الطاعة، فإذاً أصل التقوى الخوف والخوف ينشأ عن المعرفة بجلال الله وعظيم سطوته وعقابه. والخوف والمعرفة محلهما القلب، والقلب محله الصدر، فلذلك أشار النبي ﷺ إلى صدره فقال: التقوى هاهنا[3]. ونرى أن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره من طريق عبدالله بن مسلمة بن قعنب ١٦ر١٢٠ر ١٢١.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب المؤاخاة ٢ر٥٧١ عن مسلم عن أبيه نحوه. وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم من طريق عبيد بن أسباط بن محمد القرشي نحوه وقال فيه: حديث حسن غريب ٦ر٥٤، ٥٥ (من تحفة الأحوذي). وفي كتاب التفسير باب من سورة التوبة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه نحوه ٨ر٤٨٠ ـ ٤٨٣ (من تحفة الأحوذي).
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ر٦٨ عن ابن عمر (نحوه). أخرجه أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده ٥ر٢٥ عن الحسن (نحوه). وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في نفس الجزء من مسنده ر٧١ عن الحسن (نحوه) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب البر والصلة باب حق المسلم على المسلم ٨ر١٨٥ عن واثلة بن الأسفع نحوه وزاد إسناده إلى الطبراني. أخرجه ابن وهب في جامعه في الإخاء في الله/ ٣٢ عن زيد بن أسلم (نحوه).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ ـ ١٢٠ ـ ١٢١.
(٣) شرح الأبي والسنوسي ٧/ ١٩.

أمر هذا الحديث لم يكن يخفى على هذا المستشرق إلا أنه قد صد عن الحق وأبى إلا أن يطعن في هذا الحديث. وقد ادعى بأن هذا الحديث قد وضع بعد وفاة محمد ﷺ ونسب إليه فيما بعد. هذا بالرغم من أن الحديث كما رأينا متصل السند وقد ورد عند الإمام مسلم وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة بأسانيد محكمة ومتصلة.

بل يتمادى جي ونسك في غيه قائلاً: بأن جميع الأحاديث التي تناولت موضوع الفرق بين الإيمان والإسلام هي من وضع الصحابة والتابعين. ويزعم بأن الصحابة والتابعين اضطروا إلى وضع تلك الأحاديث لدحر الطوائف الأخرى المغايرة لهم ولدحر كل من يشكون في أنه هرطيق خارج عن الإسلام. كما يزعم بأن الصحابة والتابعين قد نسبوا تلك الأحاديث إلى رسول الله ﷺ ليكسبوها صفات الشرعية والقوة.

الزعم بأن الصحابة والتابعين قد قاموا بوضع الحديث:

يطعن الفريد غيوم في الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ويصورهم بصورة من كانوا لا يبالون بتزوير حديث رسول الله ﷺ لتحقيق أطماعهم الشخصية. ويرى غيوم أن البحث عن حديث النبي ﷺ ومحاولة جمعه لم تتم في عصر الصحابة والتابعين إنما تمت في عصور متأخرة من تاريخ الإسلام. ولقد أورد في كتابه «الحديث في الإسلام» ما ترجمته: (أن أحاديث محمد قد تعرضت للتغيير والتحريف والتبديل والتزوير. ونسبت إليها أشياء كثيرة وأدخلت فيها آثار عديدة ذلك لأن الحديث ظل لفترة طويلة يتناقل بين الناس عن طريق الرواية الشفهية وكل راو كان يقوم بدوره في عملية الخلط والتغيير حسب ما يتراءى له. ولذلك لا يمكن أن تعتبر الأحاديث النبوية صحيحة ولا يمكن الثقة بأنها من أوقوال وأفعال محمد. ولو سلمنا جدلاً بأن تلك الأحاديث من أقوال محمد وأفعاله فإننا نجد أنها أقوال وأفعال لا قيمة لها في حياة المسلمين اليوم، بل إن قيمتها تكمن فقط في القول بأنها آثار وأحداث سبقت تكوين المجتمع الإسلامي الحالي. وقد تكون لها أهمية أخرى أيضاً وهي أنها تعطي الباحث فيها فكرة عن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت في الحركة الإسلامية أبان

مجدها، والتي كان السبب الرئيسي فيها تاثر الناس بدعوة محمد[١].

الطعن في الخلفاء الراشدين:

ادعى بعض المستشرقين بأن الخلفاء الراشدين لم يكونوا أئمة المسلمين بقدر ما كانوا حكاماً دنيويين شغلتهم الدنيا والفتوحات. وقد حاول هؤلاء المستشرقون الطعن في الإسلام مدعين بأن محمداً ﷺ لم يكن قد نظم الدين لمن جاءوا بعده، بل تركه لهم في أطواره الأولى من النمو، لذلك ـ كما يزعم المستشرقون ـ انقسم أهل الإسلام إلى عدة فرق وطوائف كل طائفة تمارس طقوساً وعادات خاصة بها دون التقيد بما يفعل الآخرون. يقول موير في كتابه «حياة محمد» ما ترجمته:

(في عصر الخلفاء الراشدين الأربعة انصرفت كل طاقة العرب وجهودهم وكل همهم إلى التفكير في كيفية توسيع إمبراطوريتهم إلى أقصى حد ممكن. والشيء المحير أن محاولاتهم نجحت وامتدت إمبراطوريتهم بسرعة مذهله وفي فترة قصيرة إلى كثير من الأمم والبلاد.. ومن العجيب أن إمبراطوريتهم تلك امتدت لأسباب دنيوية محضة لأنه لم تكن لدى المسلمين في تلك الأيام أي نظريات دينية ثابتة أو نظام ديني واضح يمكن أن يساعد في تنظيم الإمبراطوريات المفتوحة. بل أن المدينة موطن الرسول الأصلي كانت تفتقر للنظام وكانت القوانين التي وضعها محمد بسيطة وقليلة جدًا. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ينقسم المسلمون إلى طوائف وفرق عديدة، فانقسمت الإمبراطورية الإسلامية إلى دويلات كل دويلة تمارس طقوسها الخاصة بها والتي ابتدعتها لنفسها دون الاهتمام بما يفعل الآخرون، وإن آثار هذا الانقسام ظهرت بوضوح عندما بدأ العلماء في التدوين الرسمي للسنة، فإن أبا داود لفت نظر المحدثين إلى أن يأخذوا في الاعتبار الأحاديث التي لها طابع محلي في قوله: انفراد أهل كذا بحديث كذا)[٢].

---

(١) اقرأ كتاب: The Muslim Creed 20 - 30.

(٢) انظر كتاب: The Tradition of Islam, Alfred Guillaume, Arno Press, New York, 1980, PP. 12-13.

ولقد تعامى هذا المستشرق عن مدلول أقوال أبي داود والتي تعد شهادة بينة على دقة المسلمين واهتمامهم الواضح بتحقيق الحديث النبوي الشريف. وإننا إن شاءالله وفي الباب الخاص بتدوين السنة، سنورد ما يمكن أن يكون ردًّا مفحماً على هذه الترهات التي تعلق بها هذا الكاتب وأمثاله من المستشرقين.

ويرى وليام موير أن أول من بدأ بكتابة الحديث وتدوينه هو عمر بن عبدالعزيز الذي عاش في القرن الثاني الهجري. ويزعم بأنه لا توجد هناك أي آثار واضحة وثابتة تدل على أن الحديث قد كتب قبل هذا التاريخ[١]. كل هذا ليتوصل إلى النتيجة التي يرمي إليها وهي أن الحديث المدون في الكتب الصحيحة ليس من أقوال النبي ﷺ.

الزعم بأن الصحابة والتابعين قد أضاعوا السنة النبوية الشريفة:

بعد أن رأينا كيف تمادى المستشرقون في كذبهم وافتراءاتهم بنسبة الكذب لصحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم، وبعد أن رأينا كيف زعموا بأن الصحابة كانوا لا يتورعون عن الكذب على رسول الله ﷺ ونسبة الحديث له، وبعد أن سمعنا ادعاءاتهم بأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك لكسب احترام الناس، نرى هنا أن الفريد غيوم يزعم أيضاً بأن الحديث النبوي الشريف لم يجمع ويكتب إلا في عصر عمر بن عبدالعزيز، وأن الطرق التي اتبعت في جمع الحديث لم تكن طرقاً دقيقة.

وقد زعم أيضاً بأن معظم التابعين كانوا يجمعون الحديث لإرضاء الخليفة عمر بن عبدالعزيز دون أن يتثبتوا من صحة الحديث. ويدعي غيوم أيضاً أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان يهتم بالسنة وجمعها على عكس المحدثين الذين كانوا يرهبونه ويرغبون في إرضائه بشتى الطرق والوسائل، ولهذا فإنهم قد اخترعوا أحاديث كثيرة ونسبوها للنبي ﷺ[٢].

وسوف نوضح في الباب الخاص بجمع السنة وتدوينها بإذن الله أن ما أورده هؤلاء المستشرقون عن تاريخ تدوين السنة هو إفك ومحض افتراء.

---

(١) اقرأ كتاب: The Tradition of Islam 33 - 35.

(٢) انظر كتاب: The Life of Mohammad. 122 - 123.

ولعله من المناسب هنا أن نحاول استعراض ما يسوقونه من أدلة واهية استندوا عليها في تبرير اتهاماتهم. يقول المستشرق تريتون ما ترجمته: «وكان للتابعين أقوالهم وآراؤهم الشخصية التي نسبوها لمحمد. ولقد تعددت أقوال محمد وتنوعت بتعدد التابعين وتنوعهم. وأن السبب الرئيسي في ضياع حديث محمد هو اعتماد الصحابة والتابعين في المقام الأول على الحفظ الشخصي للحديث. ونرى أن السبب الرئيسي الذي شجعهم على اعتماد الحفظ دون التدوين هو تشجيع محمد لهم على ذلك ووعدهم بإنزال بركته على من يحفظ الحديث ولا ينساه أبداً. ونرى أن رواة الحديث اعتمدوا على هذا القول وصدقوه وصار الحديث يروى شفاهة لمدة قرنين من الزمان.. وكان الصحابة والتابعون يقبلون الحديث الذي يأتيهم عن محمد دون تثبت ودون جدل لأن كل من لا يقبل حديث الرسول وكل من يناقش فيه عند أخذه كان يعتبر هرطيقاً ومبتدعاً وخارجاً عن ملة محمد. وهذا هو الأمر الذي دعى الصحابة والتابعين لقبول كل ما يخطر لهم بأنه حديث دون نقاش أو تمحيص»[1].

وقد زعم بعض المستشرقين الحاقدين بأنه لم تكن للسنة النبوية الشريفة أية أهمية تذكر في حياة محمد ﷺ بعكس الحال بعد وفاته حيث صارت ملء السمع والبصر. وقالوا بأن رواة الحديث من الصحابة والتابعين لم يكونوا بالدقة الكافية، ولهذا فإن الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ ما هي إلا أقوال الصحابة والتابعين. يقول المستشرق جون ألدن وليام: أن الصحابة والتابعين كانوا من أسر معروفة ومشهورة في الحجاز والبصرة والكوفة. ويزعم جون ألدن أن هذا هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى انتشار أحاديث الصحابة والتابعين وأفكارهم وأفعالهم أكثر من انتشار سنة النبي ﷺ[2].

ويزعم جي ونسك بأن الحديث النبوي الشريف لم يثبت تاريخيًا على أنه من أفعال وأقوال محمد ﷺ، ولذلك يرى جي ونسك أن الحديث ما هو إلا أقوال نسبها الصحابة ومن جاءوا بعدهم من التابعين وأتباعهم لمحمد. ويرى هذا

---

(١) اقرأ كتاب: The Tradition of Islam 18 - 20.

(٢) انظر كتاب: The Tradition of Islam 1 - 15.

المستشرق أيضاً أن الإسلام لم يكن ديناً كالأديان الأخرى متطوراً ومفهوماً أبان حياة النبي ﷺ، بل يزعم ونسك أن كل ذلك حدث بعد وفاة النبي ﷺ. ويزعم أن كلمة إسلام نفسها هي من اختراع الصحابة والتابعين[١].

وسنرى إن شاءالله عند الحديث عن حفظ ورواية وكتابة السنة في عهد الصحابة والتابعين مدى عناية هؤلاء بسنة رسول الله ﷺ، وسيتضح لنا كيف كتبت السنة بين يدي النبي ﷺ وكيف جمعت من أفواه الذين سمعوها مباشرة عن الرسول ﷺ، وسيتضح لنا نزاهة الصحابة وتابعيهم ودقتهم في التثبت عند أخذ الحديث أو روايته أو تدوينه.

وسنرى في ذلك الباب بإذن الله ما يمكن أن يدحض افتراءات هؤلاء المستشرقين وتخرصاتهم وتطاولهم على صحابة رسول الله وتابعيهم عليهم رضوان الله جميعاً.

(١) انظر كتاب: Islam and the West, 195 - 197.

المبحث الثاني: صور من التهجم على جمع السنة في عصر أتباع التابعين وأتباعهم

يركز المستشرقون دائماً على القول بأن السنة النبوية الشريفة لم تجد عناية من المسلمين، ولم تكتب إلا بعد وفاة محمد ﷺ ليثبتوا بذلك أن الدين الإسلامي أصابه التحريف والتزوير أيضاً كما أصاب الديانتين اليهودية والمسيحية من قبله. يقول الفريد غيوم في كتابه «الحديث في الإسلام» ما ترجمته: (بعد وفاة محمد احتاج المسلمون لعمل قانون ينظم حياة أصحاب تلك الديانة الجديدة.. كما أن اليهود طوروا قوانين موسى بعد وفاته بالرغم من أنها كانت قوانين غنية بالمواد المتعلقة بأمور الدين والعبادات، كذلك نجد أن المحمديين وجدوا أنفسهم في موقف صعب بعد وفاة محمد الذي لم يترك لهم إلا القليل من القوانين التي تنظم حياتهم وذلك فيما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث والعناية باليتيم وغيره من الأمور الهامشية، ولهذا جد المسلمون من بعده في العمل على صياغة قوانين وأحكام ينظمون بها شئون حياتهم معتمدين في ذلك على آراء أهل الديانتين اليهودية والمسيحية ومحاولين الاقتداء بهم.. وإن الباحث في كلمة حديث والتي استعملها العرب ليعنوا بها أقوال محمد وأفعاله يجد أن تلك الكلمة (حديث) مشتقة من الكلمة العبرية عند اليهود هداش «Hadash» والتي تعني الجديد أو تعني الأخبار أو القصص. وبعد أن اطلع المسلمون على آراء أهل الكتاب قرروا بعد الفتوحات الإسلامية تدوين شيء عن حياة محمد وأقواله وأفعاله.. وتتبعوا الحديث (سيرة محمد وصحابته) ودونوها ودونوا ما أسموه بالسنة والتي يقصدون بها العادات والتقاليد التي شاعت عن محمد وصحابته)[1].

الطعن في موطأ الإمام مالك:

طعن الفريد غيوم في الإمام الجليل مالك بن أنس. وقال ما ترجمته: (إن موطأ الإمام مالك، والذي يمدحه ويبجله كثير من المسلمين لم يكن الغرض منه

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam 142 - 150.

جمع الحديث أو السنة، وإنما كان كل هم كاتبه أن يدعم المذهب الفقهي الذي ابتدعه، ولهذا اهتم مالك في الموطأ بالنواحي الفقهية. كما أن غرض مالك الأساسي من كتابة الموطأ كان العمل على جمع وتكوين تشريع عرفي لإدارة أمور المسلمين مبنيًا على آراء أهل المدينة، ولهذا فقد اكتفى مالك بما وقع في يده من آراء وأفكار أهل المدينة ولم يحاول التثبت من أصالة الأحاديث التي رويت عن محمد كما فعل العلماء الذين جاءوا من بعده وحاولوا عبثاً أن يتثبتوا من أصالة الأحاديث، واعتمدوا في بحوثهم على نظريات وافتراضات خاطئة أقاموا عليها الحجج والبراهين الواهية في القول بصحة نسبة الحديث لمحمد من أمثال البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

كان الإمام مالك رجلاً يعتد كثيراً بآرائه الخاصة، بجانب اهتمامه بآراء أهل المدينة، ولم يكن مالك يهتم بفكرة الإجماع. وفكرة الإجماع هذه اخترعها رجال القرن الثاني الهجري ليسدوا الخلل الذي وجدوه في السنة النبوية.. ونرى أن الإمام مالك لم يكن يأبه بسند الحديث ولا بمتنه ولكنه جمع آثاراً كثيرة عن محمد معتمداً في ذلك على آرائه الشخصية. ومما يدلنا على ذلك أن علماء الحديث الذين قاموا بكتابة السنة بعده لم يعيروا كتاب مالك أي اهتمام، ولم يعطوه أي اعتبار، بل نجد أن معظم الأحاديث التي جمعها مالك غير موجودة في الكتب الأخرى والتي جمعت سنة محمد. ويرى المتصفح لكتاب مالك المسمى بالموطأ التناقض الكثير والظاهر في صفحاته)[١].

ويقول البروفسير كولسون في كتابه «تاريخ الشريعة الإسلامية» ما ترجمته: (إن الباحث في فلسفة التشريع الإسلامي في الفترة ما بين عام ٧٧٠م ـ ٨٠٠م يندر أن يجد أثراً لما يسمى بالإجتهاد الفردي أو الإجماع.. ونجد أن ما يسميه المسلمون بالسنة النبوية كان عبارة عن آثار مبعثرة وغير مرتبة ولا مفهومة. كما لم يرتب المسلمون السنة حسب نظام معين عند كتابتها في تلك الفترة بل كانوا لا يراعون الترتيب الزمني للأحداث عند تسجيلها ولا يراعون أهميتها. ولم يكن المسلمون يملكون الوعي الكافي لترتيب السنة ترتيباً قانونيًا يميزون به بين

---

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam 20 - 23.

الأحاديث الخاصة بالشريعة والأحاديث الخاصة بالمعاملات والأحاديث الخاصة بالعبادات، بل كانوا يخلطون كل ذلك خلطاً عجيباً.. ولم تتطور الشريعة الإسلامية وترتب وتكتب إلا بعدما كتب الإمام مالك كتابه المسمى بالموطأ عام ٧٩٦م. إن مالكاً بن أنس قد حاول ترتيب وتنسيق الأحداث ترتيباً زمنيًا، وبعد ذلك حاول تفسيرها وشرح معانيها. وكان الإمام مالك يقبل بعض الأحاديث ويرفض بعضها الآخر جاعلاً من عقله وذكائه معيارً لرد أو قبول الأحداث التي كانت سائدة في عصر محمد وعصور الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين. كذلك أدخل مالك أعراف أهل المدينة التي كانت سائدة في عصره كمعيار ثان لرد أو قبول السنة النبوية. وعندما يجد تناقضاً في الحديث أو تضارباً بينه وبين غيره من الأحاديث والآثار كان مالك يمارس سلطاته الخاصة لرد تلك الأحاديث أو التوفيق بينها في محاولة لإزالة ذلك التناقض. وعلى العموم فإن موطأ مالك لم يكن إلا كتاباً يحمل في طياته القوانين والأحداث والاتجاهات الدينية العامة التي كانت سائدة في المدينة)[1].

وهكذا يطعن المستشرقون في هذا الإمام الجليل مالك بن أنس ويتهمونه بالاعتداد برأيه الخاص في التشريع وبعدم التثبت في رد أو قبول حديث رسول الله ﷺ. ومن الواضح أن المستشرقين كعادتهم يحاولون إخفاء الحقائق والكذب والدس للوصول إلى أهدافهم الخبيثة دون سند من أثر أو عقل أو ضمير.

اتهام أئمة المسلمين بتزوير الحديث:

يزعم الفريد غيوم بأن أئمة المسلمين زوروا الحديث النبوي الشريف، وأنهم لم يجمعوا الحديث عن مصادر مكتوبة. ويقول أنه لو كانت هناك أي مصادر مكتوبة أخذ عنها العلماء الذين دونوا الحديث لذكروا لنا ذلك. ويستنتج من ذلك أن الأحاديث لم تكن تدون إطلاقاً في عصر النبي ﷺ ولا في عصر صحابته. كما يدعي بأن الحديث الموجود حاليًا لا صلة له بمحمد ﷺ.

يقول الفريد غيوم في كتابه «الحديث في الإسلام» ما ترجمته: «إن كلمة

---

(١) انظر كتاب: A History of Islamic Law, by Coulson N.J., Edinburgh, 1964, P. 43, p. 46 - 47.

سنة نفسها اتخذت شكلاً جديداً وطابعاً آخر بعد وفاة محمد وذلك عندما حاولت الجماعة المنتسبة للسنة والتي تدعى بأهل السنة فصل السنة النبوية عن كل العادات والتقاليد العربية القديمة وحصرها في أقوال محمد وأفعاله وأقوال وأفعال صحابته وتابعيهم. لذلك نجد أن علماء الحديث الذين جمعوه ودونوه قد لجأوا إلى المدينة لجمع عادات وتقاليد محمد وصحابته وتابعيهم.. والملاحظ أن العلماء الذين جمعوا السنة النبوية لم يعاصروا محمداً إطلاقاً وبالتالي فإنهم لم يروه رأي العين. وبالرغم من ذلك نجد أنهم قد حاولوا جمع أقواله وافعاله وصفاته! ويجد الباحث في السنة وفي تدوينها أن جمع الحديث كان سمة بارزة لأبناء الجيل الثاني بعد وفاة محمد، وظل البحث عن الحديث والجري وراءه يأخذ طريقه إلى الأجيال التي تَلَتْهم وخاصة بعد السخافات التي ابتدعت وسميت بالرحلة في طلب العلم.

ويرى مارغوليوث أن تلك السخافات التي ابتدعت من أجل طلب العلم ابتدعها الصحابة في آخر عصرهم. وكان هؤلاء الصحابة متناثرين هنا وهناك في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية بعد العصر الذي يعرف لديهم بعصر الفتوحات.. ولكن بالرغم من ذلك لا يستطيع أحد أن يجزم بأن الأقوال التي تناقلها الرواة هي فعلاً أقوال محمد. ولا يستطيع أحد أن يميز أقوال محمد عن أقوال الصحابة وأقوال التابعين لأن جميع تلك الأقوال متضاربة ومختلطة بعضها ببعض. ونجد أن الكثير من أقوال الصحابة أنفسهم كان قد أصابها التزوير والتحريف من قبل من تبعوهم من المسلمين.. بل إن تلك الأقوال هي أقوال مزورة ومنسوبة لمحمد وهي تشمل كثيراً من الأقوال العربية وغير العربية. ويتجلى ذلك في كثير من الأحاديث التي تدعو إلى القومية والتحزب السياسي والتعصب الأعمى للطوائف الدينية وغير ذلك من العصبيات»[1].

ومما لا شك فيه أن الفريد غيوم قد أراد هنا أن يخلط بين الأحاديث الموضوعة والأحاديث الصحيحة، وأن يضيف أقوال الوضاعين من أمثاله إلى أقوال رسول الله ﷺ التي جاءتنا متواترة عن طريق الصحابة والتابعين رضوان الله

---

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam 11 - 13.

عليهم. والهدف من ذلك معلوم ومعروف. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾﴾[1].

التهجم على كتّاب السيرة النبوية الشريفة:

يقول فيليب حِتّى في كتابه «الإسلام والغرب» متهجماً على العلماء الذين كتبوا السيرة النبوية الشريفة ما ترجمته: (بالرغم من أن مولد محمد ونشأته ودعوته كحقائق تاريخية لا تخفى على المؤرخين إلا أن كتاب سيرة محمد من المسلمين قد أحاطوا تاريخ حياته ودعوته بكثير من المبالغات والغموض. ولعل أول رجل حاول أن يكتب في سيرة محمد قد توفي في بغداد بعد مائة وأربعين عاماً من وفاة محمد. وحتى تلك الآثار التي كتبت عن محمد رغم افتقارها للكثير من الحقائق إلا أنها لم تلق اهتماماً كبيراً من المسلمين ولم يهتم بها أحد أو ينقب عنها إلى أن ظهر أحد العلماء ويدعى ابن هشام بالقاهرة سنة ٨٣٣هـ. وبعد هذا التاريخ بدأ المسلمون يبحثون عن سيرة محمد وبدأوا ينسجون القصص والأساطير حول تلك الشخصية التاريخية. وبدأوا يصورونه في صورة بطل مظفر ويضفون عليه من الصفات الخيالية ما لا يخطر على بال من رواية بطولات خارقة للعادة ونسبتها إليه، ومن نسج أساطير هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع حول شخصه وكرمه ومعاملاته وغيرها، فظهر محمد في كتب السيرة بالصورة التي أرادها المسلمون له لا بالصورة التي كان عليها فعلاً في حقيقته.. وصنعوا أحداث ونسبوها لمحمد كما يشاءون هم لا كما كانت هي في حقيقتها وواقعها الملموس. ولم لا يفعلون ذلك ومحمد هو خالق عقيدتهم وموجودها ولولاه لما خرج الإسلام لهذا الوجود. وهكذا صار أتباع محمد يصورونه في صورة مثالية خيالية إلى أن أوصلهم الإعجاب بتلك الشخصية الخيالية التي توهموها إلى عبادته كما تعبد الأوثان تماماً.. ومن الملاحظ أن هناك شيئين رئيسيين يدلان على أن المجتمع الإسلامي في بدايته كان مجتمعاً مشتتاً في عباداته وفي معاملاته. الشيء الأول هو تلك العبارة التي وضعت على لسان محمد والتي يقول فيها أن أمته لن تجتمع على ضلال. والشيء الثاني هو ما قادت إليه تلك العبارة من فعل

---

(١) سورة محمد: ٣٢.

المسلمين لأشياء كثيرة خاطئة ثم عدم الإقرار بهذا الخطأ لأنهم ظنوا دائماً أنهم على حق وصواب ولقد قادت تلك العبارة المسلمين إلى إضافة أشياء كثيرة في العقائد متأثرين في ذلك باليهود أو أظن أنهم إنما فعلوا ذلك لكي يأتوا بعقيدة تماثل عقيدة التعميد لدى النصارى، وفي الاحتفال الذي يقيمونه عند الختان أبدل المسلمون شرب الخمر عند النصارى بشرب القهوة، ولذا صارت القهوة مشروباً قوميًا لدى المسلمين)(١).

التهجم على أئمة المسلمين:

ولقد تهجم المستشرقون أيضاً على الطريقة التي اتبعها علماء الحديث في جمعهم للسنة النبوية الشريفة، ولم يتورعوا كعادتهم عن اختلاق الكذب لتدعيم آرائهم التي يطرحونها على الناس. من ذلك ما أورده المستشرق فريلاند أبوت في كتابه «الإسلام وباكستان» حيث قال ما ترجمته: «وفي العصر الذي تم فيه جمع الحديث ادعى المسلمون بأن الأحاديث قد جمعت بطريقة علمية دقيقة ومنظمة، ولكن بالرغم من ذلك نجد أن كثيراً من القصص والأحداث الموجودة بأسفار العهد الجديد وخاصة تلك القصص الواردة في الأجزاء التي تسمى في الأناجيل بكتب الأحداث، قد تسربت إلى تلك الأحاديث التي جمعوها. بجانب ذلك نجد أن المسلمين كانوا لا يتورعون عن خلق الأحاديث ونسبتها لرسولهم إذا وجدوا أنهم في حاجة إلى ذلك، خاصة الأحاديث التي فيها مدح أو تمجيد لرسولهم أو فيها وصف خاص بأمتهم كأحسن أمة، وذلك من أجل رفع مكانتهم بين الشعوب الأخرى.. وهذه الأحاديث في جملتها أحاديث مختلقة ومنسوبة كذباً لرسولهم. ويجد الباحث في تلك الأحاديث اختلافاً كثيراً وتناقضاً ظاهراً وتعارضاً مع ما يسمونه بالقرآن، بل إنها تتعارض مع سيرة محمد نفسه. ونجد أن تلك الأحاديث مقسمة إلى أقسام مختلفة بعضها خاص بوصف حياة محمد وبعضها يتحدث عن معجزات محمد وبعضها يتحدث عن تفضيل بعض الفرق والمذاهب الدينية على المذاهب الأخرى وما شابه ذلك.. وهذه الأحاديث لم تسلم من التعرض للنقد

---

(١) انظر كتاب: Islam and the West, An Historical Cultural Survey, Philip K. Hitti, Van Nostrand Co. Inc, New Jersey, 1962, PP. 22 - 23.

الكثير والشديد من بعض المسلمين أنفسهم على مر العصور، بالرغم من أنها مدونة في أصح كتب الحديث لدى المسلمين»[١].

كما يورد تريتون في كتابه «الإسلام عقيدة وعمل» مجموعة من الأكاذيب الأخرى التي تشبه أقوال فريلاند بلاك أبوت يستخلص منها هو أيضاً أن العلماء الذين جمعوا الحديث النبوي الشريف لم يهتموا بمتنه. كما يزعم أن اهتمامهم بالبحث عن السند والجري وراءه أدى إلى جمعهم لأقوال متضاربة متهالكة متعارضة بل ضعيفة المعنى. يقول في ذلك ما ترجمته: «إن المتتبع لطرق جمع الحديث وتدوينه لدى المسلمين يلاحظ أن المحدثين اهتموا كثيراً بسند الحديث ولم يولوا أي عناية للمتن. لذلك نجد أن الأحاديث التي جمعت لديهم مليئة بالتناقضات خاصة في ترتيب الأحداث وأماكن حدوثها وزمان حدوثها»[٢].

اتهام المسلمين بتقليد اليهود والنصارى في عقائدهم:

ويقول الفريد غيوم في كتابه «الحديث والإسلام» ما ترجمته (وبعد سنوات قليلة من وفاة محمد استطاع المسلمون أن يستولوا على أراضي الشام والعراق ومصر. هذه البلاد كانت تقطنها منذ قديم الزمان أمم ذات حضارة ضاربة في القدم. وكما رأينا من قبل فإن الإسلام في تلك الأيام الأولى من نشأته كان في طور النمو من النواحي النظرية والتطبيقية، ولعله من البديهي أن نتوقع تسرب بعض الآثار المسيحية واليهودية إلى الإسلام. ولقد بدأ النقل عن اليهود والنصارى فعلاً منذ أيام الدعوة الأولى. وهذا ما عودنا عليه محمد وأورده على صفحات قرآنه. إن كتب الحديث تغص بالأمثلة التي تدل على أن المسلمين نقلوا الكثير من المسيحية بداية بالأفكار الأساسية والمبادىء الأساسية للإسلام والتي أخذت من المبادىء اليهودية والمسيحية وضمنت في القرآن، وانتهاء بالأقوال المنسوبة للرسول والتي تحذر المسلمين من اتباع اليهود والنصارى.

لم يكتف المسلمون بهذا ولكنهم أيضاً استعاروا كثيراً من الحوادث

---

(١) انظر كتاب: Islam and Pakistan. PP. 22 - 23.

(٢) انظر كتاب: Islam: Belief and Practice, 30-35.

والصفات التي وصف بها عيسى المسيح وأضافوها إلى رسولهم، وذلك بالرغم من أن محمداً نفسه قد كان يخبرهم دائماً وبإصرار بأنه لم يرسل ليأتي بالمعجزات وخوارق العادات وبأن معجزته الكبرى وعلى مر الزمن تتمثل في القرآن.. إن أصحاب محمد والذين ما فتئوا يخلقون له الأعذار لم يستطيعوا أن يتركوا رسولهم أن يبدو في وضع مزرٍ دون معجزة كالمعجزات التي كان يأتي بها أنبياء بني إسرائيل، خاصة معجزات عيسى الخارقة والتي كانت معروفة لدى الناس وكانوا يقبلونها دون نقاش. ومجاراة لهذا اجتهد المسلمون في إضافة كل أنواع المعجزات لنبيهم هذا حتى أن صورة محمد ـ في النهاية ـ أصبحت أقرب ما تكون بصورة عيسى نفسه. ولقد تفنن أصحاب محمد بنسبة المعجزات له وأتوا بالأعاجيب.

ولعل أكثر أتباع محمد تعصباً وتحيزاً له لن يستطيع أن يصور محمداً في صورة إنسان محب للسلام، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه هي الصورة التي رسمها له هؤلاء الفقهاء الذين سئموا سماع القصص الكثيرة عن عيسى واتصافه بصفات المحبة والرحمة والقوة فقاموا بإضافة كل ذلك إلى نبيهم وصوروه على نفس النمط وجعلوا منه أيضاً رسولاً للمحبة والسلام والرحمة والمودة والإنسانية. ولم يكتفوا بتصوير محمد في صورة الإنسان الكريم العطوف المقتدر الذي حوى كل الفضائل ولكن زادوا على ذلك بنسبة كثير من المعجزات له وذلك ليضعوه في نفس مرتبة المسيح. ولعل الشاهد على إكثار المسلمين من النقل عن اليهود والنصارى ومحاولة التشبه بهم أن محمداً نفسه قد عمد إلى منعهم من ذلك.. ولكن هناك آثار كثيرة تدل على أن المسلمين لم يستمعوا لتوجيهات محمد في هذا الشأن بل ظلوا يقتدون بهم. فالسنة مليئة بالأحاديث التي تدلنا على ذلك. وهناك أحاديث كثيرة تعظم الفقر وتذم الغنى، وهذا يذكرنا بأسفار العهد الجديد عن ذات الموضوع. كما نجد عندهم أيضاً كثيراً من الأحاديث التي كان لها أثر كبير على تفكيرهم، وهي من الأحاديث التي تدعي بأن الغنى في حد ذاته من عمل الشيطان، وأن الأغنياء هم الذين سيدخلون الجحيم، وأن الفقراء سيدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، كما تحض على الإقلال من شأن الحياة الدنيا والعمل

على تحقيرها والحط من قيمتها، وكل ذلك يذكرنا بالأفكار التي جاءت في أسفار العهد الجديد.

ولعل الأسباب التي أدت إلى ذم الزهد، ووضع كثير من الأحاديث للتنفير منه، ومحاولة محمد الابتعاد عنه، تدل دلالة واضحة على معاداة محمد للمسيحية والمسيحيين. ولكن بالرغم من ذلك فإن المحمديين من بعد محمد قد اضطروا إلى مجاراة هؤلاء الزهاد النصارى، خاصة عندما زادت الفتوحات في مصر والشام، وفتح المسلمون البلاد التي كان يقطنها النصارى، فأعجب المسلمون بهم وقلدهم الصوفيون فيما كانوا فيه من رهبانية وزهد)[١].

وادعى المستشرق فزيد جون سكون في كتابه (فهم الإسلام) أن المسلمين حاولوا تأليه محمد كما ألهت النصارى عيسى بن مريم وذلك في أحاديث كثيرة نسبوها لرسول الله ﷺ. وبرغم أن الكاتب اعترف بأن بعض علماء المسلمين قد أنكروا مثل هذه الأحاديث إلا أنه نسبها للمسلمين أتباع محمد ﷺ للوصول إلى النتيجة التي يرمي إليها وهي القول بأن المسلمين قد أخذوا كثيراً من أمور دينهم عن المسيحيين. ولقد ساق في ذلك كلاماً مضطرباً لإثبات حجته جاء فيه ما ترجمته: (إن المسلمين سرقوا فكرة اللوجوس[٢] من النصارى ونسبوها لمحمد، وقالوا أن الكلمة هي الروح المحمدية الأزلية الباقية إلى أبد الآبدين)[٣].

إن أمثال هذا الكاتب وغيره من المستشرقين يعمد إلى الأحاديث الموضوعة ليحشو بها كتبه ولا يمانع هو نفسه من وضع الأحاديث لكي يتوصل إلى غرضه الذي يرمي إليه وهو تشويه الإسلام، وصد الناس عنه زوراً وبهتاناً مستخدماً في ذلك شتى الحيل من الكذب والنفاق والتدليس. يفعل كل ذلك لكي يظهر لأبناء جلدته وللعالم أجمع بأن الديانة المسيحية هي الديانة الوحيدة الجديرة بالاحترام في هذا العالم وأن ما عداها من الديانات هو محض افتراء. ومن العجيب في

---

(١) The Tradition of Islam 146 - 149.

(٢) اللوجوس: هي كلمة واردة في إنجيل يوحنا دون غيره، وهي تعني عند النصارى روح الإله الذي كان معه منذ الأزل ويعنون بذلك عيسى عليه السلام.

(٣) انظر كتاب: Understanding of Islam, Frithjof Schuon, Translated by D.M. Marthesons, Roy Publishers Inc., New York, 1965, P. 91.

الأمر أن بعض المسلمين من السذج والبسطاء ينخدعون بأباطيل هؤلاء المستشرقين. ليس هذا فحسب بل أن بعضهم يعمد إلى الطعن مثلهم في علماء المسلمين ويشكك في المناهج التي اتبعوها والأحاديث التي اعتمدوها في الكتب الصحاح. لكن ليعلم هؤلاء المقلدون للنصارى من أبناء المسلمين بأن الخطوة الأولى التي يرمي إليها النصارى تتمثل في محاولتهم هدم السنة النبوية الشريفة كمرحلة أولى في خططهم للقضاء على الإسلام، ومن ثم بث سموم التنصير وتحويل كل العالم إلى أمم نصرانية كما يدعون. ومن بعض أمثلة انسياق أبناء المسلمين لدعاوى المنصرين ما أورده الدكتور محمود السباعي في قوله: «أما اتباع المستشرقين كمؤلف (فجر الإسلام) فمن المؤسف أنهم انساقوا في ذلك الاتجاه، ولم يفطنوا إلى خطأ تلك الطريقة وخطورتها والدس في الدعوة إليها فأخذوا ينعون على علمائنا تقصيرهم في نقد المتن، غير متمسكين من الحجج إلا بما أتى به المستشرقون.

وها أنا لم أعثر في كل ما كتبه «أحمد أمين» في هذا الموضوع على رأي طريف لم يأخذه عن المستشرقين، ثم أخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة تحكيم العقل في نقل الأحاديث. ولا أدري أي عقل يريدون أن يحكموه ويعطوه من السلطة أكثر مما أعطاه علماؤنا في قواعدهم الدقيقة؟ ليس عندنا عقل احد نقيس به الأمور بل العقول متفاوتة، والمقاييس مختلفة، والمواهب متباينة، فما لا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقولاً مفهوماً.

وكـــــل يـــــدعـــــي وصـــــلاً بليلـــــى
وليلـــــى لا تقـــــر لهـــــم بـــــذاكـــــا

كما أنه ما يخفى على الناس في بعض العصور حكمته وسر تشريعه، قد يتجلى لهم في عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم وتنكشف أسرار الحياة. ففتح الباب في نقد المتن بناء على حكم العقل الذي لا نعرف له ضابطاً، والسير في ذلك بخطى واسعة على حسب رأي الناقد وهواه، أو اشتباهه الناشىء في الغالب عن قلة الاطلاع، أو قصر نظر، أو غفلة عن حقائق أخرى، إن فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين، يؤدي إلى فوضى لا

يعلم إلا الله منتهاها وإلى أن تكون السنة الصحيحة غير مستقرة البنيان ولا ثابتة الدعائم، ففلان ينفي هذا الحديث وفلان يثبته، وفلان يتوقف فيه، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة في الحكم والرأي والثقافة والعمل، فكيف يجوز هذا؟

ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع فيه مؤلف (فجر الإسلام) من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير في هذا الاتجاه، فكذب ما لا مجال لتكذيبه، وحكم بوضع ما قامت الأدلة والشواهد على صحته)[١].

التهجم على الكتب التي دُونت فيها السنة النبوية الشريفة:

أولاً: الطعن في الكتب الستة الصحاح: لقد زعم المستشرقون أن الأحاديث المجموعة في الكتب الستة الصحيحة المعتبرة لدى المسلمين غير صحيحة، وعمدوا إلى الطعن في علماء المسلمين فلم يتركوا أحداً من علماء الحديث إلا وطعنوا فيه وفي الأحاديث التي جمعها واتهموه إما بوضعها هو نفسه أو بنقل أحاديث موضوعة دون التثبت من حقيقتها وصحتها.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

الطعن في صحيح البخاري: بعد أن طعن المستشرق تريتون في جمع السنة في عصر عمر بن عبدالعزيز واتهم العلماء الذين جمعوا الحديث في ذلك العصر بالتزوير والتحريف، وبعد أن اتهم الخليفة نفسه بأنه أمر المسلمين بالبحث عن السند دون المتن، نراه يقول في كتابه «الإسلام عقيدة وعمل» ما ترجمته: «.. وبعد ذلك اكتشف المسلمون أن كثيراً من الأحاديث التي نسبت للسنة غير صحيحة فظلوا ينقدون الأحاديث. وقد قيل إن الإمام البخاري ظل يبحث ويمحص في ٦٠٠,٠٠٠ حديث ولم يأخذ منها غير ٧٠٠٠ حديث، لكن علماء الحديث الذين جاءوا بعد البخاري لم يثقوا بعمله هذا فظلوا ينقصون عدد أحاديث البخاري أو الأحاديث التي اعتبرها البخاري صحيحة وحذفوا الكثير لأنهم اعتبروا الأحاديث الصحيحة أقل من ذلك بكثير»[٢].

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٧٨، ٢٨٩.

(٢) انظر كتاب: Islam: Belief and Practice, PP. 30 - 35.

ويورد المستشرق الفريد غيوم حديثاً طويلاً في كتابه «الحديث في الإسلام» ليبرهن به أن السنة النبوية الشريفة لم تدون في عصر رسول الله ﷺ. كما زعم بأن كُتَّاب السنة اعتمدوا على ذاكرة الصحابة والتابعين في تدوين الحديث. ولقد استنتج من ذلك بأن الحديث النبوي الشريف لم يدون بصورة دقيقة. ولقد ورد في كتابه المذكور آنفاً ما ترجمته: «.. إن الكثيرين من أهل السنة قد اعترضوا على طريقة جمع الأحاديث لأنهم وجدوا الأحاديث تتعارض مع القرآن. بل اعترض بعضهم على الأحاديث التي جمعها الإمام البخاري والذين نهجوا نهجه من العلماء لأنها لم تكن بالدقة الكافية .. وتحكي السيرة بأن الإمام البخاري قد جمع وأحصى ٦٠٠،٠٠٠ حديثاً. كما نرى أيضاً أن الإمام البخاري حفظ عن ظهر قلب ٢٠٠،٠٠٠ حديث ولكنه دون للمسلمين في صحيحه ٧٧٩٧ حديثاً فقط، وفي رواية أخرى ٧٢٩٥ حديثاً. ولو أضفنا إلى ذلك الأحاديث المعتبرة الأخرى والتي أوردها في تراجمه نجد أن المجموع هو ٩٠٨٢ حديثاً. ولكن لو حذفنا الأحاديث المكررة والتي وضعها تحت مختلف الأبواب لم يبق لنا من الأحاديث إلا ٢٧٦٢ حديثاً، نجدها تروى تحت ٣٤٥٠ باباً، وهذه هي الأبواب التي قسم البخاري إليها كتابه. ولو تأمل الإنسان كمية الأحاديث المرفوعة إلى النبي فإنه يجد أن الأحاديث التي اشتمل عليها صحيح البخاري لا تساوي إلا ١٪ من تلك الأحاديث التي جمعها والتي تنسب للنبي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مئات الآلاف من الأحاديث المعتبرة عند المسلمين هي في حقيقتها أحاديث لا يمكن الثقة بها أو اعتمادها. وهذا أيضاً يثير الشك حول صحيح البخاري نفسه. وعليه فيجب أن لا تقبل الأحاديث الواردة به إلا بعد إخضاعها لقوانين البحث العلمي المعاصر حتى يمكن تحديد مدى أصالتها»[1].

ولقد انساق أحمد أمين خلف هذا التيار من الضلال والأباطيل فأراد نقد الكتب الصحيحة وزعم أن بصحيح البخاري أحاديث لا يقبلها العقل[2]، إلا أن بعض علماء الإسلام جزاهم الله خيراً قد تصدوا لافتراءاته وفندوها كما رأينا آنفاً.

---

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam 28 - 31.

(٢) انظر كتاب: «ضحى الإسلام» لأحمد أمين ـ طبعة لجنة التأليف ١٣٥٤هـ.

أما هنا فنورد رأي سالم البهنساوي في ذات الموضوع حيث يقول:

(ذكر أحمد أمين أن البخاري تطرق إلى بعض أحاديثه الضعف فقال في كتابه «ضحى الإسلام» نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال كحديث «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة» وحديث «ومن اصطبح كل يوم سبع ثمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل».

وقد زعم الدكتور صبحي محمصاني أن المجددين أمثال ابن تيمية ومحمد عبده طعنوا في صحة هذا الحديث وغيره في البخاري ومسلم لمخالفتها للعلم والواقع. وهذا كذب..

ولو أراد أحد الناقدين أن يتحرى عن حقيقة هذين الحديثين لبحث كغيره من العلماء أمثال الدكتور مصطفى السباعي الذي أوضح في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع» أن الحديث الأول هو جزء من حديث كامل أخرجه البخاري في باب السمر بعد العشاء من كتاب الصلاة، وهو أن عبدالله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام وقال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

فنص الحديث واضح في أن الرسول أخبر صحابته في آخر حياته، بل جاء في رواية جابر أن ذلك قبل وفاته ﷺ بشهر، أن من كان منهم على ظهر الأرض حيًا حين قال الرسول تلك المقالة، لا يعمر أكثر من مائة سنة. ولم يفطن بعض الصحابة إلى قول الرسول ممن هو على ظهرها اليوم، فنبههم عبدالله بن عمر إلى أن هذا هو الوارد في لفظ الحديث وبين لهم المراد منه. وكذلك فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رواية الطبراني. وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة موتاً فوجدوه أبا الطفيل عامر بن واثلة، وقد مات سنة عشرة ومائة فيكون الحديث معجزة للنبي ﷺ وليس شاهداً على عدم صحته كما ظن النقاد الذين جهلوا أصول النقد العلمي للسنة النبوية.

لقد قال الحافظ ابن حجر في كتاب «فتح الباري»: قد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي ﷺ وهو أنه عند انقضاء مائة سنة من قوله لا يبقى أحد منهم على ظهر الأرض.

كما ذكر الإمام مسلم في الحديث عن رواية جابر بلفظ: «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ».

وقال الإمام النووي: هذه الأحاديث قد فسر بعضاً، وفيها علم من أعلام النبوة. والمراد منها أن كل نفس كانت الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة، وليس فيه نفي حياة أحد يوجد بعد تلك الليلة.

فهل من الإسلام وفجره وضحاه أن يغفل الناقد المسلم هذا وينسى هذه الحقائق ثم يظاهر أقوال المستشرقين التي تزعم أن البخاري على دقة بحثه قد تطرق إلى بعض أحاديثه الضعف وعدم الصحة؟

لا شك أن الكاتب والمؤلف والناقد لم يطلع على هذه المراجع واكتفى بأقوال المستشرقين وصدقهم فالتمس بذلك سبيلاً سهلاً ليكون ناقداً لعلوم الحديث ورجاله، وليكون مؤلفاً وكاتباً في هذه المادة دون أقل تحقيق أو بحث علمي).. اهـ[1].

وينتقد الدكتور مصطفى السباعي مؤلف فجر الإسلام قائلاً: (فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول ﷺ ينقلب من منطق النقد الجديد الذي دعى إليه صاحب (فجر الإسلام) إلى أن يكون مكذوباً مفترى.. وأن تعجب فعجبك من أن مؤلف (فجر الإسلام) ذكر في آخر فصله أهم مراجع بحثه، وفي مقدمتها فتح الباري على البخاري، والقسطلاني على البخاري وشرح النووي على مسلم، وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث، وبينوا تقسيم البخاري له موضعين، وأشاروا عند الجزء المختصر إلى موضع الحديث الكامل، فإن كان الأستاذ اطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح

---

(١) السنة المفترى عليها: ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

فكيف حكم بعد ذلك بكذبه؟ وإن لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مراجع بحثه؟ بل كيف استباح الخوض في هذا الموضوع على غير هدى؟ اهـ[1].

الطعن في الكتب الصحيحة الأخرى:

أولاً: الطعن في صحيح مسلم: يزعم المستشرق الفريد غيوم أن الإمام مسلم لم يتحر الدقة في جمع الحديث. ولقد أورد غيوم في كتابه المسمى «الحديث في الإسلام» ما ترجمته: (وكما أن البخاري لم يلتزم الدقة في جمع الحديث كذلك فعل الإمام مسلم بصحيحه والذي تبع في جمعه وتأليفه طريقة البخاري وسار على نهجه، فتراه يقلد البخاري ولكنه لم يهتم بصحة متون الأحاديث قدر اهتمامه بالسند واعتمد على الأحاديث الواردة في كتاب البخاري كثيراً لذلك جاء كتابه أيضاً مليئاً بالتناقضات)[2].

ثانياً: الطعن في كتب السنن: يطعن الفريد غيوم في كتب السنن قائلاً ما ترجمته: (. .وبجانب صحيحي البخاري ومسلم هناك أربعة كتب أخرى للحديث اعتبرها المسلمون من الكتب الصحاح وهي: سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن ابن ماجه، وسنن النسائي. ولقد كان الهدف من جمع هذه الكتب هو نفس هدف البخاري ومسلم عندما صنفا صحيحيهما. ولكن بالرغم من هذا فإن جهد جامعي هذه الكتب الأربعة كان محدوداً حيث اقتصر هؤلاء على تجميع وتصنيف الأحاديث التي تتحدث في الحلال والحرام لدى المسلمين، ولذا نجد أن هؤلاء الأربعة قد تساهلوا في قبول الأحاديث المختلفة التي كانوا يتمنون سماعها كي يقيموا بها الحجة فيما أرادوه من تبيين للحلال والحرام. وعليه فقد تمكنوا من إلصاق الحديث بالرسول لإكسابه الشرعية اللازمة غير مبالين بمبدأ الصدق أو التحري في جمع الأحاديث. والدليل على ذلك أنهم قد اعتمدوا الأحاديث الحسنة ولم يقتصروا على الصحيح. . ولكن القيمة الكبرى لكتب السنن هي أنها تقف شاهداً على المدى الذي وصلت إليه الصراعات والمناقشات بين مختلف مدارس

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) انظر كتاب: .The Tradition of Islam 31 - 32

الفكر الإسلامي والطرق والوسائل التي اتخذها أصحاب المذاهب المختلفة في تطوير مذاهبهم الفكرية والتعبدية في القرن الثالث الهجري. ويظهر هذا في كتاب الترمذي بالذات بما يحويه هذا الكتاب من متناقضات تقف شاهداً على الاختلافات البينة بين المذاهب الإسلامية، تلك الخلافات التي استمرت حتى يومنا هذا.. وإن أكثر ما يميز الكتاب الذي يطلق عليه اسم سنن الدارمي هو الطريقة غير الموضوعية التي صاغ بها الدارمي كتابه حيث اعتاد أن يسجل أفكاره فيما يختص بمدى صحة الحديث أو عدمه. وكان لا يتردد في الإدلاء بآراء متناقضة ومتعارضة تماماً مع آراء من سبقه من أئمة الحديث والسنة.. ولقد فطن أبو داود من بين هؤلاء الأئمة للخلافات الكثيرة والصراعات المريرة التي سادت العالم الإسلامي في ذلك الوقت فكان يفرد لكل قطر أحاديث خاصة به، ولكن هذا العمل اضطره إلى أن يضمن سننه كثيراً من الأحاديث المتناقضة التي تعكس تلك الخلافات التي عايشها[١].

الطعن في كتب المسانيد:

وبما أن الكتب الصحاح وكتب السنن لم تسلم من تعدي المستشرقين وتهجمهم كذلك نجد أن كتب المسانيد تعرضت لنقدهم وافتراءاتهم الكاذبة أيضاً. يقول الفريد غلوم في كتابه «الحديث في الإسلام» ما ترجمته: (إن الأهمية المتنامية للحديث كمصدر للتشريع والعبادات لدى المجتمعات الإسلامية أدى إلى وضع كثير من الأحاديث لتوفي بالأغراض المختلفة للمجتمع الإسلامي، كما أدى إلى ضرورة تجميع وتنظيم وتبويب هذه الأحاديث بطريقة منظمة. ولكن المسلمين في جهودهم هذه لم يهتموا بالمتن إنما انصب اهتمامهم على السند ومحاولة وصله بصحابة محمد. ولهذا السبب فقد صنف أصحاب المسانيد كتبهم وحاولوا فيها وضع كل الأحاديث التي يتصل سندها إلى الصحابي المعين تحت اسم ذلك الصحابي دون الاهتمام بمتن الحديث أو المعنى الذي يدور حوله. وكان الشخص الذي يحفظ كثيراً من هذه الأحاديث يسمى مسنداً كما أن المرأة التي تحفظ كثيراً من الأحاديث تسمى مسندة.

---

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam 32 - 39.

ولقد تجمع كثير جدًا من هذه المسانيد في القرن الثالث الهجري، ولكن معظمها قد انقرض ولا يوجد له أثر في هذا العصر. ولعل أهم هذه المسانيد هو مسند أحمد بن حنبل خاصة في حجمه الكبير وعدد صفحاته الكثيرة التي ضاع منها الكثير. ولا توجد النسخة المكتملة من هذا المسند حتى في دور الآثار والمخطوطات. ولقد احتوى المسند على حوالي ثلاثين ألف حديث منضوية تحت أسماء حوالي سبعمائة من الصحابة.. وبالرغم من أن مسند أحمد بن حنبل لم يحو أي أحاديث تمجد العباسيين أو تتملقهم إلا أنه قد احتوى على كثير من الأحاديث التي تمجد بني أمية والتي ربما كانت منتشرة في ربوع الشام عندما ألف كتابه. كما أن مسند أحمد بن حنبل حوى بعض الأحاديث التي تؤيد مطالب الشيعة ومذهبهم.

ولعل قيمة هذا الكتاب في تصوير حياة محمد الحقيقية والخيالية أيضاً تتجلى لنا بصورة أوضح في كتاب مارجليوث الذي سمى «محمد»[1].

ويزعم المستشرق تريتون في كتابه (الإسلام عقيدة وعمل) أن الكتب الصحيحة الستة كتبت في عصر العباسيين لذا لم يأت فيها مدح للأمويين كالذي جاء في مسند أحمد بن حنبل. ويزعم الكاتب أيضاً أن الأسر المالكة في العصرين العباسي والأموي قد شجعت على وضع الحديث[2].

ولقد تشابهت أقوال تريتون مع أقوال جولد تسهير التي أوردها الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) تحت عنوان «هل تدخلت الدولة الأموية في وضع الحديث؟» ثم عمل على تفنيدها قائلاً:

هذه دعوى جديدة لا وجود لها إلا في خيال كاتبها. فما روى لنا التاريخ أن الحكومة الأموية وضعت الأحاديث لتدعم بها رأياً من آرائها. ونحن نسأله أي هي تلك الأحاديث التي وضعتها الحكومة؟ إن علماءنا اعتادوا ألا ينقلوا حديثاً إلا بسنده. وها هي أسانيد الأحاديث الصحيحة محفوظة في كتب السنة، ولا نجد في حديث واحد من آلافها الكثيرة في سنده اسم عبدالملك أو يزيد أو الوليد أو أحد

(١) انظر كتاب: .The Tradition of Islam 23 - 24

(٢) انظر كتاب: .Islam Belief and Practice, 31 - 34

عمالهم كالحجاج، وخالد بن عبدالله القسري وأمثالهم. فأين ضاع ذلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود؟ وإذا كانت الحكومة الأموية لم تضع، بل دعت إلى الوضع فما الدليل على ذلك؟[1].

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٠٣.



الفصل الثالث

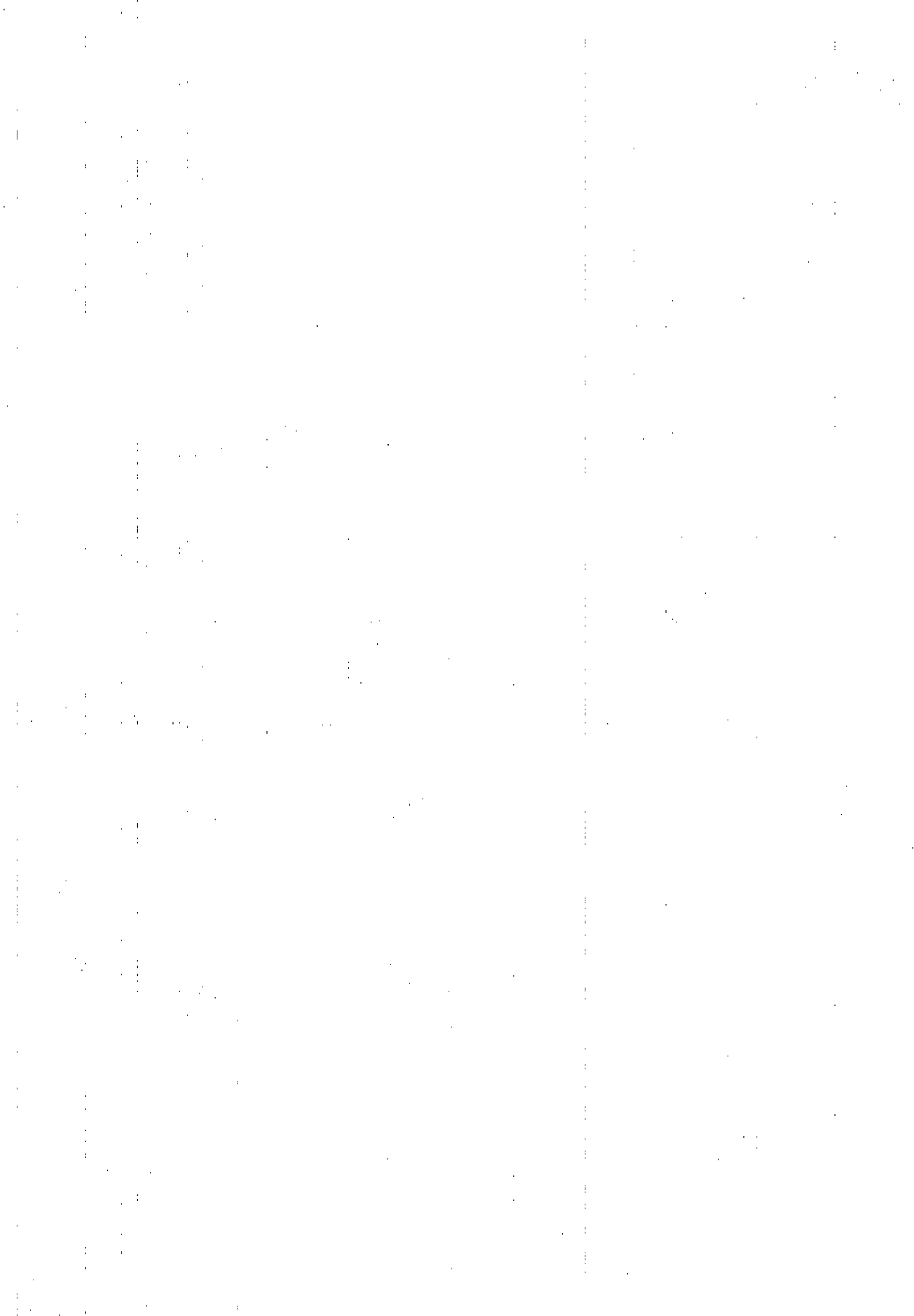
في التهجم على الإسلام بصورة عامة

ويتكون من تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: استراتيجيات المستشرقين التقليدية في الهجوم على الإسلام.

المبحث الثاني: استراتيجيات المستشرقين المعاصرة في الهجوم على الإسلام.

المبحث الثالث: النشاط التنصيري في ديار المسلمين.



التهجم على الإسلام بصورة عامة

تمهيد:

حاول المستشرقون ومازالوا يحاولون استغلال أي ضعف في المسلمين ليتخذوه منفذاً لهم للنيل من الدين الإسلامي الحنيف، محاولين إظهاره في صورة رديئة ومزرية للمسلمين وغير المسلمين. كل ذلك من أجل تنفير الناس ما استطاعوا عن الإسلام ليخلو لهم المجال فيعيثوا في الأرض فساداً بنشر عقائدهم الفاسدة المحرفة. ولقد استخدموا في ذلك كل قدراتهم ومهاراتهم لاستخلاص الشبهات التي تمكنهم من الطعن في الإسلام. والعجيب في الأمر أنهم قد زعموا بأن ما يقومون به هو دراسة علمية دقيقة للإسلام، خالية من التعصب والهوى. ولكن دراساتهم تلك في حقيقتها لم تكن إلا دراسات مليئة بالحقد والتعصب الأعمى والطعن في الإسلام وفي القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولقد طعنوا في شخص رسول الله ﷺ بالباطل وطعنوا في صحابته الكرام وتابعيهم وتابعي التابعين من أئمة المسلمين. واستغلوا وجود بعض الأحاديث المختلقة المكذوبة على النبي ﷺ ذريعة يستقون منها أدلتهم واستنتاجاتهم الخاطئة. بل اعتبروا تلك الأحاديث المختلقة المكذوبة من صلب الدين الإسلامي وأساسياته التي انبنى عليها. بل زادوا على ذلك الزعم بأن أتباع محمد ﷺ هم الذين أرسوا قواعد الإسلام بعد أن مات محمد وتركه لهم وهو لم يكتمل بعد.

وقد استمروا منذ فجر الدعوة وإلى يومنا هذا يتفننون في أساليب الهجوم على الإسلام ودعاته قاصدين من ذلك تشكيك المسلمين في عقيدتهم وتاريخهم وفي رسالة نبيهم محمد ﷺ. ومن التهم المتهافتة التي سمعناها كثيراً ومللنا سماعها ادعاءاتهم بأن الإسلام دعوة سياسية بحتة وليس ديناً منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى، وأن الإسلام كعقيدة وأسلوب حياة لا يصلح للقرن العشرين، وادعاءاتهم بأن الإسلام يشجع الرق ويشجع النظام الطبقي، وأنه دين يعمل على ظلم المرأة، وادعاءاتهم بأن الإسلام يحجر على التفكير الحر، إلى آخر ما هنالك من التهم الباطلة التي لا تقنع أحداً والتي تدل دلالة واضحة على الأهداف الخبيثة

لأعداء الله من منصرين وملاحدة وأشباههم.

وفي هذا الفصل فإننا بإذن الله سنحاول استعراض إستراتيجيات أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ويتركز حول الإستراتيجية التقليدية التي يسلكها المستشرقون وأشباههم في محاربة الإسلام عن طريق تلفيق التهم الباطلة والدعاوى الكاذبة.

وقد رأينا في الفصلين السابقين من هذا الباب بعضاً من هذه التهم التي وجهت للسنة النبوية الشريفة، وسنحاول هنا الحديث عن بعضها الآخر والذي يتعلق بالهجوم على الإسلام بصورة عامة.

المبحث الثاني: ويتركز حول الإستراتيجية المعاصرة التي يسلكها أعداء الله في هجومهم على الإسلام منتهجين في ذلك أسلوباً ملتوياً يعتمد أحياناً الهجوم المباشر وأحياناً الهجوم غير المباشر. وقد استفادوا في ذلك من وسائل الإعلام كالسينما والتلفزيون والإذاعة والصحف والمجلات وغيرها في بث سمومهم والطعن في الإسلام باسم التطوير والتحديث ومواكبة العصر والتقارب بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى والمناداة بضرورة تحرير المرأة وضرورة نقد الإسلام والحديث النبوي الشريف على ضوء المدنية الحديثة مستعينين في ذلك بالعقل والمنطق وما يسمونه بمناهج البحث العلمي الحديث.

المبحث الثالث: ويتركز حول النشاط التنصيري في ديار المسلمين حيث يقوم النصارى ببناء الكنائس والمدارس والملاجىء والمستشفيات ويجعلون منها أوكاراً لبث سمومهم في ربوع العالم الإسلامي الغافل. كما يقومون بالتصدي لطلاب البعثات الوافدين إليهم لتلقي العلم ومحاولة زعزعة عقيدتهم أو حتى تنصيرهم لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

المبحث الأول: إستراتيجيات المستشرقين التقليدية في الهجوم على الإسلام

الزعم بأن الإسلام لم ينتشر إلا لأطماع دنيوية وأسباب سياسية وافقت ظهوره:

حاول أحد المستشرقين ويدعى لوفلتين أن يعلل انتشار الإسلام في ربوع العالم والانتصارات المذهلة التي حققها المسلمون في فترة زمنية قصيرة بأنها كانت من أجل جمع الغنائم واقتناء الضياع والاستيلاء على أموال الناس عن طريق فرض الجزية عليهم والإتاوات وغيرها. وادعى هذا المستشرق بأن ذلك الغنى الذي تحقق للمسلمين هو الذي عاد بالوبال على المجتمع الإسلامي وأفسده وأدى في النهاية إلى تدهوره وانكماشه. فنراه يورد في كتابه بعنوان «السيطرة العربية» ما ترجمته: (... إن مشاعر الجشع والأنانية وحب الذات سرعان ما تملكت الإعراب الوافدين من الصحراء وأعمت بصيرتهم وجعلتهم ينغمسون في الترف الذي أفسد النفوس.. وقد أصاب الترف والغنى الفاحش كثيراً من الأسر في الكوفة. هذا الترف الذي تأتى من جمع الغنائم ومن المخصصات والإقطاعات التي كانت تبر بها الطبقة الحاكمة هذه الأسر. ولقد أغرت هذه الحياة المترفة الناس بالمزيد من الترف وبالتالي بالمزيد من الاحتيال لتوفير الأموال اللازمة لمواجهة هذه المصروفات الزائدة، فأدى ذلك إلى كثير من المؤامرات التي كانت تحاك في الظلام. كما أدى إلى انتشار المرابين والفوضويين الذين يستغلون حاجات الناس من أجل زعزعة الأمن وذلك بفرض الإتاوات والنهب وجمع المال الحرام. كما اتبع الحكام ذلك بالحملات التأديبية ضد المارقين وضد الكفار من أجل استجلاب الغنائم ومن أجل فرض الجزية على غير المسلمين. ولقد كانت هذه هي الأسباب المباشرة للغزوات وشن الحروب باسم إدخال الناس في دين الله، كما فعل المهلب بن أبي صفرة في غزواته وفتوحاته الشهيرة والتي لم تكن

في حقيقتها إلا حملات من أجل الإرهاب الذي لا مبرر له سوى ما ذكرناه من الأسباب)[1].

ولقد رفض المستشرقون الاعتراف بأن دخول الناس في دين الله واعتناقهم لهذا الدين الحنيف كان عن اقتناع منهم بسمو هذا الدين وعظمته وموافقته للعقل والمنطق والفطرة السليمة. وكان دخول الناس في دين الله أفواجاً في نظر هؤلاء المستشرقين مبنيًا على أطماعهم الدنيوية. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما أورده فيليب حِتّي في كتابه «الإسلام والغرب» حيث قال ما ترجمته: «إن المؤرخين العرب وخاصة الذين اعتمدوا على تفسير مبسط جدًا لتوضيح الأسباب التي ساعدت على انتشار الإسلام من الجزيرة العربية وتغلبه على أعتى الإمبراطوريات في زمنه ـ مثلهم مثل من سبقهم من علماء اليهود والنصارى الذين فسروا انتشار دياناتهم بأسباب ذاتية تكمن في تلك الديانات ـ كانوا يظنون أيضاً بأن الانتصارات التي حققها الإسلام ترجع لعظمته الذاتية ولحماس المسلمين لنشره بين الناس. ولكن هذا في الحقيقة تفسير خاطىء. فالسبب الرئيسي وراء انتشار الإسلام هو سبب اقتصادي في المقام الأول. ولقد كان من اللازم على العرب أن يبحثوا عن مصادر جديدة للرزق لتواكب الزيادة المضطردة في أعداد سكان الجزيرة العربية. ولقد قاموا بحل ذلك الإشكال بغزو جيرانهم من الفرس والروم. والإسلام الذي انتصر في بادىء الأمر لم يكن هو إسلام العقيدة إنما كان إسلام الدولة، لم يكن إسلام المحمديين ولكن كان إسلام العرب.

لقد هجم العرب على ما جاورهم من ممالك نائمة مستسلمة هجمة الحكومة الدينية القومية التي تبحث عن متاع الدنيا في المقام الأول. ولقد مرت ثلاثة أو أربعة قرون قبل أن تصبح سوريا والعراق والفرس ممثلة للدولة الإسلامية. وعندما هرع سكان هذه البلاد للدخول في الإسلام إنما كانت تدفعهم مطامعهم الإقتصادية والاجتماعية والسياسية لا غير)[2].

---

(١) انظر كتاب «السيطرة العربية» للوفلتين. ٧٦، ٦٨.

(٢) انظر كتاب: Islam and the West, PP. 26 - 27.

وقد زعم بعض المستشرقين بأن ضعف النصارى في فترة انتشار الإسلام هو السبب الرئيسي الذي مهد السبيل للإسلام في الإنتشار. وهم يبذلون كل هذا الجهد ويحاولون كل هذه المحاولات ويأتون بكل تلك الادعاءات والأباطيل للتقليل من شأن الإسلام وللتقليل من شأن المجاهدين الذين نشروا الإسلام في ربوع الدنيا وأضاءوا به العالم. يقول ريتشارد بيل في كتابه «نشأة الإسلام في بيئة النصارى» ما ترجمته: (منذ بداية القرن الرابع الميلادي انقسمت الكنائس ودور العبادة لدى النصارى إلى فرق وطوائف عديدة تتنازع حول أصول الديانة المسيحية، وخاصة مسألة الإلهيات، كفرقة الآريوسية وغيرها. وفي القرن الرابع الميلادي تم انعقاد مؤتمر نيقية والذي يعتبر أهم مؤتمر عقد في تاريخ المسيحية والذي حُلت فيه أكبر مشكلة كانت تقلق النصارى وهي عبادة ثلاثة آلهة منفصلة بعضها عن البعض الآخر، فإذا بهذا المؤتمر يزيل الغموض عن هذه المسألة بإدخاله فكرة الثلاثة آلهة المتحدين اتحاداً تامًّا تحت رأس واحد، وبالتالي أدخل فكرة التوحيد في المسيحية، فقضى على الشك الذي كان يساور النصارى حول ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس..

إن أمثال تلك الخصومات هي التي قضت على الكنائس في الشرق الأوسط ومهدت السبيل للإسلام. وبالرغم من أن المسيحية كانت من النواحي الروحية تعد أعظم ديانة سادت تلك المنطقة إلا أنها لم تستطع مواجهة الهجوم الكاسح الذي شنه الإسلام عليها، وبالتالي عن طريق ضعف القائمين على أمرها مهدت الطريق للإسلام ليغتنم الفرصة ويقضي عليها. وإن من أكبر العوامل التي ساعدت على انقراض المسيحية في تلك المناطق هو ضعف المسيحيين أنفسهم، خاصة كبار رجال الدين المسيحي من أمثال جون الدمشقي والذي كان ينظر للإسلام على أنه ظاهرة ستزول قريباً، وهرطقة ستمر وتنقرض كما انقرضت قبلها هرطقات كثيرة من تاريخ المسيحية، وظن أنها سخافات ستزول بعد قليل. كل ذلك لأن جون الدمشقي علم بالنقص الشديد والقصور الواضح في فكرة الإله التي جاء بها الإسلام، وما كان يظن أو يخطر على باله بأن تلك الفكرة ستروق للكثيرين. ولم يستطع جون الدمشقي أن يقدر الموقف حق قدره وأن يقوم بالإجراءات اللازمة في

مثل هذا الشأن رغم أنه كان يرى أن الإسلام ينتشر بصورة مذهله من حوله)[١].

الزعم بأن التمسك بالإسلام هو السبب في تخلف المسلمين:

ادعى بعض المستشرقين بأن سبب ضعف المسلمين الذي نشهده في هذه العصور وانهزامهم وتفوق غيرهم عليهم إنما كان لتمسك المسلمين بالإسلام ومبادئه. يقول المستشرق فريلاند أبوت في كتابه «الإسلام وباكستان» ما ترجمته: (إن عيسى لم يجد الفرصة الكافية لتاسيس المجتمع الذي كان يحلم به، ولقد اكتفى من ذلك بأن يكون واعظاً متجولاً وسط الرعاة، لكن محمداً قد أتيحت له الفرصة لتحقيق أطماعه في تكوين المجتمع الذي كان يحلم به.. إن الخوف والغيرة من تجار مكة وكبرائها دفع محمداً للهجرة من مكة إلى المدينة. وهناك استطاع محمد إنشاء دولته الخاصة به ووضع ما تراءى له من قوانين ونظم للحكم. وهذه القوانين أصبحت فيما بعد جزءاً من العقيدة الإسلامية، وأصبحت ملزمة للقضاة والمسلمين الذين جاءوا بعده. وهكذا أصبح القضاة من العناصر التي تعمل على توحيد المجتمع الإسلامي عن طريق تنفيذ هذه القوانين الموروثة عن محمد. وأن المسلمين يتباهون بأن الإسلام يحتوي على جوانب عملية يمكن أن تساعد على تنظيم المجتمعات المدنية أكثر من المسيحية وأكثر من أي ديانة أخرى. ولكن يستطيع الإنسان أن يرد على ذلك بأن هذه القوانين بالذات هي نقطة الضعف في النظام الإسلامي. وأن التدهور الذي يسود المجتمع الإسلامي اليوم ما هو إلا نتيجة لشعور المسلمين بأنهم مكتفين ذاتيًا ولا يحتاجون إلى المعونة من أحد خاصة في النواحي العقائدية. ومثل هذا الاعتقاد خطأ قاتل وقع فيه كثير من أصحاب الديانات من قبل)[٢].

الزعم بأن الإسلام الذي بشر به محمد ﷺ قد انقرض:

لقد زعم بعض المستشرقين بأن الإسلام الذي بشر به محمد ﷺ قد انقرض ولم يبق منه شيء. وهذا زعم غريب وعجيب! إننا كمسلمين نعلم تمام العلم أن

---

(١) انظر كتاب: The Origin of Islam in Christian Environmemt, PP. 2 - 5.

(٢) انظر كتاب: Islam and Pakistan, PP. 20 - 21.

الإسلام الذي نؤمن به هو نفس الإسلام الذي بشر به محمد ﷺ. وأن القرآن محفوظ بحفظ الله ورعايته ومنقول إلينا بالتلقين والتواتر كما نزل على رسول الله ﷺ. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]. وقد جاء محمد بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وما يريده هؤلاء المستشرقون من كتاباتهم تلك هو الطعن في دين الله وتشويهه بنسبة التغيير والتحريف والتزوير إليه. كذلك ليوقعوا المسلمين في التخبط الذي وقع فيه النصارى من قبل. وهذه خطة رسمها المنصرون لينتصروا على دين الله بالأباطيل والإفتراءات التي يروجونها وسط ضحاياهم التي يتصيدونها من بين سكان دول العالم الثالث وغيرهم وذلك لِمَا رأوا من انتشار الإسلام بفضل الله ثم بقوته الذاتية وسط هذه الأمم. فنرى كل ذلك ينعكس في كتابات المنصر الهولندي الشهير سنوكر هورجرنجو التي أوردها في كتابه المسمى «المحمدانيين».

وهورجرنجو هذا منصر هولندي له كتب مشهورة ومعروفة في دول الغرب، وقد عمل هو نفسه في مجال التنصير في دول شرق آسيا، وبخاصة في أندونيسيا التي كانت مستعمرة هولندية. ويزعم هورجرنجو أن الإسلام الذي يعتنقه مسلمو اليوم قد أصابه الكثير من التغيير والتحريف وبالتالي صار من العسير والشاق تمييز الإسلام الأول الذي جاء به محمد ﷺ عن الإسلام الموجود بالدول الإسلامية حاليًا. ويرى هذا الكاتب أن التطور والتغير هو سنة الحياة. ولكي يدعم هذا الرأي أتى بأباطيل وحجج واهية. وقال أنه زار كثيراً من الدول الإسلامية ولمس آثار التغيير الواضح بنفسه. وزعم بأن خير مثال على ذلك هو أن الأماكن المقدسة التي يقصدها المسلمون لم تعد مقدسة بالقدر اللازم في نظرهم. ويزعم بأن الأزهر الشريف كاد أن يحتل مكان الكعبة المشرفة. بل يدعي بأن الأزهر اليوم لدى كثير من المسلمين يحتل مكانة أكبر من مكانة الكعبة نفسها..[2].

ومن أمثلة ذلك أيضاً زعم المستشرق الفريد غيوم بأن الإسلام الذي يعتنقه

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) انظر كتاب: Mohamedanism: Its Origin and Its Founder, S. Horjeringo, New York, 1924 (PP. 135 - 140).

مسلمو اليوم لا تقوم دعائمه إلا على الأحاديث المنسوبة لمحمد ﷺ، وزعم بأن الإسلام هو الحديث النبوي الشريف والشريعة الإسلامية فقط. وادعى بأن المسلمين كانوا يطورون الشريعة دائماً ويغيرون الأحاديث ويلفقونها وينسبونها للرسول على مر العصور، ولذلك فقد ضموا إليها العادات والتقاليد التي كانت تسود كل عصر وزمان إلى أن أوصلوا الإسلام إلى ما هو عليه اليوم. ويزعم الفريد غيوم أن النتيجة التي توصل إليها بعد بحوثه المتأنية هي أن الإسلام الذي يعتنقه مسلمو اليوم لا يعدو عن كونه نتيجة مباشرة لاجتهاد المسلمين طوال تلك القرون الماضية[1].

ويرى بعض المستشرقين أن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام في بدء الدعوة تغيرت تغيراً كثيراً، وذلك ليثبتوا أن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لم يعد هو الإسلام الذي نراه اليوم، لأن ما جاء به محمد ﷺ قد ضاع وانقرض. ويرى كينيث كراج أن حاجات الناس للشرك واستعمال التصاوير والأصنام أدت إلى انقراض فكرة التوحيد لدى كثير من المسلمين اليوم. ونراه يقول في كتابه «نداء المآذن» ما ترجمته: (لو سلمنا جدلاً أن القوانين والنظم وأنماط العادات والتقاليد التي جاء بها القرآن والسنة كانت مناسبة لعصر محمد، مثل تحريم الصور، وتحريم اقتناء التماثيل، والتي نجح محمد فعلاً في تطبيقها على مجتمعات الجزيرة العربية والتي كانت منغلقة ومنكبة على عبادة الأوثان، فمن الحماقة أن يعامل المسلمون اليوم، وفي القرن العشرين بمثل تلك المعاملة القاسية؛ لأن الصور والتماثيل أصبحت أشياء ضرورية وهامة في حياة الناس. لذا فإن تلك السياسة القاسية التي انتهجها محمد قد فشلت في السيطرة على من جاءوا بعده، ولم يتمكن أحد منهم السيطرة على الناس ومنعهم منعاً باتًا من استعمال تلك التماثيل والتصاوير. وهذه التماثيل كانت في بادىء الدعوة من الأشياء التي كان يعتبرها محمد جزءاً من الأوثان التي حرم محمد عبادتها، وضد ما سماه بالتوحيد، لذلك منع الناس من استعمالها. ولكننا نجد أن هذا التحريم زال كليًّا عن مسلمي اليوم لأن هذا التحريم أثبت أنه غير مناسب للمسلمين أنفسهم. بل أن

---

(١) انظر كتاب: The Tradition of Islam, P. 14.

الكثيرين من المسلمين اقتنعوا اقتناعاً تامًّا بعدم صلاحية التوحيد نفسه. . إن خوف المسلمين من عبادة الأصنام كان دائماً شديداً. . ولكن لا يستطيع المصور أو الرسام أو النحات وغيرهم من أصحاب الفنون الجميلة تجنب تلك الأشياء، بل يجد نفسه تلقائيًّا منجذباً إليها)[1].

الزعم بأن الإسلام يشجع نظام الرق:

لقد زعم بعض المستشرقين أن الإسلام يؤيد نظام الرق بل ينادي به. ولعل أشهر من تحدث في هذا الموضوع المنصر الهولندي سنوكر هورجرنجو الذي قاد أعتى الحملات التنصيرية في أندونيسيا والذي كان كل همه وهدفه الكيد للإسلام والنيل من شخص رسولنا الكريم محمد ﷺ. ويظهر كل ذلك في كتابه «المحمدانية: أصولها ومؤسسها» والذي يعتبره المستشرقون من أهم المراجع التي يقررونها على طلاب الجامعات الأمريكية الذين يرغبون في دراسة الإسلام. لقد أورد هذا المنصر الخبيث في كتابه المذكور أعلاه ما ترجمته: «إن الديانة الإسلامية أثبتت أنها ديانة لا تصلح لكل عصر. فالإسلام الذي جاء به محمد والذي كان الاعتراف بنظام الرق من أهم مقوماته يبرهن على أن الإسلام دين عنصري جاء لنصرة العرب الذين كانوا يمارسون نشاطهم المتزايد في تجارة الرقيق، والتي كانت تمثل ضرورة كبرى في حياتهم التجارية. فإذا كان الإسلام دين عام لكل البشر، لماذا أباح الرق وأقره؟ والدليل على ذلك أن الإسلام لم ينكر على العرب تلك العادة السيئة رغم انتشارها انتشاراً واسعاً بينهم كما قلنا سابقاً. وهذا يثبت بطلان زعم المسلمين بأن الإسلام دين ينادي بالحرية والمساواة بين الناس جميعاً. كيف تتحقق العدالة والمساواة في مجتمع اعتمد الرقيق وجعله جزءاً من نظامه الإجتماعي؟ بل هناك قوانين شرعية إسلامية كثيرة خاصة بالرق. . ولو زعم المسلمون بأن الله لا يريد هذا النظام فما قولهم في إقرار محمد له وذكره في القرآن. . إن الإسلام نظام قديم وبال لا يتناسب مع العصور التي تلت مجيء محمد، ناهيك عن القرون الحديثة التي ظهرت فيها المدنية المعاصرة والدعاوى

---

(١) انظر كتاب: The Call of the Minaret, Kenneth Cragg, Oxford University Press, New York, 1956, P. 135.

الحقة في الحرية والعدالة الإجتماعية والمساواة.. إن نظام الرق نظام بربري إستغلالي يتنافى مع الإنسانية)[1].

الزعم بأن الحركة القاديانية هي الإسلام الحقيقي:

لقد زعم المستشرقون بأن الحركة القاديانية هي الإسلام الحقيقي الذي جاء به محمد ﷺ، وأن كل ما عداها هو ضلال اخترعه أتباع محمد ﷺ بناء على أهوائهم الشخصية. ولقد كان لي تجربة خاصة مع هذا عندما كنت أدرس بالولايات المتحدة حيث فُرِض علينا دراسة كتب القاديانية أو ما يعرف لديهم (بالحركة الأحمدية). ولقد تقرر علينا دراسة كتب القاديانية دون غيرها من الكتب المؤلفة عن الإسلام باعتبار أن تلك الكتب تحتوي على الأصول الواجب معرفتها لكل من يود معرفة الإسلام على حقيقته. وفحوى تلك الكتب أن الإسلام الحقيقي هو الحركة المعروفة بحركة غلام أحمد القادياني. وأن تلك الحركة هي التي جعلت من الإسلام ديانة عالمية لأول مرة في تاريخ الإسلام. ومن أمثلة ذلك قول فلشر ما ترجمته: (إن الحركة التي تعرف بالحركة الأحمدية والتي تزعمها غلام ميرزا أحمد القادياني بالهند عام ١٨٤٠م والتي زعم فيها غلام أحمد بأنه المسيح الذي ينتظره النصارى وأنه مهدي الإسلام، هي الإسلام الحقيقي الذي نادى به محمد قبل ثلاثة عشر قرناً، وأنها كحركة إصلاحية إسلامية بثت المبشرين في كل أنحاء العالم لتعلن لهم أن غلام أحمد هو النبي الذي جاء لحماية مبادىء الأنبياء السابقين، وأنه جاء ليكمل نظمهم وقوانينهم.

أعلن غلام أحمد أن النبوة لم تختم بمحمد كما يزعم المسلمون، بل أن النبوة لن تنتهي أبداً، وأنها لا تختتم بأحد وأن الإله سيظل يرسل رسله واحداً تلو الآخر دون توقف أو انقطاع. إذن فمحمد ليس بخاتم الأنبياء والمرسلين، وبالتالي فإن غلام أحمد القادياني هو الرسول المبعوث بعد محمد. وقال غلام أحمد أن أنصار السنة المحمدية فهموا النص القرآني بإكمال الدين فهماً خاطئاً، فلذلك تدعو الحركة الأحمدية بإعادة تفسير الآيات القرآنية التي تنادي بأن الدعوة

---

(١) انظر كتاب: Mohammedanism: Its Origin and its Founder, Snocar Horjaringo, 1924, New York, PP. 129 - 130.

المحمدية هي آخر الدعوات وأن دينه هو خاتم الأديان.

وقد قال غلام أحمد القادياني بأنه لا يأتيه وحي بل يأتيه إلهام. وصرح بأنه لا يوجد فرق بين الوحي والإلهام بالنسبة للأنبياء، ولا يؤثر ذلك في صدق نبوتهم. لقد ربطت الحركة القاديانية لأول مرة بين الدين والعلوم الدنيوية ولأول مرة تترجم آيات القرآن لتقف مع العلوم الطبيعية ـ التي كانت تسود عصر غلام أحمد القادياني ـ وتوافقها. ولأول مرة في التاريخ بعد ظهور الحركة الأحمدية يتحول المسلمون إلى مبشرين يجوبون البلاد الأفريقية، فانتشرت الدعوة الأحمدية في القرنين التاسع عشر والعشرين في نيجيريا وغانا وأنشأت مدارس لتعليم الإسلام في ساحل الذهب.. ودخلت الأحمدية غامبيا عن طريق التجار.. وقد وصلت الحركة الأحمدية كذلك إلى دول شرق إفريقيا. إن الحركة الأحمدية اقتبست الكثير عن مذهب أهل السنة المسلمين، وعن المسيحية، والوثنية. وقد كان الهدف منها مناصرة الإسلام أكثر من مناصرتها للمسيحية أو الوثنية)[١].

الطعن في نظام تعدد الزوجات:

لقد طعن المنصرون في نظام تعدد الزوجات في الإسلام باعتبار أن هذا النظام نظام بدائي ورجعي. ولقد قالوا أن هذا النظام يتيح للرجل تلبية شهواته عن طريق زواج ما يشاء من النساء. وادعوا أن هذا النظام البدائي يدل دلالة واضحة على التفرقة ضد المرأة واستعبادها والحط من قدرها وامتهان كرامتها أمام شهوات الرجال. وادعوا أن هذا النظام من بقايا العهود الإقطاعية، وهو نظام لا يتوافق مع متطلبات العصر الحديث. وقالوا أن هذا النظام انقرض فعلاً في العالم المتقدم ولم تزل آثاره باقية في بلدان العالم الإسلامي إلى اليوم. وقال ويستر مارك: إن الإسلام أخذ هذا النظام عن الديانات الوثنية التي كانت سائدة إبان ظهور الإسلام. ولقد أورد في هذا الموضوع ما ترجمته: (إن نظام تعدد الزوجات كان سائداً في المجتمعات التي كانت تحيط بالمجتمع الإسلامي عند ظهور الإسلام، وفي المجتمعات التي فتحها المسلمون الأوائل. فنرى أن هذا النظام كان سائداً في

---

(١) انظر كتاب: Ahmadyah: a Study in Contemporary Islam on The West Africa Coast, Humphey J. Flasher, Printed in Britain, 1963: 37 - 38.

مصر القديمة، وبلاد فارس بين طبقة الرقيق خاصة، وفي المجتمعات الهندية، وعند عرب الجاهلية. وحتى في المجتمعات التي كانت تعمل بقوانين حامورابي أنه قد أبيح فيها نظام تعدد الزوجات في حالات معينة وتحت ظروف خاصة.. أما في حالة الديانة اليهودية القديمة نجد أن الصفة المميزة لأولئك اليهود القدماء هو اتخاذ أكثر من زوجة واحدة. إن الكتاب المقدس لدى اليهود لم يضع حدًّا معيناً للزواج، فكان الرجل يتزوج دون قيد، وكان يتخذ من السراري والإماء ما يشاء دون قيد أيضاً.. وقد ورد في الكتاب المقدس أن الملك سليمان كان يمتلك سبعمائة زوجة وثلثمائة من السراري.. وأن ابنه كان يمتلك ثمان عشرة زوجة وستين من السراري.. وحتى الحكماء ورجال الدين الذين كانوا يحكمون بالتلمود كانوا قد دعوا في زمن ما بأنه يجب أن لا يزيد الرجل عن أربع زوجات.. ولكن اليهودية تطورت وتركت ذلك رغم أن بعض اليهود الذين يقطنون في البلاد الإسلامية مازالوا متمسكين بتلك العادة السيئة)[1].

وزعم سنوكر هورجرنجو أن نظام تعدد الزوجات نظام بال ويدل على أن الإسلام لا يصلح كديانة لإنسان القرن العشرين[2].

وبالرغم من أن هؤلاء المنصرين وأمثالهم يطعنون في نظام تعدد الزوجات في الإسلام دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عن علة هذا النظام أو الأسباب التي حدت بالإسلام لإباحته، وبالرغم من موقفهم المبدئي الرافض له، إلا أن بعض المنصرين يقبلون هذا النظام، بل صاروا ينصحون به كوسيلة من وسائلهم لكسب الناس في حركاتهم التنصيرية، خاصة في إفريقيا السوداء حيث نادى بذلك أحد المنصرين في كتابه (إعادة النظر في نظام تعدد الزوجات بأفريقيا). ولقد أشاد هذا المنصر بنظام تعدد الزوجات، وقال: إن هذا النظم يعتبر نظاماً ضروريًا في بعض

---

(١) انظر كتاب: The History of Human Marriage, Westermark and Edward Alexander, New York, the Allerton Book Co, Fifhth Edition, 1922, Vol. 3, P. 233.
Jews and Arabs: Their Contacts Through the Ages, New York, Schocken Books, 1964, PP. 184 - 185.

(٢) انظر كتاب: Mohamedanism: Its Origin and Its Founder, PP. 125 - 127.

مناطق أفريقيا. وقال بأن السبب الرئيسي الذي يجعل الإسلام يحقق انتصارات ملحوظة في أفريقية الغربية هو إقراره لمبدأ تعدد الزوجات الذي نراه سائداً هناك. إن نظام تعدد الزوجات في تلك المناطق يعد ضرورة إجتماعية واقتصادية. وقال أن تلك المجتمعات يسود فيها نظام الأسرة الممتدة التي تعتمد على قوتها العددية في سبل كسب العيش وفي الدفاع عن ذاتها أمام الأعداء.. ويقول هذا المنصر أن المسيحية لن تجد قبولاً وسط هؤلاء الناس ما لم تعيد النظر في إصرارها على كبح نظام تعدد الزوجات. بل يرى الكاتب أن نظم الزواج بزوجة واحدة مرتبط بتأثر المسيحية بأقوال الأب بولس وأوغسطين وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة والعلماء الغربيين الذين كانوا ينادون بالزهد والرهبانية ولذلك نراهم قد حثوا على ترك الزواج ولم يبيحوه إلا للضرورة التي تتمثل في حفظ النوع فقط.. ويقول هذا المنصر: أن فرض المثاليات على الشعوب وإجبارهم عليها لا يجدي، بل يجب على المسيحية أن تلبي حاجات الناس الفطرية ورغباتهم وميولهم، وأن تساير عاداتهم وتقاليدهم ونظمهم السائدة[1]. وهذا وحده يكفي في الرد على هؤلاء المنصرين الحاقدين على الإسلام.

---

(١) انظر Polygamy Reconsidered in Africa, J. William 1981, New York Press.

المبحث الثاني: إستراتيجيات المستشرقين المعاصرة في الهجوم على الإسلام

استمر الهجوم على الإسلام منذ ظهور الدعوة الإسلامية إلى يومنا هذا. وقد سلك أعداء الإسلام في سبيل محاربته عدة طرق وأساليب منها الأسلوب المباشر الذي تمثل كما رأينا في الهجوم على القرآن الكريم والنبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم. أما في هذا العصر فقد ابتكر المستشرقون أساليب حديثة للطعن غير المباشر في الإسلام. وقد أصبح هذا الأسلوب إستراتيجية ثابتة لأعداء الإسلام في هذا العصر من منصرين وأشباههم من الملاحدة والعلمانيين واللادينيين ودعاة التحرر الزائف. وقد تركز هجومهم على نظم الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات. وقد أثاروا في ذلك كثيراً من الشبهات وابتكروا كثيراً من الحيل التي أرادوا بها إخفاء مراميهم الذاتية المتمثلة في الهجوم على الإسلام ومحاولة القضاء عليه كليًا. نذكر من ذلك مثالاً واحداً هو ما يسمى بقضية تحرير المرأة.

ادعى المستشرقون أن الإسلام قد حط من قدر المرأة، وسلبها حريتها، وكرامتها وجعلها أسيرة للرجل. وادعوا أن سبب تخلف المرأة في البلاد العربية هو وجود القرآن بين أيدي المسلمين. وصاروا ينادون بضرورة تطوير الإسلام وتحرير الإسلام، وتحرير الإنسان المسلم من الاعتقادات البالية، والأفكار القديمة التي لا تتناسب مع مقتضيات القرن العشرين. هذه الدعاوى المتهالكة الباطلة لم يكن المقصود منها بالطبع إصلاح حال المسلمين، وإنما القصد منها هو الإساءة إلى الإسلام بطريق غير مباشر وذلك برفع الشعارات الزائفة كالتطوير والتحديث ومجاراة العصر ومجاراة المدنية الغربية. ولم يتورع هؤلاء المستشرقون أعداء الله وأعداء دين الله عن اتخاذ أسلوب الخديعة والمكر ودس الكذب على رب العزة سبحانه وتعالى وعلى رسول الله ﷺ.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾[1]. وهذه هي عادة أعداء الله التي شبوا وشابوا عليها وتمسكوا بها فظلوا يرفعون شعاراتهم الخاوية التي تزعم بأن الإسلام يحط من قدر المرأة، وأن الإسلام لم يعترف للمرأة بمقدرتها العقلية، ولم يعترف بحقها في التعليم والسعي في طلب الرزق. بل تمادى بعضهم في الضلال لدرجة الادعاء بأن الإسلام قد حط من قدر المرأة إلى أن أوصلها إلى رتبة الحيوانات التي لا تفكر إلا بالغريزة ولا تعمل إلا لإشباع غرائزها الفطرية وغرائز الرجل الحيوانية. كل ذلك من أجل إثارة المرأة المسلمة ودفعها إلى التخلي عن وقارها والتردي في مهاوي الرذيلة والفجور والانحلال الخلقي. واستجابة لدعوات هؤلاء المنصرين وأشباههم بدأ بعض الشباب المسلم المناداة بتحرير المرأة المسلمة زاعماً أن الإسلام يجب أن يعيد النظر في قضية المرأة. وانجرف هؤلاء المخدوعون من الرجال والمخدوعات من النساء خلف التيار وساروا فيه وادعوا بأن نصوص الإسلام في هذا الشأن تحتاج منهم إلى إعادة نظر.

ولقد تصدى بعض علمائنا الأفاضل إلى مثل هذه الدعوات الهدامة بالرد والتفنيد، منهم الدكتور محمد محمد حسين، حيث أورد في كتابه القيم (حصوننا مهددة من الداخل) ما يلي:

(وفي الوقت الذي يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن نأخذ في ذلك الطريق الذي انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية هزت دعائم مجتمعه هزًّا عنيفاً أفقده استقراره واتزانه وعرض سلامته وكيانه لأشد الأخطار.. وأخطر ما في هذه الدعوة وأمثالها مما يراد به حملنا على فاسد من مذاهب الغرب أن أصحابها يريدون إقحامها على إسلامنا زاعمين أنها لا تعارضه. وقد كان قاسم أمين هو أول من جرأ الناس على تحريف النصوص حين طلع علينا بطائفة من المزاعم التي

---

(١) سورة النساء: ٤٤ ـ ٤٦.

تقوم على المجازفة ومن النصوص المحرفة عن مواضعها والمخلوعة من سياقها خلعاً يخرجها عن مدلولها. . ومن عجب أن الذين حملوا اللواء في الدعوة إلى ما يسمونه «حقوق المرأة» كانوا من الرجال ولم يكونوا من النساء، ولم يكن من وراء صنيعهم إلا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما. ذلك لأن الحياة تحتاج إلى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار. وثورة النساء والرجال كل منهما على الآخر تحل القلق والبغضاء والحقد بين الجنسين اللذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل بينهما مودة ورحمة يبنى عليهما عمران الكون وحفظ النوع البشري. . وللمفسدين والمخدوعين ممن يسمون أنصار المرأة حجج ومزاعم أكثرها مبني على المغالطة، وأشهر مغالطاتهم في ذلك ما يزعمونه من أن عكوف المرأة على منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع. وقولهم هذا مبني على أن المرأة ليس لها عمل في المنزل. والواقع أن وظيفتها في تدبير شئون المنزل ورعاية الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل وقتها لو أُديت على وجهها بل أن وقتها يضيق بها في بعض الأحيان. والدليل الذي يخرس كل لسان على صدق ما نقول هو أن العاملات يحتجن دائماً إلى توظيف الخدم من النساء والرجال لسد النقص الناتج عن تخليهن عن وظيفتهن. فأي شيء تكسبه الدولة إذا كانت المرأة تخرج للعمل وتربط مكانها شخصاً أو شخصين تعطلهما عن العمل؟ أين هو الكسب الاقتصادي المزعوم؟ وهل هذا إلا الخلل عينه؟ تشتغل المرأة خارج البيت بأعمال الرجل ويسقط من حساب الأيدي العاملة رجل أو رجلان يقومان بأعمالها في المنزل.

ويسقط من حساب الدارسين والمشرعين جيل مضيع لا يقام لضياعه وزن في ميزان المكسب والخسارة؟! ولو صح أن الاستفادة بنصف المجتمع المعطل هو الدفاع الحقيقي إلى توظيف المرأة لوجب أن يستوعب العمل كل من المتعطلين من الرجال قبل أن يسمح لامرأة واحدة بتولي عمل من الأعمال العامة)[1].

ولقد أسهب محمد قطب في كتابه «شبهات حول الإسلام» في الرد على

---

(١) حصوننا مهددة من الداخل: ١١٢ ـ ١٣٠.

ادعاءات المستشرقين والملحدين وأشباههم حول هذا الموضوع وأبطل حججهم وفند آراءهم وأظهر زيفها وبطلانها. ووضح بأن المساواة بين الجنسين مبدأ أساسي ورئيسي في الإسلام، وأن الجنسين متساويان تماماً في أصل نشأتهما وإن كانا مختلفين في تركيبهما الجسماني ووظيفتهما في الحياة، إذ لم يخلق الله سبحانه وتعالى الرجل من نور والمرأة من نار ولكنه خلقهما من نفس واحدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾[1]. والإسلام أعطى المرأة حقوقاً لم تعهد مثلها النساء في جميع الأمم حتى يومنا الحالي. فالمرأة شخصية لها اعتبارها ومكانتها الخاصة في الأسرة والمجتمع، وهي تتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها الرجل من حق في التعليم والتملك والسعي في طلب الرزق. ويظهر لنا من خلال سور وآيات القرآن الكريم أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب الجنسين ويطالبهما معاً بالعمل في العبادات والمعاملات وغيرها وفقاً لما ارتضاه لهما الدين الإسلامي الحنيف، ووفقاً للتباين الفطري بينهما في التركيب الجسماني ووظائف الحياة. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ۝١٢٤ ﴾[2]. فالرجل والمرأة متساويان في الثواب في عمل الخير المتماثل، والآيات التي توضح ذلك كثيرة. قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥ ﴾[3].

فالإسلام أعطى المرأة حرية التصرف في ممتلكاتها الخاصة، وحرية قبول الزواج أو رفضه. وأعطاها حقها من الميراث، وحقها في الإنفصال عن زوجها إذا أرادت هي ذلك. والإسلام الذي أعطى المرأة كل هذه الحقوق لم يغفل التمايز الطبيعي بين الجنسين في أداء الوظائف التي خلق الله من أجلها الجنسين. فالزعم

---

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة النساء: ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٥.

بأن الرجل والمرأة متساويان في أداء كل الأعمال زعم باطل. فلا الرجل يستطيع أن يقوم ببعض الوظائف التي تقوم بها المرأة والتي فطرها الله عليها كالحمل والإرضاع وغيرها ولا المرأة تستطيع أن تقوم بالأعمال الشاقة التي يقوم بها الرجل. فالإسلام هو دين الواقع والفطرة وليس دين المثاليات والأفلاطونيات الخيالية)[١]. وقد رد على هذه المغالطات أيضاً الدكتور محمد محمد حسين حيث قال: (...وينبغي لهم أن يعرفوا أن الحق واحد لا يتغير، ومهما يتقادم العهد على الباطل فسيظل باطلاً، ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وإن حاد عنه كل الناس، ثم إنه لا يبقى على توالي الأزمان إلا الحق، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة. والحق هو الناموس، هو قانون الله الذي لا يتبدل، هو فطرة الله التي فطر عليها الخلق، هو ما ركبه الله سبحانه وتعالى في طبائع الأشياء حين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وناموس الله ثابت لا يتبدل ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[٢]. ولكن الذي يحول ويزور هو المعاند لسنة الله وفطرته. والذي يعارض الناموس ويخرج على الفطرة كالوعل الأحمق الذي وصفه الأعشى قديماً حين قال: «كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل». أن الأرض لا تستطيع أن تخرج على ما رسم لها من مدار، والليل لا يسبق النهار، وكل كوكب يدور في فلكه وكل كائن يسير فيما رسم له من منهج ومن طريق. والفطرة التي فطر الله عليها كل واحد من خلقه فأعطاه خلقاً خاصًا وأقامه فيما أراد، هي جزء من الناموس وهي بعض إرادة الله سبحانه. والأمانة التي يحملها كل واحد من خلق الله هي أن يبذل قصارى جهده في أداء الوظيفة التي أقامه الله فيها. وليس من شيء في خلق الله إلا هو منقاد لإرادة الله سبحانه وتعالى مسلم لها، يسبح خالقه بأداء الدور الذي رسم له في استسلام لإرادته. نجد ذلك في النحل وفي النمل وفي الحيوان كله وفي النبات بضروبه والدواب بأنواعها، وفي الكواكب والأجرام وفي مختلف الظواهر. ولا يشذ عن ذلك إلا الإنسان الذي ميزه الله عن سائر خلقه بالعقل، فحمل بذلك أمانة

---

(١) انظر كتاب: Islam: The Misunderstood Religion, 90 - 130.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٢.

لا يحملها أحد من سائر خلقه فهو إن استخدم هذا العقل في طاعة الله بلغ به عمله حوزاً لا يبلغه شيء من خلقه، وإن شرد به عقله في غير سبيل الله ضل وهوى إلى قرار سحيق)[1].

والمرأة الغربية التي يدعونا المستشرقون للاقتداء بها تعيش هي نفسها في فراغ روحي كبير، وصراع نفسي مرير، كما سنرى إن شاءالله في الباب الخاص باستمرار حيرة النصارى وتخبطهم. . ولعله من الملاحظ أن وسائل الإعلام الغربية لا تفتأ تتحدث وتكثر الحديث في هذا الموضوع. ومن أمثلة ذلك المقال الذي أورده مراسل جريدة لوس أنجلوس تايم الأمريكية بالقاهرة تحت عنوان «المرأة المسلمة الحديثة تعود للحجاب» حيث يقول ما ترجمته: «نرى اليوم وفي دول شمال أفريقيا الآلاف من الشابات المسلمات وقد عدن للحجاب بعد أن تخلت عنه أمهاتهن وتركنه جانباً. وهذه العودة كانت استجابة لتوجيهات القرآن حيث جاء فيه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

إن ظاهرة انتشار الحجاب بصورة مذهلة تدل على أن هناك حركة نشاط واسعة لإحياء التراث الإسلامي في جميع مجالات الحياة من اقتصادية وتعليمية واجتماعية وخلافه، وإن تلك الصحوة الإسلامية تأخذ طريقها اليوم في العالم الإسلامي بأجمعه، وهذا ما يخيف المنصرين ويزعجهم فينشطوا في الكيد للإسلام والدس عليه.

---

(١) حصوننا مهددة من الداخل ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) سورة النور: ٣١.

المبحث الثالث: النشاط التنصيري في ديار المسلمين

إن التنصير الذي يسميه أهله (التبشير المسيحي) ويجاريهم للأسف في ذلك بعض المسلمين هو في حقيقة أمره دعاية مركزة لأناجيل النصارى ومحاولة مستميتة لنشرها في جميع أرجاء العالم، يضاف إلى ذلك كل الأعمال والنشاطات التي يمكن أن تؤدي إلى تحقيق تلك الرسالة. وهذه الأعمال تتركز حول تقديم الخدمات، من طبية، وتعليمية وغيرها للمحتاجين من الأمم المغلوبة على أمرها كوسيلة لإخضاعهم ودفعهم لقبول الدعوات التنصيرية.

ويركز المنصرون هذه الأيام نشاطهم التنصيري على الدول الإسلامية بالذات ويستخدمون في ذلك شتى أنواع الهجوم المباشر وغير المباشر على الإسلام، وهم يركزون ـ كما رأينا من قبل ـ على الزعم القائل بأن الإسلام دين رجعي ومتخلف، ولا يصلح لمواكبة القرن العشرين، ويدعون المسلمين للبحث عن البديل في عالم الغرب المتحضر.

وبالرغم من أن هؤلاء المنصرين يدّعون بأن الإسلام نظام قديم ورجعي ومتحجر ولا يواكب المدنية الحديثة إلا أنهم وفي نفس الوقت يشجعون المسلمين على البحث عن تراثهم وحضارتهم القديمة التي كانت سائدة قبل ظهور الدعوة الإسلامية، وينادون بإحياء التراث القديم، واللغات القديمة، كالتراث النوبي القديم واللغة النوبية وغيرها وذلك في محاولة منهم لمحو اللغة العربية التي نزل بها القرآن. ونجد أن المنصرين قد استفادوا من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة في نشر دعاويهم الباطلة واستخدموا في ذلك كل القوى التي أنتجتها لهم مدنيتهم الحديثة مثل الكتب، والصحف والنشرات ووسائل الإعلام الأخرى من دور السينما والإذاعة والتلفزيون وغيرها، يضاف إلى ذلك إرسال الدعاة والمنصرين إلى ديار المسلمين في هيئة خبراء وأخصائيين ومستشارين لا هم لهم إلا محاربة الإسلام والحط من شأنه وتأليب الناس عليه.

نشأة الإستراتيجية الحديثة للتنصير:

إن المنظمات التنصيرية تدعي أنه من واجبها التبشير بالمسيحية بين الشعوب التي يعتبرونها لادينية. هذا الزعم هو الأساس الذي يبني عليه النصارى أحلامهم في تحويل جميع شعوب العالم للمسيحية وذلك لكي يبنوا مملكة الإله في الأرض كما يدعون. وهذا النشاط التنصيري قديم جدًا، ولكن الجهود النصرانية الحديثة بدأت منذ ظهور ما يعرف بعصر النهضة الحديثة في أوربا. ولقد بدأ التطبيق الفعلي لخططهم الرامية لتنصير العالم عندما عملت الكنائس على إيجاد منظمات تنصيرية تدعمها وتديرها الهيئات الدينية المسيحية العالمية. ولقد تمكن هؤلاء المنصرون من تحويل بعض الشعوب الوثنية إلى المسيحية كما أنهم قد تجرأوا على العمل بين المسلمين حتى في بلدان الجزيرة العربية.

ولقد بدأ نشاطهم في هذا الجزء من العالم الإسلامي في أوائل القرن الثامن عشر. يقول في ذلك الدكتور عبدالملك خلف التميمي ما نصه: «إن العمل التبشيري بأحدث أشكاله هو شكل متأخر عن أشكال النشاط المسيحي والذي بدأ في القرن الثامن عشر عندما أصبح مؤسسة تبشيرية تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية العالمية. وبالتأكيد فإن الاتجاه التبشيري هو تطور حديث، وقد استطاع أن يدخل أو يعيد المسيحية إلى عدد كبير من البلاد الجديدة وبخاصة في أفريقيا وأمريكا الجنوبية والهند.. والأسباب التي دعت إلى قيام هذه المؤسسات ومهدت لها كثيرة. والعوامل الثلاثة الرئيسية التي تضافرت بشكل مباشر أو غير مباشر في قيام العمل التبشيري هي: عصر النهضة وحركة الإصلاح والتوسع الأوربي.. وكان للانقسام الذي وقع في الكنيسة والجهود التي قام بها الكاثوليكيون وخصومهم الجدد من البروتستانتيين لنشر أفكارهم وتقوية كنائسهم أثر كبير في جميع الاتجاهات الدينية بما في ذلك العمل التبشيري.. وكما هو الحال في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فقد قام التوسع الغربي بإعادة المسيحية إلى بلاد العرب. وقد شعر مسيحيو الغرب أبان التوسع الغربي بأنهم كانوا في مركز يسمح لهم بأن يبدأوا نشاطهم الديني في بلاد العرب، وقد بدأت الإرساليات الغربية عملياتها في هذه المنطقة منذ مطلع القرن الثامن عشر في الشام. وكان نشاطهم فيها محدوداً

حيث اقتصر على مدارس متفرقة قليلة وبعض معاهد اللاهوت ونشر الكتب الدينية. وكان جميع المبشرين كاثوليك وغالبيتهم من الفرنسيين، وأول إرسالية أمريكية بروتستانتية وصلت إلى سوريا في سنة ١٨٣٠م، وكان أعضاؤها يتبعون الهيئة الأمريكية للإرساليات العربية والتي سبق وأن أنشأت محطة لها في مالطا. وشعروا بضرورة نقل نشاطهم التبشيري والتوغل في الشرق، وحطوا رحالهم في بيروت والتي كانت أول محطاتهم، وجعلوا منها أهم مركز لهم. وبدأ المبشرون الأمريكيون نشاطهم التعليمي هناك متخذين منه وسيلة لتحقيق أهدافهم، وأدى ذلك إلى تطور ملموس في سوريا في ذلك الوقت وقد استطاعوا التأثير في الناس عن طريق التعليم والطب. وعندما بدأوا يحسون بالاستقرار شعروا أن الوقت قد حان لفتح ميادين جديدة. والواقع أن جهود الإرساليات المسيحية للإنتقال إلى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي بدأت مع هنري مارتن سنة ١٨١١م وكان أهم ما قام به من أعمال ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية والمحاولة التي قام بها لبيع بعض النسخ منه)[١].

ولقد ساعد الاستعمار الغربي في النشاط الكنسي عندما استولى على شعوب العالم الثالث وأخضعها لسلطانه عنوة واقتداراً.

ويرى المنصر نيل ستيفين أن فضل انتشار المسيحية في ربوع العالم أجمع يرجع إلى خروج العالم الغربي لغزو الدول النامية مما مهد لتلك الشعوب معرفة المسيحية وأتاح لهم الفرصة لاعتناقها[٢].

بعض الأساليب التي تتخذها الكنائس لتنصير المسلمين:

تحاول الكنائس أولاً تقوية موقفها في العالم الغربي بعد أن خرج على تعاليمها كثير من الناس في هذا العصر خاصة بعد أن أدركوا فساد الأقوال التي تنادي بها. ولقد صرح كثير من أبناء الكنائس بأن دول الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية مقبلة على عصر العلمانية فصاروا يفكرون في إيجاد مجالات

---

(١) التبشير في منطقة الخليج العربي: ٣٢ ـ ٣٨.

(٢) انظر كتاب: Colonialism and Christian Mission by Neil Stephen, Published in U.S.A., P. 423 - 425.

جديدة لدعوتهم، خاصة بين شعوب دول العالم الثالث. وفي هذا يقول الدكتور علي العربي في مقاله بجريدة الوطن الكويتية ما نصه: (الناس هنا ـ يقصد في أمريكا ـ سئموا كثيراً من دعاوى أديانهم الباطلة. تاريخ الدين المسيحي في القرون الوسطى ومحاربته للعلم قد ترك أثراً سيئاً لا ينمحي، والكنيسة تسعى جاهدة في محاولات يائسة لكسب عطف هؤلاء الناس. وبالرغم من هذه الجهود فإن الناس ما فتئوا يبتعدون عن الكنيسة حتى أن كثيراً جدًّا من علماء اللاهوت أنفسهم صاروا يصرحون بأن أمريكا مقبلة على عصر العلمانية. إذن ما العمل؟ العمل في نظرهم يشتمل على خطوات كثيرة منها:

١ ـ الإستمرار في محاولاتهم إجتذاب عطف الناس وكسب ودهم بشتى الوسائل مثل تبني القضايا السياسية ذات الطابع الإنساني المنحاز إلى صفوف الفقراء والمستضعفين والمنبوذين ومحاولة الإفادة من ذلك في تقوية مركز الكنيسة وتجنيد الأتباع لها والمؤيدين.

٢ ـ تحويل الكنيسة من مكان للعبادة إلى ناد اجتماعي ومركز للهو والسكر والعربدة وقضاء السهرات الحمراء.

٣ ـ الخروج بالعمل الكنسي إلى الدول الفقيرة والشعوب المستضعفة المحتاجة للقمة العيش والتي عادة لا يحتاج الإنسان في إقناعها إلى كثير من الحجج والبراهين العقلية من ذلك لجوئهم إلى حملات التنصير بين الشعوب البدائية في بعض مناطق أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية..

٤ ـ وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة والخطيرة وهي جهود الكنيسة المتوالية لتنصير المسلمين وفتنتهم عن دينهم وهذا الجهد ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

ا ـ محاربة الإسلام في ديار المسلمين عن طريق بناء الكنائس، إنشاء الجمعيات التنصيرية ذات المظهر الخيري. إنشاء المدارس والمستشفيات، العمل عن طريق هيئات غوث اللاجئين والخبراء في مختلف المجالات، توزيع الكتب والمنشورات، توجيه الإذاعات ذات البرامج التنصيرية للعالم الإسلامي، تشجيع المنظمات والمؤسسات المناوئة للإسلام، نشر الفكر الإباحي ونوادي الروتاري، تشجيع الرذائل بمختلف الأساليب، محاولة شراء العقارات وتمكين الأقليات النصرانية من التحكم في اقتصاديات

وشئون البلاد الإسلامية، التشجيع على ضرب الحركات الإسلامية والكيد لها ومناصبتها العداء المستتر والمعلن أحياناً.

ب ـ محاربة الإسلام في الدول غير الإسلامية وهذا ينبني على إستراتيجية مزدوجة يتمثل الشق الأول منها في: الهجوم الوقح والسافر على الإسلام متخذاً من كل أجهزة الإعلام أداة لهذا الهجوم الذي يطالعك هنا صباح مساء.

أما الشق الثاني فهو يتمثل في محاولاتهم الدائبة لاستمالة الوافدين من المسلمين وأولئك الذين اهتدوا للإسلام حديثاً من الأمريكان لكسب ودهم وثقتهم واحترامهم ومن ثم استدراجهم إلى نبذ الإسلام ومناصبته العداء[1].

وقد حاول هؤلاء المنصرون التسلل فعلاً إلى الدول الإسلامية عن طريق وزارات التوجيه التربوي والفني ليتخذوا منها وسيلة لبث سمومهم التنصيرية وذلك بمهاجمة الإسلام واللغة العربية. ولقد عمل هؤلاء المنصرون في الأرياف العربية لسلبها عروبتها وإسلامها. يقول الدكتور محمد محمد حسين في ذلك ما نصه: «لقد وقع بين يدي في هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت في العام الماضي (يوليو ١٩٥٦م) يحتوي على محاضرات في نظم التربية هي سجل لما دار في مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة، واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية في مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان.. ولقد تبين للمستشرقين الذين يبحثون في شئون هذا الشرق الإسلامي والعربي أن تأثير الفرنجة أو ما يسمونه Westernization لم يتجاوز المدن، لأن كل الوسائل والأساليب التي يستخدمها الغربيون في هذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء للأقلام وللذمم وللرجال إلى آخر ما هنالك، كل ذلك لا يصل إلى الريف، ولا يتجاوز حدود المدن. فما الذي صنعته أمريكا لتلافي هذا النقص، والاحتيال لدخول الريف الذي عجز التبشير وعجزت الأساليب الإستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة؟

---

(١) جريدة الوطن الكويتية، الجمعة ٢٥ مارس ١٩٨٣م: ٧.

اخترعت أمريكا تحت ستار (الدولية) وعن طريق (الأمم المتحدة) شيئاً إسمه (التربية الأساسية) وما هي التربية الأساسية؟ يقول الدكتور حامد عمار.. التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح الاجتماعي لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية وتغيير الأفكار والنزعات إلى جانب تغيير الأوضاع المادية.. ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادي لابد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير في تفكير الناس، وفي الاتجاهات الفكرية والنفسية حتى يمكن أن يكون العمل منتجاً إنتاجاً كاملاً.. وواضح أن تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات الذي أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة، تروج باسم العلم ـ علم مزعوم لا يستقر له قرار ولا يقطع في ظاهره برأي يتفق عليه أصحاب الرأي، يسمونه علم النفس ـ وواضح أيضاً أن هذا التغيير ـ تغيير الإفكار والنزعات والاتجاهات ـ لا يبالي أن يخالف الإسلام وتعاليمه في الريف المسلم؛ لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر. ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخواجات) يختفون خلف الشخوص العربية التي تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها، وواقع الأمر أنها لا إرادة لها، وأنها تسير في خطوط مرسومة وحسب خطط مدبرة قدرها أناس أقل ما يوصفون به أنهم لا يبالون بالإسلام وتعاليمه إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس)[1].

إستغلال الفقر كمدخل للتنصير:

نجد أن أيدي المنصرين قد امتدت أيضاً إلى الدول الأفريقية الفقيرة والتي ألجأت الصراعات الداخلية أهلها إلى ترك بلادهم والتكدس في معسكرات اللاجئين. وخير مثال على ذلك الصراع الدائر في منطقة القرن الأفريقي حيث نجد أن هذا الصراع قد خلق مأساة إسمها مأساة اللاجئين الأرتريين والصوماليين. والشيء الملحوظ أن ٨٠٪ من هؤلاء اللاجئين هم من النساء والأطفال، وجميعهم من المسلمين. ولقد اندس المنصرون وسط هؤلاء اللاجئين في محاولة للتعرف عليهم ثم إرغامهم على تجرع الأفكار الصليبية مع كل قطرة ماء ومع كل لقمة خبز

---

(١) حصوننا مهددة من الداخل: ٢١ ـ ٢٣.

يتكرمون بها عليهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا تصر المنظمات التنصيرية على العمل وسط المسلمين بالذات؟ وهل حقًا هدفهم هو نشر مبادىء المسيحية من محبة وسلام إلى آخر هذه التخرصات الكاذبة بين الناس؟ لو كان الأمر كذلك أما كان الأحرى بأصحاب المنظمات التنصيرية الأمريكية أن يبدأوا بإخوانهم في أمريكا ذاتها حيث تزداد أعداد العلمانيين واللادينيين والملاحدة يوماً بعد يوم؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتمثل في شيء واحد أقره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]. ولقد ظهر المنصرون بوجوههم الكالحة في كثير من أصقاع العالم الإسلامي يعملون على محاربة الإسلام جهاراً نهاراً ولا أحد من المسلمين يتصدى لهم. ولقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية مقالاً حول نشاط المنصرين في جيبوتي الدولة المسلمة التي تقع على الساحل الشرقي لقارة أفريقيا جاء فيه: (..ونظراً للظروف القاسية التي يعيشها سكان جيبوتي والتي تعد تربة خصبة للنشاط التنصيري توافدت بعثات المنصرين على جيبوتي باسم تقديم المعونات والخدمات الأساسية للفقراء المسلمين وذلك للتغرير بهم وصدهم عن عقيدتهم.

لقد نجحت بعض الشيء خطط الإستعمار الهادفة لإبعاد سكان البلاد عن الإسلام ومبادئه، فقد حطم الإستعمار أخلاق أكثر السكان بتشجيعه لشرب الخمور وأكل شجرة القات الخبيثة ونشر الفساد والدعارة بين الشباب والفتيات.

وقد لوحظ أن نشاط التنصير تضاعف في السنوات القليلة الماضية بشكل ينذر بالخطر فمراكز التنصير أصبحت لا تواجه الناس بالدعوة المسيحية صراحة في أغلب الأحوال ولكنها تبدأ بتقديم المساعدات إلى الناس فتقدم لهم اللبن للأطفال والأرز للكبار ويقوم المنصرون في هذه المراكز بتعليم الأولاد القراءة والكتابة وتعليم النساء الخياطة وتعليم الشباب الحرف الصناعية كل هذا طبعاً مع مبادىء المسيحية لكن بطريقة غير مباشرة. وهم مع ذلك فهم ليسوا بحاجة إلى التبشير

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

بالمسيحية صراحة لأن مجرد تعليم الأولاد اللغة الإنجليزية فعلاً معناه أنهم سيصبحون متنصرين. فمع الزمن سيحبهم الأطفال وتثق بهم النساء ويعمل معهم الشباب، ومع الوقت يتحول الناس مبتعدين عن الإسلام ومقتربين من المسيحية رويداً رويداً.. وكذلك فإنه من الأساليب الفعالة التي يتبعها أولئك المنصرون الجدد، الوقوف إلى جانب الفقراء والمساكين وتبني الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي دون أن يشيروا بكلمة إلى غرضهم التنصيري فيبدو المنصر في صورة المصلح الاجتماعي أو المعلم أو نصير الضعفاء فيكسب قلوب الناس فإذا تم له ذلك أصبحت مهمته سهلة يسيرة.. هذا عن التحركات والنشاطات في العاصمة جيبوتي أما في الأقاليم فإن نشاط المنظمات التنصيرية يعتبر أكثر وأوضح حيث السكان أشد فقراً وأحوج إلى من يقدم لهم شيئاً من أسباب الحياة أيًا كان نوعها، وهم أبعد عن التعليم الإسلامي الذي يعينهم على المقاومة، وربما لا يفرقون بين التنصير المسيحي وبين الإسلام. وكل ما يقدمه الرجل الأبيض لهم من مساعدة يعتبرونها رحمة من الله. والظروف مهيأة لهذا النجاح التنصيري والمجال مفتوح أمامه بسبب أن السكان هناك بطبيعتهم السطحية وعدم ثقافتهم الإسلامية بالإضافة لظروفهم الاقتصادية غير ثابتة المصدر وخاصة بين أوساط اللاجئين المنكوبين الذين لهم وضع أسوأ جدًا)[1].

إستغلال وسائل الإعلام للأغراض التنصيرية:

كتب أحد المنصرين ويدعى بولس مقالاً في مجلة أمريكية تتحدث عن أخبار الكنائس يوجه فيه نداء إلى هيئة التلفزيون الأمريكي جاء فيه ما ترجمته: (.. أن جمهورية مصر العربية يمكنها أن تتحول كلية إلى جمهورية مسيحية. لقد زرت القاهرة مبشراً بالديانة المسيحية قبل خمسة وعشرين عاماً لكنني لم أجد أمامي إلا الصمود وعدم المبالاة بما أقول لكنني زرت مصر مرة أخرى عام ١٩٨٠م ومعي جماعة من المبشرين للضغط على الرئيس المصري أنور السادات لكي نوصل البث الإعلامي من محطات التلفزيون الأمريكية إلى مصر وخاصة

---

(١) مجلة المجتمع، الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٠٤هـ الموافق ١ نوفمبر ١٩٨٣م، العدد ٦٤٣، ص ص: ٣٠ ـ ٣٣.

منطقة سيناء، بالذات فرحب الرئيس المصري بالفكرة وبدأنا فعلاً العمل في منطقة سيناء، وهذا نصر أكيد للمسيحية في جمهورية مصر الإسلامية.. إننا بواسطة تلك المحطة التي سنقيمها في سيناء ستتمكن من الدخول على قلوب كثير من المصريين وتعدادهم يقارب إثنين وأربعين مليون مسلماً. في البداية سيصل عملنا إلى الواحد ونصف مليون الذين يعيشون في القاهرة وحدها وسنبث النشاط التبشيري المسيحي بينهم وبهذا ستتمكن من القضاء على الإسلام في مصر)[1].

كما ورد في مجلة الأخبار التي يصدرها الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية في أسبانيا ما يلي:

(في مصر بدأت منظمة Vision International World الأمريكية مشروع مساعدات عام ١٩٨٢م في منطقة الزرايب في مدينة القاهرة (منطقة تجميع الزبالة والقمامة). ويقدر عدد العاملين والقاطنين في هذه المنطقة بعشرة آلاف يقومون بفرز القمامة التي يلقي بها سكان القاهرة البالغ عددهم عشرة ملايين. فبقايا الطعام لتغذية الخنازير والعلب التنكية والزجاجات تباع لتجارها المتخصصين في المدينة. ويعتبر جامعو القمامة هؤلاء أدنى مستنقع للعاطلين ممن لا مهن لهم.

ويجيء هذا المشروع بالتعاون مع المنظمة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية بهدف تأمين العناية الصحية السليمة والتعليم والتدريب المهني والتغذية وتنمية الدخل والإنعاش المسيحي. ومدة المشروع أربع سنوات وميزانيته مليون دولار. وتقول الراعية (القسيسة) بشرى التي أقامت أول كنيسة في (الزرايب) بإمكاني الآن أن أريكم ما لا يقل عن ٢٥ أسرة تركت عمل القمامة واكتسبت حياة أكثر استقرارا)[2].

وقد قام الغرب المسيحي بنشاط تنصيري واسع في الأعوام الأخيرة وخاصة في ١٩٨٠م بالذات. ولقد عملت الفرق التنصيرية عن طريق راديو صوت أفريقيا في تنزانيا لكسب أكبر عدد من المسلمين في قارة أفريقيا. وقد ذكر ذلك في مجلة

---

(١) The Church World Service Annual Report, 1980 Vol. IX No. VI

(٢) مجلة الأخبار العدد ١، السنة ١٨ ـ الاثنين ١٧ محرم ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٨٣م.

البلاغ حيث ورد فيها ما نصه: (. .قد عقدوا لهم مؤتمراً في أروشا في تنزانيا عام ١٩٨١م استكمالاً لمؤتمر سابق كان قد عقد في نيجيريا في أواخر عام ١٩٨٠م. وقد قرر أعضاء مؤتمر أروشا بالإجماع على أن تقوم جميع الكنائس اللوثرانية التابعة لاتحاد الكنائس بأفريقيا بالمشاركة الفعلية العميقة في إذاعة صوت أفريقيا الموجهة بعدة لغات إلى مختلف أقطار القارة الأفريقية. وكان المجتمعون يمثلون دول الكامرون، ليبيريا، مدغشقر، السودان، تنزانيا، زائير، أثيوبيا، زمبابوي إلى جانب ممثلين عن اتحاد الإذاعات الدولية المسيحية المسمى فيبا. وقد أكد المجتمعون على ضرورة اعتبار راديو الفيبا هو الأساس في عملية التنصير بالذات بالنسبة لمنطقة شرق أفريقيا. . هذا وقد أكدوا جميعاً على أنه يجب أن تكون خطط البث وقراراته كلها موضوعة بأيدي أفريقية. .

وقد صرح الكاردينال (روس) المسئول عن التنصير في المعهد الكاثوليكي الروماني بأن أفريقيا ستكون في القرن الحادي والعشرين إما مسيحية بكل سكانها وإما مسلمة. وأوضح ذلك قائلاً بأن مستقبل أفريقيا مجهول حتى الآن وذلك ناجم عن عدم الوحدة بين الأفارقة أنفسهم من جهة وكثرة المشاكل التي تواجههم من جهة أخرى.

لذلك يجب إحضار جميع الأساقفة ورجال الدين المسيحي الموجودين في أفريقيا إلى روما لإعطائهم مناهج على مستوى مكثف لكي يساعدهم ذلك على القيام بواجبهم لتوحيد أفريقيا وحل مشاكلها.

وأضاف الكاردينال قائلاً: بأن الثورة النفطية في العالم العربي تعتبر الآن ميزة كبرى لدعم الإسلام ونشره في العديد من الدول الأفريقية مما يؤثر على التنصير ويحد منه، ويتجلى ذلك للدعم العربي الإسلامي لكثير من دول أفريقيا مما يوجب على الكنيسة محاربته والعمل على تكثيف الحملات التنصيرية لأفريقيا)[١].

ويعمل المنصرون في بث تلك السموم عن طريق الإذاعات والصحف

---

(١) مجلة البلاغ، العدد رقم ٤، عام ١٩٨١م، ص ١٤ ـ ١٦.

والمجلات وغيرها لإفساد الشباب المسلم تمهيداً لاستمالتهم نحو المسيحية أو حتى إبعادهم عن الإسلام. يقول الدكتور محمد محمد حسين منتقداً ما وصلت إليه الصحف والإذاعات في مصر من تقليد للمنصرين واتباع لأباطيلهم وتعلق بأكاذيبهم ما نصه: «. . خذ لذلك مثلاً من الإذاعة، فالسياسة التي تجري عليها هي إشباع الشهوات لا الإرشاد، وهي في كثير مما تهز به أجواء الأرض من كلمات أو أصوات تفسد، ولا تصلح، وتغوي ولا تهدي. . وأعجب ما يحتج به القائمون على هذه البرامج وعلى غيرها من ضروب التلهية شيء جديد من مبتكرات هذا العصر، افتتن به القرود المقلدين أيما افتتان ورصدت له مصلحة الفنون ومجلس الآداب شطراً كبيراً من جهودهما اسمه (الفلكلور). والفلكلور (Folklore) اصطلاح ظهر في أوروبا في منتصف القرن الميلادي الماضي ليدل على الدراسات التاريخية التي تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وخرافاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم وما يجري على ألسنتهم من أغان أو أمثال. . وقد انصرفت هذه الدراسة في أكثر الأحيان إلى المجتمعات المتخلفة وإلى المستعمرات بقصد التعمق في تحليل نفوس أصحابها وإدراك دوافعها ونوازعها، وفهم ما ينظم عواطفها وتفكيرها من منطق بغية الوصول إلى أمثل الطرق وأحذق الخطط للتمكن منهم. . وأكثر ما كان هذا الشطط في مذاهب دعاة العزلة والانفصال الذين كانوا يعارضون الإسلام والعروبة بالفرعونية في الفترة التي تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. فقد كان يزعم هؤلاء الغلاة من الإنفصاليين والهدامين أن تغير الدين في مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات. وكانوا يحتالون لرد حياتنا المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم، ويدعون إلى أن تقوم نهضتنا على بعث المجد الفرعوني القديم مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليوناني الروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية. . ومن أمثلة هذه المقالات المنحرفة مقال عنوانه: «صراع القومية المصرية من غزو الإسكندرية حتى الفتح الإسلامي». . وهو مقال طويل كله تقديس جنوني للفرعونية وحط من قدر العرب والإسلام. . ولقد بلغ بالكاتب تقديسه للوطنية المصرية بهذا المعنى الشعوبي

المتطرف حدًّا ما يقرب من الشرك فكان من سوء إختياره للألفاظ أن وصفها بما اختاره الله جل وعلا لنفسه فقال: إنها لا تدركها سنة ولا نوم.. وأنزل الدين منزلة تلي في قداستها وسلطانها على النفوس هذه الوطنية، إذ جعل اعتناق المصريين للمسيحية مظهراً من مظاهر المقاومة الوطنية للإحتلال الروماني وأظهر عجبه لتحول المصري عن الوثنية إلى المسيحية متسائلاً: كيف لم يحرص المصري على ديانته العتيقة وهي آخر صلة له بمجده الغابر؟)[1].

ولعل من أخبث وسائل المنصرين وأشدها فتكاً بالشباب هي محاولاتهم الدائبة للسيطرة على منشآت التعليم والتوجيه بالعالم الإسلامي وصبغها بالطابع اللاديني. ويضرب الدكتور محمد محمد حسين أمثلة لذلك بحلقة الدراسات التربوية للتفاهم العالمي والتي عقدت تحت لواء اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥م وترأسها عبدالعزيز القوصي فيقول ما نصه: (فمثل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم في العالم العربي وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدي إلى ضياع الجيل القائم والجيل القادم ضياعاً لا تقوم معه نهضة في هذه المنطقة)[2].

ويلخص الدكتور عبدالملك خلف آراء النصارى في دعاويهم بضرورة نشر التعليم ومساعدة الأمم بتقديم الخدمات للناس من بناء المدارس، وتقديم الأساتذة والفنيين وغيرهم في قوله: (لقد كان التعليم يحظى باهتمام الإرسالية الأمريكية العربية كوسيلة للتبشير، فهو يتصل بالخلق المسيحي لاعتقاد المسيحيين بأن المسيح كان معلماً وكان يدعو أتباعه دوماً لنشر تعاليمه بين الناس. وقد أكد العهد الجديد على أهمية التعليم كما هو واضح من الأقوال التالية:

«وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز بشارة الملكوت»[3].

ويذكر أيضاً:

«وابتدأ أيضاً يعلم عند البحر.. وكان يعلمهم كثيراً

---

(١) حصوننا مهددة من الداخل: ٥٩ ـ ٧٥.

(٢) حصوننا مهددة من الداخل: ١٩٨.

(٣) متى: ٤: ٦.

بالأمثال»[1].

وفي موضع آخر:

«وفي سبت آخر ذهب إلى مجمعهم وكان يعلم فيه».

ويفهم المسيحيون المبشرون التعليم كما أوضحه باسيل ماثيو بأنه «هو تعليم يكشف عن أسرار الكون عن طريق الجغرافيا والتاريخ والعلوم والرياضيات ونحوها كما أنشأه الله ودبر أمره. هو روح قاهرة كشف عنها السيد المسيح.. تعليم لحقيقة السيح وما يعنيه للفرد والمجتمع».

وانطلاقاً من هذا المفهوم للتعليم كان المنصرون يعتقدون أن من واجبهم تعليم الإيمان المسيحي متخذين من التعليم وسيلة للتأثير على غير المسيحيين. ويتضح من تعريف ماثيو للتعليم بأنه ـ بشكل رئيسي ـ تعليم ديني يهدف إلى نشر الفكر المسيحي وفي مقدمته الإنجيل. وهناك آراء مختلفة وربما أكثر تحديداً حول التعليم من قبل قادة التنصير المسيحي منهم القس هوتون Hoton حيث حدد رأيه بالنقاط التالية:

ا ـ يجب أن يكون الهدف التبشيري غالباً على التعليم.

ب ـ يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول في الدروس اليومية وحضور هذه الدروس يجب أن يكون شرطاً للقبول في المدرسة.

جـ ـ يجب أن يكون الهدف التبشيري ظاهراً وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية.

د ـ يجب بذل الجهود للحد من إستخدام المدرسين غير المسيحيين.

هـ ـ يجب على خبراء التبشير أن يضعوا في حسابهم أهمية هذه الأمور وارتباطها بالنشاطات التبشيرية الآخرى[2].

وبالرغم من أن باسيل ماثيو يركز على أقوال السيد المسيح في تبريره لموقفه من بث سموم التنصير وسط الأمة الإسلامية إلا أن الحقائق التاريخية للمسيحية لا تسند قوله هذا حيث وقف أهم آباء الكنيسة ضد العلم وحاربوه محاربة شديدة.

---

(١) مرقص: ٢: ٦٠.

(٢) التبشير في منطقة الخليج العربي: ص ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

ومن أمثلة ذلك القديس أوغسطين الذي تصدى للعلم وحاربه محاربة شديدة وادعى أن الدين والعلم لا يجتمعان قط. ومن المعروف لديهم أن القديس أوغسطين يعتبر من أهم آباء الكنيسة المعتد برأيهم. وتعتبر مدارس اللاهوت وآباء الكنائس أقوال أوغسطين ـ حتى يومنا هذا ـ مرجعاً أساسيًا لكل فلسفة الأديان المسيحية دون منازع. وقد جاء في كتاب تاريخ الفلسفة الغربية نبذة عن آراء أوغسطين نورد منها ما ترجمته: (انتقد القديس أوغسطين العلوم الطبيعية وقال: إن الجري وراء تلك العلوم يوقع الإنسان في الكبر الممقوت ويجعله يعتز بفكره وعقله وينسيه الإله الخالق. ويظن القديس أوغسطين أن البحث في العلوم الإجتماعية والطبيعية في اليونان القديم وحب الإستطلاع لدى الإغريق هو الذي أوقعهم في الكبر، وعليه فهو يتجنب الإشتغال بمثل هذه الأمور ويحذر غيره من الجري وراءها لأن تلك الأشياء جميعها من الأسرار الإلهية والتي يجب أن لا نبحث عنها لأن الرب نفسه لا يريد لنا معرفتها. وعليه فلا يجب على الإنسان إقحام نفسه في هذا المجال الذي انفرد الرب بمعرفته.. إن أوغسطين أراد أن يبعد المسيحية عن العلوم الطبيعية بالذات وكتب ذلك لنا في عبارات صريحة وواضحة لا تحتمل التأويل «إن أي شيء يبدو لنا غامضاً مجهولاً فهو من أسرار الرب التي لا يريدنا هو نفسه أن نطلع عليها. ولذلك فإنني أرى أنه من الأفضل أن نعيش في جهل من أن نحاول اكتشاف أسرار الرب ونقع في الغرور الممقوت»)(١).

إتخاذ الخدمات الطبية كمدخل للتنصير:

يحاول المنصرون في بعض دول العالم الإسلامي التستر خلف تقديم الخدمات الطبية ليجعلوها وسيلة لبث أفكارهم بين الناس. ولقد أورد الدكتور عبدالملك خلف في كتابه المذكور آنفاً بعضاً من حججهم ووسائلهم في هذا الشأن قائلاً: «كانت الخدمة الطبية كوسيلة للتبشير تحظى دوماً بالأولوية في مهمات المبشرين، وقد لعبت دوماً الدور الأكبر بين أنشطة الإرسالية الإجتماعية. وكان تقديم مثل هذه الخدمات جزءاً من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة

---

(١) A History of Western Philosophy P. 129.

الناس وشفائهم. وقد قال الدكتور بننجز (Pennings) في معرض إجابته على سؤال للباحث عن السبب الذي يدعو الإرسالية لاختيار هذه الوسيلة طريقاً للتبشير:

من السهل معرفة السبب. إن المسيح كان معلماً ومداوياً، وفي الواقع كان طبيباً، إن ما نفعله هو تأسي خطاه»[1].

ولكن هذا القسيس الكذاب نسي أو تناسى أن كل الأناجيل تجمع على أن عيسى لم يكن طبيباً، بل كان بزعمهم إلهاً أو ابناً للإله، وأن مداواته للأكمه والأعمى والأبرص لم تكن معالجة طبية، وإنما كانت معجزة من المعجزات التي أجراها الله على يديه كما جاء ذلك في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[3].

ومن الأقوال الواردة في الأناجيل والتي تثبت المعجزات لعيسى ما ورد في إنجيل متى «أن بعض الناس أحضروا رجلاً أصم وأبكم وأعمى لعيسى فلما عالجه عيسى برىء الرجل فعجب الناس لتلك المعجزة ولكن عندما سمع الفريسيون ـ وهي طائفة يهودية ـ بذلك قالوا بأن عيسى إنما تمكن من علاج الرجل لأنه حليف لطائفة من الجن تساعده وتسانده في إنجاز تلك المعجزات. ولكن عيسى أنكر عليهم ذلك قائلاً: وإنني ليس مؤيداً من قبل الجن ولكن الذي يدعمني هو

---

(١) التبشير في الخليج: ص ص ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) سورة آل عمران: ٤٩.
(٣) سورة المائدة: ١١٠.

روح الإله»[1].

ولقد حاول النصارى تقليد السيد المسيح في ذلك زاعمين بأنهم إنما يتبعون نصائحه الواردة في الأناجيل، فقد ورد في إنجيل متى أيضاً: «..حضر رجل إلى عيسى وتضرع إليه قائلاً: أيها السيد ارحم ولدي. إنه مصاب بمرض الصرع، إنني أخشى أن يقع في إحدى نوباته على النار أو الماء، إنني أحضرته إلى حوارييك فلم يستيطعوا معالجته.

فأجابه عيسى قائلاً: ما أكثر عدم إيمانكم وما أفحش الغلط الذي أنتم فيه. أتظنون أني سأمكث معكم طويلاً؟ ثم قال: احضروا لي الصبي. ثم أمر عيسى الروح الشريرة بالخروج من الفتى فخرجت تلك الروح وشفي الغلام في الحال..

وبعد تلك الحادثة أتى الحواريون عيسى سرًا وقالوا له: لم لم نتمكن نحن من إخراج تلك الروح الشريرة من الفتى؟ فأجابهم عيسى قائلاً: ذلك لأنكم لا تؤمنون إلا قليلاً. إنني أؤكد لكم لو أن لديكم مثقال حبة خردل من الإيمان لاستطعتم أن تحركوا الجبال من أماكنها ولاستطعتم أن تأتوا بالمعجزات»[2].

وقد حاول النصارى تقليد المسيح في الإتيان بالمعجزات فأتوا بأفعال مشينة حقيرة لا تمت للطب ولا العلم الذي يدعونه بأدنى صلة. بل إنها أفعال وتخريفات وشعوذة ودجل لا غير. ولقد أورد السيد محمد عزت إسماعيل بعضاً من هذه الأقوال في كتابه (النصرانية والإسلام) كما يلي: «حاول النصارى من قديم دعمهم ديانتهم ببعض الشواهد المفتعلة لشد انتباه معتنقيها على أنها خوارق ومعجزات عندهم وإليك بعضاً منها فيما يلي:

١ ـ كانت هناك كنيسة في بعض البلدان تحج إليها بعض فرق النصرانية يزعمون أن يد الله تخرج إليهم من الستر فتصافحهم في يوم من السنة، فبلغ ذلك بعض رؤساء تلك الدولة فذهب إلى الكنيسة في ذلك اليوم المحدد. وعندما ظهرت اليد المزعومة قربه القسيس إليها ليقبلها، وعندئذ أمسك بها، فصاح عليه القسيس والرهبان: الساعة تخسف الأرض وتنزل الصواعق على رؤوسهم.

---

(١) من ترجمتنا باختصار عن متى ١٢: ٢٣ ـ ٢٨ من Good News Bible

(٢) من ترجمتنا عن متى: ١٧: ١٤ ـ ٢١. Good News Bible

ولكنه أصر على أن يرى وجه صاحبها. ولما لم تجد معه أقوالهم وتهديداتهم كشفوا له عن وجه صاحبها، فإذا هو أسقف منهم كان يختبىء وراء الستر.

٢ ـ كانت لبعض فرق النصارى كنيسة في بلاد المغرب وجعلوا في قبتها صليباً من حديد وأوقفوه بالهواء بغير علاقة ولا دعامة. وكانت شعوب النصرانية تحج إليها لتشاهد معجزة الصليب، ويتعجبون من تلك الآية. ولما استحوذ الإعجاب على بعض ملوكهم تباهى بهذه المعجزة على بعض خاصته من اليهود، فذكروا له أن في جهات الصليب الأربع قطع كبيرة من المغناطيس مخبأة في الجدران، ومثلها في سقف القبة وأرض الكنيسة فهي التي أوجبت قيامه، ومنعته من السقوط، فحضر ذلك الملك إلى الكنيسة في وقت كانت خالية من زوارها، وأمر بالكشف عن تلك المكعبات الممغنطة، وبمجرد محاولة العبث بها اضطرب الصليب حتى خشي سقوطه فقفل راجعاً بعد أن تكشفت له خديعتهم.

٣ ـ كما كانت لهم هناك في بلاد المغرب كنيسة، توجد بها ثريا معلقة ينزل إليها نور من فوق فتضيء في وقت معين من السنة يعظمونه ويفخمونه، ولما علم بها بعض حكامهم توجه إليها، فاكتشف أنها تشتعل بحيلة أساقفتها، ذلك أنهم مدوا من أحد الجدران أنبوبة حديد مجوفة، تنتهي إلى الثريا، فإذا جاء الوقت المحدد أرسلوا نار النفط في تلك القصبة فتخرج بسرعة فتشتعل الثريا في الحال.

٤ ـ ومنها أنهم كانوا يزعمون أن السيدة مريم أم المسيح تنزل من السماء على دار المطران بطليطلة في يوم معروف من السنة بكسوة تلبسه إياها، وهم لا يشكون في صحة هذه الأسطورة مع أنه كان من المفروض ما دامت في زعمهم أمًّا لإبن الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ـ أن يصونها عن التبذل لرجل أجنبي عنها، ويرسل إليه الكسوة بأية وسيلة أخرى.

٥ ـ عندما كان يحل عليهم عيد النور في بيت المقدس كانوا يجتمعون في كنيسة هناك فإذا اكتمل عقدهم، نزلت نار من تجويف القبة بذبالة القنديل فتشتعل بسرعة، وهنا تكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال. ولا يشكون في أنها آية

نزلت من السماء، مع أن الحقيقة أنها حيلة رجل يختبىء في إفريز القبة من الداخل، فإذا كان الوقت وقرئ الإنجيل أرسل الرجل المذكور قبساً من نار النفط، فجرت على خيط مدهون بدهن البيلسان فيتقد، ولو كان نوراً كما يزعمون لم تتقد القناديل إذ صفة النور الإشراق أما النار فصفتها الإحراق.

٦ ـ كانت هناك كنيسة في بعض بلاد الروم مشهورة، يحجون إليها في أحد أيام السنة وهناك يشاهدون صنماً بها، صنماً في شكل امرأة، فإذا قرئ الإنجيل بين يديه وثدييه خرج منها اللبن فيشاهده من حضر، ويحدث به من غاب، ويعدها آية بينة، ودلالة على صحة دين المسيحية. وبالبحث بمعرفة أحد ملوكهم تبين له وجود طاقة لطيفة وراء جدران التمثال، تصل منها إلى ثدي الصنم أنبوبة من النحاس، فإذا كان يوم العيد تم فتحها وصب فيها لبناً فيخرج من ثدي الصنم ويسقط نقطة نقطة على التدريج فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل.

٧ ـ كان يوجد قديماً بالقسطنطينية صنم له عيد في أحد أيام السنة، يحج إليه النصارى هناك من كل مكان، وإذا تلي الإنجيل بين يديه، يبكي الصنم بدموع غزار، وعندما يشاهد البسطاء الحاضرون ذلك يبكون هم أيضاً بدموع غزار، ويعجون بالضجيج والدعاء وقد كشف أمر هذه الخديعة أحد ملوك الدولة وقتئذ[١].

هذا هو تاريخهم في التحايل على الناس لنشر المسيحية. وهم إلى اليوم يسيرون بنفس منطق التحايل والمكر، وقد كشفوا عن مكرهم عندما قام الدكتور التميمي بمقابلة بعضاً من أفراد الإرسالية الطبية بالخليج العربي ولخص ما جاء في تلك المقابلة قائلاً على لسانهم: (إن الأولوية التي حظي بها هذا المدخل والأسلوب تعتمد على إشباع حاجة الأهالي الملحة إلى العلاج الطبي.. إن العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس، فقد كان مدخلاً وأسلوباً إنسانيًا يحظى بتقدير الشعب العربي ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أم سياسية، لذلك فقد كان العلاج من أفضل الطرق لخلق جو اجتماعي ودي

(١) النصرانية والإسلام ودوامه إلى قيام الساعة: ١٧٨ ـ ١٨٠.

مع الناس. وقد ذكر هـ. ستورم (H. Storm) أحد قادة الإرسالية بأنه قد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة.

لقد كان المبشرون يؤكدون على هذا المدخل كوسيلة رئيسية للتبشير، وكأسلوب لكسب قلوب الأهالي وخلق جمهور متعاطف معهم من أجل تهيئة الأجواء للتبشير بالإنجيل في الجزيرة العربية. وقد ذهب صموئيل زويمر إلى القول: إن جميع العاملين في ميدان التبشير في الجزيرة العربية متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح الأبواب المغلقة، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة. إن المستشفيات في الجزيرة العربية هي مكان تلتقي فيه الرحمة بالخلق ويتعانق فيه الصلاح والسلام.

إن للمدخل الطبي مزايا عدة أهمها الأثر النفسي الذي يتركه في المجتمع بالإضافة إلى حاجة أهالي البلاد الماسة إليه. فقد كانوا أيضاً ينظرون إلى الطبيب القدير نظرتهم إلى إنسان متفوق يستخدم أحدث الوسائل الطبية التي كانت أرقى بكثير من الوسائل التي يملكها المعالجون المحليون. لذا فقد كان الأهالي يرغبون دائماً في الإلتصاق به وطلب النصح والمشورة منه. ومن يكون على أية حال أحق بالثقة من مداوٍ قدير؟ كما أن المدخل الطبي يجد قبولاً لدى العربي الذي يحمل إعجاباً كبيراً للخدمة الطبية وقد أكد أحد الرحالة ـ وندل فيليبس ـ على ذلك بقوله: «في الواقع أن لدى العرب شغف كبير بالطب والعلاج الطبي»[1].

هذه هي استراتيجية المنصرين الذين وفدوا إلى بلاد المسلمين يدسون السم في الدسم، ويدعون أنهم جاءوا لمعالجة المرضى في حين أنهم في الحقيقة يعملون لكي يسلبوا المسلمين أعز ما يملكون، عقيدتهم ومبادىء دينهم الحنيف.

محاولة تنصير طلبة العلم الوافدين من بلاد المسلمين:

لقد ورد في مجلة الأمة القطرية أن الكنائس البروتستانتية عقدت مؤتمراً لها في ولاية كلورادو بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٥/ ٣/ ١٩٧٨م متابعة لتنفيذ ما

---

(١) التبشير في منطقة الخليج العربي ٧٩ ـ ٨٠.

قرره مؤتمر لوزان الذي عاقد عام ١٩٧٤م تحت عنوان (مؤتمر لوزان لتنصير العالم).

ولقد كان أهم ما شغل بال المؤتمرين بكلورادو أن يضعوا خطة محكمة لتنصير المسلمين؛ لأن المسلمين يشكلون مجموعة بشرية كبيرة. ولهذا فقد كانوا حريصين على أن تتجه جهود التنصير إلى ديار المسلمين، وبناء عليه فقد سمي هذا المؤتمر الأخير بمؤتمر أمريكا لتنصير المسلمين[١].

وكتب أحد المنصرين ويدعى ريموند منشوراً يدويًا صغيراً ليوزع على النصارى الحريصين على تنصير العالم يقول فيه ما ترجمته: «إن الإسلام يقف عائقاً أمام حركة المبشرين النصارى، وأن الإسلام هو القوة الروحية الفريدة من نوعها والتي تستوعب أعداداً هائلة من البشر وبصورة سريعة ومذهلة، وأن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تهدد الغرب اليوم.. إن الإسلام أقرب الأديان للمسيحية وأكثرها عداء للمسيحية. وإنني أرى أن السبب الذي يجعل الإسلام قويًا صلباً يقف أمامنا كعقبة صعبة الإختراق تضعف من حركاتنا وتعرقل من سيرنا وتبطىء من تحركاتنا هو أن الإسلام ليس ديناً روحيًا فحسب، بل الإسلام دين معاملات وعلاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية أيضاً.. لكن رغم كل هذا فإن الفرصة سانحة اليوم أمام النصارى لإسقاط هذا العملاق الذي كان يهدد المسيحية منذ قرون طويلة. فضعف الحكومات في الدول المسلمة، ومحاربة الحكومات للمسلمين المتطرفين أمور هامة يجب أن ينظر إليها النصارى بعين الاعتبار، ويعملوا على تشجيع تلك الحكومات ليدخلوا عن طريقها إلى الشعوب المغلوبة على أمرها.. إن تلك العملية نجحت في أندونيسيا فاستجاب كثير من سكان تلك المنطقة لنداءات رجال الكنيسة بل تحوّل كثيرون كلية عن الإسلام. إن عمليات مماثلة في دول إسلامية كثيرة خاصة في أفريقيا تستطيع أن تحول قلوب الكثيرين عن الإسلام وتوجههم نحو المسيحية.. ولنغتنم كذلك فرص وفود الشباب المسلم إلى دولنا لمدهم بالمسيحية وتعاليمها. يوجد اليوم ستة عشرة أو سبعة عشرة مليون مسلم في أوربا بينما يوجد في أمريكا الشمالية حوالي مليون مسلم،

---

(١) مجلة الأمة القطرية، العدد الثالث، ربيع أول ١٤٠١هـ، يناير ١٩٨١م، ص ٨٦.

وأن الفرصة سانحة للمبشرين للعمل وسط هؤلاء.. إن أغلب الطلبة يفدون من الدول التي لا يستطيع المبشرون دخولها كالمملكة العربية السعودية، فإن كان أبناء هذه البلاد قد جاءوا للتعليم فمن باب أولى أن يتلقوا مبادىء الديانة المسيحية أيضاً. إذن فعلينا أن نعرضها عليهم كشرط أول قبل دخولهم المعاهد العلمية؛ لأنه يرجى بعد رجوع هؤلاء إلى أوطانهم التأثير في أهلها بل ربما ساعد هؤلاء في تحويل الكثيرين إلى المسيحية..

اغتنم أيها المبشر هذه الفرصة، إن المسلمين اليوم في نزاع وشقاق، وإيران ضد العراق، العرب ضد مصر، السنة ضد الشيعة ويظهر هذا النزاع في احتلال طائفة من المسلمين لأماكنهم المقدسة بمكة.. هكذا نرى أن المسلمين قد ملوا الإسلام وسئموه وظلوا يبحثون عن البديل.. إن معظم الناس في إيران بعد حكم الخميني سئموا الإسلام وبدأوا يقولون صراحة: لقد جربنا الإسلام فدعونا نجرب المسيحية.. اغتنم الفرصة أيها المبشر لأن البعض قد وجد البديل عن الإسلام في الشيوعية واعتنق الماركسية كشباب أفغانستان وشباب اليمن الجنوبية.. دعنا ننهض ونغزو العالم الإسلامي فإن لم نغتنم الفرصة اليوم ونكسبهم إلى جانب المسيحية فلن نستطيع أن نحول هؤلاء أبداً)[1].

وهكذا نرى أن الجمعيات التنصيرية وأهدافها في تصيد الطلاب المسلمين بالذات في الولايات المتحدة الأمريكية تسير وفقاً لخطة مرسومة بدقة متناهية. فهناك مثلاً جمعية إسمها Fellowship of Faith For Muslims واختصارها (FFM) وترجمتها الحرفية (عضوية إيمان للمسلمين). إن هدف هذه الجمعية الوحيد هو تنصير المسلمين الوافدين إلى أمريكا من طلاب وغيرهم. وتحاول هذه الجمعية دائماً اصطياد المسلمين الجدد القادمين لتوهم من بلدان العالم الإسلامي، وتقدم لهم العون والخدمات كتمهيد للدخول عليهم وكسب ثقتهم. أما نوايا تلك الجمعية الخبيثة فتظهر بوضوح في منشوراتهم التي توزع في كنائسهم لغير المسلمين. ففي تلك المنشورات نلمس أساليبهم التخريبية والتحريضية ضد

---

(١) Christianity's Supreme Opportunity: Fellowship of Faith For Muslims, Rymond H. Joyce, Printed at U.S.A. Weg Press Fort Washington, August, 1981, PP. 2 - 6.

المسلمين، ونلمس برامجهم التي اتخذوها وخططهم التي رسموها لذلك.. وتنفيذاً لبرامجهم وخططهم التي وضعوها لهذا الغرض يلجأ أفراد تلك الجمعية وأمثالها من الجمعيات الأخرى إلى تتبع أخبار المسلمين ومعرفة أماكن سكنهم وأرقام هواتفهم ومن ثم يقومون بالاتصال بهم في محاولة لصدهم عن دين الله، فإن لم يستطيعوا ذلك عملوا على إغوائهم وتشجيعهم على مجاراة المدنية الحديثة والانغماس في ملذاتها. ومنهم من يحاول جاهداً إثارة الشبهات حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم يعرضون ذلك على الطالب المسلم لزعزعة عقيدته.

ورغم أن هؤلاء المنصرين في بلاد المسلمين يرفعون الشعارات التي تطالب بحرية الأديان نجد أن أحد أعضاء جمعية الـ FFM يدّعي ـ في إحدى منشوراته التي وزعها على الكنائس وطلبة كليات اللاهوت ـ بأنه يستطيع هو وجماعته الوصول إلى قلوب اثنين مليون مسلم بأمريكا وكندا والتأثير فيهم. وينسى هذا المنصر قضية حرية الأديان ويطالب في منشوراته التي يصدرها بأن لا يكون هناك أي مكان للإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية. ولكنه بالطبع لا يمانع من وجود الوثني والملحد واليهودي والمجوسي واللاديني وغيرهم.

ولقد تجاهل هذا المنصر أن أجراس الكنائس لم تزل تقرع في معظم أرجاء العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام ليلاً ونهاراً وإلى يومنا هذا. ونسي أن النصارى وأصحاب الديانات الأخرى يتمتعون بكامل حرياتهم وسط المسلمين دون أن يتعرضوا لأي مضايقات. إنه يطالب بمبدأ حرية الأديان في العالم الإسلامي فقط، ويرفضه كمبدأ في العالم المسيحي. كما ينادي بحرية الأديان في الأماكن التي يريد استغلالها وتضليلها من أمثال الهند وباكستان وجنوب السودان وأفريقيا بأكملها ويرفضه في أمريكا وكندا وغيرها من الدول التي يكوّن المسيحيون غالبية سكانها.

ثم نراه يختتم منشوره بعبارة ترجمتها: «أن الوسائل والطرق ممهدة اليوم لنشر حملات صليبية جديدة ملؤها المحبة وهدفها محو آثار النبي العربي.

يجب أن يسارع النصارى للعمل في تكاتف تام إستجابة لأوامر الرب:

«ونبشر بالإنجيل لكل قلب»[1].

ويتحدث هذا المنصر وأمثاله في منشوراتهم عن المحبة وأي محبة؟ هل غفل هذا المنصر وأمثاله أن تلك المحبة المزعومة قد أدت في الماضي إلى قتل الملايين من البشر من جراء الصراعات التي نشبت بين المسيحيين وغيرهم عندما حاول المسيحيون نشر ديانتهم عنوة بين الأمم الأوربية التي كانت وثنية في ذلك الوقت؟ أنسي هؤلاء المنصرون آلاف العلماء وغيرهم من الذين قتلتهم الكنيسة، بل أحرقت بعضهم وشردتهم ودفنتهم أحياء تحت الزعم بأنهم هراطقة؟ وهل نسوا ما لاقاه المسلمون في الأندلس من مذابح تشيب لها الولدان على يدي الكنيسة والصليبيين؟ وهل نسوا الحروب الصليبية وما جرته على ديار المسلمين من قتل وحرق ونهب وتشريد؟.. أي محبة هذه التي يتحدث عنها هؤلاء المنصرون؟ أهي المحبة القديمة التي دفعت النصارى لارتكاب أبشع الجرائم التي يندى لها الجبين خجلاً أم هي محبة جديدة ابتكروها هم ونسبوها للديانة المسيحية كما هي عادة النصارى المتبعة عندهم دائماً وأبداً؟ إنه لمن الأجدى لهؤلاء المنصرين أن يحاولوا معالجة الإنحراف الذي طرأ على العقيدة المسيحية حتى بلغ في القرن العشرين درجة عظيمة من الفوضى والتخبط كما سنرى في الباب الخاص بذلك إن شاءالله.

إن المشكلة التي يعاني منها طلابنا اليوم في الغرب ليست غربة الوطن والأهل بل هي غربة الإسلام. إن المنصرين يحرفون الإسلام، ويحاولون إدخاله بتلك الصورة المشوهة في قلوب طلبة العلم المسلمين والمهاجرين إلى تلك الديار.

إن النصارى يفعلون كل ذلك من أجل دحر الإسلام، الذي يعتبرونه العدو والخطر الحقيقي الذي يهددهم. إنهم لا يخشون الملاحدة والشيوعيين واللادينيين لعلمهم أن الإنسان بفطرته يميل إلى التدين، وهم يعلمون أن تلك المبادىء سيملها الناس ويسأموها في يوم ما. كما أنهم لا يخشون اليهودية لأنها ديانة محدودة في فئة معينة من الناس. بل أنهم يعتبرونها أصل المسيحية، ولا يخشون

---

(١) Islam Here in U.S.A. and Canada, March 17, 1981.

البوذية أو المجوسية أو الهندوسية أو غيرها من الملل لعلمهم أنها تقوم على فلسفات خاطئة لا تقدم ولا تؤخر في حياة الأفراد. ولكن الدين الإسلامي هو القوة الروحية الوحيدة التي يهابها المنصرون لأنهم يعرفون أن باطلهم وأكاذيبهم لا يفضحها إلا الحق الذي جاء به الإسلام، ولذلك ناصبوه العداء.

ولم تتردد جمعيات التنصير في بذل أموالها بسخاء للتصدي للإسلام والمسلمين. ويظهر نشاطهم جليًا في بذلهم النفس والنفيس لتنصير المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا متخذين لذلك طرقاً عديدة منها:

١ ـ توجيه الإذاعات الخاصة والناطقة باللغة العربية إلى المناطق المزدحمة بالسكان العرب في الولايات المتحدة. وفي شيكاغو يقوم المنصر بسام مدني بهذه المهمة، كما نجد أن أعضاء جمعية FFM يطالبون بالمزيد من البرامج الإذاعية لأنهم يرون أن تلك البرامج غير كافية لتنصير المسلمين الذين مازالوا يصرون على إسلامهم.

٢ ـ الدعوة إلى ضرورة تقوية الروابط مع الطلبة المسلمين الدارسين في الجامعات الأمريكية. ويقوم المنصر مارك حنا بنشاط واسع في هذا المجال عن طريق عقد الندوات وإلقاء المحاضرات التي يدعو فيها إلى ضرورة استغلال منظمات الطلاب الوافدين من مختلف بقاع العالم للإفادة منهم في عمليات التنصير. كما ينادي بضرورة إشراك الطلبة العرب والمسلمين في هذا النشاط.

٣ ـ دعوة الطلبة المسلمين إلى المشاركة في نشاطات الكنائس الدينية بجانب دعوتهم إلى الإشتراك في الرحلات والحفلات الترفيهية والنشاطات الإجتماعية الأخرى ومن ثم العمل على أفساد أخلاقهم.

٤ ـ العمل على توفير دور الحضانة للأطفال المسلمين بزعم أن الآباء منصرفين عنهم من أجل البحث والدراسة، وهم يضمرون كل الشر لهؤلاء الأبرياء الذين لا يستطيعون التمييز بين الحق والباطل فيعمدون إلى زرع أكاذيب النصارى في نفوسهم الغضة، دون وازع من خلق أو ضمير.

٥ ـ تصيد اللاجئين المسلمين، كاللاجئين الكمبوديين والفيتناميين وغيرهم، الذين لجأوا للولايات المتحدة الأمريكية لأسباب سياسية أو اقتصادية مما يجعلهم فرائس سهلة لمكائد هؤلاء المنصرية المحترفين.

إن النصارى يستترون تحت شعارات المحبة والسلام، لكنهم لا يكنون للإسلام أو المسلمين أي محبة. ولا يريدون أن يعيش المسلمون في سلام. فهم يخادعون المسلمين بهذه الشعارات البراقة، ولكن أفعالهم دائماً تفضح أقوالهم خاصة فيما يتعلق باحتلال اليهود لأراضي المسلمين وأماكنهم المقدسة بفلسطين. ولقد نشرت مجلة البلاغ رسالة واردة من فانكوفر بكندا فحواها ما يلي: (أنهى مجلس الكنائس العالمي اجتماعه السنوي الذي عقد هنا مؤخراً، وحضره ممثلون عن الكنائس المسيحية العديدة الأعضاء في المجلس. كما حضره بعض العلماء المسلمين منهم الأستاذ أنعام الله خان السكرتير العام لمؤتمر العالم الإسلامي في كراتشي.. وفي الختام اتخذ المؤتمر العديد من القرارات ذات الصلة بالقضايا والمشاكل العالمية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، واللاجئون الفلسطينيون وأحوال المواطنين العرب والأماكن الدينية المقدسة وسياسة إسرائيل وممارستها العدوانية في هذه المناطق المحتلة مما يتعارض والقوانين والأنظمة الدولية وحقوق الإنسان المتعارف عليها.. وفي الختام طالب المجلس كافة الكنائس المسيحية الأعضاء في المجلس القيام بحملة توعية بين صفوفها حول ضرورة إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية)[1].

ثم تأمل بعد هذا القول الذي ورد في مقالة للدكتور عبدالقادر طاش حيث ورد فيها ما يلي: «.. فها هو ذا جان فان دار هوفن يكتب في مجلة الصوت اليهودي.. إن الصراع الدائر بين العرب واليهود هو صراع ديني وجب أن يتضافر النصارى واليهود للمعركة الفاصلة القادمة مع الإسلام لأن هزيمة الإسلام في هذه المعركة ستفتح الباب أمام تنصير جماهير المسلمين بعد أن تهتز في نفوسهم الثقة بالإسلام»[2].

ويستطرد الدكتور طاش في مقالته ليروي لنا مدى التناقض الذي أشرنا إليه فيقول: «وما يفتأ جيري فولول ـ الكاهن الذي يتزعم اتجاه Moral Majority في أمريكا وصاحب البرنامج الديني الأول في التلفزيون الأمريكي ـ في تعبئة الرأي

---

(١) مجلة البلاغ، العدد ٧١١، الأحد ٢ محرم ١٤٠٤هـ، ٩ أكتوبر ١٩٨٣م، ص ٤١، ٤٢.
(٢) نفس المرجع السابق: ٥٨.

العام المسيحي للتعاطف مع إسرائيل وزرع الحقد وشهوة الإنتقام في نفوس المسيحيين ضد المسلمين. وقد أصدر عام ١٩٨١م كتاباً بعنوان (Listen America) تحدث فيه عن المعجزة التي تسمى إسرائيل قائلاً: إن من الأشياء التي تثلج الصدور في عالم اليوم استمرار بركة الإله على شعب إسرائيل. فبالرغم من مشكلات التضخم المالي والخلافات الحارة في الكنيست وإصرار العرب على إفناء جارتهم إسرائيل إلا أن إسرائيل مازالت هي حصن الديمقراطية في منطقة تحكمها الحماقة، ويسودها الاضطراب السياسي. وكل من يقرأ الكتاب المقدس فسوف يجده مليئاً بالتنبؤات عن مكانة الشعب اليهودي. فالتوراة تذكر أن الشعب اليهودي سيعود إلى أرض إسرائيل ويؤسس دولة ثانية)[١].

ثم استطرد ليقر بأن الأمم التي تناصر العرب ومنظمة التحرير الفلسطينية لو تبينت حقيقة ما ورد في الكتاب المقدس لجثت على ركبها ضارعة إلى رب إسرائيل طالبة منه العفو[٢].

كل هذه الأدلة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك صليبية الحرب الدائرة بين العرب والمسلمين من جهة وبين اليهود والصليبية العالمية من جهة أخرى. كما تثبت التناقض الصارخ بين أقوال المسيحيين في كنائسهم ومؤتمراتهم التي يزعمون فيها مناصرة العرب والمسلمين في قضية فلسطين وبين أفعالهم التي تتمثل في الكيد المستمر للإسلام وأهله. هذا الكيد الذي تمثل في دعمهم المطلق لكل عدوان على ديار المسلمين وخاصة دعمهم لقوى اليهود العالمية وما يتبعها من كل القوى المتآمرة على الإسلام والمسلمين. لم لا وهم يعلمون تماماً وفي قرارة أنفسهم بأن اليهود أقرب إليهم من المسلمين، وأن ديانتهم المحرفة هي امتداد طبيعي لديانة اليهود المحرفة أيضاً. وأن أسفار العهد الجديد، هي امتداد لأسفار العهد القديم لدى اليهود. ولا عجب فقد ذكر الله سبحانه وتعالى مودة اليهود والنصارى بعضهم لبعض في آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) مجلة البلاغ، العدد ١١٧، الأحد ٦ محرم ١٤٠٤هـ، ٩ أكتوبر ١٩٨٣، ص ٤١ ـ ٤٢.
(٢) نفس المرجع السابق.

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[2]. صدق الله العظيم.

وهكذا نرى كيف انصب هجوم المستشرقين وأشباههم على شخص رسول الله ﷺ، وصحابته وتابعيهم، وتابعي التابعين من أئمة المسلمين كما شمل الهجوم كذلك الطرق والأساليب التي تم بها تدوين السنة النبوية الشريفة.

ولقد طعن المستشرقون في متن الحديث وادعوا أنه متضارب ومتناقض وغير متوافق مع العقل والمنطق. كما اتهموا الصحابة وأئمة المسلمين بوضع الحديث، وتحريفه، ونسبته إلى محمد ﷺ من أجل أطماعهم الدينية والدنيوية. ولقد ادعوا أيضاً بأن الحديث النبوي الشريف لم يدون في عصر الرسول ﷺ لذلك قد ضاع أكثره ـ بزعمهم ـ وأن الكتب الستة الصحاح وكتب المسانيد والموطآت كلها كتب لا يمكن الاعتداد بها لاحتوائها على كثير من الأحاديث التي تعاني من ضعف في المتن والسند.

كما قاموا بالطعن في الإسلام بصورة عامة وادعوا بأنه قد أنشىء بواسطة محمد ﷺ والذي كان بزعمهم متعطشاً لزعامة العرب. كما زعموا بأن سيدنا محمد ﷺ لم يكن في حقيقة أمره إلا قائداً حربيًّا مظفراً ولم يكن مبعوثاً من الله سبحانه وتعالى.

وقد اتهموا رسالته بأنها رسالة دنيوية سياسية نبعت من ظروف البيئة التي عاش فيها العرب في ذلك الحين.

وادعوا أن أهداف الفتوحات الإسلامية لم تتعد السلب والنهب ومحاولات السيطرة على ما جاور العرب من أمم وشعوب. كما هاجموا كثيراً من صور العقائد والعبادات والمعاملات في الإسلام. فاتهموا الإسلام بأنه يضطهد المرأة، ويبيح الرق وينادي به، ويشجع النظام الطبقي، وأنه فلسفة متحجرة ومتخلفة لم

---

(١) سورة المائدة: ٥١.

(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

تعد تساير العصر الحديث.

ولقد انطلقوا في بحوثهم وكتاباتهم عن الإسلام من روح صليبية حاقدة كارهة للإسلام لا تضمر له ولرسوله ﷺ إلا السوء والبغضاء ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[1]. وقد ادعوا بأنهم قد اتبعوا في بحوثهم الطرق الموضوعية والعلمية، والتي عادة ما يتشدقون بها، ولكننا نجزم هنا، كما يفعل ذلك كثير من علماء المسلمين وغيرهم من المنصفين، أن المستشرقين الذين وردت سيرهم هنا لم يكونوا موضوعيين ولا منصفين ولا صادقين فيما أتوا به من أقوال وحجج كلها طعن وسب في الإسلام والمسلمين دون وجه حق.

ولقد كان الهدف من بحوثهم وكتاباتهم هو تحطيم الإسلام وإزالته من هذا الوجود تمهيداً لنشر ديانتهم المحرفة في هذا العالم. ولقد أوردنا في هذا الباب أيضاً كثيراً من الوسائل والأساليب التي ابتدعها هؤلاء المستشرقون ومن سار على هديهم من المنصرين الذين ما فتئوا يحاولون بث سمومهم في ربوع العالم الإسلامي، ويحاربون الإسلام تارة بطريقة مباشرة تعتمد على الهجوم السافر، وتارة بطرق ملتوية تعتمد على تقديم الإعانات لفقراء المسلمين وبناء الملاجىء والمستشفيات، ودور العلم كمصيدة لإيقاع المسلمين في حبائل التنصير.

(١) سورة آل عمران: ١١٨.

الباب الثاني

في جمـــع الأنـــاجيـــل

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: أصل المسيحية ومبادؤها كما يراها النصارى.

الفصل الثاني: تدوين الأناجيل.

الفصل الثالث: أمثلة توضح تضارب متون الأناجيل.

الفصل الرابع: تأثير المسيحية بما سبقها من عقائد وثنية وفلسفات.

الفصـل الأول

في أصل المسيحية ومبادؤها كما يراها النصارى

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : أصل المسيحية كما يراها النصارى.

المبحث الثاني: الأسس والمبادىء التي قامت عليها المسيحية.

المبحث الأول: أصل المسيحية كما يراها النصارى

أصل الديانة المسيحية كما يراها علماء الغرب:

يزعم نصارى الغرب أن المسيحية هي الديانة التي أنشأها المسيح الرب. وهم يقولون بأن النصارى في فترة المسيحية الأولى لم يكن لهم الوعي أو الإدراك الكافي بأن المسيحية كانت ديانة منفصلة عن اليهودية، وكانوا يعتبرونها جزءاً متمماً لليهودية مستندين في ذلك على أقوال وردت في الأناجيل تقول بأن عيسى جاء ليكمل قوانين موسى والأنبياء من قبله(١).

يقول ديفد فليسارDavid Flasser في ذلك ما ترجمته: (إذا كنا نريد أن نفهم شيئاً عن المسيحية البدائية فعلينا أن نعرف شيئاً عن خلفياتها. أن اليهود كانوا موحدين. فقد جاء في أسفار العهد القديم قول الإله لهم: استمعوا يا بني إسرائيل، إن الرب إلهكم إله واحد. يجب أن تحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم، وبكل أرواحكم، وبكل ما تملكون من قوة.

وكان اليهود يطلقون على إلههم إسم (يهوى). ولقد كان هذا الإله يُرى من قبل اليهود كإله عنيف قوي يبطش بهم في كل حين.. نعلم كذلك أن موسى وحد القبائل الإسرائيلية وجعلهم أمة واحدة، وجعل يهوى إلهاً لهم، كما جعل الإسرائيليين شعب يهوى وأمته. وأن هذا الإله هو الذي قادهم من مصر إلى فلسطين. وكان موسى دائماً يقول لهم: إن يهوى هو الإله الخالق الذي خلق العالم بأسره.. وقد بلغت باليهود الأنانية وحب الذات حتى أنهم ادعوا بأن يهوى اختارهم وفضلهم على العالمين.. وأن يهوى كان دائماً يبدو في صورة إله شديد الغيرة لا يريد لبني إسرائيل أن يعبدوا غيره معه.

---

(١) انظر Holy Scripture and Tradition as seen by the Father's, L. Bouyer (Article in East Churches Quarterly), 1947, P. 12-19.
Early Christian Doctorines J.N.D. Kelly. Revised Edition, Published by Harper and Rou Publisher, New York, 1978, P. 31, 32.

ولقد كان الإسرائيليون يفسرون أي عقوبة دنيوية أو مصيبة تلم بهم بأنها ناتجة عن غضب الإله يهوى عليهم. فعندما هجم الأشوريون على الإسرائيليين وعذبوهم وقتلوهم وشردوهم فهم الإسرائيليون بأن يهوى يريد بذلك معاقبتهم.. إن اليهود كانوا لا يستيطعون أن يستقلوا بأنفسهم في عمل شيء، بل أن جميع شئونهم كانت تدار بواسطة إلههم يهوى.

ولقد جاءت الديانة المسيحية البدائية في هذا الجو المشحون بالأفكار الداعية إلى التوحيد، لذلك حاول النصارى تقليد معظم طوائف اليهود ومن ثم المناداة بالتوحيد مثلهم. ولا شك أن معظم معتنقي المسيحية في فترتها الأولى كانوا يهوداً لذا فإنهم لم يحاولوا فصل هذه الديانة عن الديانة اليهودية)[١].

ويرى جيزا فيرميس Geza Vermes أن عيسى الجليلي هو مؤسس المسيحية، وقد كان يساعد الناس ويعلمهم مثله مثل سائر أنبياء بني إسرائيل.

يقول فيرميس أيضاً ما ترجمته: (إن الكلمات التي نسبت لعيسى كالسيد والرب وابن الإله كلها كانت ألقاباً تشريفية، وهي تبين صفاء العلاقة بين عيسى والإله الأب.. ولقد جاء عيسى كاشفاً عن حقائق روحانية كثيرة، وقد برع في ذلك حتى أنه فاق كل اليهود الربانيين والصدوقيين، والفريسيين وغيرهم من فرق اليهود الأخرى.. وعيسى إنما جاء ليوضح العلاقة الحقيقية بين الإنسان وربه، إلا أن المسيحية في تطورها أخذت شكلاً مغايراً لديانته الأصلية وجعلت منه إلهاً وهو لم يكن إلا نبيًا كأنبياء بني إسرائيل من قبله)[٢].

ويقول كيلي Kelly ما ترجمته: (إن المسيحيين في الفترة الأولى وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي لم يكن لهم كتاب خاص يدونون فيه أقوال السيد المسيح كدستور ثابت لهم، ولم يكن لهم قانون ينظم طقوسهم وعباداتهم هذا بالرغم من أن الإنجيل الذي جاء به عيسى كان معروفاً لديهم، وكان النصارى دائماً يلجأون إلى كتب العهد القديم والتوراة ويتحاكمون إليها. وهذا بالطبع يرجع

---

(١) انظر كتاب: Jesus, David Flusser, Translated by Ronald Walls, Herder and Herder, New York, 1969, P. 18 - 25.

(٢) انظر كتاب: Jesus The Jew, Geza Vermes, London Collins, 1973, P. 2245.

إلى أن المسيحية لم تكن قد أثبتت بعد وجودها وانفصلت عن اليهودية في كيان مستقل بها.. كان النصارى يحضرون طقوس العبادة مع اليهود في نفس المعابد إلى أن ظهر كليمونت Clement وتلميذه أوريجان Origin حوالي عام ٢٠٠م وأعلنا أن المسيحية يجب أن تنفصل في معابدها عن اليهود، وأنه يجب أن تشيّد للمسيحيين معابد خاصة بهم، وأنه يجب أن يكون لهم كتاب مستقل وخاص بهم، ثم بدأوا في كتابة إنجيل السيد المسيح معتمدين على الآراء الشخصية والتقاليد الشائعة بين الناس)[1].

ويقول برون Braun ما ترجمته: (إن المسيحية هي الديانة التي أنشأها عيسى الرجل الناصري.. لكن حادثة الإيستر ـ الزعم بقيام عيسى بعد موته ـ غيرت مجرى الأحداث تغييراً سريعاً وأدخلت كثيراً من القصص التي شاعت حول حادثة قيام عيسى ثانية بعد صلبه وموته. وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في الكتابات التي كان يدونها بعض الناس عن أقوال عيسى الناصري وأفعاله. بل أن حادثة الصلب والقيام صارت المحور الذي ارتكز عليه سكان منطقتي الجليل وأورشليم في تصوراتهم عن المسيحية..

لم تكن لعيسى في فترة حياته في هذه الدنيا سلطة، ولم يشغل نفسه بشيء غير محاولة نشر تعاليمه التي تتعلق باقتراب مملكة الإله ودعوة الناس للإشتراك معه في الإستعداد لقدومها. لكن بعد حادثة القيام غيرت المسيحية البدائية كل شيء. تغيرت الألقاب التي كان يلقب بها عيسى وتغيرت حياته، ونسبه، ورسالته، كل هذا تغير بعد وفاته. كان ينظر إلى عيسى كأحد الربانيين من بني إسرائيل وأحد قساوستهم العاديين وكانوا يلقبونه بالمدرس، والرباني، والسيد، والنبي، ولكن بعد محاكمته تغيرت نظرة الناس إليه، فصاروا ينظرون إليه كشخص مقدس حل فيه الإله وذلك بعد أن انتشر خبر قيامه بعد أن صلب وقتل.

ولقد شاع بين الناس أن الشخص الذي مات في الصلب لم يعد ميتاً، وأنه لم يكن بشراً عاديًا وأنه لم يمت بل ينعم بحياة أبدية.

---

(١) انظر كتاب: Early Christian Doctorines, P. 30 - 34.

واستمر النصارى ـ الذين كانوا يهوداً في الأصل قبل أن يتحولوا إلى دعوة عيسى ـ يرون عيسى في رؤاهم يحدثهم ويخاطبهم. وكانت عادة اليهود أن يدعوا رؤية أنبيائهم في الرؤى والأحلام. بل كانت الرؤى تعامل معاملة الواقع. ونرى ذلك بوضوح في رسائل بولس لأهل كورنثياس، وأهل غلاطية حيث ورد فيها أن عيسى ظهر لكثير من الناس، ظهر للأفراد والجماعات. ولقد ورد في تلك الرسائل أيضاً أن الكثيرين قالوا أنهم رأوا المسيح الذي صلب في رؤاهم حيث خاطبهم وخاطبوه)[١].

ويرى جوشيا رويس Josiah Royce في كتابه «مشكلة المسيحية» ما ترجمته:
(إن المسيحية أنشئت ووجدت بواسطة فرد واحد كان يهودي الأصل وكان يدعى عيسى.. سيرة هذا الرجل وحياته مجهولة وغير واضحة ويشوبها كثير من الغموض منذ القدم وإلى يومنا هذا.. وأن حياته الخاصة وألقابه وصفاته ونواياه مجهولة تماماً، إلا أن الشيء الثابت هو عبادة النصارى بإيعاز من آباء الكنائس لهذا الشخص. وأن عبادة هذا الشخص هي الأساس الذي انبنت عليه المسيحية والكنائس والعبادات والطقوس المسيحية فيما بعد، والتي سارت عليها وتسير عليها حتى يومنا هذا.. إن تعاليم عيسى وحكمه وأمثاله في فترة حياته كان يشوبها الغموض حتى أن الناس الذين كانوا يحيطون به لم يستطيعوا فهمها..

إن المسيحية الأولى كانت ترى نفسها طائفة من طوائف اليهود، ولم تكن تبينت أنها ديانة جديدة متميزة عن الديانة اليهودية. ولم تدرك أن عيسى كان إلهاً إلا بعد موته وقيامه. وأن عبارات عيسى وأقواله لم تفسر وتوضح إلا بعد موته..
إن رؤى وأحلام الحواريين وأتباع عيسى كانت من الأسس الأولى التي أرست دعائم المسيحية وأدت إلى قيام الكنائس الأولى، خاصة حادثة القيام مرة أخرى بعد الموت والدفن، وأن تلك الحادثة هي أصل الديانة المسيحية)[٢].

---

(١) انظر كتاب: Jesus, Herbert Braun. Stuttgart Kreuz, 1969, P.77.

(٢) انظر كتاب: The Problem of Christianity: (lectures delivered at Sawell Institute In Boston and at Manchester, Oxford) by Josiah Royce, New York MacMillan Company, U.S.A., 1913, Vol. 1, PP. 122 - 125 and PP. 128 - 129, P. 135 and p> 201.

ويقول ديفذ Davis ما ترجمته: (إن الديانة المسيحية نشأت عند مناداة الأب بولس بمبدأ الفداء والخلاص، ورحمة الإله التي شملت العالم بموته وقيامه.. إن تاريخ المسيحية يثبت أن نشأة الكنائس والدعوة إلى اعتناق المسيحية لم تبدأ إلا بعد أن صارت الديانة المسيحية ديانة تبشيرية على يدي بولس. إن المسيحية الحقة لم تبدأ إلا بعد رحلات بولس وظهور رسائله التاريخية والتي نشرت المسيحية خارج فلسطين. كانت المسيحية قبل ذلك قاصرة على فئة من الناس الذين كانوا يجتمعون لأداء مناسك عباداتهم في معابد اليهود الذين كانوا بدورهم يترقبون مجيء ابن الإنسان، ويعتبرون ذلك إشارة لهم وعلامة على قرب مجيء ملك الرب. إنهم كانوا لا يفكرون إلا في اقتراب نهاية الزمان، وينتظرون تلك الساعة بفارغ صبرهم.

إن الأب بولس هو الذي أزاح الغموض عن كثير من مبادىء المسيحية، فهو يُعتبر المؤسس الأول والحقيقي للمسيحية، ولولاه لما تحولت المسيحية إلى ديانة عالمية، لذلك فإنني أرى أن المسيحية الحقة لم تبدأ إلا مع ظهور دعوة الأب بولس في الوجود)[١].

ويقول بيرين Perrin ما ترجمته: (إن المسيحية في صورتها البدائية قد ظهرت بظهور عيسى الذي عاش فترة في منطقة الجليل إلا أن المسيحية الحقة بدأت بعد موته ووعده لروح القدس بأن يأتي ويعمل مع النصارى)[٢].

ويرى كاسمان Kasemann أيضاً أن المسيحية في حقيقة أمرها هي امتداد لليهودية، وفي هذا يقول ما ترجمته: (إن المسيحية هي امتداد طبيعي لليهودية. ويظهر ذلك بوضوح من الألقاب التي كان يلقب بها عيسى. ونرى أن اليهود كانوا يترقبون قدومه كإنسان وكابن إنسان مسيح ملك، وهو نبي كان اليهود ينتظرون قدومه في عظمة وملك.. بل إن اليهود كانوا ينتظرون المسيح الذي سيأتي بالمعجزات مثله مثل غيره من أنبياء بني إسرائيل.. والمسيحية أيضاً امتداد

---

(١) انظر كتاب: New Testament Theology, Joachim Jermias. Translated by John Bawden, New York Scribner's and London SCM, 1971, PP. 302 - 308.

(٢) انظر كتاب: The Sermon on the Mount, W.D. Davis, Cambridge University Press, 1966, PP. 149 - 150.

للفلسفة الهلينية التي كانت تؤمن بالمعجزات. . لكننا نجد أن المسيحية قد تأثرت تأثراً كبيراً بالديانة اليهودية. فكل شيء ورد فيها له جذور في اليهودية، فمثلاً الدعوة باقتراب مجيء ملك الرب كانت فلسفة يهودية ودعوة قديمة لليهود. والتنبؤات بمجيء ابن الإنسان فجأة وفي لحظة غير متوقعة أيضاً دعوة يهودية قديمة وغامضة. إن الدعوة لحب الإله وحب الجار أيضاً دعوة يهودية نجدها متضمنة في أسفار العهد القديم والتوراة. فأصل الديانة المسيحية إذن هو الديانة اليهودية مع بعض التغييرات التي استحدثت بعد مجيء الديانة المسيحية)[١].

ويقول جير هاردسون Gerhardsson ما ترجمته: (إن أصل المسيحية واضح من القول الذي ورد في إنجيل متى: لا تظنوا أني جئت لأمحو قوانين موسى والأنبياء من قبلي، إنما جئت متمماً لها)[٢].

ويرى كل من ديفذ ودوب Davies and Doube أن التنبؤات الموجودة في الديانة اليهودية والتي تشير إلى مجيء المسيح الملك هي أصل الديانة المسيحية. ولقد أورد المؤلفان في كتابهما «خلفية أسفار العهد الجديد» ما ترجمته: (إن أسفار العهد الجديد تستند إستناداً كليًّا على التنبؤات التي تحملها أسفار العهد القديم حيث وردت فيها أقوال كثيرة عن قدوم ملك اليهود، والذي كان اليهود ينتظرونه بفارغ الصبر. ومن أمثلة ذلك قول الرب لإبراهيم: «أترك بلدتك التي عشت فيها واترك أقاربك وأرض آبائك واذهب إلى الأرض التي سأدلك عليها. سأعطيك ذرية صالحة وإن تلك الذرية ستصير أمة عظيمة. إنني سأباركك وأبارك لك ذريتك وسيشتهر إسمك وستكون بركة»[٣]. وهكذا قال الرب لإبراهيم أنه من نسله ستكون أمة عظيمة.

---

(١) انظر كتاب: Rediscovering The Teachings of Jesus, Norman Perrin, New York Harper and Row, London SCM, 1967, PP. 207 - 248.

(٢) On The Subject of Primitive Christian Apocalyptic, Kasemann, New Testament Quetion of today, Translated by W.J. Montague, Philadelphia Fortress and London S.C.M., 1969, PP. 108 - 137.

(٣) انظر كتاب: New Testament Studies, Biger Gerhardsson, stockholm Verbum, PP. 77 and 80.

وقال الرب لبني إسرائيل أيضاً: «إن ملك الرب سينزع منكم ويعطى لأمة عظيمة وستكون تلك الأمة كالحجر الصلد. وكل من يحاول التصدي لها تكسره وتحطمه»[1].

إن أمثال هذه الأقوال هي التي أعطت المسيحية القوة وجعلتها تتشجع للإنفصال عن اليهودية لأن ملك الرب قد نزع من اليهود وسلم بواسطة عيسى للنصارى. كذلك قامت المسيحية على الأقوال التي وردت في الأناجيل من أن بني إسرائيل لا يعرفون الكتاب الحق فجاء عيسى لينبههم إلى ذلك: «إنكم تضلون لعدم معرفتكم الكتب وتعصون الرب»[2]. وكان عيسى في كثير من أقواله يدعو بالويل على بني إسرائيل لعدم إيمانهم[3].

ومما شجع المسيحيين على الإنفصال عن اليهودية خرق عيسى[4] لقوانين يوم السبت التي كانت سائدة عند اليهود. وقطعه لبعض الثمار وأكلها في يوم السبت وإتيانه المعجزات في هذا اليوم الذي يعتبر العمل فيه محرماً لدى اليهود)[5].

ويقول شلورمايكر عن ذلك ما ترجمته: (إن نشأة عيسى وسط اليهود كان لها أثر كبير في تكوين فكرة الإله عند عيسى.. كان والدا عيسى شديدي التدين وكانا يذهبان لأداء العبادات الخاصة باليهود في معابد اليهود، بل كانا يحضران كل الطقوس التي كانت تقام هناك.. إن نمو عيسى في جو مشحون بتنبؤات اليهود وتطلعاتهم كان له أثر كبير في تكوين شخصيته.. وإنه مما يدلنا على تأثر المسيحية بنشأتها في بيئة اليهود أن عيسى نفسه كان يتلقى تعليمه على أيدي رجال الدين اليهودي، فالديانة المسيحية مدينة للديانة اليهودية بكثير من الأفكار.

---

(١) سفر الخروج ٦: ١ ـ ٣٢.
(٢) سفر الخروج ٦: ١ ـ ٣٢.
(٣) مرقص ٧: ٧ ـ ٩.
(٤) متى ١١: ٢٠ ـ ٢٤.
(٥) متى ١٢: ١ ـ ٨.

وإنني أرى أن المسيحية ومبادئها الرئيسية ليست من وضع عيسى، بل هي من وضع أتباعه بعد القرن الثاني من الميلاد فصاعداً. ومما يدل على ذلك أن كثيراً من الأقوال الواردة في الأناجيل على لسان عيسى تدل على أنه لم يكن مخططاً لبرنامج معين، وهو لم يكن يمتلك الوقت الكافي في فترة حياته القصيرة للإدلاء بجميع تلك الأقوال المنسوبة إليه. كما أن هذه الفترة القصيرة لم تمكنه من فعل كل ما روي عنه. إذن فالمسيحية ديانة قامت على أيدي أتباع عيسى بعد انفصال المسيحية عن اليهودية)[1].

ويقول كونراد هنري مولمان Conrad Henery Moehlman في كتابه «كيف صار عيسى ربًا» ما ترجمته: (إن عيسى لم يكن مسيحيًا بالمعنى المعروف والمألوف لدى النصارى اليوم. إنه كان يهوديًا. إنه لم يعلن بأنه جاء بديانة جديدة لكنه كان ينادي بضرورة اتباع الإرادة الإلهية، وأن الإرادة الإلهية بالنسبة لليهود وبالنسبة لعيسى نفسه كانت متمثلة في قوانين اليهود وشريعتهم التي أنزلها عليهم إله بني إسرائيل. .

إن الديانة المسيحية لم توجد ولم تخرج إلى النور إلا بعد وفاة عيسى. فمجموعة الناس الذين كانوا يقطنون أورشليم هم الذين جعلوه مسيحيًا ونصرانيًا نسبة لموطنه الأصلي ناصرة الجليل. . إن عيسى في حياته لم يتنكر قط لعادات وتقاليد وقوانين إسرائيل والتي منها استمد قوانينه عند بدء دعوته. إنه كان مطيعاً لليهود وكان يؤدي صلواته في معابدهم. إن عيسى لم ينفصل عن اليهود، وإن المسيحية كديانة منفصلة عن اليهودية لم تبدأ إلا بعد أن ترجمت الأناجيل من الآرامية والعبرية إلى اللغة اليونانية. ولقد انفصلت المسيحية عن اليهودية وصارت ديانة مستقلة بذاتها بعد الصراعات والمنازعات التي حدثت بين اليهود وبين الإمبراطورية الرومانية خاصة بعد الثورة الأولى لليهود على الإمبراطورية الرومانية عام ٦٦م، وبعد أن غزت روما فلسطين وحطمت معابد اليهود وأماكنهم المقدسة وخاصة بعد سقوط أورشليم على يدي الرومان عام ٧٠م. منذ ذلك التاريخ

---

(١) انظر كتاب: The Background of the New Testament and its Escatology, W. D. Davis and D. Doube, U.S.A., 1957, PP. 210 - 221.

انفصلت المسيحية عن اليهودية، وصار لها كيان كديانة مستقلة بذاتها. ومما يدلنا على ذلك رفض النصارى إعطاء اليهود الضرائب التي كانت تفرض لتعمير معابد اليهود. إن إصرار النصارى ورفضهم لتلك الضرائب يدل على بداية وعيهم بأن دينهم دين منفصل عن الديانة اليهودية)[١].

ويقول إيميل برونر Emil Bruner ما ترجمته: (إن الديانة المسيحية ظهرت بعد حادثة الصلب مباشرة. إننا لا نستطيع أن نقول بأن الديانة المسيحية ديانة منفصلة عن التاريخ، بل هي ديانة جاءت في فترة تاريخية معينة. وإنني أعتقد ـ رغم النقد الكثير الذي يوجه للمسيحية في قضية صلب الإله وموته ـ أن المسيحية قد انبنت وقامت على تلك الفكرة. إن هذه الفكرة هي أساس الديانة المسيحية. ولقد انبنى وقام الدين المسيحي كله على تلك الفكرة التي تقول بأن الإله جاء وصار إنساناً مثلنا تماماً، كما تقول أن خلاص العالم يتركز في هذه القصة التي هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

منذ عام ١م وإلى ٣٠م ولأول مرة في تاريخ البشر صار الإله بشراً، وهي آخر مرة كذلك. هذا القول نتج عن اعتقاد النصارى في فترة المسيحية الأولى بأن عيسى هو الشخص الوحيد الذي لا يخضع لقوانين التاريخ. اعتبروا عيسى الرجل هو الرب الوسيط والمنقذ والمخلص والفادي، والكلمة الأزلية الأبدية للرب والتي جاءت وصارت جسداً في فترة تاريخية معينة.

إن المسيحية ظلت متمسكة بتلك العقيدة في صلابة وصمود أمام السخرية والنقد والتهم التي كانت توجه لها. ولم تهز تلك السخرية أو ذاك النقد أو هذه التهم من عزيمة النصارى ولم توهنها، بل صار النصارى في كل مكان يبشرون بالإنجيل الذي وجد قبولاً لدى كثير من الناس. وإنني أرى أن هذا النقد لم يثن من عزيمة النصارى لأنه قد وجه دون معرفة المغزى من وراء مجيء الرب وصيرورته إنساناً. إن المغزى الذي نراه في هذه الحادثة هو أن الإله فعل ذلك كي يؤمن الناس إيماناً كاملاً ويحصل لهم اليقين فلا يشكون في وجود الإله بعد أن

---

(١) The Life of Jesus, F. Schleiermacher, Fortress Press, U.S.A., 1977, PP. 102 - 122.

رأوه رؤية العين)[1].

ويقول الكاتب جيرالد ما ترجمته: (إننا لا نعرف أصلاً للديانة المسيحية إلا عن طريق الكتب الأربعة التي اعتمدها مؤتمر نيقيه، لذا فإنني أعتقد أن المسيحية وجدت بعد هذا المؤتمر. إننا لا نعرف شيئاً عن حياة عيسى التاريخي ولا نعرف شيئاً عن المسيحية في فترتها البدائية، ولا عن الكتب الأخرى التي كانت بأيدي النصارى في تلك الفترة)[2].

ويقول بيرين: (إنه مما لا شك فيه أن الروايات والقصص التي اعتمدت عليها الأناجيل واشتملت عليها قد وضعت كي تتناسب مع ادعاءات آباء الكنائس في فترة المسيحية الأولى، ولكي نعرف المسيحية يجب علينا أن نعرف آباء الكنائس الأوائل وأن ننظر في أقوالهم لأنهم هم الذين أقاموا المسيحية. إن البحث عن عيسى لا يجدي شيئاً، لأن واضع المسيحية التي نعرفها اليوم ليس عيسى الناصري، بل هو الرب الذي قام بعد الموت، ليس عيسى الإنسان بل عيسى الرجل الرب ابن الإله. يجب أن نبحث عن أصل تلك الأقوال التي ارتكزت على الصليب واتخذت من الصليب شعاراً ورمزاً لها تدافع عنه وتحميه بل غزت العالم باسمه)[3].

ويقول رودلف بولتمان Roudulf Bultmann (إن مؤسس المسيحية سواء كان هو عيسى أو أي شخص آخر من آباء الكنيسة فقد استمد آراءه من اليهودية. ونضرب مثالاً لذلك بالأب بولس، فهو لم يستمد آراءه من الكنائس، ولا من آباء المسيحية الأولى، ولا ممن عاصروا المسيح أو رأوه، ولا ممن كان حوله من النصارى بل استقى الأب بولس آراءه عن يهود الديزبورا Diaspora الذين كانوا أكثر

---

(١) انظر كتاب: 1. How Jesus Became God, a Historical Study of The Life of Jesus to The Age of Constantine, Conrad Henry Moehlman, New York, U.S.A., 1960, PP. 1 - 5.

(٢) انظر كتاب: The Scandal of Christianity, Emil Brunner (The Andrew C. Zenos Merorial Lectures) Philadelphia, The Westeminster Press, 1950, PP. 9 - 15 and PP. 22 - 23.

(٣) انظر كتاب: The Church and Jesus, F. Gerald, U.S.A., 1968.

اليهود تحرراً. وكانوا لا يمانعون من ادخال الآراء الفلسفية في اليهودية، لذا فإنهم كانوا قد دمجوا الديانة اليهودية بالفلسفات المحيطة بها.

ولما كان الأب بولس أحد أعضاء طائفة الديزبورا المشهورين قبل اعتناقه المسيحية لذا كان من الطبيعي تأثره بهم وخلطه المسيحية بالفلسفات التي كانت سائدة في عصره، خاصة الفلسفة الإغريقية التي عرفت بالفلسفة الهلينية)[١].

وهكذا رأينا باعتراف النصارى أنفسهم أن الديانة المسيحية السائدة اليوم، ومنذ مؤتمر نيقيه عام ٣٢٥م هي في حقيقتها ديانة مغايرة تماماً للديانة الأصلية التي بعث بها عيسى المسيح عليه السلام.

كما رأينا أيضاً وباعتراف منهم أن منشىء المسيحية المعتبرة اليوم والتي يتحمس لها المنصرون ليس عيسى عليه السلام، بل هو اليهودي الديزابوري بولس. ورأينا باعتراف من النصارى أنفسهم أن المسيح لم يناد في يوم من الأيام بأن رسالته رسالة عالمية، بل كانت رسالته مقتصرة على هداية بني إسرائيل فقط.

ورأينا كذلك أن أسطورة الصلب والقيام هي المسرحية التي آمن بها النصارى ومجدوها، ولم يؤمنوا برسالة المسيح عليه السلام، وليس لهم أي علم بفحوى تلك الرسالة.

---

(١) انظـــر كتــــاب: Rediscovering the Teachings of Jesus, Perrin, Philadlephia Fortress, 1976.

المبحث الثاني: الأسس والمبادىء التي قامت عليها المسيحية

رأينا أن المسيحية ترتكز في مجملها على حادثة الصلب، وأنها قد بنت كثيراً من المبادىء على تلك الحادثة المزعومة. وسوف نحاول هنا إن شاءالله أن نورد أهم تلك المبادىء، حسب ما أوردها أصحابها، ونحاول بعد ذلك شرحها وتوضيحها:

١ ـ مبدأ الثالوث.
٢ ـ مبدأ الخطيئة الأولى.
٣ ـ مبدأ الصليب.
٤ ـ مبدأ اللاهوت الخلاصي.
٥ ـ مبدأ جسد المسيح متمثلاً في الكنائس.
٦ ـ الطقوس الدينية وأهمها:
ا ـ التعميد.
ب ـ القربان المقدس.
ج ـ العقوبة الذاتية.
د ـ حلول روح القدس على آباء الكنيسة.

أولاً: مبدأ الثالوث: إن أصل مبدأ اللاهوت الثلاثي ونشأته ـ كما يرى ألبرت شوايزر ـ يرجع إلى القرون الأولى للمسيحية عندما ظن بعض النصارى أن المسيح قد قام بعد اليوم الثالث من صلبه ليحل فيه الإله فصار هذا المركب الجديد بزعمهم إلهين، الإله الأب والإله الإبن. ولتأكيد ذلك رجع النصارى لأقوال منسوبة للسيد المسيح يلقب فيها الإله بالأب، ليخلصوا من وراء ذلك إلى أن المسيح هو ابن الإله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً. ويرى شوايزر أنه قد وقعت هناك خلافات كثيرة حول بنوة المسيح للإله، هل هي حقيقية أم مجازية؟ بل كانت هناك طوائف كثيرة تقول بأن عيسى لم يقتل ونجا من الصلب. وقال آخرون: بأن عيسى صلب ومات ولكنه لم يبعث ثانية. وقالوا بأن الحواريين قاموا بسرقة جثة

عيسى بعد رشوة حارس القبر ليوهموا الناس بأنه قام من الموت، ومن ثم خلقوا الأساطير حول تلك القصة[1].

ويقول كيلي ما ترجمته: (إنه كانت هناك محاولات في القرن الثاني الميلادي لتوحيد الآلهة الثلاثة كمحاولات ترتليان Tertullian أحد بطارقة مدرسة الإسكندرية في ذلك العصر إلا أن ترتليان كان يرى أن الإله الواحد تجزأ وظهر في صور ثلاث، وبأن الإله أوحى بنفسه للعالم عن طريق تلك التجزئة.. أما قبل ذلك التاريخ فقد كان النصارى ينظرون إلى عيسى على أنه بشر ولكنه أعلى منزلة من بقية البشر العاديين. ومثال ذلك ثيودوتس Theodotus الذي عاش في نهاية القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي. فقد كان هذا القس يرى أن روح الإله قد حلت في عيسى ولم يكن عيسى إلا رسولاً حلت فيه روح الإله، وليس الإله هو الذي حل فيه.

وكانت هناك طائفة من النصارى في آسيا الصغرى عام ٢١٥م وكان على رأسها قس يدعى سابليوس. وقد انتقلت هذه الطائفة إلى روما فيما بعد وكانت تنادي بأن هناك ثلاثة آلهة مركبة في جسد واحد. وكان أفراد هذه الطائفة يدعون بأن الإله واحد لكنه يتجلى للبشر في صور متعددة. وبعد أن انتقلت تلك الطائفة إلى روما ظلت تنادي بتدعيم هذا المبدأ ونشره بين الناس.

وعندما احتدم الصراع مع الطائفة الآريوسية في القرن الرابع الميلادي وقف بطريق الإسكندرية مع أثيناسيوس وقفة قوية ضد آريوس الذي كان ينادي بأن الإله واحد، وله طبيعة واحدة. كما كان ينادي ببطلان القول الذي يزعم أن عيسى وروح القدس آلهة ملتحمة مع الإله الواحد. وقال بأن مثل هذا الزعم لا يتمشى مع مبدأ التوحيد. وقال آريوس أن عيسى بشر فوق البشر الآخرين لكنه لا يمكن أن يكون إلهاً لأن للإله طبيعة واحدة فقط وهذه الطبيعة لا تتجزأ.

وقف أثناسيوس في وجه آريوس بشدة. وتصدى له ولأتباعه، وتآمر عليهم وذلك بمعاونة بطريق الإسكندرية. وبتأييد من الحاكم قسطنطين استطاع أعداء

---

(١) انظر كتاب: Jesus, R. Bultmann, New York, Scribners, 1934.

آريوس أن يدعموا موقفهم، ثم أُعتمد مبدأ الثالوث في مؤتمر نيقية وبالتالي تكونت النواة الأولى للديانة المسيحية التي تؤمن بأن الذات الإلهية قد صارت منقسمة إلى الأب والإبن والروح القدس. ونادى مؤتمر نيقية بأن الإله الإبن يمثل نشاط الإله الأب وحركته فهو الجزء المتحرك من الإله. وأن روح القدس أيضاً من طبيعة الإله، وهو إله أيضاً كالإبن يمثل جانب الحركة والنشاط للإله الأب، وأن روح القدس روح غير مخلوقة كالإبن تماماً منبثقة عن الذات الإلهية الواحدة. ونجد أن طائفة الكبادوشيين قد تبعت هذه المقالة ونادى زعماؤها بأن الأب والإبن والروح القدس جميعهم آلهة أو أقانيم مشتركة في الجوهر والطبيعة الواحدة (طبيعة واحدة وجوهر واحد لثلاثة آلهة).. كما أن الكبادوشيين هم الذين طوروا مبدأ الثالوث ووضعوا الخطوط العريضة لهذا المبدأ في الشرق الأوسط. ثم جاء القديس أوغسطين في القرن الخامس وأيد هذا المبدأ، ثم جاء فلاسفة الغرب ونقلوا هذه الأفكار عن القديس أوغسطين وهو يعد من أهم آباء الكنيسة الذين أرسوا دعائم المسيحية)[1].

بعد أن رأينا آراء فلاسفة الدين المسيحي في نشأة الثالوث بصورة عامة نريد هنا أن نأخذ كل شخص (أقنوم) من أشخاص الثالوث على حِدَه لنبين بعض الآراء الواردة فيه.

الإله الأب:

كلمة (الآب) بمد الهمزة ونطق الباء مخففة كلمة عبرانية تعادل كلمة الأب بهمزة مفتوحة في اللغة العربية. وبنو إسرائيل كانوا يطلقون على الله إسم (ألوهيم) وإسم (أهوه)، أو (يهوه) وإسم (أدوناي) وإسم (أيل) ثم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله هو أبوهم بالمعنى المجازي. ولما ترجم الإنجيل إلى اللغة اليونانية وضع المترجمون كلمة الآب العبرانية كما هي لتدل على ذات الله تعالى.

وأول إسم لله تعالى في التوراة هو (ألوهيم) ويترجم باللغة العربية (الله)..

---

(١) انظر كتاب: The Quest of The Historical Jesus: A Critical Study of its Progress From Reimaraus to Wrede, Translated by. W. Montagomery and With Introduction by James M. Robinson, New York, MacMillan, 1968.

وهو لفظ في صيغة الجمع باللغة العبرانية يدل على المعظم نفسه، كما يفعل الملوك عادة عندما يتحدثون عن أنفسهم. وتدل ألوهيم على الإله الذي يخضع له كل بشر وكل شيء.

ولقد ورد في سفر الخروج إسمٌ آخر لله، وهو (أهوه) أو (يهوه) ومعناها (الموجود) أو (الكائن) أو (الذي كان) لأنه مشتق من اللفظ العبراني (هيه) أو (هوه) الذي يفيد الوجود ويترجم في العربية (الرب) أو (الله).. ثم بعد ذلك ورد (أدوناي) ويترجم في العربية (السيد) وقد يترجم (الرب).. ثم بعد ذلك نجد كلمة (أيل) تشير إلى الله تعالى، وكثيراً ما تستعمل مع صفة من صفات الله مثل (أيل عليون) كما جاء في الأصل العبراني أي الله العلي، و(أيل شداي) أي الله القدير[1].

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الأب الذي قصده النصارى عندما تحدثوا عن الإله الأب هو نفس يهوه عند اليهود[2]. وهو في حقيقة الأمر الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد كما ورد في القرآن الكريم. ولقد اختلط الأمر على النصارى في هذا الموضوع بالرغم من ورود أقوال كثيرة في أسفار العهد القديم المعتمد لدى النصارى تشير إلى وحداينة الله.

جاء في سفر الديثرونومي (سفر التثنية) أن الله قال لموسى: (اسمعوا إسرائيل إن الرب إلهكم إله واحد)[3].

وورد في أسفار العهد القديم المعتبرة لدى النصارى أيضاً قول موسى عن الإله: (ليس له مثيل ـ أو نظير)[4].

وفي أناجيل النصارى المعتمدة أقوال تشير إلى وحدانية الله. جاء في إنجيل متى قول منسوب لعيسى فيه: (لا تجعلوا لكم أباً في الأرض لأن أباكم واحد وهو

---

(١) انظر كتاب: Early Christian Doctorines, PP. 223 - 236.

(٢) انظر كتاب أقانيم النصارى: ٩ ـ ١١.

(٣) انظر كتاب: Creeds of The Churches, Edited, John. H. Leith, John Knox Press, Atlanta, 1982, P. 29.

(٤) سفر التثنية ٦: ٤ ـ ٦.

الذي في السموات)[1]. ورغم كل هذه الأقوال نجد أن مبدأ الثالوث هو المبدأ السائد في دين النصارى حتى يومنا هذا.

الإله الإبن:

اعتمد النصارى في قولهم بأن عيسى ابن الإله حقًّا وحقيقة على أقوال واردة في بعض الأناجيل، كالأقوال الواردة في إنجيل يوحنا: (كانت الكلمة موجودة قبل بدء الخلق، وكانت الكلمة مع الإله، وكانت الكلمة هي الإله. وخلال تلك الكلمة خلق الإله كل شيء. كل الخلائق جاءوا إلى العالم بواسطة تلك الكلمة. إن الكلمة هي مصدر الحياة، وهي مصدر كل شيء، وهي التي أعطت النور للدنيا. إن هذا الضوء الذي يجيء من الكلمة يضيء الظلمات ولا تستطيع الظلمات إخفاءه)[2].

وقوله في موضوع آخر: (إن الذي أتى من السماء أعظم من كل شيء، إنه يخبر بكل ما يراه وكل ما يسمع، ولكن لا أحد منكم يقبل رسالته والتي تنادي وتؤكد بأن الإله هو الحق.

إن الذي أرسله الإله يتحدث بكلام الإله؛ لأن الإله أعطاه روحه الكامل. إن الأب يحب إبنه ولذا فقد ملكه كل قوة. كل من يصدق كلام الإبن ستكون له الحياة الأبدية، وكل من يعصى الإبن لن تكون له تلك الحياة، وإنه سيظل تحت غضب الإله)[3].

ويدعي النصارى أيضاً بأن الإله الإبن هو نفس مسيح اليهود المرتقب، أي نبي اليهود الذي كان اليهود ينتظرون قدومه. والنصارى يعتمدون في ذلك على أقوال كثيرة من أسفار العهد القديم تشير إلى مجيء المسيح، ومجيء النبي. ولقد ورد في أسفار العهد القديم قول منسوب لله يقول فيه لموسى: (يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك.. أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجري

---

(١) سفر التثنية ٢٤: ٢٦.
(٢) متى.
(٣) يوحنا: ١: ١ ـ ٥.

كلماتي على لسانه، يتكلم بكل ما أوصيه به.. وكل من لا يستمع لكلامه فإني سأقاضيه)[١].

كان اليهود يرقبون مجيء هذا النبي. وكانوا دائماً يطلقون على أنبيائهم إسم المسيح لأن الأنبياء كانوا يدهنون أنفسهم بدهن طيب الرائحة وبعدها يبدأون في مخاطبة مستمعيهم. ويخبرنا بارنز تاتوم Barnes Tatum أن اليهود كانوا يقولون: أن النبي القادم سيكون ابن الإله، كما كان الشعب الإسرائيلي بأسره يلقب بابن الإله. ويقول بارنز أيضاً: أن اليهود كانوا دائماً ما يطلقون لقب ملك على أي سيد أو رئيس، لذلك قالوا أن النبي الآتي سيلقب بالملك[٢].

ورغم أن اليهود لم يكونوا ينتظرون الإله ليأتي بنفسه ـ كما زعم النصارى ـ أو أن يرسل إبنه الفادي. ورغم أن النصارى يصرون بأن عيسى هو نفس مسيح اليهود إلا أنهم قد ألهوه وادعوا بأنه ابن الإله. ظهر هذا بوضوح في رسائل بولس للعبريين والتي جاء فيها: (.. في تلك الأيام الأخيرة تحدث إلينا عن طريق ابنه الوحيد والذي خلق الإله بواسطته العالم، والذي اختاره الإله ليملك كل شيء في الآخرة أيضاً. إن الابن يعكس إشراق الإله وعظمته بل الصورة الحقة للإله نفسه.. إن الابن أعظم من الملائكة في السماء لأن الرب لم يقل لأحد منهم قط أنت إبني.. ولما قدّم الأب مولوده الوحيد للعالم قال للملائكة يجب أن تعبدوه)[٣].

من الواضح أن الزعم بأن عيسى هو ابن الإله نشأ أول ما نشأ عند كل من يوحنا وبولس. وكل من يوحنا وبولس قد تأثر بالفلسفة اليونانية التي كانت تؤمن بتعدد الآلهة. وعندما نشأت مشكلة الربط بين الألوهية والبشرية في شخص عيسى ـ وخاصة في فترة المسيحية الأولى ـ لجأ النصارى للفلسفة الإغريقية التي كانت

---

(١) يوحنا ٣: ١٠ ـ ١٧.

(٢) سفر التثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢.

(٣) The Origin of Jesus: A Comentary of the Enfancy Narratives in Mathew, Barnes Tatum, 1977, PP. 523 - 535.

انظر أيضاً: The Quest of Jesus: A guide book, Barnes. T, John, Knox Press Atlanta, 1982, PP. 113 - 115.

تؤمن بتعدد الآلهة وبوجود أبناء للإله. لجأ النصارى للفلسفة الإغريقية لحل ذلك الإشكال. ومن هذا الباب تغربت المسيحية عن بيئتها العبرية والآرامية ودخلت في متاهات فلسفية عجيبة وغريبة عليها، وهي الفلسفة الإغريقية الوثنية المعروفة لدينا.

روح القدس:

كان بعض النصارى منذ القرون الأولى وإلى اليوم يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة (الإله الأب، الإله الابن، الإله روح القدس) والإله روح القدس هو ثالث آلهة النصارى، ولهم آراء عديدة في كيفية انبثاقه عن بقية الآلهة. فمنهم من كان يقول بأنه انبثق عن الأب وحده. ومنهم من كان يقول بأنه انبثق عن الأب والابن معاً إلى أن قرروا ألوهيته الكاملة في مؤتمر كورتاج عام ٣٩٧م. وقرروا بأنه انبثق عن الأب كما انبثق الإبن عن الأب أيضاً.

قال اسبنوزا[١]: (إن فكرة روح القدس فكرة قديمة تتصل إتصالاً وثيقاً باليهودية. وقد توهم النصارى وغلطوا في فهم المقالة التي وردت في سفر التكوين عند الحديث عن بدء الخلق والتي تقول: في البداية عندما بدأ الإله الخلق كانت الأرض خربة وخاوية، وكانت البحار والمحيطات محاطة بالظلمة الدامسة، وروح الإله وقوته ترف على المياه..

إن كلمة روح التي فسرها النصارى بأنها روح القدس أو بأنها الإله الثالث، إنما حرفت عن معنى كلمة روح الواردة في التوراة، فإن روح تعني الريح أو الأهوية الشديدة باللغة العبرية. فروح الإله، وقوة الإله التي كانت ترف على وجه المياه هي رياح شديدة وليست روح القدس)[٢].

---

(١) رسالة بولس للعبريين ١: ٤ ـ ٦.

(٢) أسبنوزا كاتب يهودي الأصل عاش في الدول الاسكندنافية منذ عام ١٦٣٢ إلى عام ١٦٧٧م. وقد انشق عن صفوف اليهود واتهمهم بتزوير التلمود وطردهم النصارى من معابدهم. وذهب ليعمل في أمستردام ثم كتب رسالة «اللاهوت والسياسة» ولم يرض بذلك علماء النصارى وطاردوه ولاقى اضطهاداً كثيراً.

انظر كتاب: A History of Western Philosophy, 192 - 193.

ومن الواضح هنا أن النصارى خلطوا بين كلمة روح والتي رمز لها كتاب العهد القديم بقوة الإله التي كانت تعم الأرض قبل بدء الخلق وبين كلمة روح القدس وهو الملك الذي كان يتنزل بالوحي على الرسل. وقد عمدوا من هذا الخلط إلى خلق أسطورة جديدة أسموها بألوهية الروح القدس وأضافوها إلى الأب والإبن ليكتمل بذلك الثالوث. وكما ادعوا بأن كلمة الله التي خلق بواسطتها الكون هي عيسى المسيح، كذلك أرادوا أن يجعلوا قوة الله الأزلية هي جبريل ليستدلوا على أزلية جبريل ويؤلهوه.

ثانياً: مبدأ الخطيئة الأولى:

أصل هذه القصة كما هو معروف في الكتب السماوية أن سيدنا آدم قد عصى ربه وأكل من الشجرة المحرمة، فأخطأ بذلك، ولكنه كما ورد في القرآن الكريم قد تاب وأناب فغفر الله له خطيئته. قال تعالى في سورة طه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾[1]. وفي سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾[2].

ويعتقد المسيحيون أن هذه الخطيئة التي ارتكبها سيدنا آدم ظلت عالقة بالبشرية ولم تغفر حتى مجيء عيسى المسيح. وهم يظنون أن الشر قد تسلل إلى هذا العالم نتيجة لهذه الخطيئة. بل إن الذنب الذي ارتكبه سيدنا آدم عليه السلام - في نظر النصارى - قد أوقع الفوضى والاضطراب في العالم كله.

وهذا يظهر بوضوح في رسائل بولس[3] الذي ربط مبدأ الخطيئة بالجسد ونادى بأن الجسد شر يجب التخلص منه. ولذلك نراه يدعو إلى الزهد ويحارب الزواج ولا يؤمن به إلا عند الضرورة القصوى. كما يرى أن التخلص من البدن والزهد يوصلان الفرد إلى الكمال ويساعدان على الوصول إلى الرب والفناء فيه

---

(١) سورة طه: ١٢١ - ١٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٣٧.

(٣) رسائل بولس للعبريين ١: ٦.

عن طريق الروحانيات[1].

يقول بارثنق Barthing في ذلك ما ترجمته: (إن المسيحية لم تكن لها قوانين ونظم ثابتة في مثل قضايا الزواج ونظمه، لكن من الثابت أن آباء الكنيسة الأوائل أمثال بولس كانوا يرون الزواج شرًّا لابد منه لحاجة المجتمع إلى إنجاب الأطفال؛ لأن الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر مرتبطة بالجسد إرتباطاً وثيقاً. . وأن هذا الذنب الذي ارتكبه آدم قد أوقع الفوضى والاضطراب في نسله. والخطيئة هي ثورة الإنسان على إله إسرائيل الذي كان أتباعه دائماً يرونه شديد الغيرة عليهم، ولا يريدهم أن يعبدوا معه أحداً سواه، والذي حاول إخفاء شجرة المعرفة عن الإنسان لأنه لا يريد للإنسان معرفة كل شيء)[2].

وظل النصارى يعتقدون أن الجسد ورث الذنب عن آدم. ويحاولون إيجاد الطريقة المثلى للخلاص من الجسد. ولقد ظلت نظرية الخطيئة الأولى ملازمة للمسيحية ملازمة تامة حتى في عهد الثورة التي تعرف لدى النصارى بثورة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر حيث أكد كالفين ـ وهو أحد قواد تلك الثورة ـ بأن الجسد وارث للذنب عن آدم، وبأن العقوبة الإلهية على هذا الذنب واجبة في حق جميع الخلق، لكنه ادعى أن المسيح قد خلص العالم وفداهم بنفسه من أوضار تلك الخطيئة.

وفي القرن الثامن عشر هاجم كانت Kant وغيره من علماء النصارى وراثة الإنسان للذنب، ونادوا بأن الإنسان خيّر في ذاته، وأن الإنسان يجب أن يستيقظ ويفيق إلى وراثته للخير والقيم الفاضلة. وهذا القول في نظر جونز هو رأي علماء القرن الثامن عشر والذي بسببه حوربت طائفة البلجانية من قبل وعقدت المؤتمرات في كل من عام ٤١٨م و٤٣١م و٥١٩م و٥٥٢ لوقف زحفها ومحاربتها

---

(١) انظر: New Testament Studies, An International Journal, Published Quarterly Under The Auspices of Stuiorum Navi Testament Societies. Vol XIX, 1972 - 1973, PP. 221 - 225.

انظر أيضاً كتاب النصرانية والإسلام من ص ٧٠ ـ ٧٥.

(٢) انظر: Sexuality, Marriage and Divorce in Corinthians, Concordia Theological Monthly, 1st January, 1968, Volume 39, Page 355 - 366, by Barthing.

لأنها كانت تنادي بعدم صحة مبدأ الخطيئة الأولى[1].

ثالثاً: مبدأ الصلب:

جاء الدين المسيحي ـ كما هو معروف لدينا وكما هو وارد في بعض الفقرات التي لم تمتد إليها يد التحريف من الأناجيل المتداولة في أيدي النصارى اليوم ـ تصحيحاً لانحرافات اليهود عن ملة موسى عليه السلام. وإكمالاً للتعاليم الإلهية التي أرساها الحق عز وجل، وكلف الرسل بتبليغها للناس. وكانت تلك مهمة عيسى عليه السلام. وقد ورد في إنجيل متى قول منسوب لعيسى عليه السلام هذا نصه: (لا تظنوا إني أتيت لأقضي على قانون موسى وتعاليم الأنبياء من قبلي، ولكني جئت متمماً لها ومؤكداً لما قالوه)[2].

وورد أيضاً في نفس الإنجيل أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بالاقتصار على هداية خراف بني إسرائيل الضالة[3].

ولكن اليهود كادوا له، وتآمروا عليه، وسعوا لقتله فنجاه الله سبحانه وتعالى من شرورهم كما هو معروف لدينا في الإسلام. أما بورنكام Bornkamm فإنه يدّعي بأن اليهود وشوا بعيسى للحاكم الروماني ببطلاس الذي حاكمه وقتله بزعم بورنكام. ويرى بورنكام أيضاً أن عيسى كان قد مات لكن الذي أشاع قصة القيام وروّج لها هو الأب بولس.

يقول بورنكام في كتابه «بولس» ما ترجمته: (كان اليهود ينتظرون المسيح الملك الذي سيأتي لتخليص بني إسرائيل من قبضة الرومان وظلمهم، وليعيد مملكة اليهود في الأرض امتداداً لملك داوود وسليمان. ولكن عندما جاء عيسى مبشراً بغير ما كانوا ينتظرون كانت خيبة أمل اليهود عظيمة للغاية، لذا فقد أنكروا دعوته وناصبوه العداء وتآمروا عليه وحاولوا القضاء عليه، وأوحوا للحاكم الروماني بأن عيسى ليس إلا رجلاً خارجاً عن قانون الدولة الرومانية مخالفاً لسلطانها ومؤلباً الناس عليها، زاعماً بأنه المسيح الملك الذي ينتظره اليهود.

---

(١) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٢) متى ٥: ١٧.
(٣) متى ١٠: ٥.

وهكذا زينوا للرومان بأن يضعوا حدًا لدعوته قبل أن تستفحل وتهدد سلطان روما في تلك البقاع. وأشاروا على الحاكم الروماني بأن يقيم عليه العقوبة التي كانت تقام عادة في تلك الأزمان على كل منشق أو خارج عن سلطان الدولة الرومانية. وهي عقوبة الصلب.. إن الأب بولس هو الذي روج لحادثة القيام ثانية. وقد مزج بولس المسيحية بكثير من الأفكار الفلسفية التي كانت سائدة لدى اليونان والرومان وأن تلك الفلسفات كانت تعتبر قمة الفكر الإنساني في ذلك الزمان)[١].

وقد كثر الخلاف والصراع حول مشكلة الصلب في القرون الأولى بين منكر ومؤيد، وظهرت الخلافات حول حقيقة المسيح إلى أن ألهه بعض النصارى وتم تأييد الطبقة الحاكمة لتلك الطائفة في مؤتمر نيقية.

ويعتبر علماء الغرب أن مؤتمر كالسيدون في النصف الثاني من القرن الخامس هو الذي وضع الحل لهذه المشكلة. وهنا نورد خلاصة القرارات التي توصل إليها ذلك المؤتمر فيما يختص بهذا الموضوع: (قرر المؤتمر بأن عيسى كامل في قدسيته، كامل في ألوهيته وإنسانيته، بروح كأرواح البشر وجسد كأجسادهم، وأنه كذلك كامل في ألوهيته، وقد خلق من نفس مادة الإله وجوهره. والشيء الذي يميز بشريته عن بشرية الآخرين أنه بلا ذنب أو خطيئة لذلك كان هو الأنسب لملاقاة الموت على الصليب ليخلص المذنبين من الخطيئة)[٢].

ويرى جونز أن هذا المبدأ اكتمل على يدي جون الدمشقي في القرن الثامن الميلادي حيث نادى جون بوحدة جسد وروح المسيح كبشر عادي، ولكنه قال بأن هناك تمايزاً بين شخص عيسى في بشريته وشخصه في ألوهيته الأبدية، لأن الطبيعة المقدسة اخترقت الطبيعة البشرية وصعدت إلى السماء من حيث أتت كما يخترق الضوء الأشياء دون أن ينقص أو يزول. كذلك فإن الألوهية اخترقت الجسد

---

(١) انظر كتاب: Paul, Ganther Bornkamm, Translated by D.M.G stalker. Published by Harber and Row, New York and Evanston, U.S.A., 1971, PP. 109 - 117.

(٢) انظر كتاب: A History of Western Philosophy, PP. 142 - 147.

البشري ولم يؤثر ذلك في طبيعتها الإلهية. ويرى جون أيضاً أن الطبيعة البشرية كذلك كاملة لم يحدث لها شيء من جراء الإلتحام بالإله، ولذلك ادعى جون الدمشقي أن المسيح عانى ومات على الصليب وصرخ وتألم حسب طبيعته البشرية.

رابعاً: اللاهوت الخلاصي:

ويتمثل هذا المذهب في الأسطورة القائلة بأن خلاص العالم من الخطيئة الأولى لم يتم إلا بعد أن جاء اللاهوت الثاني أو الإله الثاني (الإبن) ليتألم ويهان ويموت على الصليب فداءً للبشرية عن خطيئة أبيهم آدم. ونشأ هذا الزعم وانتشر خاصة بعد أن ادعى الأب بولس بأن قصة الموت أو الصلب المزعومة إنما حصلت لفداء البشر. فالإله جاء بزعمه ليحمي خلقه من خطيئة ارتكبها آدم أبو البشر. ورأى الإله ـ كما يدعي بولس ـ أن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ خلقه هو اختيار طريق الموت على الصليب!!

وقد ظهرت تلك الإفكار المضحكة في رسائل بولس لأهل روما حيث قال: (إن الخطيئة تسربت للعالم عن طريق رجل واحد تسبب في موت جميع البشر وهلاك ذريته.. إنها حقيقة ثابتة أعلنها لكم في هذه الرسالة. إن الناس جميعهم مذنبون بسبب خطيئة رجل واحد، ولكن رحمة الإله أكبر من ذلك بكثير، لذلك أعطانا رحمة لا نستحقها عن طريق رجل واحد أيضاً هو عيسى المسيح.. فما أعظم ما صنعه هذا الرجل الأخير للبشرية.. إن كل من يؤمن به سينال من تلك الرحمة التي جاء بها وسيحيا حياة أبدية بواسطة عيسى كما مات بالخطيئة بسبب آدم.. وكما أن خطيئة رجل واحد لوثت البشر فإن كفارة رجل واحد حررت جميع البشر من خطيئة آدم. وكما أن الناس جميعاً أخطأوا لخطأ رجل واحد، فإن الإله كفّر عنهم عن طريق طاعة رجل واحد له حتى الموت.. إننا بالتالي لن نصير عبيداً للخطيئة ولذلك يجب أن نحيا جميعاً في تبعية المسيح عيسى)[١].

ويقول بولس أيضاً: (وبينما نحن لم نزل في خطيئتنا مات المسيح من أجل

---

(١) رسائل بولس لأهل روما ٦: ١ ـ ١١.

البشر ومن أجل هزيمة خطايانا. . لقد أرانا الرب مدى حبه لنا عندما اختار لإبنه طريق الموت من أجلنا، هذا الموت الخلاصي الذي خلصنا من الخطيئة. . لقد أنقذنا الإبن من غضب الرب. فبعد أن كنا أعداء الرب صرنا أحباءه وأصدقاءه)[1].

ويقول كيلي في نفس الموضوع: (إن مبدأ اللاهوت الخلاصي لم يكن مبدأ ثابتاً لدى النصارى، وإن الذي أدخله وضَمِن الأخذ به في الكنائس واعتباره مبدأ ثابتاً هو القس أنسلم في القرن الثاني عشر الميلادي)[2].

خامساً: الكنائس:

كان النصارى في القرن الأول الميلادي يتبعون اليهود ويؤدون عباداتهم وطقوسهم الدينية في معابد اليهود. ولم تكن لهم معابد خاصة بهم، كما رأينا ذلك في الأبواب السابقة.

ويخبرنا ليتفوت أن النصارى لم ينفصلوا عن اليهود إلا مؤخراً. ولم تقم لهم معابد خاصة بهم قبل قيام معابدهم خارج فلسطين في أنطاكيا عام ١٠٧م على يد إغناطوس (Ignatius). ويرى ليتفوت كذلك أن النصارى اعتمدوا في إقامة معابدهم على أقوال وردت في إنجيل بولس جاء فيها: (يسوع هو رأس المعبد، وهو منقذ المعبد. إن يسوع أحب المعابد وبذل نفسه فداء لها. فالمعابد هي جسد المسيح ونحن باشتراكنا في المعابد نكون مشاركين في هذا البناء الذي يمثل الجسد الذي فدانا). .

ونادى كلمنت Clement في القرن الثاني الميلادي بمقالة بولس وادعى أن الكنائس هي جسد المسيح. وادعى أن الرب قد خلق معابد النصارى قبل أن يخلق الشمس والقمر وجميع الكواكب.

وادعى أرينيوس Irenaeus في القرن الثاني الميلادي أيضاً بأن معابد النصارى هي إسرائيل الجديدة. وزعم أن الرب أراد أن يستبدل شعبه المختار بني إسرائيل

---

(١) رسائل بولس لأهل روما ٥: ٦ ـ ١٢.

(٢) انظر كتاب: Early Christian Doctorines: PP. 437 - 438.

بمعابد النصارى[1].

سادساً: الطقوس الدينية:

الطقوس الدينية هي الطقوس التي تقام بواسطة النصارى خارج وداخل الكنائس تأكيداً لإنتمائهم النصراني. وسنتحدث هنا عن بعض تلك الطقوس من أمثال التعميد، القربان المقدس، العقوبة الذاتية وحلول روح القدس على آباء الكنائس.

١ ـ **التعميد**: يرى كيلي أنه منذ أن نشأت المعابد لدى النصارى واستقرت وهي لا تقبل الأعضاء بها إلا بعد تعميدهم أو غسلهم بالماء. وقد ورد في الإنجيل أن أول من عمل بالتعميد هو يحيى بن زكريا، فهو كان يعمد الناس في نهر الأردن بغسل وجوههم وأيديهم بالماء. وتحكي الأناجيل قصة تعميد يحيى بن زكريا للمسيح عليه السلام. وقد ورد في تلك الأناجيل أنه عندما عمد يحيى عيسى قال الرب لعيسى: اليوم صرت إبني الوحيد[2].

والتعميد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخطيئة آدم وقصة اللاهوت الخلاصي، لذا فإن الطفل حديث الولادة يعمّد ليطهر ـ بزعم النصارى ـ من خطيئة آدم أبي البشر.

وقد ورد خلاف كثير بين النصارى حول إمكانية غفران الذنب بالتعميد. ويرى كيلي أن النصارى في الشرق الأوسط كانوا يظنون أن التعميد يؤدي إلى غفران جميع ذنوب الإنسان التي يقترفها في حياته، وذلك بجانب مغفرته لخطيئة آدم التي أورثها أبناءه. ويرى كيلي أن هذا المبدأ قد تطور في الغرب، إذ بيّن علماء الغرب أن الروح القدس يسيطر على الشخص بعد تعميده ولذا فإن التعميد ـ حسب زعمه ـ يغفر ذنب آدم الموروث، وقد يعصم الإنسان من الوقوع في الإثم أيضاً[3].

---

(١) The Apostolic Fathers, Light Foot, J.B. The MacMillan Company, 1981, part2, Volume 2, PP. 160 - 173.
St. Ignatius and Christianity in Antoich, Cowin V. New Haven, Yale University Press, 1960.

(٢) متى: ٣: ١٦، ١٧ ـ لوقا ٣: ٢٢ ـ مرقص ١: ١٠.

(٣) انظر كتاب: Early Christian Doctorines, PP. 440 - 455.

٢ ـ **القربانس المقدس**: وهو ما يعرف أيضاً باسم العشاء الرباني: وهذا من الطقوس الدينية المعروفة لدى النصارى، فهم يحتفلون بيوم يظنون أن المسيح قد تناول فيه آخر وجبة عشاء في حياته الدنيوية مع تلاميذه وحوارييه، وذلك في ليلة حادثة الصلب المزعومة، حيث ناول حوارييه ـ كما يدعي النصارى ـ قطعة من الخبز قائلاً لهم: هذا جسدي كلوه، ثم أعطاهم خمراً وقال لهم: هذا دمي اشربوه. ولذا فإن النصارى يشربون الخمر ويأكلون قطعة من الخبز في مثل هذه الليلة من كل عام ليشتركوا ـ بزعمهم ـ في جسد المسيح المصلوب فاديهم ومنقذهم، وبالتالي تكون لهم الحياة الأبدية(١).

وجاء أيضاً في رسائل بولس لأهل كورنثياس في قصة العشاء الرباني قوله: (إن الرب يسوع في الليلة التي قبض عليه فيها ليحاكم أخذ قطعة من الخبز وناولها لمن حوله قائلاً لهم: خذوه وكلوه فإنه جسدي. وأخذ خمراً وناوله لمن حوله أيضاً وقال: هذا الخمر هو العهد الجديد، اشربوه لتذكروا موت الرب إلى أن يأتي إليكم ثانية)(٢).

وبناء على زعم بولس ظن النصارى أن القربان المقدس المتمثل في الخبز والخمر هو الميثاق الجديد الذي أبدل الله به مواثيقه القديمة مع بني إسرائيل. وظنوا أن الله أعطى هذا الميثاق لمعابد النصارى تفضيلاً لها على معابد اليهود. وقد نقل لنا كيلي آراء بعض علماء النصارى في القرون الأولى في ذلك، مثل قول جيستاين Justine الذي جاء فيه: (إن الاجتماع لتناول هذا القربان المقدس إنما يعني الإشتراك في معاناة المنقذ والفادي الذي جاء ليموت على الصليب من أجلنا. وأن الخمر والخبز يمثلان دم المسيح ولحمه الحقيقيين. وأن من يتناول هذه الوجبة ويحتفل بها إنما يتناول دم ولحم المسيح).

وقال أرنيوس: (إن الخبز والخمر يتحولان دماً وجسداً حقيقيين ويخترقان جسد كل من يتناولهما ويزيدان الفرد إيماناً وقوة)(٣).

---

(١) يوحنا ٦: ٥١ ـ ٨١.

(٢) رسائل بولس لأهل كورنتياس ١١: ٢٣ ـ ٢٦.

(٣) انظر كتاب: Early Christian Doctorines, PP. 440 - 455.

وجاء أيضاً في كتاب النصرانية والإسلام في شأن العشاء الأخير ما يلي:

(ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، ويرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً.

وفي العشاء الرباني يستعمل قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما جرى وفُعِلَ بالمسيح ليلة القبض عليه وموته حتى يكون هذا طعاماً روحيًا للمسيحيين تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل هذا الخبز وشرب هذا الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحدث الإمتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه.. والعشاء الرباني عادة أخذتها المسيحية عن الأديان السابقة للمسيحية)[١].

٢ ـ العقوبة الذاتية:

إن مبدأ العقوبة الذاتية يدور حول مشكلة الذنوب التي يرتكبها الإنسان بعد أن يعمّد ويغفر له الذنب الرئيسي الذي ورثه عن آدم. ولقد أدى هذا الأمر إلى ظهور جدل ونزاع وخلافات كثيرة بين النصارى أنفسهم، إلا أن الرأي قد استقر عند معظم آباء الكنائس على أن التعميد يغفر ذنب آدم الموروث فقط. أما الذنوب الأخرى التي يرتكبها المذنب بعد تعميده فلا دخل للتعميد في مغفرتها.

وفي القرن الثالث نادى القس كليمنت Clement بضرورة التوبة والندم من جانب الإنسان المخطىء حتى يمكن غفران ذنوبه، ولكن يجب أن يتم ذلك أمام آباء الكنائس الذين يملكون من السلطان ما يمكنهم من غفران الذنوب أو عدمه بناء على السلطة التي منحهم إياها السيد المسيح[٢] عليه السلام.

استدل النصارى في إثبات هذا الزعم بقول ورد في إنجيل يوحنا منسوب لعيسى عليه السلام عندما خاطب حوارييه قائلاً: (اقبلوا الروح القدس، فمن غفرتم خطاياه غفرها له الرب فإن لم تغفروها لن يغفرها الرب)[٣]. وبناء على

---

(١) النصرانية والإسلام: ٦٤، ٦٥.

(٢) انظر كتاب: Early Christian Doctorines, PP. 450 - 453.

(٣) يوحنا: ٢٠: ٢٣.

ذلك ظن النصارى أن آباء الكنائس يملكون من السلطان ما يستطيعون به مغفرة الذنوب. وعليه فقد ظل الناس يتوجهون لأساقفة الكنيسة طلباً للغفران على أيديهم. وكان آباء الكنيسة يشجعون المذنبين لفتح قلوبهم والإدلاء بكل ما فيها كي تحصل لهم المغفرة.. هذا إذا كانت الذنوب كبيرة. أما الذنوب الصغيرة فقد ادعى آباء الكنائس بأن الفرد يستطيع نيل التوبة والعفو عنها بواسطة الصلاة والزكاة وغيرها من أعمال الإحسان. أما إذا كانت الذنوب عظيمة جدًا فقد كان على الفرد أن يعلنها أمام الناس جميعاً وبعدها يغفرها له القس.

ولقد أدى هذا التقليد إلى إستغلال الناس وأكل أموالهم بواسطة القساوسة باسم غفران الذنوب. ومنذ القرن الثالث عشر وإلى القرن السادس عشر ظهرت قصة صكوك الغفران التي استغلها آباء الكنائس في استنزاف أموال الناس وكوّنوا ثروات طائلة لأنفسهم من وراء ذلك[1].

ولقد جاء في كتاب النصرانية والإسلام أن قصة الغفران قد أُستحدثت في المسيحية بعد ذهاب عيسى عليه السلام، حيث يقول الكاتب ما نصه: (ويستندون في ذلك إلى ما ورد في إنجيل يوحنا في الإصحاح ٢٠ عدد ٢٢ وما بعدها منسوباً إلى السيد المسيح بعد قتله وصلبه ـ في اعتقادهم ـ ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله ـ كما زعموا ـ: «اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت». فهذه الوصية لم ترو عن السيد المسيح في حياته التي لازم فيها تلاميذه بل جاءت في الرؤيا عنه بعد ذلك مما يدعو إلى الشك وعدم الإطمئنان إليها لأنها من قبيل الرؤى والأحلام)[2].

ويقول جوشيا رويس Josiah Royce في كتابه «مشكلة المسيحية» ما ترجمته: (إن رؤى وأحلام الحواريين وأتباع المسيح كانت الأسس الرئيسية التي أرست دعائم ومبادىء المسيحية في فترتها الأولى. وكانت تلك الرؤى تعد بمثابة الحقائق الثابتة. ولقد أُخذ بها في كتابة الأناجيل خاصة فيما يختص بحادثة القيام

---

(١) انظر كتاب: Reformation and the Counter Reformation, Iserolh, New York, U.S.A., 1976.

(٢) النصرانية والإسلام: ٦٥.

أو البعث المنسوبة للمسيح بعد موته)[1].

٤ ـ الادعاء بأن روح القدس يحل على آباء الكنائس:

زعم آباء الكنائس أنهم معصومون من الخطأ خاصة آباء الكنيسة الرومانية التي اعتبرها أصحابها بمثابة الجسد الحقيقي للمسيح، لذا فهي الكنيسة الوحيدة التي يحق لها ـ من وجهة نظرهم ـ أن تسيطر على جميع الكنائس الأخرى. ومن هنا نشأت قصة البابا بروما الذي يعتبر أن كنيسته هي الكنيسة الأم التي أنشأها بيتر Peter (بطرس) أحد حواريي السيد المسيح بزعمهم. ولقد جاء في إنجيل متى قول منسوب لعيسى موجهاً كلامه إلى بيتر: «أنت بيتر وعلى يديك سيقام معبدي»[2]. وهذا القول هو أساس الظن بعصمة البابا.

ويقول صاحب كتاب النصرانية والإسلام في ذلك ما يلي: (هذا السر هو سبب عصمة بابا روما، واستحالة ارتكابه الإثم أو الخطيئة، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول أحد تلاميذ المسيح والذي منحه السيد المسيح ـ على حد تفكيرهم ـ مفاتيح السماء والأرض، بمعنى أن كل ما يربطه على الأرض فهو مربوط في السماء وكل ما حلله على الأرض يكون أيضاً محللاً في السماء.

ونظراً إلى أن البروتستنتية ضيّقت من نفوذ البابا في روما وحدّت من سلطاته اضطر بابا روما إلى تأكيد هذا الأمر بعقد مجمع مسكوني كالثوليكي في روما عام ١٨٦٩م فتأكد في هذا المجمع تمتع البابا في روما بالعصمة واستحالة ارتكابه الإثم)[3].

---

(١) انظر كتاب: The Problem of Christianity, P. 201.

(٢) متى ١٨: ١٨، ١٩.

(٣) النصرانية والإسلام: ٦٨.

الفصل الثاني

في تدوين الأناجيل وملحقاتها

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: تدوين الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد.

المبحث الثاني: بعض مؤتمرات النصارى وما تم فيها.

المبحث الأول: تدوين الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد

لقد رأينا في الباب السابق أن المستشرقين قد هاجموا السنة النبوية الشريفة هجوماً عنيفاً، وزعموا أنها لم تجمع بطريقة علمية. بل ادعوا أن رواة الحديث قد أدخلوا كثيراً من آرائهم وأهوائهم الشخصية في سنة رسول الله ﷺ. كل هذا ليتوصل هؤلاء المستشرقون إلى النتيجة التي يهدفون إليها وهي القول بأن سند السنة ضعيف ومتنها أضعف وبالتالي يهدمون السنة الشريفة وصولاً إلى هدم الإسلام جميعه. ويمكن تلخيص هجوم المستشرقين على السنة النبوية الشريفة فيما يلي:

١ ـ محاولة التشكيك في حقيقة نبوة محمد ﷺ.
٢ ـ التهجم على جمع وتدوين السنة ومحاولة التشكيك في سند الحديث ومتنه.
٣ ـ محاولة التشكيك في عدالة رواة الحديث وأئمة المسلمين الجامعين للحديث الشريف.
٤ ـ محاولة تشوية الإسلام بصورة عامة لتنفير الناس منه.

ومن الواضح أن تلك التهم كثيرة ومتعددة. وقد حاولنا في الأبواب السابقة إستعراض تلك التهم ومحاولة الرد على بعضها وبيان عدم نزاهة قائليها. أما في هذا الباب فإنني بإذن الله سأقوم بعرض تاريخي لمراحل جمع الأناجيل، ثم أُتبع ذلك في الباب القادم إن شاءالله بعرض تاريخي لمراحل جمع السنة النبوية الشريفة لبيان الفترة التاريخية التي بدأ فيها جمع كل من الأناجيل والسنة، والأسس والقواعد التي تمت بموجبها عمليات الجمع والتدوين.

وقبل أن نبدأ الحديث عن قصة جمع وتدوين الأناجيل يجب أن ننبه إلى أنه كانت هناك أناجيل كثيرة شائعة ومتداولة بأيدي النصارى قبل تدوين الأناجيل المعروفة لدينا اليوم. ولعله من الجدير بالذكر أن نبين هنا أيضاً أن دراسة المخطوطات القديمة والآثار المسيحية أثبتت أن هناك أقوالاً أخرى للسيد المسيح غير موجودة في الأناجيل الأربعة المعتبرة اليوم، وأن بعض الباحثين في تاريخ

الكنائس اليوم رمزوا لتلك الأقوال برمز «Q» وأن علماء البحث والتنقيب عن أصل الديانة المسيحية في دول الغرب لا يزالون منهمكين في دراسة ما جاء في تلك المخطوطات. وقد رأى بعض الباحثين أن تلك الكتابات المتفرقة والتي رمز لها بالحرف «Q» كانت مدونة قبل تدوين الأناجيل، رغم أن تاريخ تدوين هذا المصدر مازال مجهولاً لديهم. كما أن هذا المصدر يحمل أقوالاً متفرقة وغير منتظمة للسيد المسيح. وقد لاحظ ذلك علماء التنقيب كما وضح ذلك ستريتس Streets. وقد لاحظ العلماء أيضاً أن هذا المصدر غير مكتمل وقد سقطت منه كلمات، وفي بعض الأجزاء سقطت منه عبارات وانمحت بعض معالمه تماماً[1]. ويرى هؤلاء العلماء أن كتَّاب الأناجيل ربما كانوا قد أخذوا أقوالاً كثيرة عن هذا المصدر. ولكن على العموم فنحن سنركز حديثنا هنا على الأناجيل السنوبتيكية Synoptics[2] والتي تعتبر الأناجيل الأولى في المسيحية بادئين بإنجيل مرقص الذي يعده معظم العلماء أقدم الأناجيل، ثم متى فلوقا وبعدها نتحدث عن رابع الأناجيل وهو إنجيل يوحنا ونعقب ذلك بالحديث عن ملحقات الأناجيل، وخاصة رسائل بولس.

أولاً: إنجيل مرقص Mark

وهو أقدم الأناجيل المعترف بها لدى النصارى إلى اليوم. وقد قيل أن هذا الإنجيل كتب بروما. ويظن بعض النصارى أنه كتب بين عامي ٦٤ و٧١م. ويظن آخرون بأن هذا الإنجيل قد كتب قبل سقوط أورشليم على أيدي الرومان عام

---

(١) انظر كتاب: The Four Gospels, B.N.Streets, New York, The MacMillan Company, 1925, P. 136.

(٢) إن كلمة سنوبتك كلمة يونانية الأصل وهي مكونة من شقين (Syn) (سين) وهي تعني باللغة اليونانية سوياً أو معاً وOptanomia (اوبتنوميا) وهي تعني باللغة اليونانية يرى أو يشاهد. وقد سميت تلك الأناجيل بالسنوبتيكية لأنها تحمل آراء عامة عن حياة عيسى المسيح رغم اختلافها في كثير من الآراء عن بعضها البعض. في هذا الموضوع انظر:
The Dictionary of Christ and The Gospel, James Hasting, editor, New York, Charles Scribner's Sons, 1908, Volums, P. 163,
انظر أيضاً: The Dictionary of the Apostolic Church, James Hasting, Editor, New York, Charles Scribener's Sones, 1915, Volum 2,P. 203.

٧٠م. ويستدل مؤيدو هذا الرأي بأن هناك أقوالاً وردت بهذا الإنجيل تحمل تنبؤات تتعلق بسقوط أورشليم.

يقول ميريل تيني Tenney في كتابه (دراسة شاملة لأسفار العهد الجديد) ما ترجمته: (... نحن لا نعرف إلا القليل جدًّا عن جامع هذا الإنجيل، وأننا لا نعرف شيئاً عن شخصيته ولا عن هويته ولا عن الدافع من وراء جمعه لهذا الإنجيل.. وقيل إنه كان يدعى بيبياس ولكن أغلب الظن أن إسمه جون مرقص.. وقيل أنه نشأ وسط اليهود.

إن تاريخ مولده مجهول كذلك، وقد قيل إنه كان في العاشرة من العمر عند حادثة الصلب، وقيل إنه كان في العشرين عند حادثة الصلب.. وقال بعضهم أنه كان إبناً لمريم صديقة الحواريين التي ذكرت في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل يوحنا[١]. وقال آخرون أن مرقص هذا كان تلميذاً لبرنابا صاحب الإنجيل المشهور.. وقد قيل أن مريم والدة مرقص هي التي قدمت العشاء الرباني لعيسى قبل حادثة الصلب)[٢].

ونقل لنا ميريل أيضاً رأي المؤرخ إسبينوزا الذي زعم أن هذا الإنجيل كُتِبَ بعد عام ١٨٠م. وقال ميريل: أن الإنجيل كُتب مرتين. مرة قبل عام ١٨٠م ومرة بعد هذا التاريخ.

وقد قال Hayes في كتابه «الأناجيل السنوبتيكية» (أن موطن مرقص الأصلي كان قبرص، ونقله عمه برنابا إلى أورشليم)[٣]. وقال جوستاف أولين: إنه كان تلميذاً لبرنابا صاحب الإنجيل المعروف[٤].

---

(١) يوحنا ١٢: ١ ـ ١٥.

(٢) انظر كتاب: New Testament Survey, Merrill. C. Tenney, Illinois WM.B. Erdamans Publishing Co., Grand Rapids Michigan, U.S.A., 1982, PP. 153 - 157.

(٣) انظر كتاب: The Synoptic Gospels and The Book of Acts, Hayes Doremus. A., New York, the Methodist Book Concern, PP. 331 - 354.

(٤) انظر كتاب: Jesus in Contemporary Historical Research, Gustaf Aulen Translated, by Ingalill. H. Fortess Press.

وقال ويرنر جورج كامبيل في ذلك ما ترجمته: (إن اللغة التي كتب بها مرقص إنجيله الأصلي غير معروفة. وقد اختلف العلماء في ذلك. فقال بعض العلماء: أنه كتب باللغة اللاتينية ثم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية. وقال بعضهم الآخر: أن هذا الإنجيل كتب أساساً باللغة اليونانية.. وهذا هو القول المتفق عليه بين العلماء الذين نقّبوا وبحثوا في المخطوطات القديمة. ولقد اتفق هؤلاء العلماء على أن قصة بعث المسيح مرة أخرى بعد صلبه وصعوده غير موجودة في إنجيل مرقص الأصلي على الإطلاق. وقد تأكد لدى الباحثين في تاريخ الكنائس أن تلك الروايات أدخلت على هذا الإنجيل فيما بعد، وأنها من بنات أفكار الأجيال المتأخرة التي أعقبت وفاة المسيح، وقد تكون من أقوال شراح هذا الإنجيل.. وأن الأقوال التي جمعت وألحق بعضها ببعضها الآخر لتكوين هذا الإنجيل كانت أقوالاً متناثرة هنا وهناك. بل أن النسخة الأصلية لهذا الإنجيل قد وجدت في صحف قد تمزق بعضها ومحيت كتابات بعضها الآخر. وأظن أن تلك الأقوال قد جمعها المتأخرون ونسبوها لمرقص)[1].

وقال صاحب كتاب «الأناجيل السنوبتيكية وإصحاح الحوادث» ما ترجمته: (إن الأسرة التي ولد فيها مرقص كانت أسرة قبرصية. وأن موطن مرقص الأصلي هو جزيرة قبرص، وقد أحضره عمه برنابا لأورشليم. وبرنابا هذا كان صديقاً لبولس صاحب الرسائل الشهيرة.. وأن القصص والكتابات القديمة تشير بأن مرقص هو أول من أسس كنيسة في مدينة الإسكندرية. ويرى المؤرخ أسبيوز أن إنجيل مرقص لم يظهر للوجود إلا بعد عام ١٨٠م. وأن مرقص لم ير المسيح إطلاقاً. ولم يكن من حوارييه، بل عاصر بيتر. ويرى أسيبوز أن كليمونت بطريق الإسكندرية أمر مرقص بتدوين المحاضرات التي كان يلقيها عليهم شفهيًّا. ثم جاء أورجان خليفة بطريق الإسكندرية عام ٢٢٥م واحتفظ بهذا الإنجيل في كنيسة الإسكندرية ومنها اشتهر)[2].

---

(١) انظر كتاب: New Testament Survey, pp, 153, 154.

(٢) انظر كتاب: Introduction to The New Testament, Revised Edition, Werner Georg Kummel, Translated by Haward Clark Kee, Nashville Abingdon Press, New York, 1975, PP. 82 - 84.

ويقول كل من الإسكندر روبرت وجيمس رونالدسون في كتابهما المسمى «أرينيوس ضد الهرطقة» ما ترجمته: (توجد خلافات كثيرة في المخطوطات القديمة حول كتابة مرقص لإنجيله إعتماداً على أقوال بيتر. بل أن كثيراً من الآراء تشير إلى أن مرقص وبيتر لم يتعاصرا. ونجد أن اسبيوز يقول: أن هذا الإنجيل كتب بعد عام ١٨٠م. ويدعي أرينيوس أن الإنجيل كتب بعد وفاة بيتر بينما نجد أن كل من كليمونت وأورجين يشيران إلى أن هذا الإنجيل كتب أثناء حياة بيتر.. ويرى آخرون أن هذا الإنجيل كتب في روما لِمَا يحمله هذا الإنجيل من عبارات مكتوبة باللغة الرومانية)[1].

محتويات إنجيل مرقص:

إن إنجيل مرقص يتميز بالإختصار الشديد عن بقية الأناجيل. وهو عبارة عن سرد تاريخي للأحداث التي يدعى أنها حدثت أثناء فترة دعوة السيد المسيح، يتخللها ذكر بعض الأعمال التي صدرت عن السيد المسيح كعلاجه لذوي العاهات وإتيانه بالمعجزات ودعوته للناس وغيره.

يتكوّن الإنجيل من ست عشرة فقرة تبدأ بدعوة سيدنا يحيى لعيسى وتعميده. وتنتهي بمسرحية الصلب والقيام والتي اعتبرها علماء البحث والتنقيب في تاريخ المسيحية من الأشياء التي أضيفت مؤخراً إلى هذا الإنجيل. ومن الأشياء البارزة في هذا الإنجيل ما يلي:

١ - بدأ الإنجيل بمقدمة، ثم تحدث مرقص في الجزء الأول من إنجيله عن رسالة عيسى عليه السلام ووعظه للحواريين، وعن إظهار مقدرته في علاج المرضى. وعن تجمُّع الناس حوله، ووعظه لهم، وعن وقوف عيسى مع الفقراء والمساكين بعكس ما كان سائداً عند اليهود من احتقار لهؤلاء المستضعفين وعن خرق عيسى لقوانين السبت، وهو اليوم الذي يحرم اليهود العمل فيه.

٢ - يتحدث مرقص أيضاً عن خروج عيسى من منطقة ناصرة الجليل بعد أن رفض الناس دعوته. ثم تحدث عن إرسال عيسى للحواريين للوعظ داخل

---

(١) انظر كتاب: Arenaeus Against Heresy, Alexander Roberts and James Donaldson, Erdmans Publishing, 1951, Vol, 1, P. 824.

فلسطين، ثم تحدث عن إطعامه لخمسين ألف شخص، وإبرائه للأكمه والأبرص، وكيف طلب الناس منه أن يريهم المعجزات.

تحدث الكاتب أيضاً عن خروج عيسى من منطقة الجليل لأورشليم، ثم تحدث عن حالة عيسى الإجتماعية ونظرته للزواج وإنجاب الأطفال وغيره.

بعد ذلك تحدث الكاتب عن ذهاب عيسى لجبل الزيتون، وقصة القبض عليه وتقديمه للمحاكمة على يدي الحاكم بايلوت، ثم إدانته والسخرية منه وصلبه وموته ودفنه. ثم تحدث عن القبر الخالي، والقيام والظهور لبعض الحواريين ثانية بعد الموت، كما يزعم من كتب تلك الأسطورة.

ثانياً: إنجيل مَتَّى Mathew

يقول ميريل تيني Merrel Tenney ما ترجمته: (أن الإسم الحقيقي لصاحب هذا الإنجيل غير معروف، وأن تاريخ مولده مجهول كذلك. وقد وردت أقوال مبنية على الظن في تاريخ كتابة مَتَّى لهذا الإنجيل. فقد رأى بعض العلماء أن هذا الإنجيل كتب قبل سقوط أورشليم، ورأى بعضهم الآخر أنه كتب بعد سقوط أورشليم أي بعد عام ٧٠م. ولا يُعرف كذلك أين كتب مَتَّى إنجيله، والأقوال التي وردت في ذلك كلها أقوال مبنية على الظن. فقد قال بعضهم أنه كتب في اليونان، وقال آخرون: أنه كتب في أنطاقيا بآسيا الصغرى، ويرى غيرهم: أن إنجيل متى هو أقدم الأناجيل، ثم تلاه إنجيل مرقص)[١].

ويقول جورج كيميل ما ترجمته: (أن إسم مَتَّى الحقيقي غير معروف. وقد قيل أنه كان يهوديًا قبل اعتناقه المسيحية. وقد قال بعض العلماء أن متى كان أحد حواريي عيسى، لكن هذا القول الأخير غير صحيح لأن مَتَّى كتب إنجيله باللغة اليونانية وهي لغة كانت غير معروفة ولا مألوفة لدى الفلسطينيين الذين كانوا ينطقون باللغتين الآرامية والعبرية.

إن مَتَّى ـ رغم اعتناقه المسيحية ـ كان متأثراً تأثراً كبيراً باليهودية، فهو لم ينظر لعيسى إلا من وجهة نظر يهودية في كثير من كتاباته. بل ركز في إنجيله على

---

(١) انظر كتاب: New Testament Survey, PP. 144 - 145.

أهمية عيسى كمسيح لليهود. بل نجد أنه يحدد رسالة عيسى ويقتصرها على هداية الإسرائيليين فقط. وهذا يظهر بوضوح في القول الذي رواه عن عيسى حينما خاطب حوارييه قائلاً لهم: «في طريق أمم لا تمضوا، وفي مدن السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا لبيت إسرائيل الضال»[1]. وقوله أيضاً: «وعندما يضطهدونكم في مدينة فروا إلى مدينة أخرى. إنني أؤكد لكم إنكم لن تنتهوا من هداية كل المدن الإسرائيلية قبل أن يأتي ابن الإنسان»[2].

وكان متَّى يحاول دائماً أن يقرب ما بين ديانة النصارى وديانة اليهود وخاصة فيما يتعلق بأداء العبادات. وقد ركّز متَّى أيضاً عند حادثة المحاكمة والصلب على إبراز كيد اليهود لعيسى ووشايتهم به عند الحاكم الروماني. ويرى متَّى أن كيد اليهود لعيسى قد بلغ مداه عندما كتب اليهود على خشبة الصلب: «هذا هو عيسى ملك اليهود» وذلك إمعاناً في الكيد له وتضليلاً للسلطات الرومانية)[3].

محتويات إنجيل متَّى باختصار:

تحدث هذا الإنجيل عن نسب عيسى من يوسف النجار إلى أن أوصله لداود عليه السلام ثم لإبراهيم الخليل. ثم تحدث عن بدء دعوة عيسى في منطقة الجليل، ثم عن اختياره لحوارييه، ووعظه وعلاجه للناس، وصراعه مع طائفة الفريسيين اليهودية، وطلب الناس منه الإتيان بالمعجزات، ثم خرق عيسى لقوانين السبت عند اليهود، وإطعامه للفقراء، وحيرة الناس في من يكون.

تحدث هذا الإنجيل أيضاً عن سفر عيسى قاصداً أورشليم ثم تحدث عن تنبؤات عيسى بحادثة الصلب، وعن تنبؤاته بمعاناة الحواريين من بعده. ثم تحدث عن مجيء ابن الإنسان في المستقبل القريب، ثم تحدث مرة أخرى عن مجيء ابن الإنسان وحذر من اقتراب الساعة.

وفي الخاتمة تحدث عن حادثتي الصلب والقيام المزعومتين.

---

(١) متَّى ١٩: ٥ ـ ٧.

(٢) متَّى ١٠: ٢٣.

(٣) انظر كتاب: New Testament Survey, 145.

ثالثاً: إنجيل لوقا Luke

. قال ميريل تيني ما ترجمته: (إن كاتب هذا الإنجيل مجهول، لا يعرف شيء عن إسمه الحقيقي. وأن القول بأنه كان طبيباً أنطاكيًا قول مبني على الظن)[١].

ويقول جورج كيمبيل ما ترجمته: (..قيل أن إسمه الحقيقي هو لوقا. ولم يثبت تاريخيًا أن لوقا هذا رأى السيد المسيح على الإطلاق. وقد ورد في سيرته أنه كان طبيباً أنطاكيًا..

ومن الثابت أن كِتَاب الأحداث ـ أعمال الرسل ـ يعتبر دخيلاً على إنجيل لوقا. ويرى كثيرون أن هذا الكتاب لا يمت بأي صلة لهذا الإنجيل. ومن الملاحظ أن إنجيل لوقا وجد مكتوباً باللغة اليونانية أيضا)[٢].

ويقول تيني ما ترجمته: (أن كتاب الأحداث مكتوب بأسلوب مغاير تماماً للأسلوب الذي كتب به الإنجيل. ولو ثبت لنا أن كاتب الأحداث هو صاحب الإنجيل لاستطعنا معرفة الكثير عن شخصية لوقا.

أما عن مكان كتابة هذا الإنجيل فهو مختلف فيه. قال بعضهم أنه كتب خارج فلسطين لأنه مكتوب باللغة اليونانية. وقد يكون كتب في أنطاكيا لأن كاتبه عاش في أنطاكيا مدة خمسة عشر عاماً والتقى بعدها بولس ـ صاحب الرسائل المعتمدة ـ في طورروس، وظل يتنقل معه في رحلاته بمختلف البلدان.

أما تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهو غير معروف. والأقوال الواردة في ذلك جميعها مبنية على الظن والتخمين. وأغلب الظن أنه كتب بين عام ٧٠ ـ ٩٠م)[٣].

محتوى إنجيل لوقا باختصار:

تحدث كاتب هذا الإنجيل عن مولد يحيا بن زكريا، وعن مولد عيسى

---

(١) انظر كتاب: New Testament Survey, PP. 171 - 172.

(٢) انظر كتاب: Introduction to the New Testament, PP. 129 - 132.

(٣) انظر كتاب: New Testament Survey, PP. 172 - 174.

عليهما السلام. ثم تحدث عن ختان عيسى عليه السلام في المعبد كما جرت عليه عادة اليهود في اليوم السابع من مولده. وتحدث قليلاً عن طفولة عيسى وحياته داخل معابد اليهود. ثم تحدث عن تعميد يحيى بن زكريا لعيسى. ثم ذكر نسب عيسى من يوسف النجار إلى أن أوصله إبراهيم الخليل عليه السلام.

تحدث كاتب هذا الإنجيل أيضاً عن نشاط عيسى داخل منطقة الجليل، وعلاجه لكثير من المرضى، واختياره لحوارييه، ووقوفه مع الفقراء والمساكين، وخرقه لعادات يوم السبت عند اليهود.

ثم تحدث كاتب هذا الإنجيل عن مواعظ عيسى، وضربه الأمثال، ثم إرساله الحواريين لكي يعظوا الناس، وحديثه عن قرب الساعة وحديثه عن قرب مجيء ابن الإنسان وتنبؤاته عن آلام الصلب.

ثم تحدث كاتب الإنجيل عن نشاط عيسى داخل أورشليم بعد أن رحل إليها قبل صلبه المزعوم بقليل، ثم تحدث عن حادثة القبض عليه ومحاكمته ثم عن أسطورة الموت والقيام.

رابعاً: إنجيل يوحنا John

نقل لنا جورج كيميل الخلافات التي وردت حول حقيقة كاتب هذا الإنجيل قائلاً ما ترجمته: (لقد اختلف العلماء في حقيقة إسمه. فقد ظن بعضهم أنه يوحنا الزبدي أحد حواريي عيسى الوارد ذكرهم في الأناجيل السنوبتيكية. وقال آخرون: إنه شخص مجهول انتحل شخصية يوحنا الزبدي الحواري وكتب الإنجيل تحت إسمه. وعلى العموم فإن تاريخي مولده ووفاته مجهولان.. وعندما نقّب الباحثون عن هذا الإنجيل قالوا بأنه لم يكتب قبل عام ٨٠م. وقيل أنه كتب بين عام ٨٠ ـ ٩٠م. وقيل أنه كتب بين عام ١١٠ ـ ١١٥م. وقد ذكر الباحثون أن هذا الإنجيل كتب في آسيا الصغرى حيث كان يقيم يوحنا. وقال آخرون أن يوحنا أورشليمي الأصل.. لكن القول بأنه سوري الأصل هو أقرب الأقوال إلى الصحة)[1].

ويقول هاوارد Haward ما ترجمته: (أن إنجيل يوحنا هذا مغاير للأناجيل

---

(١) انظر كتاب: Introduction to The New Testament, PP. 232 - 236.

السنوبتيكية في كثير من الأقوال. ويرى علماء البحث والتنقيب أن نقاط الخلاف بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى أكثر من نقاط الاتفاق. ولذلك قال بعض العلماء: أن يوحنا حاول الإستقلال عن الأناجيل الأخرى.. بل أن يوحنا هذا هو أول من نادى بفكرة اللوجوس. وكان متأثرا في ذلك بالفلسفة اليونانية والديانات الرومانية والإغريقية التي كان أتباعها يؤمنون بفكرة تجسيد الإله. بل كانوا يؤمنون بفكرة ابن الإله الذي صار إلهاً كاملاً كما هو الحال عند اليونانيين القدماء.. وأن يوحنا هو أول من جعل عيسى أزليًا مع الإله)[1].

محتويات إنجيل يوحنا باختصار:

افتتح الكاتب هذا الإنجيل بقصة اللوجوس أو كلمة الإله التي جاءت وصارت جسداً. وهذا الكاتب دائماً ما يشير إلى فكرة المنقذ والمخلص الذي طالما تحدثت عنه أسفار العهد القديم لدى اليهود.

تحدث الكاتب أيضاً عن معجزات عيسى، وعن حواره مع كبار قواد اليهود، وعن اتباع الحواريين لعيسى. ثم تحدث عن حادثة القيام بعد الموت.

خامساً: رسائل بولس Paul

قال جونز في كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية» ما ترجمته: (إن بولس كان يهوديًا. وكان يُدْعَى شاول أو صاول Saul قبل أن يعتنق المسيحية. وبعد أن اعتنق المسيحية غير إسمه إلى بولس.. أما تاريخ مولده فمجهول. وقد قيل أنه ولد في روما. وقال بعضهم: أنه ولد بآسيا الصغرى. والمشهور أنه أعدم عام ٦٢م.. وكان بولس يكره النصارى ويتحين الفرص لإيذائهم قبل أن يرى الرؤيا التي اعتنق على أثرها المسيحية. بعد تلك الرؤيا صرح بولس بأن المسيح قد حل فيه شخصيًا عندما كان في طريقه إلى دمشق. وعليه فقد ادعى بأن الأقوال التي دونها في رسائله هي ليست من عنده وإنما هي من وحي المسيح الذي حل فيه)[2].

---

(١) انظر كتاب: Interpretation, Haward W.F. London, the Epworth Press, 1931, PP. 292 - 293.

انظر أيضاً: Life of Jesus of Makennal, New York, 1975.

(٢) انظر كتاب: A History of Western Philosophy: The Medieval Mind (PP. 38 - =

ويقول ماكين جرشام Machen Gersham في كتابه «أصل ديانة بولس» ما ترجمته: (كان بولس يهوديًا من طائفة الفريسيين. وقد قيل أنه ولد بطرطوس، وتربى في أورشليم، وإسمه الأصلي شاول. وقال بعض العلماء أنه روماني الأصل. وكان يهودي العقيدة قبل اعتناقه المسيحية. وقيل أنه أعدم عام ٦٢م بعد أن وشى به اليهود للرومان.. ولقد ثبت لدى المنقبين عن أصل الديانة المسيحية أن بولس لم ير المسيح في حياته. ومن المعروف أن بولس كان في بداية حياته من أكبر أعداء النصارى. وكان لا يتورع عن إيذائهم والكيد لهم. بل صرح هو نفسه بذلك في إحدى رسائله لأهل غلاطية حيث قال: «إنكم سمعتم بسيرتي، فإني كنت يهوديًا أضطهد النصارى وكل من ينتمي للمسيحية»[١]..)[٢].

أما سبب اعتناق بولس للمسيحية فقد انبنى على رؤيا رآها أثّرت في نفسه تأثيراً عظيماً كما يدعي. ولقد أورد الطهطاوي في كتابه «النصرانية والإسلام» هذه القصة كما رواها بولس في رسائله حيث قال الطهطاوي: (..إنه اقترب من دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول، شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده!! صعب عليك أن تقرب منا. فقال وهو مرتعد ومتحير: ماذا تريد أن أفعل؟ فقال الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.. ثم ورد الآتي: وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنْ هذا هو ابن الإله)[٣].

ويرى جورج كيميل أن ست من الرسائل الأربع عشرة ثبت عند البحث والتنقيب أنها ليست لبولس. بل هي من كتابات تلاميذه، وهم الذين نسبوها لبولس، وكتبوها تحت إسمه.

١ ـ قال بعض علماء النصارى أن الرسائل المرسلة لأهل إبيسيانز Ephesians

---

= 50), W.T. Jones, Second Edition, New York, U.S.A., 1959.

(١) رسائل بولس الثانية لأهل غلاطية: ١ ـ ٣، ٤.

(٢) انظر كتاب: The Origin of Paul's Religion, Machen, J. Gersham, Grand Rapids Mich WM. B, Erdmans Publishing Company, 1974, 329 (See Chapter 3 P. 71 - 113).

(٣) النصرانية والإسلام ٢٤٥.

ليست من رسائل بولس بل هي منسوبة إليه.

٢ ـ قال بعض علماء النصارى أن الرسالة الثانية لأهل تسالونيا Thessalonians ليست من رسائل بولس.

٣ ـ وقال آخرون أن الرسائل المرسلة لأهل كولوسيان Collossians ليست من رسائل بولس.

٤ ـ واتفق جميع العلماء أن الرسالتين الأولى والثانية لأهل تيموس Timothy ليستا من رسائله أيضاً[١].

ويقول جونز ما ترجمته: أن لبولس أهمية كبرى بالنسبة للديانة المسيحية.. وكان بولس متأثراً بالثقافة الإغريقية لأنه كان من اليهود الذين استوطنوا روما. وقد تلقى بولس تعليمه في روما على أيدي قساوسة اليهود الربانيين Rabbis. وكان الأب بولس حتى بعد دخوله المسيحية يعتز بيهوديته ويقول: إنني يهودي من سلالة الأنبياء.

ويحكي جونز قصة دخول بولس المسيحية قائلاً: (عندما كان بولس ذاهباً إلى دمشق لأداء بعض مهامه، حدث له حادث هام غير مجرى حياته كلها.. رأى بولس السيد المسيح وخاطبه واعتنق المسيحية وصار من دعاتها منذ ذلك الوقت.. ولقد كانت هناك محاولات عديدة من فلاسفة ورهبان النصارى لترجمة رؤيا بولس. فقال بعضهم: إن الإله قد تدخل تدخلاً مباشراً لتحويل قلب الأب بولس بنفسه. وقال آخرون: إن بولس كان رجلاً شاذًا وغير عادي. وقال بعض العلماء: إن بولس كان يعاني من مرض نفسي خطير جعله يدعي أن الإله قد حلّ فيه. وقال آخرون أيضاً: أنه كان يعاني من عاهة جسمانية تكاد أن تقعده عن الحركة. وقال آخرون: أنه كان مصاباً بالهلوسة)[٢]. ويعقب جونز على هذا بقوله: أن الذي يهمه ليس البحث عن سبب رؤيا بولس، وإنما الذي يهمه هو الرؤيا وما ترتب عليها من نتائج خطيرة في تاريخ الديانة المسيحية، وفي العالم الغربي بأسره إلى يومنا هذا.

---

(١) انظر كتاب: Introduction to The New Testament, PP. 220 - 225.

(٢) انظر كتاب: A History of Western Philosophy, PP. 39 - 40.

ويقول جوشيا رويس في كتابه «مشكلة المسيحية» ما ترجمته: (إن تعاليم الأب بولس ورسائله تختلف إختلافاً كليًّا عن تعاليم عيسى المسيح.. وقد قال بولس أنه تلقى تعاليمه عن المسيح الرب مباشرة بعد قيامه من الموت ثانية. لكن الأب بولس لم ير المسيح في حياته قط. ولم يسمع عنه إلا بعد أن ظهرت له الرؤيا في دمشق. وقد ركز بولس في دعوته بأنه اتحد بالإله المسيح الإبن اتحاداً روحيًّا كاملاً. وكان هذا الإتحاد بمثابة قفزة هائلة تحوّل فيها من عبادة يهوه إله اليهود إلى عبادة المسيح ابن الإله. وكان بولس يرى أن الإيمان الحقيقي هو الإتحاد روحيًّا بالإله المصلوب. ومن فعل ذلك استحق ونال الحياة الأبدية التي وعد بها الأب. ولقد غيّر الأب بولس رسالة عيسى. وهو الذي حوّل مسيح اليهود إلى مسيح عالمي وحول عيسى إلى الإله المنقذ)[1].

ويقول بارنيز تاتوم Barnes Tatum في كتابه «في البحث عن عيسى» ما ترجمته: (إن بولس هذا كان يتمتع برهافة الحس لأنه عاش في روما، وتلقى تعليمه هناك، ولو كان بولس يهوديًّا من فلسطين وأهلها المتخلفين جامدي التفكير لما صارت المسيحية ديانة عالمية. ولما نمت ولقيت هذا التطور والإنتشار السريع، ولتردت المسيحية كما تردى كثير من الطقوس الدينية التي كانت شائعة في تلك الأزمان.. إن خلفيات بولس أثرت تاثيراً كبيراً في فهمه لرسالة عيسى والإفادة مما كان يدور حوله من أفكار وطقوس كان أشهرها فكرة الإله الذي مات وقام ليدهش من حوله، ويريهم عظمته ومقدرته الفائقة في القيام من الموت وهزيمته.

إن اليهود الذين تحولوا إلى نصارى في تلك الأزمان كان تفكيرهم قاصراً ومحصوراً في الإله يهوه، الإله الواحد، لذلك صعب عليهم فهم رسائل بولس، وكيفية الربط بين يهوه إلههم الواحد الذي ألفوا الإيمان به وبين إله بولس الذي يحمل شخصاً آخر معه تحت رأس واحدة.. إن الأب بولس نفسه لم يكن واضحاً فيما يقول. فهو يخلط أحياناً بين الإله يهوه وآلهة الإغريق، فنراه يقول تارة: إن عيسى هو ابن الإله الواحد ويهوه إله اليهود. وتارة يقول: إن الإله الرب جاء

(١) انظر كتاب: The Problem of Christianity, P. 50.

وصار جسداً لمغفرة خطايا البشر. وتارة أخرى يقول: بالرغم من أن عيسى كان يمتلك الطبيعة الإلهية إلا أنه لم يستطع أن يصير مساوياً للإله تماماً. وهذا هو السبب في قولنا أن الإله رفع من مقامه رفعاً عظيماً.. وفي موضع آخر من رسائله يقول: إن الرب يسلم مقاليد أمور مملكة الرب للإبن.. وحينئذ سيظل الإبن أيضاً خاضعاً للأب والذي سيخضع له كل شيء، ويكون الأب هو السيد لكل شيء)[١].

وهكذا يتضح لنا كيف غيّر بولس رسالة السيد المسيح، وكيف ادعى أنه كان يتلقى الوحي من المسيح مباشرة. وكيف استبد برأيه وأدخل البدع في الدين المسيحي. وكتب المسيحية كما يراها هو لا كما جاء بها السيد المسيح عليه السلام.

سادساً: أصحاب الرسائل الأخرى:

هناك رسائل أخرى ملحقة بالأناجيل، منها ثلاث رسائل يُظنّ أن كاتبها هو يوحنا. وهناك أسفار الرؤى وهي ملحقة بالأناجيل ويُظَن أن كاتبها أيضاً هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع. ولكن العلماء اختلفوا في ذلك فقال بعضهم: أنها ليست ليوحنا لأن إنجيل يوحنا مكتوب بلغة يونانية طلقة توضح أن صاحبها كان يجيد اليونانية، بينما الرسائل مكتوبة بلغة يونانية ركيكة.

وهناك مجموعة رسائل أخرى تتضمن رسالتين لبيتر ورسالة لجيمس ورسالة لجود. وهذه الرسائل كانت قصيرة وتكاد تكون شخصية.

قال جورج كيميل: (أن أصحاب تلك الرسائل مجهولو العين، ولا يعرف شيء عن سيرتهم).

أما ميريل تيني فيقول مستنداً على الأناجيل السنوبتيكية ما ترجمته: (إن جود وجيمس أخوة لعيسى أما بيتر فهو أحد الحواريين)[٢].

---

(١) انظر كتاب: In Quest of Jesus, Branes Tatume, John Knox Press, U.S.A., Atlanta 1971, PP. 90 - 101.

انظر أيضاً: A History of Western Philosophy, PP. 47 - 54.

(٢) مرقص: ٦: ٣.

كما يقول أيضاً: إن تاريخ كتابتهم لتلك الرسائل مجهول. والأقوال الواردة في ذلك مبنية على الظن. ويقال أنها كُتِبَت باللغة اللاتينية بين عامي ٤٠ و٦٨م.

أما عن رسالتي بطرس الأولى والثانية، فقد روى ميريل تيني أن الرسالة الأولى قد تحدثت عن الاضطهاد الذي كان يلاقيه النصارى في ذلك الوقت، أما الرسالة الثانية فهي تتحدث عن وجوب معرفة المسيحية الحقيقية. ويقول ميريل أن بعض الآراء تقول بأن هاتين الرسالتين ربما تكونان قد كتبتا بين عامي ٦٥ ـ ٦٧م، ولكن مكان كتابتهما مختلف فيه.

أما جود فقد ظن بعض علماء النصارى أنه كتب رسالته إما في عام ٦٧م أو عام ٦٨م. وقال آخرون: أنه كتبها عام ٨٠م، وأن هذه الرسالة كانت موجهة إلى من أسماهم جود بالهراطقة. وتشير الأناجيل السنوبتيكية إلى أن جود هو أخ لعيسى، وقد قيل أنه التقى ببيتر كثيراً. كذلك أشارت الأناجيل السنوبتيكية إلى أن جيمس من أخوة عيسى[١].

وقد اختلف العلماء في صلة جيمس وجود بالسيد المسيح. فقال بعضهم: إنهما كانا من أبناء عمومته. وقال آخرون: أنهما كانا أخوة له من والدته، أو ربما أخوته من يوسف النجار[٢].

أما تاريخ كتابة رسالة جيمس فغير معروف بالتحديد. ويقال إنه قد كتبها بين عامي ٤٠ و٥٠[٣].

---

(١) انظر كتاب: New Testament Survey, PP. 365 - 375.

(٢) انظر كتاب: Introduction to The New Testament, Theodor Zaham, Translated From the Third German Edition, New York, charles Scribner's Sons, 1909, Vol. 2, PP. 262 - 270.

(٣) انظر كتاب: Practical and Social Aspects of Christianity, A.T. Robertson, Second Edition, New York, U.S.A., 1957, PP. 16 - 18.

المبحث الثاني: بعض مؤتمرات النصارى وما تم فيها

يقول جون ليث John Leith في كتابه «دستور الكنائس» ما ترجمته: (إنه من المتفق عليه أن النصارى لم يكن لهم دستور رسمي يجتمعون عليه في القرنين الأول والثاني من الميلاد. وأن الدساتير الرسمية الخاصة بهم قد وضعت في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، وأن معظم أمور الدين كانت تختلط عليهم كثيراً وذلك مثل حادثة الصلب، وكيفية الجمع بين اللاهوت والناسوت في عيسى وغيرها. بل أن الخطوط العريضة في مثل هذه الأقوال لم تكن قد وضعت بعد)[1].

ويقول هربرت بارون Herbert Baraun في كتابه «عيسى» ما ترجمته: (إن النصارى في فترة المسيحية الأولى كانوا يؤمنون إيماناً عميقاً بما يرون في أحلامهم ورؤاهم. وكانت الرؤى لديهم بمثابة الحقائق الثابتة التي لا يستطيعون رد مدعيها. وتوجد في إنجيل بولس كثير من الروايات التي تقص كيفية ظهور السيد المسيح لعديد من أتباعه[2].. إن تلك الرؤى ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقصة بعث عيسى مرة ثانية بعد موته وقد شاعت هذه القصة في القرون الأولى من عمر المسيحية. بل أن تلك القصة هي الأساس الذي ارتكزت عليه الكنيسة الأولى)[3].

ويقول جوستاف أولين Gustaf Aulen في كتابه «عيسى في دراسة تاريخية معاصرة» ما ترجمته: (إن أقوال عيسى للنصارى في فترة المسيحية البدائية والتي استقوها من رؤاهم وأحلامهم قد أصبحت أساساً للمسيحية المعروفة لدى الغربيين اليوم. وتقول بعض الأبحاث أن تلك الرؤى استمرت تنهال على الحواريين

---

(١) انظر كتاب: The Creeds of the Churches, John H. Leith, Third Edition, U.S.A., PP. 12 - 61.

(٢) رسائل بولس لأهل فلبيات ٢ : ٦.

(٣) انظر كتاب: Jesus, Herbert Baraun, Stuttgest Kreuz, 1969, PP. 146 - 158.

وغيرهم في فترة الأربعين يوماً الأولى بعد صلب عيسى وموته).

ويقول بعض العلماء أن تلك الرؤى استمرت لفترة طويلة.. وكان الناس لا يستنكرون شيئاً على من يدّعي مشاركته فيها. وكانوا يأخذونها كحقائق ثابتة لا تقبل الجدل)[1]. وهكذا أُعتمدت الأقوال التي كانت شائعة على ألسنة العوام والمبنية على الرؤى والأحلام والهواجس كأساس ثابت ارتكزت عليه المسيحية في مبادئها المعروفة لدينا اليوم.

ولقد كان النصارى يعتبرون أقوال المسيح لهم في رؤاهم بمثابة الحقائق الثابتة رغم أنه لا توجد عبارة واحدة للمسيح يشجع فيها أتباعه على اعتماد رؤاهم. ولم يقل لهم قط أنه سيكمل رسالته الدنيوية وأقواله وحكمه وأمثاله لهم بعد موته عن طريق الأحلام.

وبجانب الرؤى كان النصارى يتداولون بعض الأقوال التي شاعت لديهم على أنها أقوال للسيد المسيح.

أما قصة رد أو قبول تلك الأخبار فقد توقفت على مؤتمرات النصارى وما كان يتم بداخلها من نقاش. ولقد وجدنا أن قرارات تلك المؤتمرات كانت هي القول الفصل في اعتماد بعض هذه الأساطير كأقوال للسيد المسيح وإدراجها في أسفار العهد الجديد. لذا فإننا نريد هنا أن نتحدث عن أهم تلك المؤتمرات لنرى ما ترتب عليها من عواقب وخيمة حاقت بالمسيحية ومعتنقيها حتى يومنا هذا.

١ ـ المؤتمر الأول بأنطاكيا عام ٢٦٨م وما ترتب عليه:

كان النصارى في هذا القرن واقعين تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية. وكانوا يعانون من اضطهاد الرومان لهم. لذا كان كثير من النصارى يصلون في بيوتهم خشية جور الرومان وظلمهم. وكان بطارقة الإسكندرية يتخوفون تخوّفاً شديداً من حكام الروم الجائرين. ولما وُلّي أحد القساوسة ـ وكان يدعى بارون ـ بطريقاً على كنيسة الإسكندرية أظهر ولاءه الشديد للروم وطاعته لهم حتى وثقوا

---

(١) انظر كتاب: Jesus in Contemporary Historical Research, Gustaf Aulan, Translated by Ingalik H.Hijelm, Fortress Press, Philadelphia, 1976, PP. 123 - 129.

به، فبنى كنيسة كبيرة في الإسكندرية حيث كانت بمثابة المدرسة الأولى لتعليم المسيحية في مصر.

وفي ذلك الوقت كان هناك رجل دين آخر يدعى آريوس يقود طائفة تنسب إليه ويسمى أتباعها بالأريوسيين (أي أتباع آريوس). وكان آريوس هذا يرفض تأليه المسيح، وكان يعتبره عبداً لله كسائر الأنبياء والرسل. ولقد أصبح بدعوته تلك مخالفاً لبعض الطوائف الأخرى التي كانت تؤله عيسى مما أثار على آريوس أحد بطارقة الإسكندرية في ذلك الوقت حيث زعم ذلك البطريق لمن حوله أن المسيح لعن آريوس وحذر من قبول مقالته. وزعم ذلك البطريق أيضاً أن المسيح قد ظهر له في المنام غاضباً مشقوق الثوب ودار بينهما حسب ما ادعى الحوار التالي:

قال بطريق الإسكندرية للمسيح: يا سيدي من شق ثوبك؟ فقال المسيح: إنه آريوس. وزعم البطريق أن المسيح عقّب على ذلك بقوله: احذروا من أن تقبلوا آريوس، أو تدخلوه معكم في معبدكم. فعقد مؤتمر أنطاكيا بناء على ذلك في عام ٢٦٨م، وقرر المجتمعون فصل آريوس وحرمانه من دخول دور العبادة وطرد أتباعه من الكنيسة أيضاً.

وبعد فترة زعم آريوس بأنه رجع عن مقالته فأدخل ثانية كعضو في كنيسة الإسكندرية بل نصب قسًّا على تلك الكنيسة[١].

وقد كان هناك بآسيا الصغرى ملك يسمى قسطنطين. وقد قيل إنه هزم الروم الجبابرة الذين كانوا يعذبون النصارى. وقيل أن الملك قسطنطين هو أول من ابتدع شارة الصليب. كان الملك قسطنطين محبًّا للنصارى. وتزعم الروايات بأن قصة هزيمته للروم كانت لرؤيا رآها نسرد فحواها هنا كما وردت عند ابن القيم: (فلما سمع أهل روميه بقسطنطين، وأنه مبغض للشر محب للخير، وأن أهل مملكته معه في هدوء وسلام كتب رؤساؤهم إليه يسئلونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم، فلما قرأ كتبهم اغتم غمًّا شديداً وبقي متحيراً لا يدري كيف يصنع..

---

(١) انظر كتاب: Early Christian Creeds, E.N.D. Kelley, London, the Third Edition, PP. 285 - 293.

انظر أيضاً كتاب: The Council of Nicea, by A.E. Burn, London, 1925.

فظهر له على ما يزعم النصارى نصف النهار في السماء صليب من كوكب مكتوب حوله «بهذا تغلب» فقال لأصحابه رأيتم ما رأيت. قالوا: نعم. فآمن حينئذ بالنصرانية، فتجهز لمحاربة قيصر المذكور، وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس الجند. وخرج بأصحابه، فأُعطي النصر على قيصر، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه، فخرج أهل روميه إلى قسطنطين بأكاليل الذهب، وبكل أنواع اللهو واللعب، فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً. فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفي والتشريد، وأقام أهل روميه سبعة ايام يعبدون للملك وللصليب)[1].

ولكن آريوس لم يسكت عن مقالته، خاصة بعد سماعه عما فعله قسطنطين بأعداء النصارى. وعاد ينادي بمقالته، ويثبت بالحجج والبراهين من الإنجيل صدق ما يقول. بل اتصل بقسطنطين الإمبراطور وشكا إليه أفاعيل بطريق الإسكندرية، فقرر قسطنطين عقد مؤتمر آخر للنظر في تلك المسألة.

٢ ـ مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م وما ترتب عليه:

جاء في كتاب «دراسة أوضاع المسيحية والمسيح» ما ترجمته: (إن الملك قسطنطين رحل من مقره بنكوميديا متجهاً إلى نيقية وذلك في السنة العشرين من توليه الملك. رحل الملك وجنوده على ظهور الخيول قاطعين تلك الأميال لعلم قسطنطين التام بأن المسيحية كانت تواجه مشكلة خطيرة وهامة في ذلك الوقت، ولذلك فقد عمل قسطنطين على جمع العلماء ليضع حلاً لتلك المشكلة، لأن هذا النزاع كان يهدد إمبراطوريته بالسقوط، فكان لابد من عمل شيء يعيد استتباب الأمن داخل إمبراطوريته. . إن السبب الرئيسي من تحرك الملك كان سياسيًا وليس دينيًا. ومما يدل على ذلك أن قسطنطين قد أهمل ذلك النزاع الذي كان دائراً بين النصارى مدة طويلة من الوقت، ولم يكن يعيره أي اهتمام. وكان في أول الأمر يظن أنه لا يشكل خطورة على ملكه، وأنه فقط لعبٌ بالألفاظ، ومبارزة لفظية يدلي فيها كل ذي رأي برأيه، ويلعب من يريد بألفاظ الإنجيل ويحرفها على

---

(١) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى: ١٧٢، ١٧٣.

حسب هواه فيستمر الحال هكذا، وينصرف الناس وينشغلون بأنفسهم عن أمور الحكم وشئونه. لكنه شعر مؤخراً بأنه يجب عليه أن يوحد الكنائس التي انقسمت إلى طوائف عديدة واحتدم الصراع بينها بدرجة خطيرة يمكن أن تهدد ملكه. وعليه فقد قرر قسطنطين جمع الأساقفة وفض النزاع وجمع الفرق المختلفة ليتناقشوا في حضرته، واختيرت مدينة نيقية كمحل للنقاش لاعتدال مناخها وهدوء المنطقة)[١].

وقال المؤرخون أن تاريخ انعقاد هذا المؤتمر كان الرابع عشر من يونية عام ٣٢٥م. وكان الامبراطور قسطنطين يأمل أن يساعد هذا المؤتمر في توحيد الإمبراطورية وكنائسها تحت زعامته. ولقد قام الإمبراطور قسطنطين بكتابة رسائله داعياً كثيراً من القساوسة للإجتماع والإدلاء بآرائهم. وكان من بين من كتب لهم بطريق الإسكندرية وآريوس.

أثبتت الأبحاث التاريخية أنه كان لآريوس أتباع كثيرون معظمهم من النساء. عقد الإجتماع بكنيسة القديسة مريم بنيقية. ويخبرنا كيلي أن معظم أعضاء المؤتمر كانوا من الشرق الأوسط. وكان هناك خمسة أعضاء فقط من الغرب (من روما واليونان). ولقد انتصر أعداء آريوس عليه رغم قلتهم العددية وذلك بمساعدة قسطنطين الذي أعجب بفكرة الآلهة الثلاثة بدل الإله الواحد. ومن الجدير بالذكر أن قسطنطين كان وثنيًا قبل أن يعتنق المسيحية. وكان يؤمن بوجود ثلاثة آلهة، لذلك كان رفضه لفكرة الوحدانية عندما عرضها آريوس رفضاً سريعاً وحاسماً. إن فكرة التثليث المزعومة في المسيحية قد لاقت من نفس قسطنطين هوى وقبولاً ميسراً، ولذا فقد أعجب بالأب بولس ورسائله واختار الأناجيل الأربعة ورسائل بولس وأعلن بأنها الأناجيل الوحيدة التي ينبغي أن تسود وأمر بإحراق ما عداها، فتتبع أنصار بطريق الإسكندرية كل كتاب يجدونه يناقض مقالتهم بالإبادة، وحرّموا تداول الأفكار التي تناقض مقالتهم في الثالوث وغيره من الأفكار الفجة التي وردت بتلك الأناجيل.

جاء في كتاب النصرانية والإسلام عن مؤتمر نيقية ما يلي: (اختلف

---

(١) انظر كتاب: Case - Study in Christ and Faith, Ross Mackenzie and Jack Rogers, U.S.A., PP. 19 - 27.

المجتمعون في هذا المجمع اختلافاً كبيراً، ولم يتفقوا على أي رأي مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين. ولما كان الإمبراطور قسطنطين نفسه يميل مع القائلين بألوهية المسيح طبقاً لما زعمه بولس الرسول، فقد اختار من المجتمعين ٣١٨ أسقفاً من أشد المتعصبين لرأيه، وألف منهم مجلساً خاصًّا خوّله إصدار ما يراه من قرارات. ويقول في ذلك ابن البطريق المؤرخ المسيحي: وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصًّا عظيماً وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين. وقد صدرت قرارات مجمع نيقية تنص على ما يأتي:

١ ـ إثبات ألوهية المسيح.

٢ ـ تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان.

٣ ـ تكفير آريوس وطرده وحرمانه من عضوية الكنيسة.

٤ ـ إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح، وتحريم قراءتها ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تقر ببشرية المسيح وتفيد أنه رسول فقط ومن ذلك إنجيل برنابا)[١].

أما العقيدة التي فرضها هذا المؤتمر فقد لخصها كوفمان Kouff Mann فيما يلي: «..إننا نؤمن بإله واحد هو عيسى المسيح ابن الإله المنبثق عن الإله، مولود من الأب قبل العصور والدهور وقبل التاريخ، مولود غير مصنوع أو مخلوق من نفس مادة الأب وطبيعته. ونؤمن بوجود روح قدس واحدة)[٢].

مؤتمر القسطنطينية عام ٣٨١م وما ترتب عليه:

رغم أن المؤتمرين بنيقية حاولوا فض النزاعات بمعاونة السلطات الحاكمة إلا أن النزاعات والصراعات احتدت واستمرت، وازداد أتباع آريوس وتعرضوا

---

(١) النصرانية والإسلام ٣٢، ٣٣.

(٢) انظر كتاب: The Dictionary of Religious Terms, T. Kouff Mann, New York, 1924, P. 330.

انظر أيضاً: The Encycolopedia of Religious Knowledge, Volume 4, P. 50, Vol. 6p. 286, Vol. 8 P. 156 - 157.

لبطريق الإسكندرية بالإساءات واضطروه للفرار إلى بيت المقدس، فاضطر النصارى إلى عقد مؤتمر آخر في القسطنطينة لوقف زحف الآريوسيين أكدوا فيه كفر آريوس مرة ثانية، وكفر كل من يتبع مقالته. وكفّروا في هذا المؤتمر نسطوريوس أيضاً ـ قائد طائفة النسطوريين ـ الذي كان يقول بأن مريم ليست والدة الإله على الحقيقة، بل ولدت بشراً عادياً إلا أنه فيما بعد حل فيه روح الإله. وكان عيسى ـ حسب زعم نسطوريوس ـ يلقب بابن الإله تكريماً له. ولقد أكد المؤتمرون في هذا المؤتمر ألوهية روح القدس حسب زعمهم.

مؤتمر كورثاج عام ٣٩٧م وما ترتب عليه:

كما تنازع النصارى في حقيقة عيسى ظلوا يتنازعون في حقيقة روح القدس، وحقيقة ألوهيته. وكثر النزاع حول تلك المسألة، وحول كيفية انبثاق الإله الثالث عن بقية الآلهة.. وظلوا يتساءلون هل انبثق روح القدس عن الأب وحده؟ أم انبثق عن الأب والإبن معاً؟ أم انبثق عن الإبن فقط؟

عُقد مؤتمر كورثاج وتم فيه تأكيد الإقرار بألوهية روح القدس وإضافته إلى الأب والابن لإكمال الثالوث.

قال ميريل تيني: لقد تم في هذا المؤتمر وضع أسفار العهد الجديد المعروفة لدينا اليوم باعتبارها كتاباً شاملاً لدستور النصارى وعقائدهم. وقد شمل ذلك الأناجيل الأربعة والرسائل وسفر الرؤى، واعتُبرت هي المسيحية الحقة الأصلية وما عداها باطل[١].

مؤتمر كالسيدون عام ٤٥١م وما ترتب عليه:

إن أتباع آريوس كانوا وإلى القرن الخامس الميلادي يشكلون مجموعة كبيرة، فقرر أنصار الثالوث عقد مؤتمر في كالسيدون بآسيا الصغرى لرد مقالة الآريوسية، ولإعادة تأكيد ألوهية عيسى، لأن الآراء اختلفت وتضاربت،

---

(١) انظر كتاب: Early Christian Doctrines, P. 430,
انظر أيضاً كتاب: Early Christian Creeds, P. 290 - 298.

والصراعات احتدمت بين مختلف الفرق. ولم يقتنع جميع النصارى بألوهية عيسى عليه السلام.

ويرى كيلي أن مؤتمر كالسيدون يعتبر من أهم المؤتمرات بالنسبة للنصارى في الغرب، إذ تقررت في هذا المؤتمر عقيدة الصلب كأساس للديانة المسيحية. وتم الاتفاق فيه أيضاً على أن عيسى هو الرجل ـ الرب والكلمة التي جاءت وصارت بشراً. ويزعم كيلي أن هذا المؤتمر حل كثيراً من المشاكل التي كانت تواجه العقيدة المسيحية. وتوحدت العقيدة في ضوئه بعد أن كانت مشتتة. وقال كيلي أيضاً: إن المسيحية التي انتشرت في عالم الغرب هي المسيحية التي تقررت في هذا المؤتمر وهي تنص صراحة على وجود طبيعتين في السيد المسيح: الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية، من غير أن تعلو إحداهما على الأخرى.

مؤتمر نيقية عام ٧٨٧م وما ترتب عليه:

يرى جون ليث أن هناك عوامل هامة وخطيرة أدت إلى انعقاد هذا المؤتمر، منها ضغط المسلمين وتضييقهم على عبّاد الأوثان، ولذا فقد احتاج النصارى لتدعيم موقفهم ضد ضغط الديانة الإسلامية الغازية ـ بزعم ليث ـ ولتثبيت من تبعهم على هدي النصرانية، ولرد من كان قد اعتنق الإسلام من النصارى عن إسلامهم. وعليه فقد اجتمع قساوسة الكنائس في هذا المؤتمر وأقروا بأنهم يسلمون تسليماً كاملاً تامًا بصحة ما تجمع لديهم من معلومات عن عيسى، وبكل ما أورثه إياهم الأجداد باعتباره تقاليد المسيحية الأولى سواء كان مكتوباً أو شفهيًا. وقرر أعضاء هذا المؤتمر اتباع نهج من سبقهم والمحافظة على السلطة التي خولت إليهم من قبل آباء الكنيسة والتي اعتبروها مقدسة. بجانب المحافظة على تقاليد الكنيسة الكاثوليكية التي سموها بهذا الإسم باعتبارها جامعة وعالمية. وعليه فقد قرر أعضاء المؤتمر أيضاً عمل تماثيل وتصاوير لعيسى الذي اعتبروه ربًا، ولمريم التي كانت تعتبر لدى بعضهم والدة الرب وآلهة في نفس الوقت، وللرهبان والقساوسة، وأمروا بأن تعلق تلك التماثيل على الجدران، وفي البيوت كي تمجد وتبجل لأن تلك التصاوير تمثل في نظرهم الصليب الذي يعطي

النصارى الحياة والقوة[1].

المؤتمر الاتداني عام ١٢١٥م وما ترتب عليه:

بعد فترة ركود طويلة في نشاط الكنائس، وفي عقد المؤتمرات، وبعد أن مر العالم المسيحي بأسره بفترة ركود وخمود سمّيت بالعصور المظلمة لدى النصارى عاود رجال الكنيسة مزاولة نشاطهم وعقدوا عام ١٢١٥م المؤتمر الاتداني لتأكيد أسس الدين الذي توارثوه عن أسلافهم، وللنهوض بالمسيحية مرة أخرى بعد أن تفرق النصارى شيعاً وأحزاباً، وبعد أن تضاءلت الكثير من الآثار الدينية في العصور الوسطى وأوشكت أن تندثر. ولقد تمخض ذلك المؤتمر عن عدة قرارات نذكر أهمها فيما يلي:

١ ـ أن هناك كنيسة واحدة لا يمكن للإنسان أن ينال الحياة الأبدية إلا بعد أن يكون عضواً فيها.

٢ ـ إن الإله واحد مكوّن من ثلاثة أشخاص، وأن هذه الآلهة الثلاثة تكون من مادة واحدة وطبيعة واحدة.

٣ ـ وجوب الإعتراف بالذنوب للقس الذي يمتلك ـ بحكم وضعه الكهنوتي ـ من القدرات والمهارات ما يمكنه من غفران ذنوب المذنبين.

٤ ـ إحياء الطقوس الدينية، خاصة قصة العشاء الرباني أو العشاء الأخير.

٥ ـ التأكيد بأن القس يستطيع أن يعالج المرضى من الأمراض العضوية والنفسية وذلك بمساعدة الروح القدس[2].

---

(١) انظر كتاب: Creeds of The Churches, P. 55.

(٢) انظر كتاب: Creeds of The Churches, P. 56 - 58.

الفصل الثالث

أمثلة توضح تضارب متن الأناجيل

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول: تناقضات حول مسرحية الصلب.

المبحث الثاني: تناقضات أخرى في متن الأناجيل.



أمثلة توضح تضارب متن الأناجيل

المبحث الأول: تناقضات حول مسرحية الصلب

إن الناظر في أناجيل النصارى يجد تناقضاً واضحاً في أساسيات الديانة المسيحية وفي الدعائم التي تقوم عليها. وسنحاول هنا إن شاءالله إبراز بعض تلك التناقضات. وسنبدأ بحادثة الصلب المزعومة لأنها الركيزة الأولى التي قامت عليها الديانة المسيحية.

التناقض بين الأناجيل حول حادثة الصلب:

أثبتت الأبحاث التاريخية ـ كما رأينا سابقاً ـ أن قصة الصلب قصة دخيلة على إنجيل مرقص، وأنها ألحقت بهذا الإنجيل في وقت متأخر. كما أن أقوال الأناجيل الثلاثة الأخرى قد اختلفت في كثير من تفاصيلها حول تلك المسألة، نذكر من ذلك ما يلي:

١ ـ إختلافهم حول الشخص الذي حمل خشبة الصلب:

قال مرقص: إن شخصاً يدعى سيمون كان مارًّا بالطريق لبعض شأنه فقبضت عليه السلطات الرومانية وأجبرته على حمل خشبة الصلب[١].

وقال لوقا: أمسكوا من بين الحاضرين رجلاً كان يدعى سيمون ووضعوا خشبة الصلب على كتفه ليحملها ويسير خلف عيسى حتى يصل إلى المكان الذي أعدوه لصلبه[٢].

وقال متى: اختاروا من بين الحاضرين رجلاً يدعى سيمون وأجبروه على حمل خشبة الصلب[٣].

---

(١) مرقص ١٥: ٢١، ٢٢.

(٢) لوقا ٢٣: ٢٦.

(٣) متى ٢٧: ٣٢.

ولكن يوحنا يخالف هؤلاء الثلاثة إختلافاً واضحاً حيث يقول: وأمسكوا عيسى ووضعوا على كتفه خشبة الصلب ليحمل صليبه بنفسه إلى مكان الصلب[١].

٢ ـ اختلفت الأناجيل في قصة شرب عيسى الخمر المخلوط بالمرة Myrrh (وهو نوع من الصمغ مر المذاق)[٢] بعد أن وضع على خشبة الصلب.

قال مرقص: وقدموا لعيسى خمراً مخلوطاً بالمرة. وبعد أن ذاقه عيسى لم يتمكن من شربه[٣].

ولم ترد هذه القصة في إنجيل لوقا ولا في إنجيل يوحنا.

٣ ـ اختلفت الأناجيل في قصة شرب عيسى للخمر المخلوط بالخل وهو على خشبة الصلب وقبل أن تفيض روحه.

يقول مرقص: بعد أن صرخ عيسى مناجياً ربه، قال أحد الحاضرين: إنه ينادي إلياس لينقذه. وأسرع هذا الرجل وأحضر خمراً مخلوطاً بالخل ووضعه على فمه وقال: انتظروا دعنا نرى إن كان إلياس سينقذه ويخلصه مما هو فيه[٤].

ويقول متى: بعد أن صرخ عيسى مناجياً ربه قال بعض الناس الذين كانوا واقفين بالقرب منه: إنه ينادي إلياس. وأسرع أحد الحاضرين ووضع خمراً مخلوطاً بالخل على فمه بينما قال له من كان حوله: انتظر دعنا نرى إن كان إلياس سنيقذه[٥] وسكت لوقا عن هذه القصة.

وقال يوحنا: وبعدما علم عيسى في تلك اللحظة أن كل شيء قد اكتمل، وأن تنبؤات جميع الرسل والكتب السابقة قد تحققت، قال للحاضرين: إنني عطشان، فقدموا له خمراً مخلوطاً بالخل فشرب عيسى الكأس وقال لهم: لقد تم الآن كل شيء واكتمل. ثم فاضت روحه[٦].

---

(١) يوحنا ١٩ : ١٧.
(٢) المورد، دار العلم بيروت، ١٩٧٢م ص ٦٠١.
(٣) مرقص ١٥ : ٢٣.
(٤) متى ٢٧ : ٣٣، ٣٤.
(٥) مرقص ١٥ : ٣٦.
(٦) متى ٤٧ : ٤٩.

٤ ـ اختلفت الأناجيل حول الوقت الذي تم فيه وضع عيسى ـ بزعمهم ـ على الصليب.

نجد أن إنجيلي متى ولوقا لم يذكرا ساعة معينة لوقت الصلب ولم يوردا في ذلك شيئاً، بينما نجد أن مرقص ويوحنا ذكرا ذلك واختلفا فيه:

يقول مرقص: وفي الساعة الثالثة ظهراً سُمّرت يدا عيسى وقدماه على خشبة الصلب(١).

ويقول يوحنا: كان اليوم يوم التحضير لعيد اليهود الذي يسمى بعيد الفصح Passover وكانت الساعة السادسة مساء، وفي تلك الساعة سلّم الحاكم عيسى لليهود ليصلبوه وقال لهم: هذا هو ملك اليهود(٢).

٥ ـ تضاربت أقوال الأناجيل حول قصة المجرمين الذين أهانوا عيسى ـ كما تزعم الأناجيل ـ عندما وجدوه بينهم وذلك قبل لحظات من إعدامه:

جاء في إنجيل مرقص: أن الرجلين اللذين صلبا معه لم يتورعا عن إهانة عيسى(٣).

وجاء في إنجيل متى: وحتى اللصوص الذين كانوا حول عيسى، وصلبوا معه أهانوه(٤).

بينما يقول لوقا: أن واحداً من المجرمين اللذين كانا مع عيسى ـ وكان محكوماً عليه بالموت ـ قال لعيسى في احتقار: ألم تقل إنك أنت المسيح؟ هيا أنقذ نفسك وأنقذنا معك. وقال الآخر: إنه إن شنقونا أو قتلونا فإننا نستحق ذلك، ولكن هذا الرجل لم يفعل شيئاً يستحق به كل هذا. ثم نظر إلى عيسى وقال: يجب أن تذكرني يا عيسى عندما تأتي ثانية كملك لليهود. فقال له عيسى: إنني أعدك أنك ستكون اليوم معي في الجنة(٥).

---

(١) يوحنا ١٩: ٢٨ ـ ٣٠.
(٢) مرقص ١٥: ٢٥.
(٣) يوحنا ١٩: ١٣ ـ ١٦.
(٤) مرقص ١٥: ٣٢.
(٥) متى ٢٧: ٤٤.

وسكت يوحنا عن هذه القصة.

٦ ـ اختلفت الأناجيل في قصة النسوة اللائي تبعن عيسى من منطقة الجليل إلى أورشليم لمشاهدة حادثة الصلب:

يقول مرقص: وكانت النساء اللائي تبعنه من الجليل يقفن على مسافة بعيدة من مكان الصلب يرقبن هذه الحادثة. ومن بين هؤلاء النسوة مريم مجدولين ومريم والدة جيمس وجوسس وسالوم[١].

ويقول متَّى: وكانت النسوة اللائي تبعن عيسى من منطقة الجليل يقفن على مسافة بعيدة من مكان الصلب ويرقبن ذلك وكانت من بين النسوة الحاضرات مريم مجدولين، ومريم والدة جيمس وجوزيف، ووالدة يوحنا الزبدي[٢].

ويقول لوقا: إن جميع رفاق عيسى وجميع النسوة اللائي حضرن معه من منطقة الجليل وقفن على مسافة بعيدة لمشاهدة حادثة الصلب[٣].

ويقول يوحنا: ووقفت جنب خشبة الصلب مريم والدة عيسى، وأختها، ومريم زوجة كلوباس، ومريم مجدولين[٤].

ونلاحظ هنا أن الأناجيل السنوبتيكية تقول بأن النسوة اللائي تبعن عيسى من منطقة الجليل لأورشليم (حيث تم صلبه كما يزعمون) وقفن بعيداً يرقبن. بينما يقول يوحنا بأنهن وقفن بالقرب من خشبة الصلب. ونلاحظ أيضاً أن الأناجيل السنوبتيكية لم تذكر شيئاً عن حضور مريم والدة عيسى بينما يقول يوحنا أنها كانت تقف بالقرب من خشبة الصلب.

٧ ـ اختلفت الأناجيل حول العبارات المنسوبة لعيسى عندما كان على الصليب المزعوم وحول المعجزات التي حدثت أثناء عملية الصلب.

قال مرقص: .. وصاح عيسى بصوت مرتفع ألوئ ألوئ لم شبقتني؟ وهي تعني إلهي إلهي لم تخلّيت عني؟ ثم صرخ بنفس الكلمات مرة ثانية. وبعدها

---

(١) لوقا ٢٣: ٣٩ ـ ٤٣.
(٢) مرقص ١٥: ٤٠، ٤١.
(٣) متى ٢٧: ٥٥، ٥٦.
(٤) لوقا ٢٣: ٤٩.

فاضت روحه ثم انشقت ستائر المعبد من قمتها إلى نهايتها إلى قسمين[1].

ويقول متى: .. وصاح عيسى بصوت مرتفع إليّ إليّ لم شبقتني؟ وهي تعني يا إلهي لم تخليت عني؟ وصاح عيسى ثانية بنفس العبارة ثم فاضت روحه. وبعد ذلك انشقت ستائر المعبد وانقسمت الصخور وتفرقت، وزلزلت الأرض..[2].

ويقول لوقا: وبعد أن زاغت الشمس وغاب ضوؤها وانشقت ستائر المعبد لقسمين بعدها صاح عيسى بصوت مرتفع قائلاً: أبي ليديك سلمت روحي. قال تلك الكلمات ثم فاضت روحه[3].

وسكت يوحنا عن هذه القصة التي يستند عليها مبدأ من أهم مبادىء المسيحية.

ونلاحظ هنا أن عيسى صاح مرتين بزعم متى ومرقص بينما نجد أن لوقا يزعم بأنه صرخ مرة واحدة وبعدها فاضت روحه. ونلاحظ أيضاً أن العبارات التي استعملها متَّى ومرقص تختلف عن العبارة التي استعملها لوقا. ونلاحظ أيضاً أن المعجزات التي قيل أنها قد حدثت عند حادثة الصلب المزعومة لدى كل من مرقص ومتَّى حدثت بعد وفاة عيسى بينما نجد أنها حدثت قبل وفاته بزعم لوقا. ونرى أن مرقص لم يذكر حادثة الزلزال الذي قيل أنه حدث، ولا قصة انقسام الصخور. ولم يذكرها لوقا كذلك. وما أظن أن حدثاً مهمًا ومشهوراً كهذا الحدث ـ إن كان قد وقع فعلاً ـ يخفى على أحد.

٨ ـ اختلفت الأناجيل أيضاً في إيراد العبارات التي نسبت للحاكم الروماني عندما شهد موت الشخص المصلوب.

قال مرقص: وعندما رآه الحاكم الروماني يلفظ أنفاسه الأخيرة قال: حقًا أن هذا الرجل كان إبن الإله[4].

---

(١) يوحنا ١٩: ٢٥.

(٢) مرقص ١٥: ٣٤ ـ ٣٨.

(٣) متى ٢٧: ٤٦ ـ ٥٢.

(٤) لوقا ٢٣: ٤٥، ٤٦.

وقال متّى: وعندما حدث الزلزال وارتعد الناس خوفاً، قال الحاكم الروماني والذين كانوا حوله: حقًّا إن هذا كان ابن الإله[1].

قال لوقا: وعندما رأى الحاكم الروماني المعجزات التي حصلت عند حادثة الصلب حمد الله وشكره ثم قال: حقًّا لقد كان هذا الرجل بريئاً[2].

ولم يذكر يوحنا تلك القصة.

نلاحظ هنا أن مرقص قد أشار بأن تعليق الحاكم الروماني قد حدث عندما كان المصلوب يلفظ أنفاسه الأخيرة. وذكر لوقا أن تعليق الحاكم حدث بعد أن رأى المعجزات تتفجر من حوله، ونجد أن متى جعل التعليق الذي ورد صادراً عن كل الناس الذين كانوا حول عيسى والذين أصابهم الفزع والخوف من جراء الأحداث والمعجزات التي حدثت آنذاك.

اختلفت الأناجيل أيضاً في صورة التعليق نفسها. أما بالنسبة لمرقص فكان التعليق كما يلي: (حقًّا إن هذا الرجل هو ابن الإله) بينما نجد أن متى لم يذكر كلمة (الرجل) ونجد أن لوقا قد أورد شيئاً مخالفاً تماماً عن هاتين الصيغتين مدعياً أن الحاكم قد قال: (حقًّا أن هذا الرجل كان بريئاً)، ولم يشير لوقا إلى ورود لفظ ابن الإله.

٩ ـ اختلفت الأناجيل حول رد فعل اليهود بعد موت الرجل المصلوب. يقول لوقا: (وإن كل الجمع الذين كانوا محتشدين هناك بعد رؤية الأحداث التي حدثت والمعجزات عند حادثة الصلب أسرعوا إلى منازلهم يضربون على صدورهم من شدة الفزع، وأن رفاق عيسى الذين تبعوه من منطقة الجليل شاهدوا فزع الناس وخوفهم)[3].

ويقول يوحنا: كان الناس يستعدون لعمل كل ما يمكنهم لإزالة الأجساد المعلقة على الصلبان ليلة الجمعة، وقبل وصول يوم السبت الذي يعتبر العمل فيه

---

(١) مرقص: ١٥: ٣٩.
(٢) متى: ٢٧: ٥٤.
(٣) لوقا: ٢٣: ٤٧.

محرماً لدى اليهود. فقال اليهود للحاكم الروماني يجب أن تقطع أرجلهم جميعاً..[1].

ولم يذكر كل من مرقص أو متى شيئاً من ذلك.

ونلاحظ هنا أن الجمع الغفير الذي أحاط بالمصلوب كان يتمثل في جموع من اليهود الذين جاءوا لمشاهدة عملية الصلب. ولقد صوّرهم لوقا بصورة من خاف وفزع لمقتل المصلوب، بينما نجد أن يوحنا قد صوّر اليهود في صورة من لم يبال إطلاقاً بمقتل المصلوبين، بل طالبوا بتقطيع أرجلهم خشية أن تكون بهم بقية من حياة فيهربوا.

١٠ ـ الإختلاف حول شخصية من استلم جثة الشخص المصلوب.

يقول مرقص: وفي المساء وصل إلى مكان الحادث يوسف الأرماثي الذي كان عضواً بارزاً في اللجنة التي عقدت لمحاكمة عيسى، وكان يؤمن بمجيء مُلْك الإله.. ذهب يوسف هذا بشجاعة وطلب من بايلوت الحاكم الروماني أن يسلّمه الجثة[2].

وقال متى: وعند المساء حضر رجل غني من أريماثا، وكان يدعى يوسف، وكان أحد حواريي عيسى. ذهب يوسف إلى بايلوت الروماني وطلب منه أن يسلمه الجثة[3].

وقال لوقا: وكان هناك رجل يدعى يوسف من أريماثا، إحدى مدن جودا، وكان رجلاً حسن الخلق ومحترماً، وكان يؤمن بمجيء ملك الرب. وبالرغم من أنه كان أحد الأعضاء في لجنة محاكمة عيسى إلا أنه لم يرض بصدور الحكم عليه بالموت، فذهب يوسف إلى الحاكم الروماني وطلب منه جثة عيسى[4].

ويقول يوحنا: وبعد الحادث جاء يوسف والذي كان من مدينة أريماثا وذهب سرًا خشية اليهود إلى الحاكم الروماني وطلب منه أن يسلّمه الجثة، فوافق

---

(١) لوقا: ٢٣: ٢٨، ٢٩.

(٢) يوحنا ١٩: ٣١.

(٣) مرقص ١٥: ٤٣ ـ ٤٦.

(٤) متى ٢٧: ٥٧ ـ ٦٠.

الحاكم. ويوسف هذا كان أحد حواريي عيسى[1].

نلاحظ هنا أن كلاً من مرقص ولوقا قالا أن يوسف الأريماثي كان عضواً في اللجنة التي أصدرت الحكم على المصلوب، بينما قال كل من متى ويوحنا أنه كان أحد الحواريين. وقال مرقص أن يوسف ذهب بشجاعة وطلب الجثة، بينما نجد أن يوحنا يقول بأن يسوف ذهب في السر والخفاء خشية اليهود.

١١ ـ الإختلاف حول المكان الذي دفن فيه الرجل المصلوب.

يقول مرقص: أخذ يوسف قطعة القماش ووضعها في قبر وسط الصخور. وهذا المكان مكان فسيح لم يدفن فيه أحد من قبل.. وكانت النسوة اللائي جئن مع عيسى من منطقة الجليل قد رأين المكان الذي دفن فيه عيسى ونظرن إلى الجثة[2].

ويقول متى: وأمر بايلوت بأن تسلّم الجثة ليوسف، فأخذها يوسف ووضعها في قبر كان قد حفره في وسط صخور صلدة وجاء بصخرة كبيرة وسدّ بها المدخل. وكانت مريم مجدولين ومريم أخرى جالستان عن بعد ترقبان ما يحدث[3].

يقول يوحنا: وبعد أن سلّم بايلوت الجثة ليوسف ذهب هو ونيكوديميوس Nicodemus الذي كان يحمل معه مائة رطل من الطيب.. أخذ الرجلان جثة عيسى وطيباها ولفا حولها قطعة من القماش كما كان يفعل اليهود دائماً عند دفن الميت، وذهبا بالجثة إلى حديقة قريبة من مكان الصلب ودفنا الجثة وسط الحديقة...[4].

ونلاحظ هنا أن الأناجيل السنوبتيكية تقول أن الجثة قد دفنت في مكان فسيح وسط الصخور بينما يقول يوحنا أنها دفنت بالقرب من مكان الصلب وفي حديقة، مما يدل على أن التربة لم تكن صخرية وأن الجثة لم تدفن وسط الصخور

---

(١) لوقا ٢٣: ٥٠ ـ ٥٣.
(٢) يوحنا ١٩: ٣٨ ـ ٤٢.
(٣) مرقص ١٥: ٤٦، ٤٧.
(٤) متى ٢٧: ٦٣ ـ ٦٥.

بل في أرض خصبة.

ونلاحظ أيضاً أن يوحنا قال: أن نيكوديميوس ذهب مع يوسف الأريماثي ودفنا الجثة سويًّا بينما لم تذكر الأناجيل السنوبتيكية شيئاً من ذلك.

ونلاحظ كذلك أن لوقا يقول أن النسوة اللائي جئن معه من الجليل شهدن مكان الدفن، ورأين الجثة رؤية العين بينما نجد متّى قد ذكر أن مريم مجدولين ومريم أخرى جلستا على بعد ترقبان ما يحدث. ولم يذكر أنهما شاهدتا الجثة.

ونلاحظ كذلك أن مرقص قال: أن مريم مجدولين ومريم والدة عيسى قد رأتا المكان الذي دفن فيه الجسد. ولم يذكر يوحنا شيئاً عن هؤلاء النسوة، ولم يورد تعليقاً على هذه القصة.

١٢ ـ طلب اليهود من الحاكم الروماني حراسة الجثة:

لم ترد هذه القصة إلا في إنجيل متى حيث جاء قول اليهود للحاكم الروماني:

(. . . أيها السيد إننا نذكر جيداً ما قاله هذا الدجال في حياته، فلقد قال: إنه بعد ثلاثة أيام سيعود للحياة من جديد، لذا نطلب منك أن تشدد الحراسة حول قبره إلى أن يمر اليوم الثالث بسلام. إننا نخشى أن يسرق حواريوه الجثة ويخبروا الناس بأنه قام من الموت لأن هذا الادعاء الأخير سيكون أشنع من ادعاءات هذا الدجال في حياته. فقال لهم بايلوت الحاكم الروماني: لقد سلمتكم جنوداً اذهبوا وقوموا بحراسة المقبرة بأنفسكم)[١].

١٣ ـ اختلفت الأناجيل في هوية الأشخاص الذين زعموا أنهم أول من رأى قبر عيسى خالياً بعد قيامه المزعوم من الموت، واختلفوا كذلك في وقت خروجهم للقبر:

يقول مرقص: وعندما انتهى يوم السبت خرجت مريم مجدولين، ومريم والدة جيمس، وسالوم واشترتا طيباً لتذهبا وتطيّبا جثة عيسى. وفي الصباح الباكر بعد شروق الشمس خرجتا. .[٢].

---

(١) مرقص ١٦: ١ ـ ٢.
(٢) متى ٢٨: ١.

وقال متى: . . وبعد انتهاء يوم السبت، وقبل شروق شمس اليوم الثاني خرجت مريم مجدولين ومريم وذهبتا لتزورا القبر[1].

وجاء في إنجيل لوقا: وفي أول يوم من الأسبوع، وقبل شروق الشمس، خرج رجال من الجليل إلى المقبرة حاملين الطيب الذي أعدوه لذلك[2].

وفي إنجيل يوحنا: وفي أول يوم من الأسبوع خرجت مريم مجدولين إلى المقبرة قبل شروق ذلك اليوم[3].

وبناء على أقوال مرقص يكون أول من رأى القبر الخالي مريم مجدولين، ومريم والدة جيمس، وكان وقت خروجهما بعد شروق الشمس. والغرض من خروجهما كان تطييب جثة الميت. بينما نجد أن متى يقول: أن مريم مجدولين ومريم أخرى خرجتا قبل الشروق والغرض من خروجهما كان زيارة القبر. وبناء على قول لوقا يكون أول من رأى القبر الخالي رجال من الجليل خرجوا قبل الشروق. والغرض من ذهابهم كان هو تطييب جثة الميت. بينما نجد أن شاهدة العيان الوحيدة لذلك الحدث المزعوم عند يوحنا هي مريم مجدولين.

لاحظنا كذلك أن وقت الخروج لزيارة القبر كان قبل شروق الشمس عند كل من يوحنا ومتى ولوقا بينما نجد الخلاف عند مرقص الذي يقول أن الوقت كان بعد شروق الشمس.

١٤ ـ اختلفت الأناجيل كذلك في تحديد هوية الأشخاص الذين شاهدوا حادثة القيام من الموت أو الذين التقوا بعيسى مباشرة بعد قيامه من الموت.

يقول مرقص: وفي طريقهم كان الجمع الذاهبون لزيارة قبر عيسى يقولون في أنفسهم: إن المقبرة قد سدت بصخور عظيمة ولا ندري كيف سيتسنى لنا إزاحتها. وعند وصولهم وجدوا أن الصخور كانت قد أزيحت من أماكنها، ووجدوا شابًا يلبس ثياباً بيضاء ويجلس هناك فأصابهم الخوف. فقال لهم الرجل: لا تخافوا إنني أعلم أنكم خرجتم للبحث عن عيسى النصراني الذي صلب هنا.

---

(١) لوقا ٢٤ : ١.
(٢) يوحنا ٢٠: ١.
(٣) مرقص ١٦: ٣ ـ ٧.

إنه قام من الموت.. الآن اذهبوا وبلغوا تلك الرسالة لحوارييه وخاصة بطرس، وقولوا للحواريين أن عيسى ذاهب إلى منطقة الجليل وسيسبقكم إلى هناك كما قال لكم من قبل.. وأول ما ظهر عيسى ظهر لمريم مجدولين. وذهبت مريم مجدولين لتخبر الناس بذلك فلم يصدقها أحد.. وبعد ذلك ظهر لحوارييه وخاطبهم[1].

ويقول متى: وبينما كانت مريم مجدولين ومريم الأخرى بجوار القبر، حدث زلزال هائل. وجاء مَلَك من السماء وأزاح الصخرة التي كان قد سد بها القبر وجلس عليها.. وفزع حارسا المقبرة وأغمي عليهما من شدة الخوف. فقال الملاك مخاطباً المرأتين: لا ينبغي عليكما أن تفزعا، إني أعلم جيداً أنكما جئتما للبحث عن عيسى الذي صلب. إنه الآن ليس في قبره. تعاليا وانظرا إلى القبر. اذهبا سريعاً وأخبرا حوارييه بأن عيسى يريد أن يلقاهم في منطقة الجليل.

وبينما كانتا تسرعان لأداء مهمتهما التي كلفهما بها الملك، فجأة ظهر لهما عيسى وألقى عليهما التحية، فجاءتا إليه في خشوع وسجدتا عند قدميه وعبدتاه. فقال عيسى لهما: لا تخافا. واذهبا وأخبرا الحواريين بأني سألقاهم في منطقة الجليل[2].

ويقول لوقا: وعندما وصلت النسوة إلى المقبرة وجدن الأحجار التي كانت تسد المقبرة مزاحة عن أماكنها، وعندما دخلن لم يجدن الجثة، ورأين رجلين في ثياب بيض، وقالا لهن: لم تبحثن عن الحي وسط الأموات؟ إنه قام.. فأخبرن الجميع بذلك، ولكن لم يصدقهن أحد.. وبينما كان رجلان من أتباع عيسى يسيران ببعض طريقهما ظهر لهما عيسى ولم يعرفاه أولاً ولكنهما عرفاه بعد أن تحدث إليهما طويلاً..[3].

وفي إنجيل يوحنا: وعندما وجدت مريم مجدولين القبر خالياً ولت هاربة وأخبرت الناس بذلك.. ثم رجعت تبكي بجانب المقبرة، فوجدت رجلين

---

(١) مرقص ٢٨: ١ ـ ٧.
(٢) متى ٢٤: ٢ ـ ٧.
(٣) لوقا ٢٩: ١١ ـ ١٦.

جالسين أمام المقبرة فسألاها عن سبب بكائها. فأجابت قائلة: إنهم سرقوا جثة سيدي ولا أدري أين ذهبوا بها. وعندما حولت بصرها للناحية الأخرى وجدت عيسى واقفاً بجانبها. ولم تدرك في أول الأمر أنه عيسى، فقال لها عيسى: أيتها المرأة لماذا تصيحين هكذا؟ ومن هو الشخص الذي تبحثين عنه؟ فظنت أنه البستاني. فقالت له: إن كنت قد أخذت الجثة أرني مكانها لأذهب وأزور المقبرة.. فقال لها عيسى: مريم! فالتفتت نحوه قائلة الرباني! والتي تعني بالعبرية الأستاذ[1].

ونلاحظ هنا أن إنجيل مرقص ويوحنا قد أشارا إلى أن عيسى ـ بعد قيامه من الموت مباشرة ـ قد ظهر لمريم مجدولين وحدها بينما نرى أن لوقا يدعي أنه قد ظهر لرجلين من أتباع عيسى أول ما ظهر..

ونلاحظ أيضاً أن متَّى قال بأن مريم مجدولين سجدت هي ورفيقتها عند قدمي عيسى وعبدتاه، بينما يقول يوحنا أن مريم مجدولين صاحت في تعجب وقالت: الأستاذ! (الرباني). أما قصة الزلزال التي أوردها متَّى فلم توردها بقية الأناجيل[2].

---

(١) حول قضية الصلب انظر كتاب: Myth of The Cross, A.D. Ajijola. Chicago. Kazi Publications, 1979, PP. 50 - 56.

(٢) متى ١ : ٢٣.

المبحث الثاني: تناقضات أخرى في متن الأناجيل

١ ـ جاء في إنجيلَيْ متَّى ولوقا أن عيسى ولد من أم عذراء.

يقول متَّى: والآن كل هذا يحدث من أجل أن تتحقق النبوءات التي كان يتنبأ بها الأنبياء السابقون. ولكي يتحقق كل ما كان يقوله الرب عن طريق أنبيائه السابقين ستحمل العذراء وستلد غلاماً. وستسميه عمانويل ومعناه الإله معنا[١].

وجاء في إنجيل لوقا: خرج يوسف من بلدة الناصرة بالجليل قاصداً بيت لحم في جودا. وهذا المكان الأخير هو المكان الذي وُلد فيه داود أحد أجداد يوسف، وكانت معه مريم التي كانت خطيبته، وكانت مريم حاملاً. وهناك في بيت لحم ولدت مولودها الأول[٢].

ورغم أن كلاًّ من متى ولوقا قد أوصلا نسب عيسى بإبراهيم الخليل عن طريق يوسف النجار إلا أنهما في نفس الوقت ذكرا أنه قد ولد من عذراء. ولا يستقيم ذلك أبداً إلا إذا كانا يقصدان أن عيسى إبن غير شرعي ليوسف النجار وبالتالي تنتفي المعجزة الإلهية التي ولد بها عيسى من غير أب، وحاشا لله أن يكون الأمر كذلك.

نجد كذلك أن متى ولوقا اختلفا اختلافاً ظاهراً في نسب عيسى فعد متى ٣٩ شخصاً إلى أن أوصله لإبراهيم الخليل بينما نجد أن لوقا ذكر ٥٤ شخصاً إلى أن وصل به إلى إبراهيم الخليل[٣].

ونلاحظ كذلك أن هذا النسب المذكور ليس نسب عيسى، بل هو نسب يوسف النجار.

ورد في إنجيل متى أن المولود كان سيسمى (عمانويل) ولكن نفس الإنجيل

---

(١) متى ١: ٢٣.

(٢) لوقا ٢: ٤ ـ ٧.

(٣) متى ١: ١ ـ ١٧.

يذكر في مكان آخر بأن المولود سوف يسمى عيسى: (وظهر الرب في حلم وقال ليوسف: . . .لا تخف: تزوج مريم لأنها حملت بواسطة الروح القدس وستلد غلاماً وستسميه عيسى)[1]. بل ورد في آخر عبارة جاءت في نفس الفقرة وسماه يوسف بعيسى.

وقال صاحب كتاب النصرانية والإسلامية: (وما سماه أحد بعمانويل أصلاً لا أمه ولا يوسف النجار ولا الملك)[2].

ويقول صاحب كتاب النصرانية والإسلام أيضاً في نسب عيسى الوارد في إنجيلي متَّى ولوقا ما يأتي: (وإذا نظرنا إلى سلسلة النسب. . نجد أن من بينها اسم فارص بوصفه جدًّا من جدود السيد المسيح، وقد ورد عنه في سفر التكوين الإصحاح ٣٨ أنه توأم لشقيقه زارح ولدتهما أمهما تامار عن طريق الزنا من يهوذا بن يعقوب، فهل يعقل أن من يقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الزنى، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية).

وبجانب الخلافات في العدد بين النسب الوارد في إنجيل لوقا والوارد في إنجيل متى نجد خلافاً في الأشخاص أيضاً. فقد جاء في إنجيل متى أن يوسف بن يعقوب. . إلخ وفي لوقا أنه إبن لهالي.

وفي إنجيل متى ورد أن عيسى من أولاد سليمان بن داود. وفي إنجيل لوقا نجد أنه من أولاد ناتان بن داود. وفي إنجيل متى نجد أن جميع آباء المسيح من داود وهم سلاطين مشهورون. وفي لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين. فالسلطانيْن المشهوريْن هما داود وناتان فقط.

أما ميلاد المسيح من عذراء فلم يشر إليه من كُتّاب الأناجيل سوى متى ولوقا، أما الباقون فقد سكتوا عن ذكره. ولا يعلم أن كان ذلك خشية وخوفاً من السخرية، ومن تهكم أعدائهم عندما يسمعون بهذه القصة أم كان الأمر لأسباب غير ذلك. . إن كتاب الأناجيل الذين ذكروا قصة نسب عيسى قد وقعوا في مأزق عجيب وذلك عندما زعموا أن عيسى عليه السلام من نسل داود. ولو كان عيسى

(١) متى ١: ١ ـ ١٧.
(٢) النصرانية والإسلام: ٢٣٢.

ينسب إلى داود من جهة أمه مريم لكانت نسبته إلى داود أمراً مفهوماً ولكن من المدهش بل المذهل أن نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار خطيب أمه، وجعلوا داود جدًا له مع أنهم يقولون أن يسوف النجار لم يمس السيدة مريم العذارء وقتئذ. ولقد كان الهدف من محاولاتهم هذه أن يلبسوا عيسى ثوب المسيح المنتظر، وعليه فقد ألصقوا به كل أوصاف المسيح ولم يبق إلا أن يكون من نسل داود. ولما كانت السيدة مريم والدة عيسى ليست من سلالة داود فلم يكن بد من أن يربطوا بينها وبين رجل من سلالة داود هو يوسف النجار[1].

٢ ـ احتوى إنجيل يوحنا على تناقضات في مسألة بنوة عيسى للإله. ورد في بداية الإنجيل: (في البداية كانت الكلمة، وكانت الكلمة مع الإله، وكانت هي الإله)[2].

وفي موضع آخر من إنجيل يوحنا قول منسوب للمسيح فيه: (.. أنا والأب شيء واحد. فأخذ اليهود حجارة ليرجموه وقالوا له: إنك تدعي لنفسك حقوق الإله وصفاته.. فقال عيسى: ألا يوجد في قانونكم: (قولوا إنما نحن آلهة؟) فأنتم المدعون حقوق الإله وصفاته، أما أنا فإنما قلت: أنا إبن الإله)[3].

وجاء في نفس الإنجيل قوله: (.. إنه سيموت ليجمع أبناء الإله الذين تفرقوا)[4].

وهكذا نرى يوحنا يقول تارة إن الكلمة هي الإله نفسه، وتارة أخرى يقول أن عيسى هو الكلمة وهو إبن الإله ومن ذلك قوله: (وصارت الكلمة بشراً، وامتلأت بالحكمة والرحمة وصارت إبن الإله الوحيد)[5]. ورغم هذا نجد أن نسب البنوة للإله لأناس آخرين غير عيسى. ونجد كذلك في الأناجيل الأخرى أن كلمة ابن الإله أيضاً منسوبة لأناس آخرين غير عيسى. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

---

(١) النصرانية والإسلام ٢٣٢، ٢٣٥.
(٢) يوحنا ١: ١ ـ ٧.
(٣) يوحنا ١٠: ٧ ـ ١٤.
(٤) يوحنا ٥: ١٠.
(٥) يوحنا ١١: ٥٢.

جاء في كتاب الأحداث (أو ما يسمى بأعمال الرسل) المنسوب للوقا ما ترجمته: (.. به نحيا ومنه نستمد قوتنا.. إننا حقًا عياله)[1]. يقصد عيال الله. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً.

وجاء في رسائل بولس لأهل روما: (إن كل من يتحركون بواسطة الروح القدس سيبينون للعالم بأننا نحن أبناء الإله)[2]. ونجد أن تلك العبارة مستعملة أيضاً بكثرة في أسفار العهد القديم ومن أمثلة ذلك:

جاء في سفر الخروج: (وإنكم ستقولون لفرعون هكذا. قال الرب: إسرائيل هو إبني الأول الذي ولدته)[3].

وجاء في سفر التثنية: (إنكم أبناء الإله ربكم)[4]. وجاء أيضاً في قول الإله عن سليمان: (إنه سيصير إبني)[5].

ونجد كذلك أن الناس الذين كانوا حول عيسى يلقبونه بالمعلم، والنبي وغيرها من الألفاظ التي تدل على بشريته. ولم يرد في إنجيل يوحنا لفظ واحد يمكن أن يستدل به على أن عيسى قد ادعى أنه إله، أو أن الناس كانوا ينظرون إليه كإبن للإله على الحقيقة، بل كان يطلق عليه لقب المعلم أو النبي أو السيد.

كما جاء في إنجيل يوحنا حول هذا الموضوع ما يلي: (وعندما وجد الناس عيسى في الناحية الثانية من البحيرة قالوا له: أيها المعلم، متى حضرت إلى هنا)[6]. وفي موضع آخر: (وقال بعض الحاضرين:.. إن هذا الرجل لهو النبي! وقال آخرون إنه المسيح)[7]. وجاء أيضاً في موضع آخر: (بينما كان عيسى يسير مع أحد حوارييه رأيا طفلاً حديث الولادة كفيفاً. فقال الحواري لعيسى: أيها

---

(١) كتاب الأحداث: ١٧ : ٢٨.
(٢) رسائل بولس لأهل روما ٨: ١٦.
(٣) سفر الخروج ٤: ٢٢.
(٤) سفر التثنية ١٤ ـ ١.
(٥) أسفار مزامير داود ٦٨ : ٥.
(٦) يوحنا ٦ : ٢٥.
(٧) يوحنا ٧ : ٤١.

المعلم أهو ذنبه أم ذنب والديه الذي جعله كفيفا)[١].

بل أن إرسال الإله لعيسى فيه دلالة كافية على أنه والإله لا يمثلان شيئاً واحداً. كما أن هناك عبارات صريحة في الأناجيل تدل على أن الرب أعظم من عيسى:

ورد في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى فيه: (إنني أقدم لك شكري أيها الأب لأنك استجبت لي. إنني أعلم أنك دائماً تستجيب لدعائي ولكني فعلت ذلك من أجل الناس الذين يحيطون بي لكي يعلموا أنك أرسلتني)[٢].

وقال في موضع آخر: (إنني لا أقول شيئاً من نفسي ولكن من الأب الذي أرسلني، إنه يأمرني بما أقول وبكل ما أتحدث به)[٣].

وقوله أيضاً: (إن الذي أرسلني يقف معي لأنني دائماً أعمل ما يرضيه)[٤].

جاء أيضاً في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى فيه: (لو أنكم أبناء إبراهيم حقًّا يجب أن تعملوا بعمل إبراهيم، ولكن تريدون قتلي أنا الرجل الذي جاء ليخبركم بالحق الذي أسمعه من أبي)[٥].

بل وردت في إنجيل يوحنا نفسه أقوال منسوبة لسيدنا عيسى تشير بأن الإله رب لعيسى، ولغير عيسى، وليس والداً لعيسى على الحقيقة. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

جاء في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى فيه: (هو أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[٦].

وقول آخر فيه (أن الأب أعظم مني)[٧]. بل نجد في الأناجيل السنوبتيكية

---

(١) يوحنا ١: ١، ٢.
(٢) يوحنا ١١: ٤٢.
(٣) يوحنا ١٢: ٤١.
(٤) يوحنا ٨: ٢٩.
(٥) يوحنا ٨: ٢٩.
(٦) يوحنا ٨: ٣٩.
(٧) يوحنا ١٤: ٢٩.

أقوالاً كثيرة تدل على أن عيسى نبي مرسل، وكان ينادي بعبادة الإله الواحد.

جاء في إنجيل متى أن عيسى قال مخاطباً حوارييه: (الذي يتقبلكم يتقبلني، والذي يتقبلني يتقبل الذي أرسلني)[1].

وجاء أيضاً في نفس الأناجيل قول آخر لعيسى فيه: (لا كرامة لنبي في وطنه)[2].

وقول آخر في متى جاء فيه: (عندما تصلي اذهب إلى حجرتك وأوصد بابك، وصل لأبيك فهو وحده الذي لا يُرى والذي يَرَى ما تفعل في السر، والذي سيجزيك على ذلك)[3].

وخاطبه الفريسيون قائلين: (أيها المعلم نريد منك الإتيان بمعجزة)[4].

وورد في متَّى أيضاً قول طائفة الصدوقيين اليهودية له: (أيها المعلم لقد قال موسى: إذا مات أحد ولم يترك أبناء تزوج أخوه زوجته، وإن أنجب صار الأبناء للمتوفي)[5].

٣ ـ جاءت أيضاً أقوال متناقضة في الأناجيل تشير إلى أن عيسى قد تنكر لوالدته وأنكر أخوته. وفي مواضع أخرى من نفس الأناجيل يأمر عيسى أتباعه بطاعة الوالدين.

جاء في إنجيل متَّى أن مريم والدة عيسى جاءت في معية أبنائها الآخرين إلى مجلس عيسى وهو في حلقة من حلقات وعظه فلم تتمكن من الوصول إليه، وطلبت من أحد الحاضرين أن يخبره بأنها تريد مقابلته فأجاب عيسى قائلاً: (من هي والدتي؟ ومن هم أخوتي؟)[6].

وجاء في إنجيل يوحنا أن والدة عيسى قالت له مرة: قم وأسق القوم خمراً.

---

(١) متى ١٠: ٤.
(٢) متى ١٣: ٥٧، لوقا ٤: ٢٤، مرقص ٦: ٤.
(٣) متى ٦: ٦.
(٤) متى ١٢: ٣٨.
(٥) متى ٢٢: ٢٤.
(٦) متى ١٢: ٤٨.

فقال لها عيسى: (أيتها المرأة ماذا تريدين مني)[1].

هذه الأقوال تناقض ما جاء في إنجيل متى من وصية عيسى لطائفة الفريسيين قائلاً: (.. ولماذا تعصون تعاليم الإله وتتبعون أهواءكم الشخصية؟ لقد قال الإله: احترم أباك وأمك، وإن كل من يلعن والده أو والدته يجب أن يقتل)[2].

ونجد أن لوقا يورد في إنجيله قولاً منسوباً لعيسى ـ عندما سأله رجل عن عمل يُدْخِل الجنة ـ هذا نصه: (احترم أباك وأمك). والقصة بحذافيرها وردت في إنجيل لوقا كما يلي:

وفي ذات يوم حضر رجل إلى عيسى قائلاً: أيها المعلم الخيِّر (أو الصالح) أخبرني عن عمل صالح أعمله لأدخل الجنة. قال له عيسى: لا تدعوني بالخيّر فإن هناك خير مطلق واحد هو الإله.. إن أردت أن تنال الحياة الأبدية فعليك أن تحفظ هذه الوصايا: لا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تتهم أحداً زوراً، واحترم أباك وأمك، وحب جارك كما تحب نفسك[3].

٤ ـ هناك تناقضات كثيرة أيضاً حول عموم رسالة عيسى وحول اقتصارها على بني إسرائيل فقط.

جاء في إنجيل متّى قول منسوب لعيسى يخاطب فيه تلاميذه قائلاً لهم:

(اذهبوا إلى جميع الأمم وأخبروهم بما أوصيتكم به.. عمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس)[4].

هذا القول مناقض تماماً لأقوال واردة في نفس الإنجيل منسوبة لعيسى يدعو فيها حوارييه الإقتصار على هداية بني إسرائيل فقط. جاء في إنجيل متى قول منسوب للسيد المسيح يوصي فيه حوارييه قائلاً: (في طريق أمم لا تمضوا، في مدن السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[5].

---

(١) يوحنا ٢: ٤.
(٢) متى ١٥: ٣.
(٣) لوقا ١٩: ١٧.
(٤) متى ٢٨: ١٨.
(٥) متى ١٠: ٥.

وجاء في نفس الإنجيل قول منسوب لعيسى فيه: (.. إنما أرسلت فقط لخراف بيت إسرائيل الضالة)[1].

وإنجيل متّى يصور عيسى في صورة من يرفض معالجة أو مساعدة غير بني إسرائيل حيث جاء في ذلك الإنجيل ما يلي:

(أتت امرأة كنعانية إلى عيسى تبكي وتصيح قائلة: يا ابن داود ارحمني. إن ابنتي مريضة، وفي حالة سيئة للغاية، أرجو منك علاجها. فلم يجبها عيسى بكلمة. فتقدم تلاميذه وقالوا له: أصرفها إنها تصيح خلفنا. فأجاب عيسى قائلاً: إنني لم أُرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة. فأتت المرأة وسجدت تحت قدميه متضرعة قائلة: أيها السيد، ساعدني إني في حاجة ماسة إلى مساعدتك. فأجاب عيسى قائلاً: ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ـ ويقصد الإسرائيليين ـ ويطرح للكلاب. فأجابته قائلة: نعم أعلم ذلك، ولكن الكلاب أيضاً تأكل من البقايا التي تسقط من الأسياد. وحينئذ أجابها عيسى قائلاً: إنك تملكين إيماناً قويًا، وسأفعل ما تريدين، فشفيت إبنتها في الحال)[2].

٥ ـ لقد تم دستور الإيمان النصراني ـ كما يدعي علماء النصارى ـ في مؤتمر نيقية حيث قرر ذلك المؤتمر أن عيسى إله حق من إله حق. لكن الصفات التي وصف بها عيسى في أناجيل النصارى لا تدل على أنه كان يحمل صفات الإله، بل أنزلته تلك الأناجيل حتى عن درجة الأنبياء والصالحين، ووصفته بالكذب، والغفلة، والبكاء هلعاً وغير ذلك من الصفات التي لا يمكن أن يتصف بها الإله بأي حال من الأحوال.

من ذلك ما جاء في إنجيل مرقص ـ وهذه ترجمته ـ: (كان عيسى مبحراً في مركب مع بعض حوارييه، فاستغرق في النوم، فهبت عاصفة شديدة، فأيقظه من كان معه قائلين له: استيقظ أيها السيد. لقد كادت تلك العاصفة أن تهلكنا..)[3].

---

(١) متى ١٥ : ٢٤.

(٢) متى ١٥ : ٢١.

(٣) مرقص ٤ : ٣٧.

وأيضاً جاء في إنجيل متى: (وفي الصباح كان عيسى راجعاً إلى المدينة فأصابه جوع شديد، وعندما أبصر شجرة تين ذهب إليها ليطعم منها ولم يجد فيها ولا ثمرة واحدة فلعنها فسقطت الشجرة في الحال)[1].

هذه القصة تحتمل تأويلين: إما أن عيسى كان جاهلاً غافلاً عن الموسم الذي يثمر فيه التين بالرغم من أنه كان يعيش وسط أشجار التين في الشام، وإما أن الموسم كان موسم التين فعلاً، إلا أن الناس قد اقتطفوا كل الثمار من الشجرة قبل أن يصلها عيسى. وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن يلعن عيسى شجرة التين إلى أن تجف وتسقط في الحال، وهو الذي زعموا أنه إله الرحمة والمحبة.

ولقد رأينا من قبل كيف نسب متى في إنجيله لسيدنا عيسى سوء الخلق من تنكر لوالدته وإنكار لإخوته وغيره. ولكن يوحنا يورد ما يناقض ذلك في إنجيله حيث يزعم أن عيسى كانت تأخذه الشفقة بالناس لدرجة البكاء معهم فهو يقول: (.. ولما مات إبن لمريم صارت تبكي وتصيح وتنوح، ولما رأى عيسى أنها تبكي أخذته الشفقة عليها، ورثى لحالها وبكى معها)[2].

ولقد نسب يوحنا الكذب لعيسى عليه السلام عندما جاءه أخوته وطلبوا منه أن يذهب معهم إلى حفل: (.. وقال لهم عيسى: اذهبوا وحدكم، إني لا أريد الذهاب وبعد أن غادر أخوته المكان متجهين إلى مكان الإحتفال ذهب عيسى خلفهم سرًّا)[3].

وبالرغم من أن النصارى قد ادعوا بأن عيسى كان إلهاً إلا أنهم قد أوردوا في أناجيلهم أن عيسى كان يؤدي الصلاة لله، ويتعبد مثله مثل سائر البشر.

جاء في إنجيل متى: (وبعد ذلك ذهب عيسى معهم إلى مكان. وقال لحوارييه امكثوا هنا لأنني سأتنحى قليلاً لأصلي)[4].

وجاء في إنجيل لوقا أيضاً: (وتنحى ـ عيسى ـ إلى الخلاء

---

(١) متى ١٥ : ٢١.
(٢) يوحنا ١١ ٣٣.
(٣) يوحنا ٧ : ٨.
(٤) متى ٢٦ : ٣٦.

ليصلي)[1].

وقال بولس في رسائله للعبريين: (في أيام حياته الجسدية كان عيسى يصلي، ويدعو الإله، ويبكي متضرعاً لينقذه من الموت، وإن الإله استجاب له لأنه كان مطيعاً للإله ويخشاه)[2].

٦ ـ جاء في إنجيل متى أن سيدنا عيسى قد قال لحوارييه: (إنني سأسلمكم مفاتيح ملك الإله في السماء، وإن كل ما تربطونه في الأرض سيربط في السماء، وكل ما تحلونه في الأرض ستحله السماء)[3].

ونجد في إنجيل مرقص وإنجيل يوحنا ما يناقض ذلك حيث يوضح عيسى لمستمعيه أنه ليس له سلطان على شيء، وإنه بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًا.

قال مرقص: (..ولم يستطع أن ينجز أي معجزة هناك إلا أنه وضع يده على قليل من المرضى وتم علاجهم)[4].

وورد في إنجيل يوحنا أن عيسى خاطب مستمعيه قائلاً لهم: (..إنني لا أستطيع أن أفعل شيءاً من قبل نفسي، وليس لي سلطان لفعل ذلك)[5].

وعليه فلا يعقل أن يسلمهم عيسى مفاتيح ملك الإله ليتصرفوا فيها وهو القائل عن نفسه فيما زعمت الأناجيل أيضاً: (إن الثعالب لها أخبئة تختبيء فيها، وأن طيور السماء لها أعشاش تبيت فيها ولكن ابن الإنسان لا يجد موضعاً يضع عليه رأسه)[6].

كما ورد في إنجيل لوقا أن عيسى قال لبعض أتباعه أيضاً: (إن الابن الإنسان ليس له من السلطان ما يمكنه من مغفرة الذنوب في هذه الدنيا).

فكيف يعقل ـ بعد كل هذه الأقوال ـ أن يسلط أتباعه على فعل ما يشاءون

---

(١) لوقا ٥: ١٦.
(٢) رسالة بولس للعبريين ٥: ٧.
(٣) متى ٩: ١٦.
(٤) مرقص ٦: ٥.
(٥) يوحنا ٥: ٣٠.
(٦) لوقا ٩: ٥٨.

من تحليل وتحريم دون ضابط أو رقيب وهو نفسه لا يملك من السلطان ما يمكنه من فعل ذلك..

٧ ـ زعم بولس أن موت المسيح على الصليب خلص النصارى من جميع القوانين السابقة وعليه فلا ينبغي على النصارى العمل بما جاء في قوانين وكتب اليهود. ورد في رسائل بولس[١] هذا الزعم بينما نجد أن الأناجيل السنوبتيكية تشير إلى أن عيسى لم يكن ينوي تخليص النصارى من قوانين اليهود ولم يقل لهم في يوم ما أن تلك القوانين ستلغى.

جاء في إنجيل متى أن عيسى قال لحوارييه أنه لم يأت لكي يلغي قوانين موسى والأنبياء من قبله ولكنه جاء متمماً لتلك القوانين ومؤكداً لما قالوه[٢].

وجاء في إنجيل لوقا قول منسوب لعيسى فيه قول الإله: (إنه أهون أن تسقط السموات والأرض من أن يُغيّر حرف واحد من كلامي)[٣].

٨ ـ ورد في إنجيل يوحنا أن موطن عيسى الأصلي كان منطقة جودا، وقد رحل منها إلى الجليل بعد أن رفض الناس قبول دعوته، بينما نجد أن الأناجيل السنوبتيكية تقول أن موطن عيسى الأصلي كان منطقة الجليل[٤].

٩ ـ جاء في رسائل بولس أن عيسى قد سكب دمه على الصليب ليخلص الناس من خطيئة آدم وأنه قدم نفسه قرباناً للإله إلا أن أقوالاً أخرى واردة في الأناجيل تدل على أن الإله لا يريد القرابين بل يريد التوبة والاستغفار وطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

١٠ ـ لقد زعمت الأناجيل أن الإله قد تخلى عن عيسى عند صلبه. وهذا يتجلى بوضوح في إنجيلي مرقص ومتى الذين أوردا قصة الصلب المزعومة بكثير من التفصيل، بينما نجد قولاً منسوباً لعيسى في إنجيل يوحنا يقول بخلاف ذلك، إذ ادعى يوحنا أن عيسى قد قال لحوارييه مطمئناً: (إن الذي أرسلني هو معي،

---

(١) رسائل بولس لأهل غلاطية ٢: ٢١ ورسائله لأهل روما ٤: ١٥.
(٢) متى ٥: ١٧ ـ ١٩.
(٣) لوقا ١٦: ٧.
(٤) يوحنا ٤: ٣ و٣٤ إلى ٤٥، متى ١٣: ٥٤ ـ ٥٨، لوقا ٤: ٢٤، مرقص ٦: ٤.

ولن يتخلى عني لأنني دائماً أفعل ما يرضيه)[1].

١١ ـ لقد ادعى يوحنا أن عيسى قد قال مخاطباً أصحابه: (إن كل من يجد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان حقيقي يستطيع أن يأتي بمعجزات أعظم من التي أتيت بها)[2].

ولكنا لم نجد أن أحداً من النصارى قد جاء بعده بمعجزة أو شيء خارق للعادة يفوق ما نسبته الأناجيل لعيسى عليه السلام. وهذا يدل على صدق أحد هذين الإحتمالين: إما أن القول المنسوب لعيسى أعلاه لم يصدر عن عيسى عليه السلام أو أن أتباعه لم يبق في قلوبهم ذرة من إيمان حقيقي.

١٢ ـ أورد يوحنا[3] قولاً منسوباً للسيد المسيح يقول فيه: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق)[4]. ولكن يوحنا أورد في إنجيله أيضاً قولاً مناقضاً لذلك حيث ادعى أن سيدنا عيسى قال: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًّا)[5].

١٣ ـ من يطالع قصة المرأة المذنبة التي أفرغت قارورة طيب على رأس عيسى عليه السلام كما وردت في أناجيل متَّى ومرقص ويوحنا يجد اختلافاً كثيراً نجمله في الآتي:

ا ـ صرح مرقص بأن هذا الأمر كان قبل عيد الفصح بيومين، أما يوحنا فقد صرح بأنه كان قبل الفصح بستة أيام.

ب ـ ادعى مرقص ومتَّى أن هذه الواقعة كانت في بيت سمعان الأبرص، أما يوحنا فقد جعلها في بيت امرأة تدعى مريم.

ج ـ ادعى متَّى ومرقص أن إفاضة الطيب كانت على رأس عيسى، أما يوحنا فقد جعلها على قدميه.

---

(١) انظر كتاب أقانيم النصارى وهو كتاب يتحدث عن أصل الديانة النصرانية وتطورها ونقدها بأدلة من أسفار التوراة والإنجيل وكتب التاريخ من ص ١١٣ إلى ص ١١٩.

(٢) يوحنا ٥: ٣٠.

(٣) يوحنا ١٤: ١٢ ـ ١٤.

(٤) يوحنا ٥: ٣١.

(٥) يوحنا ٨: ١٤.

د ـ ادعى مرقص أن المعترضين كانوا أناساً من الحاضرين، أما متَّى فقد ادعى أنهم كانوا تلاميذ عيسى، أما يوحنا فقد ادعى بأن المعترض كان يهوذا.

هـ ـ ادعى يوحنا أن ثمن الطيب كان ثلثمائة دينار، أما مرقص فقد قال إنه أكثر من ثلثمائة دينار، أما متَّى فقد أغفل الثمن وقال بثمن كثير[1].

١٤ ـ استدل النصارى على ألوهية عيسى عليه السلام مستندين على العبارات التالية والتي وردت في أناجيلهم:

جاء في إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام قد قال: (والآن مجِّدْني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل خلق العالم لأنك أحببتني قبل إنشاء الكون)[2].

وقد علق أحمد حجازي السقا على ذلك بقوله: (لو كان المسيح في الأزل مع الأب للزم عليه أن يكون هو إلهاً مستقلاً عن الإله الأب، وهذا لا يقول به الأرثوذكس الذين يقولون أن عيسى هو الله نفسه.

وهذا التعبير كناية عن أن الله قدر وجود عيسى عليه السلام في الأزل، كما يقدّر وجود أي إنسان، بدليل قوله عن التلاميذ في سياق الحديث نفسه: (إن العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم، كما أني لست من العالم وهو من العالم)[3]. وهو يعني بذلك ـ إن كان هذا القول قد صدر عنه ـ عدم انغماسه في شهوات الحياة الدنيا كما يفعل سائر الناس.

١٥ ـ يورد النصارى بعض الأقوال التي يزعمون أنها تدل على أن المسيح كان في السماء مع الإله ونزل إلى الأرض منها قوله لليهود: (أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم)[4].

يقول السقا تعليقاً على هذه العبارة أن معنى الكلام: أنتم تعيشون في اللذات الجسدية، أما أنا فأعيش في عالم الروح. أنتم في عالم الأرض تريدون أن

---

(١) متى ٢٦ مرقص ١٤ يوحنا ١٢.
(٢) يوحنا ١٧ : ٥.
(٣) يوحنا ٨: ٢٣.
(٤) يوحنا ٨: ٢٣.

تعيشوا، أما أنا ففي عالم السماء مقصودي.

وقد وجه السيد المسيح هذا القول لجميع تلاميذه حيث خاطبهم قائلاً: (لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن أنتم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم)[1].

ولقد ساوى المسيح هنا بينه وبين تلاميذه في عدم الإنتماء لهذا العالم، فلو كان هذا مستلزماً لألوهيته ـ كما يدعي النصارى ـ للزم أن يكونوا كلهم آلهة.

١٦ ـ يدعي النصارى أن عيسى ابن مريم إله حقًّا وصدقاً لأنه كان معصوماً من الخطأ بدليل قوله لليهود: (من منكم يبكتني على خطيئة)[2].

ورد السقا على هذا الإدعاء بقوله: لو كانت العصمة من الخطيئة سبباً في أن يكون الإنسان إلهاً، لكان جميع الرهبان والراهبات عند النصارى آلهة، لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ، ولكان جميع البابوات خلفاء بطرس وبولس ومرقص آلهة لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ أيضاً، وقد شهد الكتاب المقدس لبعض الأنبياء بالبر والصلاح فلماذا لم يجعلوهم آلهة؟

١٧ ـ ويدعي النصارى أن المسيح إله حقًّا وصدقاً لأنه أنجز أعمالاً يستحيل أن ينجزها غيره من الناس، ولأنه قد فدى البشرية من خطيئة آدم. ولقد ورد في إنجيل يوحنا حول هذا الموضوع ما ترجمته: (لأنه هكذا أحب الإله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية)[3].

لقد سبق أن رأينا ضمن هذه الدراسة كثيراً من الأقوال المتضمنة في الأناجيل والتي تدل على بشرية عيسى، بل رأينا أفعالاً شائنة قد نسبت لعيسى تحط من مقام نبوته ناهيك عن درجة الألوهية.

١٨ ـ ويدعي النصارى أن المسيح قد صار إلهاً لأنه وصف نفسه بالألقاب الإلهية قائلاً: (أنا هو نور العالم، من يتبعني لا يمشي في الظلمة، بل يكون له

---

(١) يوحنا ١٥: ١٩.

(٢) يوحنا ٨: ٤٦.

(٣) يوحنا ٣: ١٦.

نور الحياة)[1].

وهذا أيضاً يناقض الأقوال العديدة الأخرى الواردة في بعض الأناجيل والتي تدل على بشرية عيسى عليه السلام. يعلق السقا في توضيحه لمعنى هذه الفقرة من الإنجيل بقوله: («أنا هو نور العالم» لا تدل على ألوهية عيسى، بل المعنى أن عيسى قد أتى بتعاليم من الله لتنير للبشر الحائرين الطريق).

١٩ - ويدعي النصارى أن المسيح إله حقًّا لأنه مطلع على الخفايا والسرائر. ويستدلون على ذلك بالقول المنسوب إليه عندما تحدث عن تلميذه ثنائيل قائلاً: (هوذا إسرائيل حقًّا لا غش فيه)[2].

ولقد رد السقا على ذلك بقوله: (هذه من معجزات المسيح، كمعجزة إبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، ثم إن كثيراً من الناس يعرفون بعلم الفراسة كثيراً من مثل هذه الأمور.

وهذه المعجزات لم ينفرد بها المسيح ابن مريم عمن سبقه من أنبياء بني إسرائيل. ففي سفر الملوك الأول ما نصه: (أن رجلاً من بني الأنبياء قال لصاحبه: عن أمر الرب أضربني، فأبى الرجل أن يضربه. فقال له: من أجل أنك لم تسمع لقول الرب فحينما تذهب من عندي يقتلك أسد. ولما ذهب من عنده لقيه أسد فقتله)[3].

وأكثر معجزات المسيح لها نظائر عند الأنبياء السابقين مثال ذلك.

أ - نزول المائدة من السماء على بني إسرائيل، يماثلها نزول المن والسلوى على اليهود في عهد موسى عليه السلام كما هو مبين في سفر الخروج[4].

ب - مَشْي عيسى على الماء يماثله عبور اللاويين بتابوت العهد في نهر الأردن مع يشوع بن نون ولم تبتل أرجلهم، كما هو مبين في سفر يشوع[5].

---

(١) يوحنا ٨: ١٢.

(٢) يوحنا ١: ٤٧.

(٣) سفر الملوك ٢٠: ٣٥، ٣٦.

(٤) سفر الخروج ١٦: ١٣ - ٣٦.

(٥) سفر يشوع ٣: ٩ - ١٧.

ج - إحياء عيسى الموتى بإذن الله يماثله إحياء الياس ميتاً، وإحياء اليسع ميتين وإحياء ذي الكفل (حزقيال) آلاف الموتى[1].

٢٠ - ويدعي النصارى أن المسيح إله حقًا لأن بعض الأناجيل تنسب له القوة والقدرة على كل شيء. وتدعي أنه قد قال لتلاميذه في مرة من المرات: (لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً)[2].

وعلق أحمد حجازي السقا على ذلك بقوله: المعنى لأنكم أيها التلاميذ بدون تعاليمي لا تستيطعون أن تفعلوا شيئاً، بدليل قوله في سياق الحديث: إن ثبتم فيّ وثبت كلامي تطلبون ما تريدون فيكون لكم، بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي.

٢١ - ويدعي النصارى أن المسيح إله حقًا وصدقاً لأنه قال لأحد المرضى بعد أن شفاه: (يا بني مغفور لك خطاياك)[3].

وعلق السقا على ذلك بقوله: لما شفي قال له: (مغفور لك خطاياك) يقصد أن مرضه ربما كان بسبب خطئه، ولما شفاه الله رفع عنه خطاياه.. اعترض اليهود عليه بقوله (لمذا يتكلم هذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟ فرد عليهم المسيح بقوله: أيهما أيسر أن يقال: مغفور لك خطاياك؟ أم أن يقال: قم واحمل سريرك وامشي؟)[4].

لم يقل (إنني أنا الله وحده) بل بين أن قوله فيه يسر لأنه يتحدث عن الخطيئة التي ربما تكون سبباً لمرض الرجل.

ويعلق متى في إنجيله على ذلك الحديث بقوله: (فلما رأى الناس ذلك تعجبوا، ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا)[5]. فلو كان التمجيد لعيسى نفسه لقال متى: (ومجدوا عيسى) ولكنه قال: ومجدوا الله الذي أعطى

---

(١) سفر حزقيال ٣٧ سفر الملوك الأول والثاني ٤، ١٣.
(٢) يوحنا: ١٥: ٥.
(٣) مرقص ٢: ٢.
(٤) مرقص ٢: ٩.
(٥) متى ٢: ١٢.

الناس قدراً كبيراً من التوفيق.

وأورد إنجيل لوقا بشأن هذا الحادث ما ترجمته: (ففي الحال قام الرجل الذي كان مريضاً أمامهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله، فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين: إننا قد رأينا اليوم عجائب)[1].

وفي رواية لمرقص: (فقام الرجل الذي كان مريضاً للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجمع، ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط)[2].

فهؤلاء الناس ـ إن صحت الروايات ـ مجدوا الله ولم يمجدوا عيسى، لأنهم أدركوا أن معجزة شفاء ذلك الرجل العليل الذي رأوه أمامهم ينهض من مرضه بل يحمل سريره ويذهب إلى منزله، هي معجزة من عند الله، وليست من عند عيسى نفسه. إذن فإن هذه الأقوال الأخيرة تناقض قول يوحنا الذي أوردناه سابقاً والذي يستشهد به النصارى على صحة دعوى ألوهية عيسى.

٢٢ ـ استدل النصارى على أن المسيح إله حقًّا وصدقاً لأنه نسب لنفسه ـ بزعمهم ـ القدرة على منح الحياة الأبدية السرمدية الدائمة لمن يشاء.

جاء في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى هذه ترجمته: (خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي)[3].

قال السقا في رده على ذلك الإدعاء: لقد عبر عن التلاميذ بالخراف، ولم يدع أنه خالق تلك الخراف حقيقة، ولا هو يمسك في يده هذه الخراف، وإنما التعبير كناية عن ضعف التلاميذ، وإنه هو الذي يوجههم، وأن الله عز وجل وحده هو الذي هدى إليه قلوب التلاميذ وحببهم فيه. يقول المسيح بعد هذه الفقرة مباشرة: ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل،

---

(١) لوقا ٩: ٨.
(٢) لوقا ٥: ٢٥.
(٣) يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨.

ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي.

٢٣ ـ ولقد زعمت النصارى أن المسيح مساوٍ لله سبحانه وتعالى في جميع صفاته مستندين في ذلك على قول وارد في إنجيل يوحنا منسوباً لعيسى جاء فيه: (أنا والأب واحد)[١]. ولكن هناك أقوال أخرى في الأناجيل تدل على عكس ذلك. جاء في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى هذه ترجمته: (ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت الأب فيّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني)[٢].

ولقد رد السقا على هذه المزاعم قائلاً: (فقوله «ليكون الجميع واحداً» وقوله: «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» وقوله: «ليكونوا مكملين إلى واحد» يدل على اتحاد عيسى بسائر التلاميذ. وهذا الإتحاد في الظاهر ليس حقيقيًا، بل هو تعبير مجازي عن طاعتهم لأحكام الله عز وجل، وعملهم الأعمال الصالحة مجتمعين).

٢٤ ـ ادعى النصارى أن السيد المسيح قد قال: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر)[٣]. ولكن هذا القول يناقضه قول آخر منسوب إليه ورد فيه: (لست أنا بعد في العالم).

وعلق السقا على ذلك بقوله: «وها أنا معكم كل الأيام» أي معكم بتعاليمي التي أوصيتكم بها. التعاليم التي ستدوّن في الكتب. ومعنى قوله: «إلى انقضاء الدهر» أي الزمن الذي فيه النبوة والشريعة مع بني إسرائيل حتى يأتي نبي بني إسماعيل عليه السلام. وليس معهم بجسمه بدليل قوله: (لست أنا بعد في العالم).

---

(١) يوحنا ١٠: ٣٠.
(٢) يوحنا ١٧: ٢١ ـ ٢٣.
(٣) متى ٢٨: ١٩ ـ ٢٠.

٢٥ ـ ادعى النصارى أن السيد المسيح قال: (إن أحبني أحد يسمع كلامي، فيحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً)[١]. واستدلوا بذلك أيضاً على أن عيسى إله حقًّا وصدقاً. ولكن يوجد في أناجيل النصارى ما يناقض هذا القول، حيث يروي يوحنا في إنجيله أن السيد المسيح قد قال: (والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى (الفارقليط) الروح القدس الذي سيرسله الأب بإسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم)[٢].

وعلق السقا على ذلك بقوله: لو حضر المسيح مع الله في كل قلب هل يصنعان منزلاً حقيقيًّا له أبواب وشبابيك؟ كلا وإنما المعنى كناية عن حب الله وحب عيسى لذلك الإنسان، بدليل ما جاء في بعض التراجم: (وعنده تتخذ المنزلة). ولماذا يعتبر النصارى هذا النص دليلاً على ألوهية عيسى ولا يعتبرونه دليلاً على أن عيسى رسول من عند الله كما هو واضح من قوله «الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني»؟.

---

(١) يوحنا ١٤: ٢٣.

(٢) يوحنا: ١٤، ٢٥، ٢٦.

الفصل الرابع

في تأثر المسيحية بما سبقها من عقائد وثنية وفلسفات

تأثر الديانة المسيحية بما سبقها من عقائد وفلسفات

لقد أكدت الأبحاث التاريخية أن الديانة المسيحية قد تأثرت تأثراً واضحاً بما سبقها من عقائد وثنية وفلسفات. إن هناك عوامل كثيرة أثرت في المسيحية وأدت إلى تشويهها. ولقد انتقلت المسيحية في القرن الثاني الميلادي من الشرق الأوسط ومن مقرها بفلسطين إلى بيئة الغرب ونمت في بيئة الإغريق والرومان، فتأثر رجال الدين المسيحي بتلك البيئة فترك ذلك أثراً واضحاً في كتاباتهم، بل وفي اختيارهم للأناجيل والرسائل التي أُقر اعتمادها في مؤتمرات النصارى المختلفة[١].

لقد تأثرت المسيحية تأثراً واضحاً بفلاسفة اليونان خاصة بأفلاطون الذي ظل تأثيره ملازماً للفلاسفة المسيحيين حتى القرن العشرين. إن مثاليات أفلاطون وتطلعه للروحانيات ومحاولاته إيجاد الطريقة المثلى للاستعلاء على الجسد المادي والتوصل للكمال كان لها أثرها الواضح في تشكيل الديانة المسيحية، خاصة في القرنين الرابع والخامس الميلاديين. ولقد كان كثير من رجال الدين المسيحي يعتقدون أن البدن شر يجب التخلص منه وذلك تنقية للروح؛ لأن الجسد ورث الخطيئة عن آدم فظلت عالقة به حتى مجيء المسيح. ويعتبر رجال الدين المسيحي أن أفلاطون وأرسطو من أكبر آباء المسيحية[٢]. والحق يقال أن تأثيرهما على المسيحية مازال راسخاً وقويًا حتى يومنا هذا.

وفي هذا الفصل سنحاول إن شاءالله إعطاء نبذة مختصرة عن بعض الشخصيات والعقائد والفلسفات التي شاركت في تشكيل المسيحية بالصورة التي نراها اليوم.

---

(١) Jew and Greek Tutors unto Christ: The Jewish and Hellinistic Background of the New Testament, Megregor G.H., New York, Charles Scribner's Sons, 1936, PP. 310 - 366.

(٢) انظر كتاب: The Environment of Early Christianity, Angus. S., New York, Charles Scribner's Sons, 1920, PP. 68 - 139.

تأثر المسيحية بأفلاطون:

كان أفلاطون فيلسوفاً مثاليًا تحدث في مدينته الفاضلة عن الروحانيات وأهميتها بالنسبة لتلك المدينة والتي كان يرجو إقامتها يوماً ما على وجه الأرض. تحدث أفلاطون عن ضرورة تنقية الروح كي تصل إلى الكمال وذلك بإنكار اللذات الجسدية ومحاربتها. وزعم أفلاطون أن الروح تصل إلى كمالها عن طريق التفكير في عالم الأرواح. وادعى أن ذلك لن يحدث إلا عن طريق مجاهدة النفس والتأمل والتفكير في الخير المطلق والذي سماه فيما بعد الإله. وقال أفلاطون كذلك: أن الإنسان لا يستطيع الوصول لقمة الكمال إلا إذا صار محبًا للحكمة. وقال أفلاطون أن الكمال لا يتحقق إلا إذا خلّص الإنسان نفسه من سجن الجسد..

وتأثرت المسيحية بمثل هذه الأفكار فظهرت فيها طبقة الرهبان والزهاد الذين حاولوا التخلص من الجسد واعتبروه شرًا لابد للمؤمن الحق أن يتخلص منه. ولقد حارب القس بولس الزواج وكل أنواع الملذات الجسدية، وزعم أن الكمال المطلق هو في تنقية الروح من أوضار الجسد لأن الجسد قد ورث الذنب والخطيئة عن آدم. ولكن جوشيا رويس يقول: أن النصارى الأوائل لم يفهموا معنى مملكة الإله لأن أقوال عيسى التاريخي كانت غامضة، ولم تكن مفهومة لديهم، لذلك جعلوا الزهد طريقاً لها وحاربوا الجسد. ويرى رويس أن مملكة الإله سوف تتحقق في هذه الأرض بانضمام جميع البشر إلى المسيحية. ويقول أن عيسى كان يقصد بمملكة الإله، وملك الإله أن تبنى تلك المملكة على هذه الأرض وذلك بنشر المسيحية بين العالمين.

وهذا القول شبيه بفكرة أفلاطون التي تدعو لبناء مدينته الفاضلة على وجه الأرض وليس في السماء.

ويعتقد أفلاطون أن المدينة الفاضلة يجب أن تقسّم إلى طبقات ثلاث، وأن هذا التقسيم شيء طبيعي ولابد منه، إذ تشتمل مدينته الفاضلة على طبقة الفلاسفة وطبقة الجنود ثم الطبقة السفلى وهي طبقة الشعب. ويرى أفلاطون أن تكون طبقة

الفلاسفة هي الطبقة المسيطرة على بقية الطبقات الأخرى، وهي طبقة خاصة مكونة من فئة قليلة من البشر هم الذين يتميزون بالعقل المفكر والحكمة، وعليه فيحق لهم أن يسودوا المجتمع كله. ولا يحق لغير تلك الطبقة البت في الأمور الفلسفية أو في نظام الحكم لأن هذه الطبقة هي أعلى طبقات المجتمع ويجب أن تتركز في يدها جميع السلطات.

ونلاحظ هنا أن رجال الدين المسيحي ـ خاصة في القرون الوسطى ـ قد حاولوا استثمار مثل هذه الأفكار الفلسفية فاحتكروا الأناجيل وامتلكوها داخل معابدهم، وظلت تحت سيطرتهم لمدة طويلة، فلم يتيسر لأحد رؤيتها أو الاطلاع عليها إلا عن طريقهم. ولقد سيطرت الكنيسة الكاثوليكية بروما على مقاليد الأمور واعتبرت نفسها المشرع الوحيد للمسيحية وحامي حماها والقائم على أسرارها باعتبار أن رجال الدين هم صفوة المجتمع وأهل الحل والعقد فيه.

حاول أفلاطون في مدينته الفاضلة القضاء على نظام الأسرة، ولذا نجد أنه حارب الزواج ولم يبحه إلا لضرورة إنجاب الأطفال بقدر معلوم لتعمير المدينة الفاضلة فقط.

ونجد أن الأب بولس قد اقتدى بأفلاطون في هذا السبيل، فنراه ينصح أتباعه بعدم الزواج، ويدعى أن العزوف عن الزواج أفضل من الزواج. ولم يبح الزواج إلا عند الخوف من الوقوع في الزنا. كما أنه حرم الطلاق فالزواج الكاثوليكي يجب أن لا يفض[1].

ونجد كذلك أن القديس أوغسطين ـ في القرن الخامس من الميلاد ـ قد حارب الزواج مدعياً أن الزواج كان مباحاً قبل مجيء المسيح وذلك من أجل إنجاب شعب الله وتقويته. ولكن بعد مجيء المسيح فلا داعي للزواج لأن نهاية الزمان قد أزفت. ويرى أوغسطين كذلك أن مدينة الإله قد اكتملت بمجيء

---

(١) انظر New Testament Studies: An International Journal, Published Quarterly under the Asupocies of Stubiorum Novi Testament Sociteis., 19, 1972, P. 19 - 73.

المسيح، وأن التاريخ قد وصل إلى قمته ونهايته[١].

تأثر المسيحية بأرسطو:

أورد جونز ملخصاً حول هذا الموضوع نترجمه فيما يلي: (إن القديس أوغسطين كان متأثراً تأثراً شديداً بفلسفة أرسطو. ولما كان أرسطو يؤمن بوجود إله واحد خالق لكل شيء وأنه إله قوي وعظيم، فقد حاول أوغسطين أن يربط إله النصارى الفادي بإله أرسطو، ولذا فقد أضفى على الإله الأب كل صفات القوة والقدرة والكمال الذي كان يتصف به إله أرسطو، لكنه فشل في هذا الربط لأن إله النصارى مكون من ثلاثة أشخاص كما أنه ـ كما هو معروف ـ قد اهتم بخلقه وجاء وأنقذهم من الخطيئة حينما افتداهم بنفسه. أما إله أرسطو فقد كان كاملاً ولكنه لا يهتم بخلقه، وليست له وظيفة إلا تأمل ذاته العليا. وكان أرسطو يرى أن الكمال وصل بهذا الإله أقصاه، فصار لا يهتم إلا بذاته، لكن المخلوقات تتأمل هذا الإله لأنها تتوق إلى الكمال ولأن الإله أكمل وأرفع منها)[٢].

تأثر المسيحية بالأفلاطونية الحديثة:

كان قائد تلك المدرسة فيلسوفاً من الإسكندرية يدعى أفلوطين، وقد عاش ما بين عامي ٢٠٢ ـ ٢٧٠م. اهتم أفلوطين في فلسفته بالبحث عن حقيقة الإله، وكان متأثراً بأفكار أفلاطون تأثراً كبيراً.

الذي يهمنا في شخصية أفلوطين أنه كان زاهداً وورعاً. وبعد أن مارس الزهد ومجاهدة النفس لسنوات عدة دخل تجربة أوصلته كما ادعى إلى الإتحاد بالقُوى الخفية. كما ادعى أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى تلك المرتبة إلا بعد المرور بمرحلة طويلة من الزهد ومجاهدة النفس والتأمل، وبعدها يصل الفرد إلى قمة الكمال، وذلك عن طريق الإمتزاج بالقوة الخفية والفناء فيها. ادعى أفلوطين كذلك أن الأشياء جميعها خرجت سن الإله عن طريق الإنبثاق عن الذات الإلهية. فانبثقت عن الإله ـ في أول الأمر ـ روح تحمل الأرواح كلها في طياتها، ومن

---

(١) انظر كتاب: A History of Western Philosophy, PP. 115 - 119.

(٢) انظر كتاب: A History of Greek Philosophy, W.K.C. Guthric. Cambridge, 1975, Volume 3, PP. 80 - 99.

تلك الروح العامة انبثقت الأرواح الخاصة بالمخلوقات كلها. . ويرى أفلوطين أن الأجساد التي انبثقت عن الإله في حركة ونشاط دائم، كي تعود مرة أخرى إلى الإله. ولذلك فهي في حركة ونشاط دائم كما أنها تتحرك في اتجاهين: اتجاهها الأول الذي يؤدي إلى الانبثاق عن الإله، والإتجاه الثاني الذي يؤدي إلى الرجوع للإله والإتحاد به مرة أخرى.

ولقد رأينا من قبل كيف تأثر الزهاد والرهبان بأفلاطون. أما تأثر النصارى بأفلوطين فيتمثل في قصة الحلول حيث ادعى أفلوطين أنه دخل في تجربة أوصلته إلى الإله الذي امتزج به امتزاجاً كاملاً. وقد رأينا ما يشبه ذلك في مقالة القس بولس الذي ادعى أن الإله قد حل فيه عندما كان في طريقه إلى دمشق.

ويتمثل تأثر النصارى أيضاً بأفلوطين فيما يعرف بمدرسة اللاهوت المتطور المعاصرة التي يزعم روادها أن الأجسام والأشخاص مازالت تنبثق عن الإله وتعود وتفنى فيه ثانية. بل زعم أصحاب تلك المدرسة أن الإله ناقص ومحتاج دائماً إلى معونة خلقه. وسنرى تفاصيل ذلك في الباب القادم بإذن الله.

تأثر الديانة المسيحية بديانة الأم العظيمة:

كانت هناك ديانات وثنية كثيرة تسود الشرق الأوسط قبل ظهور الديانة المسيحية. ومن بين تلك الديانات ديانة الأم العظيمة، ولقد كان الناس يعبدون تلك الأم العظيمة التي يسمونها سيبيل Cybele واشتهرت عبادة تلك الأم في اليونان خاصة. وحسب ما جاء في قصة تلك الأم أنها كانت تحب شخصاً يدعى Attis حبًا عظيماً. وفجأة مات حبيبها فحزنت عليه حزناً شديداً. وكان أتيس هذا هو أول مَنْ مات من الكائنات، وتسبب موته في موت جميع البشر. واستمرت الأم العظيمة في نواحها عليه آماداً طوالاً. على أثر هذا النواح جف كل شيء في العالم مشاركة لها في حزنها، ويبست الأرض وساد الحزن جميع الكون. ولكن فجأة قام اتيس من الموت في قوة غير عادية، قوة كانت غير معهودة لديه في حياته، ففرحت سابيل بذلك وسرت سروراً عظيماً، ومن ثم رجعت الحياة لسيرتها الأولى، وبعث مجدداً كل من كان قد مات متأثراً ببكاء تلك الآلهة. فاخضر الزرع، وكست الأرض الخضرة والجمال. وهب الناس جميعاً ليحتفلوا بعودة

أتيس. وصارت هناك عادة المشاركة في الحياة الأبدية التي قدمها أتيس بموته وحياته من جديد، وصار الناس في فصل الربيع يجتمعون في كل عام للإحتفال بيوم عودة أتيس للحياة من جديد، وهم يصيحون ويبكون كما كانت تبكي سابيل، ثم يعودون للفرح والسرور كسرورها عند عودة أتيس.

وبمرور الزمن تطورت تلك العبادة، وصار لها قساوسة يشرفون على هذا الاحتفال ويقدمون ثوراً هائلاً كقربان للإله أتيس الذي مات ثم قام من الموت، ويضعون هذه الذبيحة في مكان عال بحيث يسيل دمها قطرة قطرة، ثم يأتي الناس ويتمرغون في هذا الدم ويغسلون منه وجوههم، ويشربون منه بشغف عظيم. ويُعد هذا بمثابة التدشين للأعضاء الجدد الذين يشتركون في هذه الطقوس لأول مرة. وهم يعتبرون الشخص الذي شارك في هذه الطقوس قد استحق الحياة الأبدية التي وعده بها أتيس. وكان قساوسة هذه العبادات الوثنية يقومون بالإشراف على هذه الإحتفالات، ويدّعون بأن الإله أتيس سيغفر لكل من يشترك فيها جميع ذنوبه.

وهذه القصة تذكرنا بممارسات النصارى التي سادت في المسيحية خاصة في القرون الأولى منها. إن النصارى يؤمنون بأن المسيح كان بشراً ثم قُتل ولكنه قام من الموت وهو يمتلك قوة غير عادية. وهذا ما رأيناه تماماً في قصة الأم العظيمة المذكورة أعلاه. كما أن النصارى يؤمنون بأن موت المسيح كان كفارة لذنوب البشر. كذلك يعتقد أصحاب ديانة الأم العظيمة أن الإشتراك في الاحتفالات لإحياء ذكرى موت الإله أتيس بالحزن والتمرغ في الدم يغفر للمشترك ذنوبه وآثامه.

يعتقد النصارى أن التعميد شرط ضروري للإشتراك في عضوية الكنيسة، بل هو واجب حتمي على كل من يتحوّل إلى المسيحية. وكذلك يعتقد أصحاب ديانة الأم العظيمة أن التمرغ في الدم والإشتراك في الإحتفالات الدينية ضروري لكل من يعتنق ديانة الأم العظيمة.

إن المسيحيين يشربون الخمر، ويأكلون الخبز باعتبار أن الخبز والخمر يرمزان لجسد المسيح ودمه، ويقيمون احتفالاً كبيراً في فصل الربيع من كل عام، ويسمون عشاءهم هذا بالعشاء الرباني الذي يأكلونه ليزيدهم قوة وإيماناً،

وليشاركوا في الحياة الأبدية. كذلك يفعل أصحاب ديانة الأم العظيمة حيث يقيمون احتفالاً كبيراً في فصل الربيع من كل عام، ويشربون الدم ليزيدهم قوة وإيماناً، وليشاركوا في الحياة الأبدية.

إن المسيحيين يعتبرون المسيح إلهاً ومعجزة، وكذلك يفعل أصحاب ديانة الأم العظيمة الذين يعتبرون أتيس إلهاً ومعجزة.

تأثر المسيحية بأسطورة إيزيس وأوزوريس:

وهذه أسطورة مصرية قديمة يرجح القول بأنها كانت منتشرة في الشرق الأوسط حوالي عام ٢٠٥ق.م وهي تدور أيضاً حول موت إنسان عادي وقيامه من الموت في قوة عظيمة غير معهودة للشخص العادي.

وتبعاً لهذه الأسطورة فقد مات أوزوريس، فحزنت عليه إيزيس حزناً شديداً، وناحت وبكت. ولكن نهاية الأمر هزم أوزوريس الموت وقام في قوة عظيمة ليصير إلهاً. وفرحت إيزيس بعودته للحياة ثانية، وفرح معها الجميع، واحتفلوا احتفالاً عظيماً بيوم عودة أوزوريس للحياة.

ونحت قدماء المصريين تماثيل لكل من إيزيس وأوزوريس وعبدوهما، وكان القساوسة يشرفون على كل الطقوس والإحتفالات التي كانت تقام لعبادة هذين الإلهين.

وهذا أيضاً شبيه بقصة الزعم بموت المسيح وقيامه مرة ثانية من الموت في قوة غير عادية ليصبح إلهاً. ونلاحظ أن قدماء المصريين قد نحتوا تماثيل لعبادة إيزيس وأوزوريس، كذلك نحت النصارى تماثيل لعبادة عيسى باعتباره إلهاً. ويشرف رجال الدين عند قدماء المصريين على كل طقوس الإحتفالات بيوم عودة أوزوريس، وكذلك يفعل قساوسة النصارى عندما يقومون بتقديم العشاء الرباني في يوم الإحتفال بقيام عيسى بعد موته كما يزعمون.

تأثر المسيحية بديانة ميثرا Mithra:

تدور الديانة الميثرية حول أسطورة إله منقذ ومخلص وفادي ولد في كهف في ٢٥ ديسمبر، ووعد أتباعه بحياة أبدية. ويعتبر أتباع ميثرا أن هناك قوتين

عظيمتين تعملان في هذا العالم وتسيطران على كل شيء سيطرة تامة، هما قوة الخير وقوة الشر، وأن هذا العالم ما هو إلا ميدان صراع بين هاتين القوتين العظيمتين. فالقوة الخيّرة تنظم والقوة الشريرة تحطم وتخرب كل شيء نظمته القوة الأخرى وتفسده عليها.

ويرى أتباع هذه الديانة أنه يجب على الإنسان أن يقف بجانب قوى الخير دائماً، وأن يعمل لمناصرة القوى الخيّرة وطرد القوى الشريرة. ويرى أتباع تلك الديانة أن القوة الخيّرة أحياناً تقف مكتوفة الأيدي أمام القوى الشريرة، وإن لم يناصرها الإنسان تغلبت عليها قوى الشر.

أما بالنسبة لأصل الإنسان فيرى أصحاب تلك الديانة أن الإنسان نزل من السماء، وأصله في السماء، وأن كل روح في هبوطها إلى الأرض تمر بمراحل وتطوف بسبعة من الأجرام السماوية. وكل كوكب يساعد بدوره على تكوين الجسد الذي يحمل الروح. وفي الأرض تسجن الأرواح في الأجساد بصورة نهائية. ولذا فإن تلك الأرواح تحاول دائماً التخلص من الجسد والوصول إلى الكمال عن طريق الصعود إلى مكانها الأصلي في السماء حيث تتحد مع إله الخير.. وإلا فإنها ستظل في عذاب دائم مع إله الشر.

أما الإله ميثرا فهو الإله الإبن المنبثق عن إله الخير، وهو المنقذ الذي جاء إلى الأرض ليموت ويقوم في قوة عظيمة لكي يخلص أتباعه من إله الشر. إن أتباع ميثرا يقولون بأن ميثرا وعدهم بالحياة الأبدية إن تبعوا ديانته، وبأنه سيخلصهم من إله الشر. ويزعم أهل تلك الديانة أن الشخص إذا لم ينتسب بكل قلبه لتلك الديانة فإنه سيظل مع إله الشر في معاناة ما بعدها معاناة، ولن ينال رضاء ميثرا، ولن ينقذ بواسطة موت ميثرا أبداً.

ثم ربطت تلك الديانة بعبادة الشمس باعتبار أن الشمس تمثل الخير والحياة وترمز إلى إله الخير كما أنها تهزم الظلام الذي يمثل إله الشر.

ظل أتباع ميثرا[1] يقيمون طقوسهم على أيدي رجال الدين ثلاث مرات في

---

(١) انظر كتاب: A History of Western Philosophy (The Medieval Mind), PP.1 - 4.

اليوم. مرة عند شروق الشمس، ومرة عند توسط الشمس في كبد السماء، ومرة عند غروب الشمس، وظل سابع يوم من أيام الأسبوع ـ وهو يوم الأحد ـ يوماً مقدساً لديهم يعبدون الشمس فيه طيلة ساعات النهار. وظلوا يقيمون احتفالاً عظيماً بإله الخير في ٢٥ ديسمبر من كل عام ـ وهو اليوم الذي يعتقدون أن الإله ميثرا إله الشمس قد ولد فيه من جديد ـ ويقيمون عشاء مقدساً بتلك المناسبة. وقد انتقلت تلك العبادة من بلاد اليونان إلى بلاد فارس واختلطت بالديانات الوثنية الأخرى التي كانت سائدة هناك والتي ظل أتباعها يقيمون احتفالاتها السنوية بمناسبة موت أحد الأشخاص وانبعاثه من جديد، لكن هذا الشخص ـ كما تروي الأساطير ـ لم يعد للحياة تماماً بل عاش حياة روحية دائمة. وزعمت زوجته أن زوجها بعد أن بُعث ووُلد من جديد في حياته الأبدية قد سكن في قلب شجرة وأن تلك الشجرة لا تموت أبداً وتظل مخضرة طوال أيام السنة. لذا صار الناس يتبركون بتلك الشجرة ويجعلونها رمزاً للحياة الأبدية. ولقد اختلطت هذه الديانة بديانات أهل الشرق، ومن ثم شاعت عبادة الشمس في بلاد فارس وبابل، وقدس الناس أيضاً شجرة الميلاد بجانب تقديسهم للإله الشمس.

ولو تأملنا تلك العبادات والطقوس لوجدنا أنها تشابه كثيراً من العبادات التي يمارسها النصارى في عالم اليوم. يزعم عباد ميثرا أن إلههم كان شخصاً عاديًا ولكنه مات وقام من الموت فصار إلهاً. ويماثل هذا عند النصارى زعمهم أن عيسى عليه السلام كان رجلاً عاديًا ولكنه مات وقام من الموت فصار إلهاً.

يدعي أتباع ميثرا أنه ولد في كهف في ٢٥ ديسمبر. ويدعي النصارى أيضاً أن المسيح قد ولد في ٢٥ ديسمبر.

يزعم عباد ميثرا أن موته وانبعاثه للحاية كانا فداء للناس. وكذلك يفعل النصارى عندما يزعمون أن موت المسيح وانبعاثه المزعوم كانا فداء للناس.

هزم ميثرا إله الشر كما يزعم عباده. وهزم المسيح خطيئة آدم التي هي أصل الشر في العالم كما يزعم النصارى. يقيم أتباع ميثرا عشاء مقدساً كل عام. وكذلك يقيم أتباع المسيح عشاء مقدساً كل عام يسمونه العشاء الرباني.

يزعم أتباع الديانة الميثرية أن الشخص لا يصير عضواً كاملاً في الجماعة إلا

عن طريق الإيمان بأسطورة تأليه ميثرا. ويقول النصارى كذلك أن الشخص الذي يتحول إلى الديانة المسيحية يجب أن يؤمن بأسطورة الإله المنقذ وثاني الأقانيم الذي جاء وصار جسداً وإلا لا يعتبرون ذلك الشخص نصرانيًا.

يرى أتباع ميثرا أن ميثرا هو الإله المنبثق عن إله الخير. ويرى النصارى أن المسيح هو الإله الإبن المنبثق عن الإله الأب.

يعتبر يوم الأحد يوماً مقدساً لدى أتباع ميثرا لأن ميثرا ـ بزعمهم ـ قد بعث في هذا اليوم، ونظراً لعبادتهم المتواصلة للشمس في ذلك اليوم أيضاً. كذلك يعتبر يوم الأحد يوماً مقدساً لدى النصارى لأنهم يعتبرون أن المسيح قد بعث فيه بعد موته على الصليب. ونلاحظ هنا أن كلمة Sun day باللغة الإنجليزية تعني حرفيًا يوم الشمس، وهو اليوم الذي كان أتباع ميثرا يحرمون فيه العمل تحريماً قاطعاً ويتفرغون فيه تفرغاً كاملاً لعبادة الشمس. ونلاحظ كذلك أن النصارى يعتبرون يوم الأحد يوماً مقدساً، وهو يوم عطلتهم الرسمية ـ كما هو معروف ـ ويوم تفرغهم لأداء شعائرهم الكنسية. أما مسألة عبادة أهل فارس وبابل للشجرة التي تظل مخضرة طوال العام ومسألة تبركهم بها فشبيه بقصة شجرة الميلاد لدى النصارى اليوم[١].

أما اعتبار الديانة الميثرانية بأن الجسد شر يجب التخلص منه كمدخل لتنقية الروح، فهو أيضاً شبيه بقول النصارى في مسألة الخصام الأبدي بين الروح والجسد والتي أوردناها سابقاً ضمن هذا البحث.

تأثر المسيحية بالديانة البرهمية[٢]:

سادت تلك الديانة في الهند القديمة خاصة عند العوام. وكان أتباع الديانة البرهمية يعبدون الأصنام باعتبار أن القوى التي تسيطر على هذا العالم تعمل من

---

(١) انظر كتاب: The Oriental Religions: Roman Paganism, F. Cumont, Chicago, 1911.

(٢) في المقارنة بين البرهمية والمسيحية انظر: «محاضرات في مقارنة الأديان» القسم الأول، الديانات القديمة للدكتور محمد أبو زهرة، ص ٢٧ ـ ٤٢.
ثم انظر كتاب النصرانية والإسلام ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

خلال بعض الأجسام وخاصة الأصنام التي كانوا يعبدونها. وبمرور الأيام حصروا عبادتهم في ثلاثة آلهة: براهما وهو الإله الخالق لكل شيء والذي صدرت عنه ـ بزعمهم ـ جميع الأشياء. وقد رمزوا له بالشمس لأن الشمس في نظرهم هي مصدر كل خيرات العالم. وهم كالميثرانيين يعتقدون أن هناك أيضاً قوى خفية شريرة بجانب القوى الخيرة. وهذه القوى الخفية الشريرة ـ في نظرهم ـ هي الإله الثاني وسمّوه سيفا أو سيوه ورمزوا له بالنار، لأن النار يمكن أن تأتي على كل شيء فتحرقه وتدمره. أما الإله الثالث فهو فيشنو وهو أيضاً إله خير. ويزعم الهنود أن الآلهة الثلاثة يكونون إلهاً واحداً مركباً من ثلاثة أقانيم. ودون هذه الآلهة العظيمة آلهة متعددة أخرى تليها في الدرجة والمقام.

ويعتقد أصحاب الديانة البرهمية أن إله الخير فيشنو قد جاء وحلّ في إنسان يدعى كريشنا، فالتقى في كرشنا هذا الناسوت باللاهوت. ويصف البراهمة كرشنا بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية والذي قدم نفسه فداء للبشرية وذلك من أجل محو ذنوب وخطايا البشر، ويقولون أن مثل هذا العمل البطولي لا يقدر عليه أحد سواه.

أما عن قصة مولد كريشنا فيقولون أنه ولد من عذراء مخطوبة إسمها ديفاكي. ويقولون أنه إله سبحت له الأرض يوم مولده، وبرزت نجمة في الأفق كعلامة على ذلك الحدث العظيم. ويدّعون أن أمه ولدته في غار. ولقد تطابقت أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا تطابقاً تامًا مع إعتقاد النصارى في المسيح. نلاحظ من ذلك ما يلي:

قال الهندوس: إن كريشنا هو المخلص والفادي والراعي الصالح والوسيط وابن الإله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس الذي يتكون من الأب والإبن وروح القدس.

ويقول النصارى أن يسوع هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الإله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس الذي يتكون من الأب والإبن وروح القدس.

قال الهندوس: لقد مجدت الملائكة ديفاكي والدة كريشنا ابن الإله والتي

كانت عذراء عندما حملت به. وقالت الملائكة يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة التي ولدت ابن الإله.

ويقول النصارى: دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها: سلام لك أيها المنعم عليها، الرب معك.

قال الهندوس: عرف الناس ولادة كريشنا من نجمة ظهرت في السماء كعلامة على ذلك الحدث العظيم.

ويقول النصارى: لما ولد يسوع المسيح ظهرت نجمة في المشرق، وبواسطة ظهور تلك النجمة عرف الناس محل ولادته.

قال الهندوس: لما ولد كريشنا سبحت الأرض وأشرقت بضوء القمر، وترنمت الأرواح وزغردت ملائكة السماء فرحاً وطرباً، ورتّل السحاب بأنغام مطربة.

ويقول النصارى: لما ولد يسوع المسيح رتّلت الملائكة أنغامها فرحاً وسروراً وأظهرت من السحاب أنغاماً مطربة.

قال الهندوس: كان كريشنا من سلالة ملكية، ولكنه ولد بغار في حال بائس وفقر مدقع.

ويقول النصارى: كان المسيح من سلالة ملكية وهم يدعونه ملك اليهود، ولكنه ولد بغار في حالة ذل وفقر مدقع.

قال الهندوس: لما ولد كريشنا أضاء الغار بنور عظيم، وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة من نور ومجد.

ويقول النصارى: لما ولد يسوع المسيح أضاء الغار بنور عظيم أعشى بلمعانه عيني القابلة، وعيني خطيب أمه يوسف النجار.

قال الهندوس: بعدما أرضعته أمه صارت تبكي وتندب حظها وتتحسر مما قد يحدث له من مآسي في حياته، فكلمها كريشنا وعزاها.

ويقول النصارى: وقال المسيح لأمه وهو طفل: يا مريم أنا يسوع ابن الإله، جئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك، وقد أتيت لأخلص العالم.

قال الهندوس: وعرفت البقرة أن كريشنا إله فسجدت له. ولهذا يقدس

الهندوس البقرة حتى يومنا هذا.

ويقول النصارى: وعرف الرعاة يسوع فسجدوا له.

قال الهندوس: آمن الناس بكريشنا واعترفوا بألوهيته وقدموا له الهدايا من صندل وطيب.

ويقول النصارى: وآمن الناس بيسوع وقالوا بألوهيته وأعطوه هدايا من طيب ومر.

قال الهندوس: وسمع نبي الهنود (نارد) بمولد الطفل الإلهي كريشنا فذهب وزاره في توكول، وفحص النجوم فتبين له من فحصها أن ذلك المولود هو إله يعبد.

ويقول النصارى: ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودوس الملك، إذ المجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود.

قال الهندوس: لما ولد كريشنا كان ناندا خطيب أمه غائباً عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

ويقول النصارى: ولما ولد المسيح كان خطيب أمه يوسف غائباً عن البيت وذهب لكي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

قال الهندوس: وسمع ناندا خطيب ديفاكي والدة كريشنا نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه وفر بهما إلى كاكول واقطع نهر جمنه لأن الملك سوف يسعى إلى القضاء عليه.

ويقول النصارى: رأى يوسف النجار خطيب مريم في المنام أن عليه أن يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك سوف يسعى إلى القضاء عليه.

يقول الهندوس: وسمع حاكم البلاد بولادة كريشنا الطفل الإلهي فطلب قتل الولد. ولكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كريشنا.

ويقول النصارى: وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله. ولكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.

قال الهندوس: لقد صلب كريشنا ومات على الصليب.

ويقول النصارى: لقد صلب المسيح ومات على الصليب.

قال الهندوس: لما صلب كريشنا أصاب العالمْ شر عظيم وأحاطت بالقمر هالة سوداء واسودّت الشمس في وسط النهار، وأمطرت السماء ناراً ورماداً، وتأججت أشعة نار حامية، وصار الشياطين يفسدون في الأرض، وشاهد الناس ألوفاً من الأرواح في جو السماء يتعاركون صباحاً ومساء. وظهرت تلك الأحداث الجسام في كل مكان.

ويقول النصارى: لما صُلب يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة، وانشق حجاب الهيكل من فوق لتحت، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وفتحت القبور، وقام كثير من القديسين وخرجوا من قبورهم.

قال الهندوس: وثقب جنب كريشنا بحربة.

وقال النصارى: وثقب جنب يسوع بحربة.

قال الهندوس: وقال كريشنا للصياد الذي رماه بنبلة وهو مصلوب: اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.

ويقول النصارى: وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس.

قال الهندوس: ومات كريشنا ثم قام من بين الأموات.

ويقول النصارى: ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.

قال الهندوس عن كريشنا: أنه هو الخالق لكل شيء، ولولاه لما كان شيء مما كان، فهو الصانع الأبدي.

ويقول النصارى عن عيسى: إنه الخالق لكل شيء، ولولاه لما كان شيء مما كان، فهو الصانع الأبدي.

قال الهندوس: كريشنا هو الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.

يقول النصارى: يسوع هو الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء.

قال الهندوس: كان كريشنا يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية تلاميذه. وفي

حضور أرجونا بدلت هيئة كريشنا، وأضاء وجهه كالشمس، ومجد العليّ، واجتمع في إله الآلهة، فأحنى أرجونا رأسه مهابة، وقال باحترام: الآن رأيت حقيقتك كما أنت، وإني أرجو رحمتك يا رب الأرباب. عد واظهر في ناسوتك ثانية، أنت المحيط بالملكوت.

ويقول النصارى: كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية تلاميذه.. وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج. وفيما هو يتكلم إذا بسحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل: هذا هو ابني الحبيب الذي سررت له اسمعوا، ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم.

قال الهندوس: وكان كريشنا خير الناس خَلقاً وخُلُقاً وعلماً بإخلاص. ووضع ـ وهو الطاهر العفيف ـ مثالاً للإنسانية، إذ تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين، وهو الكاهن العظيم برهما، وهو العزيز القادر، ظهر لنا بالناسوت.

ويقول النصارى: كان يسوع خير الناس خلقاً وعلماً بإخلاص وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها. وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت.

قال الهندوس: كريشنا هو براهما العظيم القدوس، وظهوره بالناسوت سرٌّ من أسراره العجيبة الإلهية.

ويقول النصارى: يسوع هو يهوى العظيم القدوس، وظهوره في الناسوت سرٌّ من أسراره العظيمة الإلهية.

قال الهندوس: كريشنا هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس.

ويقول النصارى: يسوع هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس.

قال الهندوس: إن كريشنا انبثق عن الإله براهما الذي كان قبل الوجود حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق. وكريشنا هو الذي خلص بني الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم. ويقوم الهندوس بتصوير كرشنا مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب إنسان معلق.

ويقول النصارى: إن الأب هو الأصل، والإبن هو الكلمة التي تجسدت في المسيح، وإن إعدام المسيح صلباً كان تكفيراً منه عن الخطيئة الأزلية لآدم أبي البشر إذ أكل من شجرة المعرفة فانتقلت الخطيئة إلى ذريته جيلاً بعد جيل وإلى جميع نسله حتى افتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة عن طريق قتله وصلبه.

٨ ـ تأثر المسيحية بالديانة البوذية:

يقول الإمام محمد أبو زهرة: نشأت الديانة البوذية بالهند كما حلت البرهمية فيها، وقد كان منشؤها برهميًا، وهي في الواقع تخفيف لما جاء في البرهمية من تعاليم، وإزالة لما أحدثته البرهمية من تفريق بين الناس يتوارث بينهم خلفاً عن سلف، فلا يمحوه كر الغداة ومر العشي، بل ينتقل بالوراثة كما ينقل الدم ويولد مع الشخص ويلازمه من المهد إلى اللحد.

ومنشىء تلك الديانة إسمه سواثنا، وإسم أسرته جوتاما، وأحيانا يطلق عليه اسم أسرته. أما بوذا فلقب له ومعناه العالم.

ويلقب أيضاً (بسكيا موني) ومعناه المعتكف من أسرة سكيا.

ولد بوذا قبل المسيح بنحو ٥٦٠ سنة في بلدة صغيرة على حدود نيبال. وكان من أسرة نبيلة، وفيها إمارة، وكان هو أميراً. وقد شب مترفاً في النعيم، فاكهاً في الثروة وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، وأقام أمداً في حياة زوجية هانئة حتى إذا بلغ التاسعة والعشرين، انصرف إلى الزهد والتأمل، وهجر زوجه وخرج هائماً في الأحراش والغابات، راغباً عن الدينا، تاركاً ملاذها، غير معنيّ إلا بالتأملات، رائضاً نفسه على خشونة الحياة وجدب العيش. وأقام على ذلك ست سنين دأباً.. وأحس بأن نوعاً من المعرفة قد أشرق في نفسه، وقذف بنور في قلبه، وصارت تلك الحال التي أخذ نفسه بها مذهباً يجب أن يدعو إليه بقوله وعمله، ولم يبال بعقبات تكاد تسد طريقه، وصار له تلاميذ يدعون بدعايته.. نما المذهب وزاد أنصاره وكثروا وانسابوا في البلاد دعاة بالقول والعمل. ولم يكن بوذا معنيًا بتأليف الكتب بل كان معنيًا بكثرة الوصايا والإرشاد العملي.

حياة ساذجة لا تعقّد فيها ولا تزيّد، ولكن يأبى الذين جاءوا من بعده إلا أن

يحوطوها بشتى الأساطير، أوحت بها الأوهام، ودفعت إليها أخيلة خصبة.. ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيّو التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما يتخيله المسيحيون في شخصية المسيح)[1].

ولقد تشابهت أقوال الوثنيين في بوذا مع أقوال النصارى في عيسى المسيح. ننقل هنا بعضاً من أوجه ذلك التشابه باختصار شديد:

١ ـ ظهر نجم في السماء عند مولد بوذا يبشر بولادته كما يزعم البوذيون. وعند مولد عيسى ظهر نجم في السماء يبشر بولادته كما يدّعي النصارى.

٢ ـ ولد بوذا في ٢٥ ديسمبر كما يزعم البوذيون. وولد عيسى في ٢٥ ديسمبر كما يزعم النصارى.

٣ ـ ادعى البوذيون أن الملائكة قد احتفلت ببوذا عند مولده. كما ادعى النصارى أن الملائكة احتفلت بعيسى المسيح عند مولده.

٤ ـ عندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان ـ كما يدعي البوذيون ـ كي يحاول تضليله. نفس القصة قد حصلت أيضاً لعيسى كما يدعي النصارى.

٥ ـ قال الشيطان لبوذا كما يدعي البوذيون: ابتعد عن الدعوة الدينية وستصبح إمبراطوراً للعالم. نفس القصة قد حدثت لعيسى كما يدعي النصارى.

٦ ـ ادعى البوذيون بأن بوذا صاح بالشيطان: ابتعد عني. وادعى النصارى أن عيسى أيضاً صاح بالشيطان: ابتعد عني.

٧ ـ ادعى البوذيون أن بوذا قد تعمّد بالماء المقدس. وفي أثناء تعميده كانت روح الإله حاضرة، وكذلك روح القدس. وعمد سيدنا يحيى عيسى في نهر الأردن، وكان ذلك أيضاً في حضرة روح الإله وروح القدس كما يدعي النصارى.

٨ ـ ادعى البوذيون أن صلاتهم تقبل، وسوف تقودهم إلى الفردوس مادامت تقدم بإسم بوذا. كذلك ادعى النصارى أن صلاتهم سوف تقبل وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم بإسم المسيح.

---

(١) مقارنات الأديان، ص ٥٣ ـ ٥٤.

٩ ـ يزعم البوذيون أن بوذا ـ بعد أن مات ودفن ـ قد شق قبره بقوة، وعاد للحياة مرة أخرى. وكذلك يزعم النصارى أن نفس الشيء قد حدث من السيد المسيح حيث شق قبره بقوة وعاد مرة أخرى للحياة.

١٠ ـ يزعم البوذيون أن بوذا إله خالد لا أول ولا آخر له. كما يزعم النصارى أن المسيح إله خالد خلود الأب وهو لا أول ولا آخر له.

١١ ـ يروى عن بوذا أنه قال: إنني أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة. ويدعي النصارى أن عيسى هو مخلص البشر الذي قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم.

١٢ ـ يزعم البوذيون أن بوذا قد أوصى أتباعه بالشفقة والحب حتى لأعدائهم. كذلك يزعم النصارى أن عيسى أوصى أتباعه بالشفقة والحب حتى لأعدائهم.

١٣ ـ يزعم البوذيين أن بوذا قد نصح أتباعه وأمرهم أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر كي يقبلوا دعوته. واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل في ملكوت الإله كما يزعم النصارى[١].

ولقد جاء في كتاب أقانيم النصارى تعليقاً على عقيدة الثالوث، هذا نصه: (هذه العقيدة منتشرة في أهم الأديان الوثنية قديماً، وحديثاً. ففي ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة ثالوث. وقد وجد المنقبون في جبيل ثالوثاً وهو أيل وتموذ وعولم. أي «القدير والسيد والأزلي» وثالوث المصريين «أوزوريس وإيزيز وحورس». وثالوث الهنود «بوذا وبرهما وفيشنا» وعند الصينيين ثالوث يعبرون عنه بمثلث متساو الأضلاع والزوايا.

ويقول النصارى أن الذي وقف ضد آريوس زعيم أهل التوحيد بين النصارى القدماء هو القديس أثناسيوس. ولولا أثناسيوس لضاعت النصرانية الحالية إلى الأبد. ويقولون أن أثناسيوس هذا كان وثنيًا، وأن أباه وأمه أيضاً كانا وثنيين. جاء في كتاب التربية الدينية المسيحية ما يلي: كلنا يعلم ما للقديس أثناسيوس الرسول

---

(١) انظر كتاب النصرانية والإسلام: ٩٦ ـ ١٠٠.

من مكانة ممتازة في الكنيسة المقدسة على مر العصور لأنه رمز الصلابة في التمسك بالحق والنضال لأجله حتى لقب أثناسيوس ضد العالم. كان أثناسيوس أولاً وثنيًا، ولد بالإسكندرية سنة ٢٩٦م من أبوين وثنيين، ومات أبوه في طفولته، وكفلته أمه. ولقد حضر هذا القديس مع البابا الأكسندروس لمجمع نيقية سنة ٣٢٥م ضمن ٣١٨ أسقفاً للرد على بدعة رجل يدعى آريوس. فكان القديس أثناسيوس هو الجندي الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس الفضل في صياغة قانون الإيمان كما نعرفه الآن من بداية قوله: «بالحقيقة نؤمن... حتى قوله نعم نؤمن بالروح القدس». وفي أواخر سنة ٣٢٩م أُختير بطريقاً خليفة للبابا الكسندروس)[١].

تأثر المسيحية بالديانة البابلية القديمة:

إن الديانة البابلية القديمة أيضاً تشابه الديانة المسيحية في كثير من الوجوه خاصة في قصة الإله الذي كان بشراً، وحوكم، وأوذي، ومات على أيدي أعدائه ثم نهض في قوة عظيمة غير عادية وقهر الموت. قال صاحب كتاب النصرانية والإسلام: (إن ديانة البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع قصة محاكمة المسيح وصلبه. وقد وضع البابليون قصة محاكمة إلههم بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة. والغريب أن هذه التمثيلية كانت حافلة بالغموض والحزن. وقد اكتشفت في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد سجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته. وقد أُخذ اليهود إلى سجن بابل بعد هزيمتهم على يدي بختنصر. وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض مطلع كل ربيع. وعندما عاد اليهود بعد الإفراج عنهم من بابل إلى فلسطين كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم، ومؤثرة في حياتهم، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة حتى أنه عقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع فارق بسيط هو وضع إسم المسيح مكان إسم بعل. ولتأكيد هذه الفكرة يمكن إمعان النظر في أوجه التشابه المذكورة أدناه بين أسطورة بعل وقصة صلب المسيح كما أوردتها الأناجيل:

---

(١) انظر كتاب أقانيم النصارى: ١٠٠ ـ ١٠١.

١ ـ أخذ بعل أسيراً. وأخذ عيسى أسيراً.
٢ ـ حوكم بعل علناً. وحوكم عيسى علناً.
٣ ـ جرح بعل بعد المحاكمة. أُعتدي على عيسى بعد المحاكمة.
٤ ـ أقتيد بعل لتنفيذ الحكم فيه على الجبل. وأقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
٥ ـ كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام. وقد جرت العادة أن يعفي الحاكم كل عام عن بعض الأشخاص الذين يحكم عليهم بالموت، لكن الشعب قد طالب بإعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.
وكان مع عيسى قاتل إسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليتم العفو عنه ـ كما يفعل مع بعض المحكومين كل عام ـ لكن اليهود طلبوا العفو عن القاتل باراباس وإعدام عيسى.
٦ ـ بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الكون الظلام، وانطلق الرعد يزمجر واضطرب الناس اضطراباً عظيماً. وعقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.
٧ ـ لقد حُرس بعل في قبره حتى لا يسرق. وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق التلاميذ جثمانه.
٨ ـ لقد جلست الإلهات حول مقبرة بعل يبكين. ولقد جلست مريم المجدلية ومريم أخرى عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
٩ ـ قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع الربيع ثم صعد إلى السماء. وقام عيسى من قبره يوم الأحد وفي مطلع الربيع أيضاً ثم صعد إلى السماء[١].

لقد رأينا في هذا الباب كيف كوَّن النصارى المبادىء الأساسية لديانتهم التي أجمع معظم الباحثين أنها قد انبثقت عن الديانة اليهودية. فالنصارى لم يكن لهم أي تصور عن ديانتهم قبل سقوط أورشليم عام ٧٠م على أيدي الرومان، وتحطيمهم لمعابد اليهود في أورشليم. أما قبل ذلك التاريخ فقد كان النصارى يظنون أنهم فصيلة من فصائل اليهود. وقد أوردوا في الأناجيل أقوالاً تدل على أن عيسى قد طلب منهم الإقتصار على هداية بني إسرائيل فقط.

---

(١) النصرانية والإسلام: ١٠٣، ١٠٤.

وبعد سقوط أورشليم وتحطيم معابد اليهود اضطر النصارى إلى إنشاء معابد خاصة بهم. لكن ديانتهم ـ حسب زعمهم ـ كانت غير كاملة إلى أن اكتملت في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م حيث تم الإتفاق بين السلطات الحاكمة وفرقة من فرق النصارى على تبني فكرة الثالوث الوثنية واتخاذها محوراً أساسيًا للديانة المسيحية. كما اعتمد المؤتمرون ـ بناء على رغبة الحاكم قسطنطين ـ شارة الصليب رمزاً لديانتهم، واتفقوا على قبول أناجيل (متَّى ومرقص ولوقا ويوحنا) بجانب (رسائل بولس) كأساس للمسيحية وحرقوا ما عداها، وقرروا محاربة أي فكرة أو أي قول لا يتوافق مع الأناجيل الأربعة ورسائل بولس.

أما الأناجيل التي اعتمدوها فلا يعرف متى كتبت، ولا أين كتبت، ولا من كتبها على وجه التحديد. ولقد اعتمد كتابها على الرؤى والأحلام والقصص الشعبية والأساطير كأساس للمادة التي ضمنوها في كتبهم ونسبوها للسيد المسيح. وعليه فليس هناك أي سند معتبر لتلك الأقوال. أما متن الأناجيل ـ كما رأينا ـ فيشتمل على كثير من صور التضارب والتناقض حتى في أساسيات ديانتهم. وقد استوثقنا بما لا يدع مجالاً للشك أن النصارى قد نقلوا كثيراً من الأساطير والأفكار الوثنية وأضافوها لديانتهم حتى صارت أقرب ما تكون للديانات الوثنية الخرافية، وأبعد ما تكون عن ديانة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام.

الباب الثالث

في استمرار حيرة النصارى وتخبطهم

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حيرة علماء النصارى وتخبطهم منذ القرن الخامس الميلادي وإلى نهاية القرن السابع عشر.

الفصل الثاني: حيرة علماء النصارى وتخبطهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

الفصل الثالث: حيرة علماء النصارى وتخبطهم في القرن العشرين.

الفصل الأول

حيرة علماء النصارى وتخبطهم من القرن الخامس الميلادي إلى نهاية القرن السابع عشر

رأينا في الباب السابق صوراً من المشكلات الكثيرة التي واجهت العقيدة النصرانية بعد ابتداع قصة الثالوث. ورأينا كذلك ما تم في مؤتمرات النصارى من نزاع وشقاق وتهم متبادلة بين آباء الكنائس. ورأينا كيف لعبت العوامل السياسية دوراً كبيراً في تغيير معالم المسيحية بعد أن أملى الحاكم قسطنطين رأيه على آباء الكنيسة وفرض ما يوافق هواه وديانته الوثنية السابقة التي كان يؤمن بها قبل اعتناقه النصرانية. ثم رأينا تعقب قسطنطين وأتباعه لكل من لا يقول بمقالتهم، واتهامهم بالزندقة والخروج عن ملة النصارى. كما رأينا كيف أحرق أتباع قسطنطين كثيراً من الأناجيل بناء على قرارات مؤتمر نيقية.

وفي عصر قسطنطين آلت السلطة لآباء الكنيسة لأول مرة في تاريخ النصرانية. وقد ساعدهم ذلك على التحكم في رقاب الناس فظلوا يبيحون التنكيل بكل من يرونه خارجاً عليهم ويقربون من يطمعون في مودته.

ومنذ القرن الخامس وإلى القرن الثالث عشر الميلادي مرت المسيحية بعصور يسميها فلاسفة النصارى بالعصور المظلمة، توقف فيها نشاط النصارى وحماسهم الديني ومؤتمراتهم التي كانوا يعقدونها بصورة متكررة. وكانت تلك الفترة هي فترة انتشار الإسلام في شمال أفريقيا ووصوله حتى بلاد الأندلس.

جاء في كتاب «المصدر لتاريخ العصور الوسطى» ما ترجمته: (كان الإمبراطور قسطنطين قد قسّم إمبراطوريته إلى جزئين وذلك لأغراض سياسية. ولكن بعد مرور قرن من وفاة قسطنطين انفصل هذان الجزءان إلى دولتين

مختلفتين وصار بينهما شقاق وصراع مستمر. وكان هذا الحدث بمثابة هزة عنيفة للنصرانية في روما.

إن بعض المدن الرومانية في القرن السادس قد استولى عليها (البرابرة) الذين قدموا من شمال أفريقيا. وكان لدخولهم بها أثر كبير في إخماد روح الصراع والمنافسات التي كانت دائرة بين النصارى.. وظن النصارى عند ذاك أن نهاية الزمان قد اقتربت. وكان لغزو هؤلاء الناس المتخلفين فكريًا وحضاريًا لروما أثر كبير في معاناة السكان.. وكان هؤلاء البرابرة هم السبب في تردي المسيحية ودخولها في تلك العصور المظلمة.. وكان هؤلاء البرابرة إما وثنيون أو من حملة أفكار آريوس الذي طرده قسطنطين وكفره في مؤتمر نيقية)[١].

وفي تلك العصور المظلمة كانت سلطات الكنائس في العالم المسيحي المحيط بروما قد آلت جميعها إلى الكنيسة الرومانية، وللأب المسيطر على تلك الكنيسة باعتبار أن تلك الكنيسة قد بنيت على يدي بطرس الحواري (بيتر) الذي يزعم النصارى أن عيسى قد قال له: (أنت بطرس، وعلى يديك سيشاد معبدي)[٢]. ومنذ ذلك التاريخ آلت السلطات الدينية جميعها إلى البابا في روما، واعتُبر هو المشرع الوحيد للمسيحية، بل اعتُبر معصوماً من الخطأ، فصار يفتي في أمور الدين، بل يحل ويحرم كما يشاء دون رقيب أو حسيب.

وفي نهاية القرن السادس الميلادي ولي على الكنيسة بروما الأب جرجوري الأول الذي يعتبرونه مؤسس السلطة الفعلية لبابا روما حيث سيطر سيطرة تامة على كل الكنائس الأخرى التي كانت تجاور الكنيسة الأم بروما. وكان هذا الأب معجباً بآراء القديس أوغسطين فأدرجها ضمن البرامج التعليمة للكنيسة الرومانية.

كان لهذا الأب أيضاً أثر كبير في تشجيع فكرة الإتيان بالمعجزات اقتداء بالسيد المسيح، وكان يشجع كل مدع وكل دجال ينادي بإمكانية إتيان تلك المعجزات. وادعى هذا البابا بأن رجال الدين يستطيعون الإتيان بمعجزات

---

(١) انظر كتاب: A Source Book For Medieval History, O.J. Thatchar E. H, Scribner's, New York, 1905. PP. 85 - 86.

(٢) متى ١٦: ١٨.

كمعجزات السيد المسيح تماماً، وبناء على هذا انطلق رجال الدين المسيحي هنا وهناك يدّعون الإتيان بالمعجزات وخوارق العادات، وسيطروا بالتالي على عقول العامة والسذج، وصارت الشعوذة والإفك والدجل من الوسائل الفعالة في نشرالمسيحية. وظل القساوسة لفترة طويلة من الزمن يتخذون سياسة الشعوذة والدجل وسائل لنشر مبادئهم ولكسب ود الناس. وهكذا صارت الشعوذة والدجل الطابع المميز للديانة النصرانية في القرون الوسطى.

واستمر الحال هكذا إلى أن تربع البابا جروجوري السابع على رأس كنيسة روما في القرن الحادي عشر. وقد جاء في كتاب «المصدر لتاريخ العصور الوسطى»[1] أن ذلك البابا كان متعصباً للمسيحية، ومتحمساً لفكرة سلطة البابا المطلقة على جميع آباء الكنائس الأخرى. وقد بلغت به الحماسة دعوة آباء الكنائس الأخرى في مختلف الأقطار الأوربية ليقسموا على طاعته وعدم مخالفته. بل بلغت به الجرأة أن يكتب للملوك والرؤساء في الدول المسيحية المجاورة لكي يخضعوا للكنيسة الرومانية المقدسة بزعمه، وأن يحملوا الناس على اتباع تعاليمها، فقبل بعض الملوك والرؤساء ورفض بعضهم الآخر تلك الفكرة. ولقد نتج عن ذلك حدوث صراع مرير بين الكنيسة الرومانية والطبقات الحاكمة في تلك الدول. واستطاع البابا إلى حد ما أن يسيطر على كثير من الحكام ويصبغ معظم الحكومات بالصبغة الدينية المسيحية. ولقد أصدرت الكنيسة في عصره دستوراً ينص على عدة أمور منها:

١ ـ إن الكنيسة الكاثوليكية بروما قد تأسست بواسطة الرب نفسه بعكس الكنائس الأخرى.

٢ ـ إن بابا الكنيسة الأم بروما هو كبير الكهنة ورئيسهم وهو الوحيد الذي يحق أن يطلق عليه لقب الأب العالمي.

٣ ـ إن بابا الكنيسة بروما هو القس الوحيد الذي يملك شارة الشرف الربانية والتي يستحق على ضوئها الاستبداد برأيه.

٤ ـ إن على الملوك والرؤساء والقساوسة الآخرين تقبيل قدمي بابا روما،

---

(١) انظر كتاب: A Source Book For Medieval History, PP. 153 - 156.

والإذعان له وحده.

٥ ـ إن البابا بروما له الحق في أن يعزل الملوك والرؤساء عن مناصبهم.

٦ ـ إنه لا يجوز أن يعقد أي مجمع كنسي دون مشاروة البابا بروما وأخذ موافقته أولاً.

٧ ـ إن أي قرار يصدره أي تجمع كنسي لا يعد قانونيًا، ولا يدخل ضمن قوانين العهد الجديد دون موافقة البابا.

٨ ـ إن البابا له السلطة المطلقة في أمور الدين والدنيا، ولا يحق لأحد أن يعارضه الرأي.

٩ ـ إن بابا الكنيسة الرومانية معصوم من الخطأ في الماضي وفي المستقبل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٠ ـ إن الأب الذي يعيّن كرئيس للكنيسة الرومانية يعتبر معيناً من قبل الإله، ويستحق كل ذلك التقديس بشهادة من القديس بطرس (بيتر) الحواري.

١١ ـ إنه يمكن للرعية الخروج عن طاعة الحكام والثورة عليهم إذا أمرهم البابا بذلك.

١٢ ـ إنه يمكن للرعية الخروج على الحاكم حتى وإن كانوا قد أقسموا على طاعته لأن البابا يملك من السلطات ما يمكنه من التكفير عن قسمهم السابق واعتباره لاغيا[١].

وقد تسبب هذا البابا الطموح في كثير من المشاكل بالنسبة للحكام والرعية. من ذلك أنه قد اتهم بعض القساوسة بألمانيا عام ١٠٧٥م بعقد مؤتمرات أسقفية دون إذنه المسبق، ولذلك فقد أمر بعزلهم من الكنائس، إلا أن هؤلاء القساوسة كانوا من خاصة الملك هنري الرابع وكانوا من كبار مستشاريه لذا رفض الملك هنري الرابع أن يستمع لنداءات البابا وقرر عدم عزلهم. وعندما احتج جروجوري على ذلك عقد الملك مؤتمراً ودعا إليه معظم آباء الكنائس الأخرى بألمانيا وحثهم على الوقوف معه والتصويت ضد قرار البابا. وعندما سمع جروجوري بما فعل الملك أمر بإعدامه وأباح دمه في خطابات ومنشورات أصدرتها الكنيسة وبها

---

(١) يمكن الاطلاع على جميع ما صدر في ذلك الدستور من كتاب: A Source Book For Medieval History, PP. 135 - 138.

العبارات التالية: (...إن الملك هنري الرابع رفض أن ينصاع لأوامر الرب، لذلك فإنه يعتبر خارجاً عن ملة النصارى وأنه مناهض لتعاليم الإله السامية.. إنه رفض تعاليم الرب وخرج عليها بتأييده للإثم وللآثمين. إنه رفض قبول الإنذار الذي أرسلته له من أجل خلاصه، إنه بذلك عزل نفسه عن الكنيسة وعضويتها.. ولذلك بواسطة سلطان الرب فإنني وضعته تحت اللعنة.. إنه بإسمك وتحت إسمك قررت وضعه تحت اللعنة لكي يعلم الناس جميعاً أنك أنت بيتر، وعليك أيتها الصخرة الجبارة بنى إبن الإله الحي كنيسته، وقال فيها إن النار لا تمسها أبداً..).

أمام تلك التحديات اضطر الملك هنري الرابع للخضوع لأوامر البابا، وأعلن خضوعه على الملأ وقرر السجود للبابا أمام الرعية طالباً منه الغفران والرحمة[١].

كان هذا بالطبع انتصاراً عظيماً لجورجوري ولسلطته مما حدا بأتباعه إلى الإستبداد بالسلطة البابوية أكثر فأكثر فيما بعد.

ولقد ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي طوائف من الرهبان والزهاد ظلوا ينادون بضرورة فصل الدين عن الدولة؛ لأن زج الدين في الأمور الدنيوية أدى إلى تشويه المسيحية ـ حسب ادعائهم ـ وكان شعار هؤلاء عبارة وردت في الأناجيل منسوبة لعيسى يقول فيها: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)[٢].

ولقد ظل الصراع بين تلك الطوائف والكنيسة الكاثوليكية الرومانية محتدماً ردحاً من الزمان. وأقام هؤلاء الرهبان أديرة خاصة بهم، وكانوا لا يقبلوا أحداً في عضوية تلك الأديرة إلا إذا بيّن لهم أسباباً وجيهة دعته للإنضمام إليهم. واعتمد هؤلاء القساوسة أيضاً على ما جاء في رسائل بولس لأهل غلاطية وهذه ترجمته: (إننا جميعاً نتحد في جسد واحد هو جسد المسيح)[٣].

---

(١) انظر كتاب: A Source Book For Medieval History, P. 156.
(٢) مرقص ١٢ : ١٧.
(٣) رسائل بولس لأهل غلاطية ٣: ٢٨.

وترك هؤلاء القساوسة والرهبان الملذات الدنيوية وعاشوا داخل أديرتهم يصرفون معظم وقتهم في العبادة. وكانوا يعقدون بعض الإجتماعات إن رأوا أهمية لذلك. وقد دعا هؤلاء القوم إلى التواضع مستندين في ذلك على بعض الأقوال الواردة في الأناجيل المنسوبة لعيسى جاء فيها: (إن كل من يتكبر ويترفع سينزل، وإن كل من يتواضع سيرفع الإله من قدره)[١]. وظلوا ينادون بالاقتداء بالمسيح في تواضعه الذي بلغ أقصى المدى حتى أوصله إلى الموت - بزعمهم -.

لكن طبقة الزهاد هذه - بعكس ما كان يتوقع منها - وقعت في الفساد وصار أفرادها يشكلون جزءاً من الطبقات الغنية في المجتمع. لقد دعوا إلى الزهد ولكنهم كانوا أبعد الناس عن الزهد، فصاروا عباداً للمال والدنيا. وصار كل همهم جمع الثروات وتكديسها، وتحولوا إلى منافسين للبابا في روما في مسألة جمع الثروات. تلك الأموال التي جمعوا معظمها من العامة الذين وثقوا برجال الدين المسيحي ورحلوا إليهم من مختلف أنحاء أوربا طلباً للرحمة والمغفرة بل والعلاج من معظم الأمراض العضوية والعاهات الجسمية الخطيرة[٢].

عصر الإقطاع:

صار رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى من أغنى طبقات المجتمع. ولما كانت المجتمعات تعتمد على الزراعة صار هؤلاء يمثلون طبقة الإقطاعيين. وتكونت هناك طوائف مسيحية عديدة من الأغنياء بإيطاليا وأسبانيا وغيرهما.

وبعد أن سيطر رجال الدين على الأراضي الزراعية ركزوا كل همهم على جباية الضرائب من الناس. وكان العامة نشيطين في جمع الضرائب وتقديمها في المواعيد المحددة خوفاً من اللعنة والطرد من رحمة الله لأن جباة الضرائب كانوا أعواناً للقساوسة ورجال الدين المسيحي. وهكذا صار الإقطاع والكنيسة هما المؤسستان اللتان تسيطران على رقاب الملايين من البشر المستضعفين. وكان لانصراف رجال الدين إلى جمع المال وتكديسه أثر بالغ السوء على نفوس العامة.

---

(١) متى ٢٣: ١٢.

(٢) انظر كتاب: Life of St. Francis, E.G. Satter, J.M. Dent and Sons, London, 1910, PP. 307 - 385.

ويرى جونقي أن أول من حاول أن يعيد المسيحية لسيرتها الأولى هو الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذي دعا إلى الفروسية وشجع عليها كي ينتصر النصارى على المسلمين الذين كانوا قد سيطروا سيطرة تامة على شمال أفريقيا وعلى مدينة أورشليم، وأيده البابا الروماني في ذلك تأييداً عظيماً. ففي عام ١٢٤٨م خرج لويس التاسع بجيش عظيم حاملاً الصليب ليحمي مدينة أورشليم مما سماه (بغزو المحمديين)، لكنه هُزم هزيمة ساحقة من قبل المسلمين. وبعد ستة أعوام رجع أدراجه إلى فرنسا ليواجه هناك بثورة شعبية عارمة استطاع أن يخمدها. وبعد أن استتب الأمن داخل بلاده لم ينس فكرة الخروج ثانية لاستعادة أورشليم، فظل يعد الجيوش لمواجهة الفرسان المسلمين. ولقد أعد جيشاً عظيماً عام ١٢٧٠ لكنه مات قبل أن يكتمل إعداد الجيش بالقدر الذي كان يطلبه ويتمناه، وبذا ماتت فكرة الغزو معه[١].

ولقد ظهر في القرنين الثالث عشر والرابع عشر نوع من الفنون أطلقوا عليه إسم الفنون الجميلة. وتقدم الناس في فن البناء والعمران. وظهرت طبقات من الفنانين والنحاتين والشعراء. وبدأت العلوم الطبيعية في الازدهار. وظهرت الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي. ونقل علماء الغرب كثيراً من الفنون والعلوم عن المسلمين كما هو معروف وثابت تاريخيًا. قال جونز في ذلك ما ترجمته: (عندما دخل أتباع محمد سوريا وأجزاء أخرى من بلاد آسيا الصغرى، وجدوا هناك ثقافات وفلسفات إغريقية سائدة منذ عهد الإسكندر الأكبر، فانكب المحمديون على دراسة تلك الأفكار والفنون وحملوا كثيراً منها معهم إلى أسبانيا. وكانوا قد علقوا على آراء أرسطو كثيراً، واستفاد علماء النصارى من هذه التعليقات، وعن ذلك الطريق تسربت كثير من آراء أرسطو إلى الفلسفة الغربية بصورة لم تكن معهودة لدى النصارى من قبل)[٢].

ورغم تقدم العلوم فإن الطبقة المسيطرة على الناس كانت هي طبقة رجال

---

(١) انظر كتاب: Chronical of The Crusade: of St. Luis, in Memoires of The Crusades, F.T. Marzials, Everman E.P Dutton, New York, 1908, P. 142.

(٢) انظر كتاب: A History of Western Philosophy, PP. 129 - 130.

الدين الإقطاعية، التي بنت أمجادها على الخرافة والشعوذة والدجل، لذا فقد حارب رجال الدين العلم والعلماء واعتبروهم هراطقة وخارجين عن الدين، وتتبعوهم بالنفي والتشريد والقتل وغيره. ولكن رجال الدين فوجئوا بمشكلة أخرى هي ظهور الطباعة. وبعد ظهور الطباعة طبعت الأناجيل وصار امتلاكها يسيراً على الأفراد العاديين، واطلع عليها كثير من الناس، فخاف آباء الكنيسة على سلطانهم الذي كان يرتكز على احتكارهم للمعارف الدينية وخاصة محتويات الأناجيل، وأوجسوا خيفة من انفضاض الناس عنهم وما يترتب على ذلك من فقدانهم لتلك المكانة التي كانوا يتمتعون بها طيلة هذه القرون، فزعموا أن البابا وحده هو الذي يستطيع فهم الأناجيل أو شرح ما بها، لأن روح القدس يساعده ويقف بجانبه هو وحده دون غيره. وبناء على ذلك حرّم البابا على الأفراد العاديين محاولة شرح الأناجيل والبحث فيها، فظل الأفراد يتلقون كل أمور دينهم على أيدي القساوسة وآباء الكنيسة حتى بعد ظهور الطباعة وامتلاكهم الأناجيل.

ولقد نشط آباء الكنيسة مرة أخرى في عقد مؤتمراتهم من أجل كسب ود الجماهير التي انصرفت عن الكنيسة وبدأت تنحاز إلى أعداء رجال الدين، وكذلك عقدوا المؤتمرات من أجل فض النزاع الذي كان محتدماً بين الكنيسة الإغريقية والكنيسة الرومانية حول الطقوس الدينية وأسبقيتها في الأهمية. لذا فقد عقد مؤتمر في فلورنس عام ١٤٣٨م من أجل معالجة هذه الأمور. لكن الشيء الرئيسي الذي حدى بالناس للخروج عن المسيحية هو ازدهار العلوم الطبيعية والكيمائية. وقد ساعد ذلك على دحض كثير من الإعتقادات الخرافية عن الكون والظواهر الطبيعية التي تسود الكون. بل ظهر لكثير من النصارى تناقض الديانة المسيحية مع الحقائق العلمية التي أثبتها العلماء الطبيعيون. وهذا بالطبع أدى إلى ظهور الحركات الإنفصالية العلمانية التي ناصبت الكنيسة العداء، ووصل نشاطها قمته في القرن الثامن عشر عندما نادى كارل ماركس بأن الدين (أفيون الشعوب)، وعمل هو وغيره على محاربة الديانة المسحيية حرباً لا هوادة فيها.

وفي القرن الرابع عشر ـ كما هو معروف ـ وقفت الكنيسة موقفاً مخزياً من العلوم الطبيعية، وناصبت كل من يبحث في تلك العلوم العداء، بل أمرت

الكنائس بحرق كل من تسوّل له نفسه البحث في الظواهر الكونية لأن آباء الكنائس كانوا متمسكين برأي القديس أوغسطين الذي كان قد ادعى في القرن الخامس الميلادي أن البحث في العلوم الطبيعية يؤدي إلى هلاك الإنسان ويوقعه في الغرور ومعصية الرب. وقال أيضاً: (إنه لا حاجة للإنسان في دراسة العلوم الطبيعية لأن الإله لو أراد للنصارى دراسة تلك العلوم لذكر ذلك في الأناجيل)، وبالتالي رأى القديس أوغسطين أنه من الأفضل أن يجهل الإنسان تلك العلوم ويعمل بإرادة الرب من أن ينعم بمعرفتها ويقع في الخطيئة[1].

ولكن موقف آباء الكنيسة المعادي للنهضة العلمية قد أدى في النهاية إلى خروج كثير من النصارى على تعاليم الديانة المسيحية كما أدى إلى مناداة بعضهم بضرورة الإصلاح الديني كما فعل القس مارتن لوثر في القرن الخامس عشر حيث قاد حركة البروتستانت، وهي حركة مناوئة لسلطان البابا وفلسفته في قيادة أتباعه.

ولقد رأينا في بحثنا هذا كيف وقف الملك الفرنسي لويس التاسع ضد انتشار الإسلام، وكيف عمل على جمع الجيوش لمحاربة المسلمين. ومنذ القرن الثالث عشر وبعد ازدياد حركة الفتوحات الإسلامية للشام وشمال أفريقيا خاف آباء الكنيسة بروما بالذات من الانتشار السريع للإسلام، وقرروا القيام بحركة مضادة لوقف الزحف الإسلامي. لذا فقد خرجوا في حروبهم الصليبية ضد المسلمين ـ كما رأينا ـ بقيادة الملك لويس التاسع. وكان البابا بروما يؤيده ويجمع له الأموال ويحث الناس على مساعدته. ولما وجد النصارى أن المسلمين يستبسلون في ميدان الحرب ويبلون بلاء حسناً هالهم ذلك. وبعد البحث والتقصي وجدوا أن من أهم الأسباب التي تدفع المسلمين للإستبسال في حربهم ضد النصارى هي وعد الله للشهداء منهم بالجنة، وإيمان المسلمين الراسخ بهذا الوعد، فتظلم الجنود النصارى لدى البابا الروماني فأفتى البابا الروماني ومن معه من القساوسة بأن كل من يموت في الحرب ضد المسلمين من النصارى سيصبح شهيداً ويرقى إلى جنات الخلد. بل أعطى البابا للمحاربين صكوكاً تسمى صكوك الغفران تشهد لمن يموت في ميدان القتال ضد الجيوش الإسلامية من النصارى بأنه شهيد

---

(١) انظر كتاب: A History of Western Philosophy, PP. 129 - 130.

وسيدخل من فوره ملكوت الرب. كما ادعى البابا أن كل من يجهز محارباً من الجنود لقتال المسلمين فإن البابا سوف يمنحه عدداً من الصكوك يعادل عدد الجنود الذين عمل على تجهيزهم[1].

وبعد توقف الحروب علم آباء الكنيسة أن هذا المعين الذي أثروا من ورائه ثراء فاحشاً قد أوشك أن ينضب، مما حدا بالبابا وأتباعه أن يستمروا في بيع صكوك الغفران لكل من يستطيع أن يدفع الثمن مدعين أن ذلك العمل يرضي الرب، ويدعم سلطان البابا، ويساعده في نشر المسيحية والمحافظة عليها. وكان البابا نفسه يقوم بالتوقيع على تلك الصكوك مدّعياً أن الصكوك التي لا تحمل ختم البابا لا يكون لها مفعول في جلب المغفرة، ولذا فقد توجه الناس من مختلف أقطار أوربا نحو روما لشراء صكوك الغفران وامتلاكها أملاً في مغفرة ذنوبهم، وحط خطاياهم حاملين معهم الهدايا والنقود لتسليمها لبابا روما. واستمر هذا التقليد سائداً من القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر الميلادي.

ما يعرف بعصر الإصلاح الديني في أوربا:

لقد تكونت بروما طبقة من أصحاب النفوذ والثراء الفاحش تشمل البابا وأتباعه في كنيسة القديس بطرس بالذات؛ لأن الناس صاروا يفدون إلى تلك الكنيسة ـ كما قلنا سابقاً ـ من أجل شراء صكوك الغفران، وهذا أدى بدوره إلى ظهور طبقة أخرى من رجال الدين في ألمانيا بالذات ـ يناوئون البابا ـ وينازعونه سلطانه خاصة فيما يتعلق بصكوك الغفران.

ومما لا شك فيه أن طبقة رجال الدين المسيحي في ألمانيا شعروا بتذمر الناس واحتجاجهم على هذا المسلك من قِبَل البابا بروما. وكان من قواد تلك الحركة بألمانيا القس مارتن لوثر. ولقد قام مارتن لوثر ـ بتشجيع من الحاكم الألماني في ذلك الوقت، الأمير فردريك ـ بمهاجمة البابا الروماني وتحديه. ولقد بدأت تلك الثورة في القرن السادس عشر الميلادي. نادى لوثر بضرورة إصلاح

---

(١) انظر كتاب: Luther and His Time, A.Shwartz. New York, Scribner's, 1971.

انظر أيضاً كتاب: Luther in Contemporary Catholic Thought, E. Iserloh, Philadelphia, Westminister Press, 1973.

الكنائس وإعادتها إلى سيرتها الأولى، والرجوع بالمسيحية إلى صفائها الذي كانت عليه في تلك القرون. لذا نراه يهاجم البابا في أمور كثيرة منها:

١ ـ هاجم لوثر وأتباعه احتكار البابا لرئاسة جميع الكنائس، ونادوا بخطأ الزعم القائل بأن تلك الكنيسة الكبرى التي يرأسها البابا بروما قد أسست على يدي بيتر (بطرس) الحواري المزعوم. وأكد لوثر أنه من خلال دراسته للتاريخ ثبت له أن بيتر هذا لم يزر روما قط. وأكد أن بيتر (بطرس) الحواري المزعوم لم يؤسس الكنيسة الرومانية إطلاقاً. وقد كان البابا يؤكد ادعاءاته حول بطلان أقوال لوثر عن طريق إيراد بعض نصوص الأناجيل التي جاء فيها قول منسوب لعيسى هذا نصه: (أنت بيتر، وعلى يديك سيقام معبدي). ولقد قام البابا وأتباعه بنقش هذه العبارة على أحد القبور عند مدخل الكنيسة الأم بروما، وزعموا أنه قبر بيتر الحواري ليؤكدوا زعامتهم للعالم النصراني.

٢ ـ هاجم لوثر وأتباعه الغنى والثراء الفاحش الذي ينعم به البابا وأتباعه. وقالوا أن هذا الثراء الفاحش ليس من المسيحية الحقة في شيء.

٣ ـ تحدى لوثر وأتباعه مبدأ صكوك الغفران وشنوا عليه هجوماً عنيفاً. وقال لوثر أن آباء الكنيسة الكاثوليكية قد أدخلوا كثيراً من البدع في الدين دون سند فعلي أو عقلي.

وبما أن لوثر كان على رأس حركة المعارضين للبابا، ونتيجة لهذا الهجوم الكاسح الذي شنه عليه فقد طلب الأخير من حاكم ألمانيا فردريك ويس تسليم لوثر لسلطات الكنيسة بروما لإعدامه إن لم يتب ويتراجع عن مقالته. ولكن الحاكم الألماني رفض تسليم لوثر لأن القومية الألمانية والتعصب للجنس الألماني كان قد بدأ في الظهور في تلك الأزمان. بل اعتبر الألمان أنفسهم أرقى وأفضل شعوب العالم، وفضلوا أنفسهم على جميع خلق الله بمن فيهم الرومان الذين كانوا يمثلون الطبقة المقدسة في تاريخ المسيحية.

ظل البابا بروما يطارد لوثر ويهاجم الحاكم الألماني الذي آواه إلى أن رضخ الحاكم الألماني لأمر البابا وقرر عقد مؤتمر لمناظرة لوثر والحوار معه ومناقشته فيما ادعى. وتم عقد مؤتمر صغير في (ترنت) لمناظرة لوثر. وفي هذا المؤتمر

هاجم القساوسة لوثر وفندوا حججه وكفروه وأمروا بإعدامه إن لم يتراجع عن مقالته. ولكن بالرغم من محاولات البابا إسكات لوثر وأتباعه إلا أن حركة لوثر نمت وتشعبت ونتجت عنها حركة إصلاحية دينية هي ما يعرف في التاريخ المسيحي بحركة اللوثريين[1]. جاء في كتاب جاكوبس حول هذا الموضوع ما ترجمته: (إن هناك مؤتمراً عقد في ترنت عام ١٥٦٣م للنظر في حركة الإصلاح الديني التي تزعمها لوثر وما أدت إليه من نتائج خطيرة قادت إلى تهديد سلطة البابا. ولكن كان لهذا المؤتمر آثار طيبة في إصلاح الكنيسة الكاثوليكية بروما لأنه شجع آباء الكنيسة على التنازل عن كثير من معتقداتهم فيما بعد)[2].

وفي القرن السادس عشر الميلادي تطورت العلوم الطبيعية وتقدمت تقدماً ملحوظاً، واجتهد الناس في إجراء البحوث العلمية وفي ممارسة الشئون الإقتصادية والسياسية، ووجه الناس اهتمامهم لتحصيل متطلبات الحياة الدنيا خاصة في جوانبها المادية، وظهرت الطبقات العلمانية، وخرج الناس عن الدين المسيحي بشكل ملحوظ، وصاروا يفضلون العلوم الطبيعية على العلوم الدينية بسبب ما يجدونه من تناقض بين العلم والديانة المسيحية. فالنظريات العلمية كانت تأتي بنتائج مخالفة تماماً لما كان يروّج له آباء الكنائس من دجل وخزعبلات وخرافات كانوا ينسبونها للدين المسيحي. وحتى فلسفة الأديان صارت في جهة والديانة المسيحية التي يدعو لها آباء الكنيسة في كنائسهم في جهة أخرى. وظهر ما يعرف بفلاسفة الدين المحدثين.

يقول جونز في ذلك ما ترجمته: (إن السبب الرئيسي في نهضة العلوم الطبيعية في القرن الخامس عشر والسادس عشر بالذات هو تسلم القيادات الدنيوية العلمانية السلطات السياسية وانشقاقهم عن رجال الدين، ويقظة الناس وثورتهم على تسلط آباء الكنائس، ثم حب الإستطلاع والبحوث المتعددة في الطبيعة التي

---

(١) انظر كتاب: A Treatise on Christian Liberty, Translated by W.A.Sambert, In Works of Martin Luther, A.J. Holman, Philadelphia, 1915, Volume 11,312 - 15 and P. 318.

(٢) انظر كتاب: An Argument in Defense of All the Articles of Dr. Martin Luther, L. Jacobes, Vol. 3, PP. 108 - 111.

أثارت انتباه الناس فتركوا الخرافات التي كانت شائعة وظلوا يبحثون عن الحقيقة في الطبيعة من حولهم. . ومن الأسباب التي أدت إلى نهضة العلوم الطبيعية أيضاً إنتشار التعليم، وظهور طبقة من المثقفين والعلماء والباحثين المحترفين. ومن الأسباب التي أدت إلى نهضة العلوم الطبيعية أيضاً إنكباب العلماء والأطباء وغيرهم على دراسة النصوص العربية والإغريقية التي تركت أثراً طيباً في نفوس العلماء فبحثوا فيها بدقة واستفادوا منها)[١].

وكان بعض العلماء يخشون ثورة رجال الدين عليهم إن أعلنوا نتائج أبحاثهم العلمية. ومن أمثلة هؤلاء كوبرنكس Copernicus الفلكي الذي كان يبحث في الفلكيات سرًا رغم علمه برفض الكنيسة وثورتها على أمثال تلك الدراسة. وكان لا يبادر بإعلان نتائج بحوثه العلمية بل كان يكتب للبابا بولس الثالث بكل ما يتوصل إليه من نتائج قبل إعلانها. وكان البابا يحرّم عليه أن يعلن نتائجه أمام العامة. كما كان هناك عالم آخر إسمه جاليليو Galileo عاش في نهاية القرن السادس عشر، ودرس العلوم الطبيعية، وظل يقوم بتجاربه العلمية ويعلنها أمام الناس مما أثار سخط البابا عليه، فادعى البابا أن جاليليو يشكل خطورة على الدين المسيحي لأنه توصل إلى اكتشافات تتناقض مع مبادىء الكنيسة، وأنه بعكس كوبرنكس ظل يعمل دون استشارة آباء الكنيسة، بل تجرأ وحضر إلى روما لمناقشة البابا لإثبات صحة ما يقول، ويخطىء ما تنادي به الكنائس. ولذا فقد أصدر البابا منشوراً يحذر فيه من قراءة الكتب التي أصدرها كوبرنكس إلى أن تعاد طباعتها بما يوافق الكتاب المقدس. أما بالنسبة لجاليليو فقد حذره البابا تحذيراً شديداً وأمره أن يكف عن بحوثه العلمية التي اعتبرها البابا وأتباعه نوعاً من الهرطقة والخروج عن الدين المسيحي. وأخيراً أصدر البابا قراراً بحرق جاليليو حيًا إن لم يتراجع. ومن أمثلة الأشياء التي عدها آباء الكنائس هرطقة وخروجاً على الدين المسيحي مناداة جاليليو بأن الشمس محور الأرض، وأن الأرض تدور في حركة دائبة حول الشمس[٢].

---

(١) انظر كتاب: A History of Western Philosophy: Hobbes to Hume, P. 102.

(٢) انظر كتاب: A History of Western Philosophy: Hobbes to Hume, P. 102.

ولقد ظهرت أيضاً بعض الحركات الإصلاحية في إنجلترا في القرن السادس عشر. فمنذ أن تولى الملك هنري الثامن عرش بريطانيا تحرر المواطنون في بريطانيا من قبضة البابا الروماني لأن هذا الملك قد ثار على البابا بروما ونادى بأنه هو السلطان الوحيد على رعيته، بل نادى بأنه هو وحده رأس الكنائس القائمة في إنجلترا. كما أمر بترجمة الأناجيل من اللغة الإغريقية إلى اللغة الإنجليزية. وكان هذا الملك معجباً بالأفكار اللوثرية إعجاباً شديداً.

ولما تولت الملكة إليزابيث الأولى عرش بريطانيا تمسكت بآراء الملك هنري. ونشط النصارى في عهدها وانكبوا على دراسة الأناجيل والنظر في أمور الطقوس الدينية.

كما ظهرت خلال القرن السادس عشر حركات انفصالية أخرى في الدول الإسكندنافية أيضاً، حيث ظهرت طائفة سمّت نفسها «حركة الإصلاح الديني المتطرفة». ونادى أتباع هذه الحركة الإصلاحية المتطرفة بإعادة تعميد البالغين، لاعتقادهم أن تعميد الأطفال غير كاف لمحو خطيئة آدم. ونادت تلك الطائفة أيضاً بنبذ الغنى والثراء والعودة إلى حياة الزهد والتقشف. وقد أدت تلك الحركة المتطرفة في النهاية إلى خلق كثير من المشاكل الخلقية والإجتماعية، والحروب الطائفية. كما أدت إلى نشر الفوضى والقتل في صفوف الإسكندنافيين خاصة عندما نادت بأنه يجب أن تبنى مملكة الرب في هذه الأرض بكل الوسائل بما في ذلك إستعمال القوة المسلحة. وقرر أفراد تلك الطائفة أن أي شخص يرفض الإنضمام إليهم يجب أن يقتل، وإذا انضم إليهم أحد الأفراد ورفضت زوجته الإنضمام يحكم عليه أعضاء الطائفة بوجوب طلاقها. وإن انضمت إليهم امرأة ورفض زوجها الانضمام يقرر أعضاء الطائفة طلاقها من زوجها. ونادى أعضاء تلك الطائفة بإلغاء الملكية الفردية وأباحوا تعدد الزوجات.

وفي مدينة منستر Munster أعلن أعضاء تلك الفرقة أن تلك المدينة هي أورشليم الجديدة. وفي مدينة أمستردام بهولندا قتل أعضاء تلك الفرقة كثيراً من النصارى. كما نشبت حروب أهلية طاحنة بين المواطنين وأعضاء تلك الطائفة راح

ضحيتها الملايين من البشر، وراح ضحيتها أيضاً قائد تلك الحركة، ومن ثم تشرد أعضاء طائفة الإصلاح الديني المتطرفة في دول أوربا جميعها[1].

وجاء القرن السابع عشر وهو بداية عصر العقل والتنوير بالنسبة لأوربا، إذ أن الأوربيين يعتبرون أن القرنين السابع عشر والثامن عشر هما بداية عصور العقلانية ويسمونهما بعصري العقل والتنوير؛ لأن أوربا في هذين القرنين قد نفضت عنها ما كان يشوب تفكيرها من خرافات وتعصب أعمى، بل صار معظم علمائها عقلانيين ـ بزعمهم ـ لا يؤمنون إلا بالحقائق العلمية المجردة.

والذي يهمنا هنا هو ما توصل إليه التفكير العقلاني من نتائج حول حقيقة الإلهيات عند فلاسفة النصارى. ولقد قاد التفكير العقلاني بعض علماء النصارى للتشكك في حقيقة الدين، وقاد بعضهم للإلحاد، وقاد آخرين للتفكير في اعتناق أديان أخرى غير المسيحية، أو محاولة النظر في محتويات تلك الأديان للمقارنة، كما ظهر بجانب ذلك الإهتمام بما يسمونه بالأديان الطبيعية.

ومن العلماء الذين تشككوا في حقيقة الديانة المسيحية العالم والأديب فولتير الذي قال عبارته الشهيرة: (لو لم يكن الإله موجوداً حقيقة لاخترع البشر فكرة وجوده). وفولتير هذا يظن أن فكرة وجود الإله نابعة من خوف الإنسان البدائي من قوى الطبيعة التي لم يستطع إدراك كنهها، أو مقاومتها، خاصة عندما تنزل عليه الكوارث والمحن الطبيعية.

أما العالم جيبون (Gibbon) فقد حمل على تصرفات آباء الكنيسة ومحاربتهم للعلم والعلماء، وقتلهم وتشريدهم لكثير ممن عارضوا آراء الكنيسة. ولقد تصور هذا العالم أن الأجيال المسيحية التي ستأتي بعد عصره ستبني علاقاتها على أساس العقل والحكمة. وكان جيبون متفائلاً بأن تلك الأجيال ستتخلى عن التعصب الأعمى والخرافات والجهل الذي كان يخيم على الكنائس وآبائها في ذلك العصر. بل أن جيبون كان يعتبر العصر الذي عاش فيه هو بداية الطريق الذي سيخلص النصارى من ذلك الجهل الذي عاشوا فيه فترة طويلة من الزمن. اعتبر جيبون

---

(١) انظر كتاب: The Creed of A Savoyard Priest, L. Emile, J. M. Dent, London, 1930, P. 239.

كذلك أن المسيحية ظاهرة إجتماعية نشأت من تاثير بيئة معينة على أفراد معينين، وهي ظاهرة ستنقرض بمرور الأجيال.

وكان هوبز (Hobbes) أيضاً من العلماء الذين تشككوا في حقيقة الديانة المسيحية وأصلها. فهو يعتقد أن الدين نشأ عند الإنسان عن شعور مختلط بين الخوف والأنانية. ويقول في ذلك: إن الدين ما هو إلا أشياء خرافية دعمتها الأغراض السياسية. ويعتقد هوبز أن البحث عن الإله كالجري وراء السراب، بل اعتبر هوبز الحديث عن الإلهيات ثرثرة خاوية، لأنه لا يؤمن إلا بوجود الأشياء المرئية الخاضعة للملاحظة والتجربة.

ويرى الفيلسوف اسبنوزا Spinoza أنه كانت توجد هناك مادة أولية واحدة إسمها الإله، وأن تلك المادة الأولى هي الأساس والمنشأ لكل الأشياء الأخرى. ويرى اسبنوزا أن جميع الأشياء الأولى انبثقت عن الإله، وسوف تعود وتحل فيه مرة أخرى بعد موتها واندثارها. ولا يؤمن اسبنوزا بإمكانية وجود شيء من العدم، بل يؤمن بأن أي شيء يخلق يعتمد على شيء قبله، وأن إيجاد شيء جديد في نظر اسبنوزا يعني نقصان شيء آخر. وهكذا يرى هذا الفيلسوف أن الخلق عند خلقهم ينقصون من ذات الإله ثم يردون إليه مرة أخرى فيزداد قوة بذلك.

وانتقد اسبنوزا الديانة المسيحية، واعتبرها ديانة متناقضة. وقال أن وصف الإله بصفات الكمال والتعالي الواردة في بعض أقوال النصارى يتنافى مع وصفهم له في مواضع أخرى بأنه ذاق الذل والهوان والموت على الصليب. ويتهم آباء الكنائس بالتضارب في الرأي لأنهم تارة يقولون أن الإله قادر وكامل ولا يحمل صفات البشر، وتارة أخرى يصفونه بالضعف. ويعتقد اسبنوزا أن وصف الإله بصفات الكمال نتج عن الجهل بفهم حقيقة الإله. فالإله ـ في رأيه ـ يجب أن يكون معتمداً على الخلق لأنهم منه وإليه سيعودون[١].

والشيء العام الذي يشترك فيه علماء القرن السابع عشر هو القول بأن العقل البشري يملك المقدرة والإرادة على سبر أغوار العالم المادي وغير المادي، وأن

---

(١) انظر كتاب: Ethics: Translated by R.H.M. Elwes, London, 1919, PP. 39 - 42.

على الإنسان الراشد أن يسعى بجد واجتهاد لكشف أسرار الطبيعة. وهذه الأقوال ـ كما أسلفنا من قبل ـ تناقض أقوال آباء الكنيسة بصورة جذرية، خاصة القس أوغسطين.

الفصل الثاني

حيرة علماء النصارى وتخبطهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

يقول ليوناردو بوف ما ترجمته: (يعتبر القرن الثامن عشر هو قرن التفجر الهائل في البحث عن عيسى التاريخي، وفي نقد الديانة المسيحية، إذ أن علماء الدين المسيحي أنفسهم ظلوا يبحثون عن مدى أصالة الأقوال المنسوبة لعيسى التاريخي، وعن مدى صدق نسبة تلك الأقوال إليه. ولقد تساءل هؤلاء العلماء عن أي الأقوال يمكن أن تعتبر أقوالاً لعيسى التاريخي، وأي الأقوال يمكن أن تنسب للشراح أو المفسرين، ذلك أن الأقوال التي عثروا عليها في المخطوطات القديمة كانت متداخلة، ومتضاربة، بل وجدوا أن الأناجيل الأربعة التي بأيديهم اليوم أيضاً متناقضة ومتضاربة.

ولقد بدأ العلماء في هذا القرن القيام بدراسات جادة للبحث والنظر في تلك القضية الدينية. وبعد جهود مضنية تأكد العلماء أن البحث عن عيسى التاريخي من خلال الأناجيل الموجودة بأيديهم لن يجدي شيئاً على الإطلاق؛ لأن الأناجيل لا تعطي إلا فكرة مقتضبة عن الشخص التاريخي صاحب الرسالة، وبدلاً من ذلك تركز كل التركيز على الإله الذي بعث بعد موته. وأن كتّاب الأناجيل ومن تبعهم من آباء الكنائس صرفوا كل جهودهم لإثبات ألوهية عيسى عليه السلام)[١].

ويرى لوناردو بوف أن الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد لا تعدوا أن تكون تسجيلاً لأحداث قد مضت، ولا يعلم أحد إن كانت صحيحة أو غير ذلك، بجانب أنها لا تعطي القارىء المتفحص أي فكرة واضحة عن عيسى التاريخي[٢].

ولقد ظهر عالم آخر في هذا الحقل يسمى صموئيل ريماروس المتوفى عام

---

(١) انظر كتاب: Jesus Christ Liberation: A Critical Christology For our Time, Leonardo Boff, pp. 2, 3.

(٢) المصدر السابق.

١٧٧٨م والذي كان يعمل أستاذاً للغات الشرقية بجامعة هامبرج بألمانيا. ظل هذا العالم يبحث وينقب عن عيسى التاريخي الذي كان قد نُسِي تماماً بعد اختراع قصة المسيح الإله. ولقد بُنيت المسيحية كلها على مضمون تلك القصة المزعومة. أما عيسى الإنسان الرسول التاريخي والذي كان يدلي بالمواعظ والحكم، وينادي بأنه بشر رسول، فلم يعره آباء الكنيسة أي اهتمام، كما رأينا في الباب السابق من هذا البحث.

ظل صموئيل ريماروس يبحث وينقب. وقد أوصله بحثه وتنقيبه إلى نتيجة مفادها أن عيسى التاريخي لم يكن إلهاً قط. وتشكك ريماروس في حقيقة رسالة عيسى وأدى به تفكيره إلى إنكار رسالة عيسى كلية. كتب هذا الباحث مقالات عديدة بين عامي ١٧٧٤م و١٧٧٨م من بينها مقالة له بعنوان (نوايا عيسى وحوارييه) يذكر فيها أنه بعد دراسة وتنقيب عن شخصية عيسى التاريخي وشخصية من كانوا يلقبون بحوارييه وأتباعه تبين له أن عيسى الناصري وحوارييه لم يكونوا إلا أفاكين يرمون إلى بناء مملكة لهم في هذه الأرض زوراً وبهتاناً. ويرى صموئيل أن هذا هو السبب الرئيسي الذي حدى بعيسى أن يدّعي بأنه مسيح اليهود المرتقب. يرى صموئيل أن عيسى لم يكن إلا دجالاً ادعى أنه ابن الإله ليكسب احترام وعطف من كانوا حوله، وليخلق لنفسه عظمة وأُبهة توحي للناس باحترامه، وليتوصل عن هذا الطريق إلى ما كان يرمي إليه من أمور سياسية كان يخفيها عن الناس. زعم صموئيل أن خيبة أمل عيسى كانت عظيمة عندما فوجيء بما لم يكن يتوقعه، وما لم يكن في حسبانه إطلاقاً عندما وجهت إليه الإتهامات، وقاده الرومان إلى الصلب، وأدت خططه إلى نتائج عكسية لما كان يتخيله من انتصارات على أعدائه. ويستدل صموئيل على صحة ما يقول بقصة الصراخ المنسوبة لعيسى عند حادث صلبه المزعوم حيث قال: يا إلهي لماذا تخلّيت عني[١]. بل يرى صموئيل أن عيسى قد نسي زعمه بأبوة الإله له حينما وضع أمام الأمر الواقع، وصرح عندها بأنه لم يكن إلا بشراً عاديًا. وبعد أن كان يدعو الإله بأبي دعاه عند الصلب بيا إلهي. قال ريماروس أن الأناجيل زعمت أن عيسى كان يعلم بأنه

---

(١) متى ٢٧: ٤٦.

سيموت على يدي أعدائه، بل قالت بعض الأناجيل أنه تنبأ بموته وصلبه. وقال أصحاب الأناجيل، خاصة يوحنا، أن عيسى نوى الموت من أجل التكفير عن ذنوب البشر وخطاياهم.

ولكن ريماروس يرى أن جبن عيسى وهلعه وصراخه عندما وقع عليه الصلب دليل كاف على عدم صدق تلك الأقوال المذكورة في الأناجيل. بل يرى ريماروس أن في هذا الهلع والصراخ دليل قوي على أن عيسى ما كان ينوي الموت، وأن هذا التفكير لم يخطر بباله إطلاقاً.

يرى ريماروس كذلك أن عيسى كان سياسيًا، وأن دعوته كانت دعوة سياسية، وأنه كان يخطط لكسب عطف قومه بني إسرائيل لذلك ادعى أمامهم أنه المسيح الذي كان يرقبه اليهود إلا أن دعوته قد باءت بالفشل الذريع. يقول ريماروس في ذلك ما ترجمته: (وبعد أن توفي عيسى بأبشع ميتة كان يتصورها عقله وعقل حوارييه، قام حواريوه من بعده باختراع قصة الإله المسيح الذي قام بعد الموت وظهر لحوارييه وخاطبهم وصعد إلى والده في السماء). ويرى ريماروس أن الحواريين اخترعوا تلك القصة بعد أن قاموا بسرقة جثة عيسى وإخفائها تماماً لكيلا يفتضح أمرهم، ولكي لا ينازعهم أحد في القصة التي اختلقوها، وادعوا بموجبها أن المسيح قد قدم نفسه فداء لمن حوله، ولكي يكفر عن ذنوب البشر.

ويعتقد صموئيل ريماروس أن الحواريين قد قاموا فعلاً بسرقة الجثة وخَلْق أسطورة القيام المزعومة حولها كي يحافظوا على ثقة الناس فيهم، ولكي يدعموا نفوذهم السياسي بين سكان منطقة الجليل. ويقول ريماروس: أن عيسى التاريخي الذي كان يريد الزعامة والملك شخصية مختلفة تمام الإختلاف عن المسيح الذي يعبده النصارى، ويقيمون له النصب والتماثيل في كنائسهم، ويعلقون صوره على صدورهم. فمسيح النصارى إله مقدس، أما عيسى الناصري فهو في نظر صموئيل رجل سياسي لقي حتفه نتيجة لتخطيطه السياسي غير الموفق[١].

---

(١) انظر كتاب: Reimarus Fragment, Charles H Talbert, Philadelphia, Fortress Press, 1970.

ولقد كثرت الآراء المتضاربة في القرن الثامن عشر حول حقيقة عيسى التاريخي حتى أنكر الناس وجوده، ووجود الإله كلية. ولقد ازداد النشاط في البحث عن عيسى التاريخي بين علماء الأديان النصارى والمؤرخين وغيرهم. ولقد تركز البحث ـ كما يرى بوف ـ حول مدى صحة إدعاءات الكنيسة من أن هناك شخصاً يدعى عيسى قد عاش في القرن الأول الميلادي. يقول بوف في ذلك ما ترجمته: (ذهب بعض فلاسفة الدين المسيحي إلى أن كل ما يسميه النصارى بالإيمان والعقيدة ما هو إلا أساطير مختلقة روّج لها ـ في فترة المسيحية البدائية ـ وصدقها كثير من الناس لسذاجتهم، ثم تبعهم آخرون بالقهر والقوة تارة، وجرياً وراء التمسك بمبادىء الآباء والأجداد تارة أخرى. بل قال هؤلاء العلماء أن عيسى ما هو إلا شخصية خرافية وهمية ناتجة عن نسج الخيال البدائي. وقالوا أن كل الأساطير المنسوجة حوله منذ مولده من عذراء، إلى إتيانه لخوارق العادات ثم موته وقيامه، ما هي إلا خرافات روجتها الشائعات فلقيت قبولاً من الناس وانتشرت، وإنه كان من الممكن لتلك الأساطير أن لا تجد قبولاً من الناس، فتزول وتنقرض. لكن شاءت الظروف أن تنتشر وتستمر إلى يومنا هذا)[1].

وينقل الفريد غيوم في كتابه «البيئة الإجتماعية التي نشأت فيها المسيحية» آراء بعض العلماء في المسيحية جاء فيها ما ترجمته: (يرى بعض العلماء أن تلك الأساطير غامضة كل الغموض، وقد قامت في غفلة من العقل السليم، واستمرت في فترة لاوعي الإنسان إلى أن صدقها حقيقة بعد مرور فترة من الزمان.

ويرى آخرون أن الإنسان ميال بطبيعته إلى الحرية، وأن فلسطين في تلك الفترة كانت واقعة تحت سيطرة روما وحكامها الجائرين، فحاول الفلسطينيون في تلك الفترة خلق تلك الأسطورة للتخلص من كبت الحريات الذي كانوا يعانون منه، ولكي يخلقوا مركز قوة جديدة لأنفسهم.

كما يرى آخرون أن عيسى شخصية وهمية خلقها المستضعفون والفقراء لشعورهم بالذل والهوان. فكان رد الفعل النفسي عندهم هو الخروج بتلك الفكرة

---

(١) انظر: Jesus Christ Liberater, p. 3

كوسيلة لتسلية أنفسهم والترويح عنها.

شلورو مايكر:

هو أحد علماء مدارس البحث عن عيسى التاريخي. عاش في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولقد انتقد آباء الكنيسة لتبنيهم فكرة تأليه المسيح، فقال: أن آباء الكنيسة المسيحية يناقضون أنفسهم، فهم قد أقروا أن المسيح شخص مثل غيره من البشر، ورغم إيمانهم ببشريته الكاملة إلا أنهم في نفس الوقت قد ذهبوا مذهباً مخالفاً لذلك عند قولهم أن المسيح يملك طبيعة إلهية كاملة. ويرى شلورو مايكر أنهم أيضاً قد آمنوا بألوهيته وفي نفس الوقت ببنوته للإله. وهذه الآراء متضاربة كما وصفها شلورو مايكر. ويقول شلورو مايكر في ذلك: أن الآباء الأوائل للمسيحية قد حاولوا ربط الطبيعتين في المسيح، وقالوا أن المسيح له طبيعتان: بشرية وإلهية، بقدر متوازن. ورغم ذلك فقد أهمل آباء الكنيسة في القرون الوسطى للمسيحية طبيعة المسيح البشرية وظلوا يمجدون طبيعته الإلهية، وبالتالي أُهمل عيسى التاريخي، وتُرك جانباً، ليحل محله المسيح الذي يملك الطبيعة الإلهية فقط.

يرى شلورو مايكر أن كل الذين قبلوا دعوة عيسى التاريخي في مبدئها كانوا يهوداً، ومن بلدة الناصرة، وأنهم كيهود كانوا يعلمون معنى الوحي الإلهي والإلهام، ويؤمنون بوجود المعجزات وخوارق العادات، بل كانوا ينسبونها للرسل، لذلك لم يمجدوا عيسى ولم يجعلوه إلهاً بسبب معجزته، ولم يروا في تلك المعجزات دليلاً على ألوهيته بالرغم من إعجازها الذي لم يستطيعوا مجاراته.

ويرى شلورو مايكر أيضاً أن ما كان يحظى به عيسى من الإلهام إنما هو وعي مبكر وحاد بالإله ساعده على التميز عن أقرانه من البشر. ويرى شلورو مايكر أيضاً أن عيسى كان يعتبر نفسه ابناً للإله لأنه كان يملك قدراً كبيراً من الوعي الإلهي الذي مكنه من معرفة الإله بصورة أكبر من معرفة بقية البشر له، ولذلك كان عيسى بعيداً عن الإثم والخطيئة. يقول شلورو مايكر: إنه كلما وعى الإنسان وأدرك الإله، وكلما نمى فيه الوعي الإلهي، صار أكمل وأرفع من بقية البشر.

ولقد بحث شلورو مايكر في أصول الأناجيل ودرسها فوجد أن الأناجيل تمثل مصدرين مختلفين لكل من يريد الوصول إلى حقيقة عيسى التاريخي. فإنجيل يوحنا مستقل كل الإستقلال عن الأناجيل السنوبتيكية. ويرى شلورو مايكر أن تلك الأناجيل مختلفة إختلافاً ظاهراً عن إنجيل يوحنا، لذلك يقترح شلورو مايكر لمن يريد البحث عن حقيقة عيسى التاريخي أن يعمل على الأخذ إما بإنجيل يوحنا باعتباره المصدر الأصلي والأساسي الذي يجب أن يستقى منه المعلومات، أو أن يأخذ بالأناجيل السنوبتيكية رغم ما بها هي ذاتها من خلافات. ثم يقول شلورو مايكر بعد الدراسة والبحث والإستقصاء أنه يخالف آباء الكنيسة في اعتبار إنجيل مرقص هو أقدم الأناجيل. ويرى أن العبارات التي استعملها يوحنا في سرد القصص والأحداث التي أوردها في إنجيله توحي بأنه رأى الأحداث وعاصرها هو بنفسه، ولذا فإن شلورو مايكر يعتبر هذا الإنجيل هو المصدر الأول والأصلي. وعليه فلو جاء فيه قول معارض لما في الأناجيل السنوبتيكية فإن شلورو مايكر يرجح الشك في صحة الأناجيل السنوبتيكية على الشك في إنجيل يوحنا. وانتقد شلورو مايكر كذلك الرأي القائل بأن شخصاً مجهولاً قد قام بكتابة هذا الإنجيل في القرن الثاني الميلادي ونسبته ليوحنا الحواري. ورغم أن هذا الرأي مؤيد بحجج قوية تثبت أن فكرة اللوجوس الإغريقية الأصل وفلسفة تأليه البشر وغير ذلك من الأفكار الوثنية التي وردت في هذا الإنجيل كانت معروفة لدى كثير من فلاسفة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي إلا أن شلورو مايكر ينفي ذلك.

يرى شلورو مايكر أيضاً أن هناك قصصاً أدخلت على الأناجيل بعد مرور فترة طويلة على كتابتها. ويستشهد على ذلك ببعض الأمثلة منها ما يلي:

أ ـ إن الأناجيل السنوبتيكية تروي بعض القصص عن طفولة عيسى وعن مولده، ولكن تلك القصص لم ترد في إنجيل يوحنا بالرغم من أنه ـ بزعم شلورو مايكر ـ كان من حواري عيسى، وبالتالي كان أحق بذكر هذه الأخبار من غيره فيما لو صحت.

ب ـ يقول شلورو مايكر أن صلة القرابة بين عيسى وأفراد أسرته الآخرين من أمثال أنّا وسيمون وجيمس غير واضحة بالقدر اللازم في الأناجيل

السنوبتيكية. فلا أحد يعرف إن كان هؤلاء أخوته حقًّا، أم أبناء عمومته أم أخوته من أمه، كما أن هذه الأسماء لم تذكر عند يوحنا لذا يعتبرها شلورو مايكر أشياء دخيلة على الأناجيل السنوبتيكية.

ج ـ وجد شلورو مايكر أن صلة القرابة بين عيسى وسيدنا يحيى غير مذكورة في إنجيل يوحنا، بل قال يوحنا أن عيسى لم يلق يحيى إلا عند حادثة التعميد، بينما تذكر الأناجيل السنوبتيكية أنه أحد أقرباء عيسى، وأنه التقى به كثيراً، بل تذكر قصصاً كثيرة تربط بين والد ووالدة يحيى (زكريا والياصابات) ووالد ووالدة عيسى (يوسف ومريم) بزعمه. بل تذكر الأناجيل السنوبتيكية ـ حسب ما يروي شلورو مايكر ـ ظهور الملك جبرائيل لكل من زكريا ومريم. وتورد الأناجيل السنوبتيكية تلك القصص على النحو التالي:

أن زكريا وزوجته كانا عابدين ومطيعين للإله كل الطاعة. كان زكريا شيخاً كبيراً، وكانت زوجته عقيماً. ظهر الملك يوماً لسيدنا زكريا في المحراب فخاف زكريا منه وارتعد، لكن الملك طمأنه قائلاً: لا تخف يا زكريا، إن الرب قد استمع إلى دعائك في المعبد، وأن زوجتك الياصابات ستلد لك غلاماً، وإنك يجب أن تسميه يحيى، وإنك ستسعد بمجيئه أنت وزوجتك، وسيسعد كذلك بمجيئه غيركما. إنه سيصير شخصاً عظيماً في نظر الإله. إنه لن يشرب الخمر، ومنذ مولده سيملؤه الإله بروح القدس. وإنه سيجمع كثيراً من بني إسرائيل بعد تفرقهم. وإنه سيكون قويًّا وعظيماً كنبي الله إلياس. فقال زكريا: كيف لي أن أستوثق من ذلك وأنا رجل مسن وزوجتي أيضاً مسنة؟ فأجابه الملك جبريل: أنا الملك جبريل، إنني أقف في حضرة الإله الذي أرسلني لأخبرك بتلك الأخبار السارة، ولكنك لم تصدق رسالتي، وكذبتني. ولأنك لم تصدقني فلن تستطيع الحديث إلى أن يأتي ذلك اليوم، وعندها ستنطق، وتعلم بمجيء هذا الغلام.

فصار زكريا يتكلم إشارة بأصبعه لعدم تمكنه من النطق، ولكن الناس من حوله فهموا أنه رأى رؤيا لا يستطيع أن يبوح بها إلى أن يأتي الوقت المناسب كالعادة التي جرى عليها العباد من بني إسرائيل... وفي الشهر السادس من حمل الياصابات أرسل الإله الملك جبريل لبلدة في الجليل تسمى الناصرة. وكان يحمل

رسالة لفتاة كانت مخطوبة لرجل يدعى يوسف، وكان يوسف من سلالة داوود. وكان إسم الفتاة مريم. فجاء إليها الملك وقال: السلام عليك، إن الإله معك وإنه باركك. وقلقت مريم كثيراً، ولم تفهم ما كان يعنيه الملك. فقال لها الملك ثانية: لا تخافي يا مريم. إن الإله قد أكرمك، إنك ستلدين غلاماً، وإنه سيصير عظيماً وستسمينه عيسى، وأن الإله سيجعله ملكاً كجده داود، وإنه سيصير الملك الذي سيأتي من سلالة يعقوب للأبد.. وقالت مريم إنني عذراء فكيف سيكون ذلك؟ فأجاب الملك: إن روح القدس سيأتي إليك، وقوة الإله ستحل فيك..

ويستدل شلورو مايكر بعدم ورود هاتين القصتين في إنجيل يوحنا على أن هذه القصص محرفة ودخيلة على الأناجيل السنوبتيكية.

د ـ ادعى شلورو مايكر أن الأناجيل السنوبتيكية غير دقيقة مستدلاً على صحة ما يقول بالأحداث الواردة في قصة مولد عيسى عليه السلام واستناداً على ما يأتي:

يقول متى: أن والدة ووالد عيسى كانا يسكنان في بيت لحم قبل مولده، بينما يقول لوقا أنهما كانا في بلدة الناصرة، ثم انتقلا إلى بيت لحم ليلة مولده. يرى شلورو مايكر أنه يستحيل أن تسافر مريم وهي على وشك الوضوع مع صعوبة السفر ومشقته من الناصرة إلى بيت لحم ليلة مولد عيسى.

يرى شلورو مايكر أن إنجيلي متى ولوقا اختلقا أيضاً نسب المسيح حتى وصلا به إلى داود عليه السلام لإثبات أنه مسيح اليهود الذي كانوا يترقبون مجيئه من سلالة سيدنا داود عليه السلام.

هـ ـ يقول شلورو مايكر أن الباحث في إنجيل لوقا يجد أن يوسف النجار الذي كان خطيباً لمريم قد تقبّل موضوع حملها برضى تام لإدراكه أن ذلك الحمل قد نتج عن أمر إلهي ولا دخل لأحد من البشر فيه، بينما يصور إنجيل متى يوسف بصورة المستريب. يقول متى أن يوسف شك في مريم وظن بها الظنون، بل قد حاول فسخ الخطبة إلى أن جاءه الملك وأخبره أن هذا الحمل قد نتج عن أمر إلهي، فاطمأن بعدها وأذعن لأمر الإله.

هاتان القصتان تدلان في نظر شلورو مايكر على أن كاتبيهما لم يتعاصرا،

ولم يجتمعا في مكان واحد، وإلا لنسقا ما يكتبانه. وهذا يعارض الرأي السائد من أن كاتبي إنجيلي متَّى ولوقا كانا ضمن حواريّ عيسى الذين عاشوا في زمان ومكان واحد واجتمعوا حول عيسى عليه السلام. وبهذا يخلص شلورو مايكر إلى حقيقة مفادها أن أمثال هذه القصص إما أن تكون قد أضيفت مؤخراً لإنجيلي متَّى ولوقا، وإما أن كاتبي هذين الإنجلين قد كتبا إنجيليهما في وقت متأخر.

و ـ يرى شلورو مايكر أن قصة مولد عيسى من غير أب دخيلة على الأناجيل. ويزعم أن قول الملك لمريم: أن هذا المولود سيكون المسيح لا تعني أن مولده سيكون غريباً أو بدون أب. ويستشهد على رأيه هذا بأن إنجيلي يوحنا ومرقص قد سكتا عن ذلك.

ز ـ وجد شلورو مايكر أن قصة هروب والدة عيسى به إلى مصر لم ترد إلا في إنجيل متَّى. يقول شلورو مايكر أن سكوت بقية الأناجيل عن تلك القصة ربما يدل على عدم حدوثها أصلاً، وعلى أنها تقع ضمن الإضافات التي حدثت لهذا الإنجيل بعد كتابته. بل يرى شلورو مايكر أن قصة هروب والدة عيسى خوفاً من قتل الملك هيرودوت لابنها تبطلها القصة الأخرى التي ذكرها لوقا، وهي أن والدي عيسى ذهبا به جهاراً نهاراً ـ في اليوم السابع من مولده ـ ليُختن في المعبد كعادة اليهود، وقد قُدّمت له الهدايا احتفالاً بختانه. يرى شلورو مايكر أن هذا الأمر لم يكن ليخفى على الملك هيرودوت في ذلك العصر، وفي مثل تلك البلدة الصغيرة، خاصة أن هيرودوت كان ملكاً جباراً له جنوده وأتباعه وجواسيسه الساهرون على حماية ملكه.

ورغم تأكيد شلورو مايكر على إيمانه بالمسيحية إلا أنه قد اعترف بعدم استطاعته التوصل إلى أي حقائق تثبت أن المسيح كان رجلاً خارقاً للعادة.

ح ـ يرى شلورو مايكر أن دراسة آثار المسيح تدل على أنه لم يتخذ أي خطة مرسومة لتقديم رسالة عالمية للبشر، ولم يكن له الوعي الكافي أو الإدراك السليم الذي يؤهله لمثل ذلك العمل.

ط ـ يقول شلورو مايكر أن الأناجيل غير دقيقة في ذكر قصة حلول الإله، وروح الإله في عيسى، وأنها متناقضة، وبها كثير من الآثار الملفقة والموضوعة

حيث تدعي بعض الأناجيل أن روح الإله قد حلّ في عيسى عند تعميد يحيى له، وقد وصفت تلك الروح في الأناجيل السنوبتيكية بأنها جاءت في صورة حمامة وديعة واستقرت في جوفه بينما يصفها يوحنا بأنها أتت في صورة ضوء من السماء ودخلت في جوفه. وتقول أحداث القيام والبعث أن الإله حلّ في عيسى في اليوم الثالث من صلبه ودفنه، وأنه عندما قام من موته كان إلهاً كاملاً يحمل كل صفات الألوهية.

ك ـ يرى شلورو مايكر أن من أسخف الأشياء التي وضعها أتباع عيسى قصة إغراء الشيطان له. إنها قصة لا تستقيم مع كونه إلهاً أو حتى بشراً مترفعاً عن الآثام والخطايا.

ل ـ يرى شلورو مايكر أن قول النصارى بأن عيسى قد صُلِب ليكفّر عن ذنوب تابعيه يناقض ما جاء في إنجيل يوحنا من أن عيسى كان يعمّد بعض أتباعه فقال له أحدهم: أيها السيد، لا تغسل قدمي فقط، بل صب الماء على رأسي وبدني. فقال له عيسى: (إن كل من يؤمن بما جئت به يعد طاهراً كل الطهر، ولا حاجة له بأن يغسل كل جسده، بل يكفيه أن يغسل قدميه. والتفت إلى من كان حوله من أتباع وقال لهم: كلكم طاهرون إلا واحداً من أتباعي لأنه سيخونني)[1]. ويعلق شلورو مايكر على هذا بقوله: فإن كان أتباع عيسى طاهرين على حسب ما ورد في هذه القصة من إنجيل يوحنا، فما الداعي إذن لصلبه وقتله، وتقديم نفسه فداء لأتباعه وتطهيراً لهم، حسب ما ورد في روايات الكفّارة.

لذلك يرى شلورو مايكر أن قصة الفداء والكفّارة قصة مختلقة ودخيلة على الأناجيل.

م ـ يرى شلورو مايكر أن عيسى قد صُلِب وقد مات فعلاً، لكنه يعتقد أن حادثة قيامه من الموت مرة أخرى قصة نابعة من تصورات وخيالات وأوهام أفراد المجتمع في ذلك العصر. وهي قد تكون ناتجة عن رؤى رآها بعض أتباعه كما حدث للأب بولس. وأن قصة صعوده بالجسد المرئي لا تتفق مع العقل والمنطق في نظر شلورو مايكر، كما أن بعض الأناجيل ـ كإنجيل لوقا ـ خالية من تلك

---

(١) يوحنا ١٣: ١٠، ١١.

القصة تماماً. ويرى شلورو مايكر كذلك أن قصة ظهوره لأفراد قلائل محصوري العدد يدل على أنها قصة غير صحيحة، وأن قيامه في سرِّيَّة تامة لا يتفق مع الدعوة إلى إعلان رسالته ولا مع الدعوة إلى الإيمان بألوهيته.

يقول شلورو مايكر: حتى لو اعتبرنا أن قصة صلب المسيح وقيامه من الموت في سرِّيَّة تامة مسرحية، أو رواية تحكي حياة شخص عادي، فإن النهاية غير متناسبة مع بداية القصة، وهي لا تعبر بدقة عن المعنى الذي أراده لها كاتبها: فلو أن كتّاب الأناجيل صوروا عيسى في صورة الشخص القوي الذي قام من الموت عياناً بياناً، في قوة وجبروت، متحدياً خصومه ومنتصراً عليهم لكانت للقصة نهاية جميلة متفقة مع بدايتها وهدفها[١].

ولقد ظهر في القرن التاسع عشر الفيلسوف كارل ماركس بنظرياته الإلحادية المعروفة. ولد ماركس من أبوين يهوديين تنصرا فيما بعد. وكان ماركس طالباً في إحدى الجامعات المتخصصة في الدراسات اللاهوتية ببرلين إلا أنه قد فُصِل وطُرِد منها لنظرياته الدينية المخالفة لكثير من آراء فلاسفة النصارى. وبعد ذلك لجأ إلى المملكة المتحدة وعاش في لندن واشترك في تحرير بعض الصحف والجرائد اليومية.

يرى آفلنق Aveling أن الديانة المسيحية هي السبب الذي حدا بماركس للخروج على كل الأديان ومعاداتها ومن ثم ابتكار نظرياته الإلحادية المعروفة، فهو يقول في ذلك ما ترجمته: (يعد كارل ماركس الأب الروحي للنظريات الإجتماعية الحديثة. درس ماركس المسيحية في برلين، ودرس تاريخ الكنائس، فلم تعجبه المراحل التي مرت بها المسيحية في سياستها التوسعية في نشر الدعوة عن طريق الكبت والقهر. ولم يعجبه تسلّط آباء الكنيسة على رقاب الملايين من البشر خاصة في عصر الإقطاع، ولم يعجبه تجبّر الطائفة الكهنوتية التي كانت متسلطة على الناس باسم الدين. لم يعجبه امتلاك هؤلاء للثروات الطائلة. وكانت مدارس البحث عن عيسى التاريخي منتشرة في ذلك الوقت خاصة في ألمانيا حيث

---

(١) انظر كتاب: The Life of Jesus, Friedrich Schleiermacher, ed, Jack C. Verheyden, Philadelphia, Fortress Press, 1975.

عاش ماركس. وبناء على ذلك فقد خرج ماركس بنظرياته الإلحادية المعروفة والتي قال فيها إن الدين أفيون الشعوب، وادعى أن التاريخ البشري محتم عليه المرور بخمسة مراحل:

١ ـ مرحلة الشيوعية الأولى.

٢ ـ مرحلة الرق، وتظهر في قهر الناس للرقيق والاتجار بهم.

٣ ـ مرحلة الإقطاع حيث يسود الإقطاعيون.

٤ ـ مرحلة الرأسمالية.

٥ ـ ثم مرحلة الشيوعية الأخيرة وهي المرحلة النهائية التي ستسود العالم.

يرى ماركس أن البشر في صراع دائم لاجتياز تلك المراحل من أجل الإستقرار في المرحلة الأخيرة، حيث ينزع الشعب السلطة من الطبقات الرأسمالية وتكون السلطة في يد الجماهير، وعندها يتوقف الصراع ويهنأ العالم بالأمن والطمأنينة. واعتبر ماركس الدين والفلسفة أشياء ثانوية وقال: إن الدين قد أثبت بتاريخه الحالك أنه سلاح فتاك في أيدي طبقة رجال الدين الذين كانوا ومازالوا يستغلون العامة بإسم الدين بعد تخديرهم بالشعارات البراقة الكاذبة)[1].

وفي عام ١٨٤١م كتب القديس كارل هنرخ فنتريني مقالاً تحت عنوان: «حياة نبي الناصرة العظيم ليست حياة خارقة للعادة» يقول فيه: إن عيسى التاريخي كان يهودي الأصل، وكان كل همه أن يأتي بأشياء مثيرة ليستحوذ على إعجاب اليهود من حوله. وكعادة رجال الشرق الأوسط في ذلك الوقت حاول عيسى أن يلبس كل ما يقوله وما يفعله ثوب الروحانيات. ويقول الكاتب: عندما رأى عيسى رسل اليهود السابقين اشتهروا بالإتيان بالمعجزات، وبدحر القوى الخفية الشريرة التي كان اليهود يلقبونها بالشياطين، حاول هو أيضاً إيهام الناس بأنه يستطيع الإتيان بالمعجزات وخوارق العادات. ويرى فنتريني أن عيسى كان يحمل معه في تنقلاته بعض الأعشاب البرية، بل كانت له خبرة ببعض الأمراض وكيفية علاجها،

---

(١) انظر كتاب: Socialism: Utopai and Scientific, Aveling, Scribner's, New York, 1842, P. 43 - 72.

انظر أيضاً: A History of Western Philosophy: Kant and the Ninteenth Century, P. 128.

وأن حوارييه كانوا يساعدونه في إنجاز أعماله. ادعى فنتريني أن عيسى لم يكن يحيي الموتى، بل كل ما كان يفعله هو ما يفعله أي طبيب اليوم من محاولة علاج مرضاه. وأن كل الحالات التي كان يخيّل للناس أنها إحياء للموتى إنما كانت حالات مرضية وأعراض لأمراض مختلفة معروفة لدى الأطباء. وأن كل ما كان يعتقد الناس بأنها معجزات وخوارق عادات إنما هي معالجات لأمراض عادية لم يفهمها الناس على حقيقتها فظنوا أنها شيء معجز ونسجوا حولها الأساطير. قال فنتريني: إن الأناجيل زعمت أن عيسى كان يمشي فوق الماء، لكن فنتريني يرى أن ذلك كان خدعة بصرية كظهور العمود منكسراً إذا أدخل الماء، وغيرها من الخداع الحسي الذي اكتشفه البحث العلمي[١].

مدارس النقد الألماني:

كانت النتائج الطبيعية لمحاولات البحث عن عيسى التاريخي أن ظهرت مدارس في ألمانيا في القرن التاسع عشر تُعرف بمدارس النقد الألماني في الدراسات اللاهوتية. وهذه المدارس كانت تهدف إلى نقد وتحليل الأناجيل للوصول من وراء ذلك إلى حقيقة المسيح والمسيحية. ولقد صرح القائمون بأمر تلك المدارس بأنهم لا يستطيعون الوصول إلى عيسى التاريخي دون أن يعايشوا الجو الذي عاش فيه هذا الشخص والبيئة التي احتضنته ودون أن يتعرفوا على أفكار معاصريه ونمط حياتهم وثقافتهم.

ولما كانت الأناجيل هي المصدر الوحيد لمعرفة هذا الشخص رأى أساتذة تلك المدارس أنه يجب أن تخضع تلك الأناجيل للبحث والتدقيق لإدراك معانيها وما اشتملت عليه من آراء وأفكار. ويرى هؤلاء الأساتذة أن المشكلة الرئيسية التي تواجههم عند البحث عن عيسى التاريخي هي أن تلك الأناجيل مرت عليها القرون الطوال منذ تدوينها، ولعبت العوامل السياسية دورا كبيراً في تغيير بعض معالمها فجعلت من الصعب والعسير الوصول إلى حقيقتها، وحقيقة الشخص الذي نسبت

---

(١) انظر كتاب: The Quest of The Historical Jesus: A Critical Study of its Progress From Reimarus to Wreda, Albert Shwitzer, Macmillan Co., New York. 1968, pp. 44 - 47.

إليه. كما أن هذه الأناجيل قد قام بكتابتها بعض الناس الذين عاشوا في عصر تسوده الأوهام، والخرافات والإيمان بالأساطير. يرى هؤلاء العلماء أيضاً أن تلك الأناجيل كتبت في عصر لم يتميز بالأمانة ولا الدقة المطلوبة لتسجيل الآراء العلمية، بل كتبت بواسطة عقول لا تعرف النقد والتحليل. وتوصل هؤلاء العلماء إلى أن الأناجيل ما هي إلا نتاج الفكر الشعبي طوال القرون التي مرت على المسيحية.

وبذا فقد شاركت عقول كثيرة في كتابتها وإخراجها، وأن الأناجيل تحمل معلومات قليلة عن عيسى التاريخي، وهي لا تعطي فكرة واضحة عن سيرته وصفاته. ولذلك فقد اهتم أساتذة تلك المدرسة بأقوال الآباء الأوائل للمسيحية، وحاولوا تحليلها علّها توصلهم إلى بعض الحقائق عن عيسى التاريخي، ومن ثم ظهرت مدرسة بألمانيا تسمى مدرسة النقد الشكلي .Form Criticism

حاول أصحاب مدرسة النقد الشكلي النظر في الأحداث التاريخية المتصلة بعيسى من خلال أقوال آباء الكنيسة في فترة المسيحية الأولى، وحاولوا الإستفادة من الأناجيل المعتبرة وغيرها مستعينين في ذلك بعلماء البحث والتنقيب. وعليه فقد حاولوا دراسة القصص التي تحكي شيئاً عن مواعظ المسيح وتنقلاته داخل وخارج منطقة الجليل، ثم التوفيق بين مختلف الأساطير فيما يختص بقصة المحاكمة والموت والقيام وغيرها. وحاول أصحاب هذه المدرسة التميز بين أقوال عيسى التاريخي وأقوال حوارييه وأتباعه من بعده، ولكنهم لم يوفقوا في ذلك. ثم بادر أصحاب تلك المدرسة إلى القول بأنهم يشكّون في صحة نسبة كل ما ورد في هذه الأناجيل لعيسى الناصري. كما توصل أصحاب تلك المدرسة إلى أن هناك كثير من الأقوال قد نسبت لعيسى زوراً وبهتاناً، منها الأقوال الدالة على بنوته للإله وكثير من الطقوس الدينية وغير ذلك. وأعلن أصحاب تلك المدرسة بأن الأناجيل لا تخص عيسى وحده بل هي ملك للمجتمع الذي كان سائداً حوله، وأنها صحف تعكس الحياة الإجتماعية في ذلك العصر.

وقد صور أصحاب تلك المدرسة كتّاب الأناجيل عبر العصور بأنهم مؤلفون شعبيون وجامعون للحكايات الشعبية التي شاعت في المجتمع عن عيسى

التاريخي. يقول أصحاب تلك المدرسة أيضاً: أن الباحث التاريخي يلاحظ ملاحظة لا تخفى على أحد وهي أن الناس في ذلك الزمان ما كانوا يتورعون عن الكذب، وما كانوا يرون أن الكذب رذيلة، وأن الخيانة شيء يجب تجنبه. ويدّعي أصحاب تلك المدرسة أن هذا يظهر بوضوح في قصة منسوبة لعيسى في إنجيل لوقا استشهدوا بها ليستدلوا على صحة آرائهم في كذب الناس الذين كانوا يحيطون بعيسى. ونحن هنا نورد ترجمة للقصة كما وردت في إنجيل لوقا: (قال عيسى لحوارييه يوماً في أحد مواعظه: إنه كان لأحد الأغنياء خادم يدير له بعض شئونه، ولكن بعض الناس أخبروا هذا السيد الغني بأن مستخدمه هذا يعمل على إضاعة ماله وتبذيره، فقرر السيد فصل هذا المستخدم من العمل. فلما علم المستخدم أن السيد ينوي فصله قال في نفسه: إنني لا أقوى على الأعمال اليدوية، ولا أريد أن أتسوّل. يجب أن أكسب بعض الأصدقاء قبل أن أُفْصل من العمل. فجمع كل من كان له دين على سيده وأشار إليهم بخداع السيد وتضليله، وأمرهم أن لا يعطوه جميع ديونه وأن يحاجوه وأن يدعوا بأنه لم يقرضهم كل هذا القدر من المال الذي يدعيه، وأن يستمروا في المراوغة والمماطلة حتى يتغلبوا عليه. أعجب المستدينون بهذه الفكرة، وذهبوا للسيد الغني وخاصموه وتغلبوا عليه ونقصوه حقه. ولما ظهر لهم نجاح فكرة المستخدم جعلوه صديقاً حميماً لهم. بل أن الرجل الغني صاحب هذا المستخدم عندما علم بمكره وبما صنع، أعجب هو نفسه أشد الإعجاب بدهائه)[1].

ونلاحظ هنا أن السيد الغني صاحب المستخدم لم يعب عليه هذا السلوك الشائن المتمثل في الكذب والنفاق والمراوغة.

ويرى أصحاب مدرسة النقد الشكلي أن تلك القصة تدل على أحد احتمالين: إما أن عيسى قد روى تلك القصة، وأنه كان يمجّد الكذب كغيره من الناس في ذلك العصر. وإما أن كاتب الإنجيل قد اخترعها ونسبها لعيسى زوراً وبهتاناً. ومادامت القصة تمجّد الخداع والكذب فلا غرابة أن يكون مؤلفها كذاب

---

(١) لوقا ١٦: ١ ـ ٧.

ومخادع كجملة الناس الذين عاشوا في عصره[1].

ولقد ظهرت كذلك مدرسة أخرى بألمانيا تسمى مدرسة: (إعادة النظر في النقد الشكلي) لآثار المسيح. ادعى أساتذة هذه المدسة أن أصحاب مدرسة النقد الشكلي قد نظروا إلى كُتّاب الأناجيل كمؤرخين جامعين لأقوال السيد المسيح ومن تبعه من الحواريين، ناسين أن هؤلاء الأفراد قد أدخلوا كثيراً من آرائهم وأهوائهم الشخصية في الأناجيل. فكتّاب الأناجيل في نظر أصحاب مدرسة إعادة النظر في النقد الشكلي لم يكونوا فقط جامعين ولكن واضعين لكثير من الأقوال والأفعال. ويرى أساتذة تلك المدرسة أيضاً أن الأفراد الذين جمعوا الأناجيل، وآباء الكنائس الأولين حاولوا الإستفادة من الأقوال التي شاعت وتجمعت لديهم عن السيد المسيح، فأوردوا ما راق لهم، وأضافوا ما يرونه صواباً وتركوا غيره. ولقد أدلى كل واحد من المشتركين في كتابة الروايات التي شاعت عن المسيح برأيه الشخصي أيضاً ووجهة نظره الخاصة في هذا الموضوع، وضمنها إنجيله دون أن يشير إلى ذلك، فجاءت الأناجيل معبرة عن ثقافة المجتمع وآراء كتابها أكثر من تعبيرها عن حقيقة عيسى نفسه.

ويقول أصحاب تلك المدرسة: أنه من الواجب علينا البحث عن أصحاب تلك الأناجيل ومعرفة شيء عن سيرهم الشخصية وحياة كل فرد منهم على حده كخطوة أولى للوصول إلى عيسى التاريخي. ولاحظ أصحاب تلك المدرسة بأن هناك اختلافات كثيرة وردت في الأناجيل، واستدلوا بذلك على أن صاحب كل إنجيل كان يكتب إنجيله على هواه.

ولقد قال أصحاب تلك المدرسة أن قصة بعث عيسى بعد موته إلهاً، قد أدت إلى فقدان كثير من أقوال عيسى التاريخي، وعدم اكتراث الناس بها. بل شجعت الناس على تحريف أقوال عيسى التاريخي وإعادة تفسيرها، وإضافة كل ما من شأنه أن يدعم تلك الأسطورة. ويرى علماء تلك المدرسة أيضاً أن أقوال عيسى التاريخي الحقيقية ربما تكون قد فقدت تماماً واختفت إلى الأبد في هذا

---

(١) انظر كتاب: Redicovering the Teachings of the Evanglist, J. Rohde, Philadelphia, Westminister Press, 1968.

الزحام من الأساطير والقصص، خاصة بعد انتشار المسيحية، وأن خير مثال على ذلك يوحنا الذي خالف الأناجيل السنوبتيكية في كثير من الأحيان، والذي أدخل كثيراً من آراء فلاسفة اليونان أو ما يعرف بالفلسفة الهلينية في الديانة المسيحية، وقد كان هدفه من ذلك أن يجعل المسيحية مفهومة ومقبولة لدى اليونانيين الذين كانوا يمثلون الطبقة المتعلمة في تلك العصور. كما يرى أصحاب تلك المدرسة أيضاً أن الديانة المسيحية ظلت تتغير وتتبدل وتتلون خلال العصور حسب رغبات آباء الكنيسة ونزواتهم واتجاهاتهم الثقافية ومقتضيات البيئة التي عاشوا فيها دون الإكتراث برسالة عيسى الناصري ومواعظه وأفعاله[1].

وفي هذا القرن ظهر أيضاً رودلف بولتمان وهو من أساتذة مدرسة النقد الألماني ليدلي برأيه في عيسى التاريخي، فنراه يقول: أن شخصاً يدعى عيسى هو الذي يقف خلف ذلك التيار المسمى بالمسيحية اليوم والتي تحمل إسمه، وأن الأناجيل ما هي إلا ترجمة وتعبيراً عن آراء كتابها حول تلك الشخصية التاريخية، وأن تلك الأقوال والآراء الواردة في الأناجيل تعبر عن مدى تأثير هذا الشخص ـ بقوة شخصيته وشجاعته ـ على عقول الكثيرين لدرجة الإعجاب به والكتابة عن سيرته وشخصيته، ونسج كثير من القصص حول حياته بل ووفاته أيضاً. ويرى بولتمان أن عيسى شخص تاريخي عظيم كبوذا عند البوذيين، وكقيصر، وأوغسطين، وشارلمان وغيرهم من الشخصيات التاريخية المعروفة.

يرى بولتمان كذلك أن رجال القرن الثامن عشر قد حاولوا الوصول إلى حقيقة عيسى التاريخي. حاولوا الوصول إلى حقيقة هذا الشخص الذي ولد في بلدة الناصرة بفلسطين ليصلوا إلى حقيقة رسالته والغرض الحقيقي من دعوته، وأن مئات الكتب والمقالات كتبت بعد محاولة ريماروس الأولى الوصول إلى عيسى التاريخي. يرى بولتمان أن هؤلاء العلماء رغم محاولاتهم العديدة لم يستطيعوا أن يكشفوا النقاب عن حقيقة عيسى التاريخي وأن كل ما سطروه لم يتعد أفكارهم الشخصية.

---

(١) انظر كتاب: Jesus Christ Liberator, pp. 36 - 37.

انظر أيضاً: Towards a Political Hermeneutic of the Gospel in Religion, Revolution and Future, J. Moltumann, New York, Scribner's, 1969.

ويرى بولتمان أنه نظراً لصعوبة الوصول إلى حقيقة عيسى التاريخي وللبلبلة الفكرية التي يمكن أن تنتجها مثل تلك المحاولات في الوسط المسيحي فإنه على آباء الكنيسة الرجوع إلى فكرة تحريم البحث في شخص عيسى التاريخي كما كان الحال في العصور الوسطى. ويؤكد بولتمان أن الباحثين عن عيسى التاريخي قد سلبوا المسيحية حقيقة من أهم حقائقها وهي القول بألوهية عيسى، وبالتالي حاولوا حرمان المسيحية من الإستمتاع بعيسى الإله الذي جاء لينقذ أتباعه من الخطيئة.

إن رجال البحث التاريخي ـ في نظر بولتمان ـ بكشفهم النقاب عن عيسى التاريخي لم يأتوا للمسيحية إلا بشخص يهودي موال لبني إسرائيل. بل ركز رجال البحث التاريخي على بشرية عيسى التي لا تتفق مع العقيدة المسيحية إطلاقاً ولا مع دستور نيقية الذي أقر فيه آباء المسيحية أن عيسى إله حقيقي من نسل إله حقيقي. ومن هذا المنطلق يرفض بولتمان أفكار رجال البحث التاريخي عن حقيقة عيسى الرسول الناصري ويعتبرها أفكاراً خاطئة سلبت عن عيسى نصرانيته وحولته إلى داعية يهودي. كما يدعي بولتمان أن تلك البحوث قد سلبت عن عيسى خاصية يعتبرها بولتمان من أهم خواصه وهي الفكرة التي تقول بأنه المنقذ الوحيد والفريد من نوعه الذي جاء لإنقاذ العالم بأسره من الشر. وبناء على هذا يوجه بولتمان نداءً للباحثين عن حقيقة عيسى التاريخي ينصحهم فيه بالتوقف عن هذا البحث غير المجدي والذي لا يعود بفائدة كبيرة على الديانة المسيحية حسب رأي بولتمان. ويحذر بولتمان كذلك رجال البحث التاريخي من محاولة خرق الستار إلى ما وراء حادثة القيام لأن ذلك في نظر بولتمان لا يخدم الإيمان والعقيدة المسيحية في شيء. ويقول بولتمان: إن الإيمان أو العقيدة المسيحية لم تقم على مواعظ وحكم عيسى التاريخي، بل تركزت حول المسيح الرب الذي بعث من الموت إلها، وأن آباء الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية هم الذين وضعوا دستور الإيمان وليس عيسى التاريخي. فمؤسس الديانة المسيحية الحقيقية في نظر بولتمان ليس هو عيسى التاريخي بل هو عيسى الإله الذي قام بعد الصلب. وإن كان عيسى التاريخي قد ساهم بقدر معين في تأسيس الديانة المسيحية ـ حسب

رأي بولتمان ـ إلا أنه بناها بناء حقيقيًا بعد أن حل فيه الإله وعرف لذة النصر على الإثم والخطيئة، ولذة البقاء الأبدي بعد قيامه ثانية من الموت.

ويرى بولتمان أن الفرد كي يصير مسيحيًا حقًا ومؤمناً بتلك الديانة عليه أن يؤمن بكل ما نقله إليه آباء الكنيسة في الماضي، وبكل ما جاءوا به من أقوال عن حقيقة المسيحية والمسيح. ويرى بولتمان كذلك أنه لو لم يكن هناك آباء أوائل للمسيحية يعظون ويشرحون آراء المسيح لما قامت المسيحية، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من مجد، ولما استمرت خلال كل هذه القرون الطوال. لذلك يحث بولتمان كل من يريد أن يفهم المسيحية ويستوعبها، ويصل إلى حقيقتها أن يتبع آراء آباء المسيحية خاصة في فترة المسيحية الأولى، ويقتدي بأفكارهم ومذاهبهم دون جدل. حاول بولتمان كل جهده الإبتعاد عن طريق الباحثين في عيسى التاريخي لذلك ركز جهده حول المسيح المنقذ والفادي الذي روّج له بعض أعضاء مؤتمر نيقية في القرن الرابع الميلادي[١]. لكن بولتمان كما قال ليوناردو بوف قد ووجه بتيار عنيف من النقد لدعوته بإهمال الشخصية التاريخية التي أسست المسيحية. وحتى تلاميذه لم يوافقوه في آرائه، بل خرجوا عليه واستمروا في البحث عن عيسى التاريخي، وأكدوا أن البحث عن عيسى التاريخي له فائدة كبيرة في معرفة المسيحية الحقيقية. وقال جان براون بأن قبول فكرة الإله أو رفضها لا ينبغي أن يكون مقياساً لمدى إيمان الناس أو كفرهم، وأنه حتى الملحد يمكنه أن يكون مسيحيًا لأن الإله الذي أتى ليحمي العالم من الخطيئة لا يفرق بين الناس، بل مات من أجل حماية الجميع وللجميع. بل ادعى براون أنه لا يصح للرجل الحديث إستعمال كلمة إله لأنه لا حاجة للإنسان إليها[٢].

ثم ظهر بعد ذلك أحد الفلاسفة النشطين من بين أفراد مدرسة البحث عن عيسى التاريخي ويدعى مولتمان Moeltman وألف كتاباً بعنوان «كيف صار عيسى

---

(١) انظر كتاب: Faith and Understanding, R.Bultmann, New York, Harper and Row, 1969, P. 260.
وانظر أيضاً: The keryzma and the Historical Jesus, James M. Robinson, 1960, p. 114.

(٢) انظر كتاب: Jesus Christ Librator, pp. 3 - 15.

إلهاً». وقد ادعى مولتمان في هذا الكتاب أن كل معاصري عيسى كانوا يعرفون نسبه وأنه كان ابناً لمريم ويوسف النجار. بل أن أول من اتبعوه كانوا يعلمون تمام العلم أنه كان ينحدر من أسرة يهودية متوسطة الحال. وبالنظر إلى الأناجيل رغم اختلافها فإن الناظر ـ حسب ما يرى مولتمان ـ يجد أن فترة نشاط عيسى في نشر رسالته كانت فترة قصيرة تتراوح بين تسعة عشر شهراً وعامين. وخلال تلك الفترة رأى حواريو عيسى أنه كان يمتلك من الصفات ما يؤهله لقيادة الناس. وقد تمنى الحواريون أن يتمكن في يوم ما من تنظيم الجماهير، وقيادتهم لدحر سلطان الرومان، وإجلائهم عن فلسطين. لذلك يرى مولتمان أن الحواريين نظروا إليه كقائد سياسي أكثر من نظرتهم إليه كرجل دين. ثم يقول مولتمان: وعندما قُتل عيسى، وفشلت التنبؤات التي كانوا يجدونها في أسفار العهد القديم عن مجيء القائد الرسول الذي ستدين له الأرض ويخضع له الحكام وكثير من الملوك ويمتد ملكه إلى بلاد كثيرة، لجأ الحواريون مرة أخرى إلى أسفار العهد القديم، وظلوا ينسبوا لعيسى كثيراً من الصفات الروحية وادعوا بأنه ما جاء للحكم، وإنما جاء لنشر الروحانيات.

ولقد أبدى مولتمان تشككه في حقيقة عيسى نفسه، وذكر أنه ليس هناك أي مصادر يمكن الوثوق بها أو الرجوع إليها لمعرفة حقيقة عيسى الناصري، وزمان مولده، وصفاته، وأفعاله. وقال أن كتّاب الأناجيل قد أغفلوا سيرته الذاتية وحياته الأسرية وطفولته، بل وصفاته وأفعاله. وقال إن الذين أضافوا شيئاً عن مولده وأفعاله إلى الأناجيل هم آباء الكنيسة في القرن الرابع الميلادي.

أما في موضوع الإلهيات فيقول مولتمان: إن الأناجيل نسبت لعيسى الألوهية، خاصة إنجيل يوحنا. لكن مولتمان يرى أن عيسى كان دائماً يفرق بين نفسه وبين الإله تفرقة ظاهرة وواضحة لا تستدعي التأويل وهي مذكورة وموضحة في إنجيل مرقص وضوحاً تامًا. بل كان عيسى يرى ـ كما يعتقد مولتمان ـ بأنه معلم، وأنه مرسل من قبل الإله. كما أن عدم ادعاء عيسى بأنه إله أو جزء من الإله ظاهر في الأناجيل. وضرب مولتمان مثالاً بما جاء في إنجيل مرقص من أن عيسى عندما سئل عن الساعة والوقت الذي سيأتي فيه ابن الإنسان أجاب قائلاً:

(لا أحد يعلم متى يأتي هذا اليوم وتلك الساعة، لا الملائكة في السماء ولا الإبن، ولا أحد إطلاقاً، إنما العلم عند الإله وحده، وهو وحده الذي يعلم متى تأتي هذه الساعة)[1].

ويرى مولتمان أن عيسى لم يكن يرغب في أن يكون إلهاً وما كان يريد ممن حوله أن يؤلهوه، بل كان يرى نفسه كمرشد ديني يبرز كل ما كان جميلاً ورائعاً في توراة اليهود. ويقول مولتمان: أن ذلك يظهر بوضوح في الأناجيل السنوبتيكية.

فقد ورد في الأناجيل السنوبتيكية أن أحد المستمعين لخطب ومواعظ عيسى سأله يوماً: أي الأعمال يفضلها الإله على غيرها؟ فكانت إجابة عيسى للسائل: أن أول شيء يحبه الإله قوله لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أن الإله إلهكم واحد، وأنه يجب عليكم أن تحبوا الإله بكل ما تملكون من قوة بقلوبكم، وبعقولكم، وبأرواحكم. وبعد ذلك يحب الإله أن تحب جارك كما تحب نفسك. لا توجد وصايا أحب من هاتين الوصيتين للإله[2]. ويرى مولتمان أيضاً أن عيسى قد اعتمد كثيراً على أسفار العهد القديم، ويتجلى ذلك في قوله لمستمعيه يوماً: إن كل ما تريد أن يفعله غيرك لك، افعله أنت لهم، إن هذا هو قانون جميع الأنبياء من قبلي[3][4].

وفي هذا القرن أيضاً ظهر كارل بارث بفلسفته التي تقول: إن الديانة المسيحية منذ القرن الثامن عشر وحتى اليوم قد انغمست في البحث عن عيسى التاريخي، لذا فقد تعددت الأقوال حول حقيقة عيسى وحقيقة المسيحية. وينتقد هذا الفيلسوف أحد الفلاسفة الذين بحثوا عن عيسى التاريخي وهو أنسلم Anselm الذي كان يدعي بأن الإله قد جاء في صورة المسيح، ومات على الصليب ليشفي

---

(١) مرقص ١٣ : ٣٢.

(٢) مرقص ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤، متى ٢٢ : ٣٤ ـ ٤٠، لوقا ١٠ : ٢٥ ـ ٢٨.

(٣) انظر متى ٧ : ١٢، لوقا ٦ : ٣١.

(٤) انظر كتاب: How Jesus Became God? An Historical Study of the Life of Jesus to the Age of Constantin, C. Henery Moehlman, Philadelphia, New York, 1960, pp. 3 - 15.

غليل غضبه على بني إسرائيل، وليسلب عنهم العزة ويعطيها لأناس آخرين. وقال أنسلم في فلسفته أيضاً: إن الإله جاء لينقذ العالم خلال نفسه وبنفسه وذلك بعد أن كان ينقذهم سابقاً على أيدي بني إسرائيل. انتقد بارث الرأي القائل بأن الإله قد عاقب المسيح نيابة عن البشر وأنه قد سمح بصلب المسيح كفارة لذنوبهم. مثل هذه الأقوال غير مقبولة في نظر كارل بارث لأنها توحي بأن الإله غيّر رأيه، وأنه لا يعلم الغيب وبالتالي تنفى عن الإله صفة ثبات الرأي والعلم المحيط الشامل لكل شيء.

لذلك يقول بارث: إن موت المسيح على الصليب بزعمه إنما كان لبيان أن الإله لن يتخلى عن الإنسان، وأن محبة الإله للبشر قد تجلت في تخليص الإله للبشر من الخطيئة التي كانوا يتمرغون فيها كل هذه القرون الطوال. يرى كارل بارث أن آدم قد أذنب وورث هذا الذنب أبناءه من بعده، فظل الميل للخطأ صفة ثابتة في البشر، وظل الإنسان يحطم نفسه بنفسه بوقوعه في الآثام والأخطاء، لذلك جاء الرب ليعلم الإنسان كيف ينفض عنه الذنب الأول، وكيف يشق طريقه نحو الخير والسلم. لذلك يرى بارث أن حادثة الصلب لم تكن إلا لخلاص البشر، وأن المسيح لم يفعل إلا ما يحتاج إليه البشر، وما كانت تتوق إليه نفوسهم لكنهم عاجزون عن فعله لتكبلهم بالخطيئة التي ورثوها عن أبيهم آدم.

يرى بارث في فلسفته أن الإنسان لم يبحث عن الإله إنما الإله هو الذي جاء باحثاً عن الإنسان ليرتبط به. لذلك قبل الإله ـ بزعمه ـ تقديم نفسه فداء للبشر. ولهذا يعتبر كارل بارث أن كل من يصير مسيحيًّا يولد من جديد، لأن دخوله في المسيحية يغسل عنه الخطيئة الأولى ويربطه ربطاً أبديًّا بالإله عن طريق تلك المعاهدة التي رسمها وخططها الإله لينقذ من خلالها البشر.

ويرى كارل بارث أن على رجال الدين المسيحي أن يبشّروا العالم كله بالعهد الذي أخذه الإله على نفسه، وعليهم أيضاً أن يجوبوا كل أقطار العالم ليعلموا الإنسان كيف تمت معاهدة السلم مع الإله[1].

---

(١) انظر كتاب: The Humanity of God, Karl Barth, John Knox Press, 1960.

الفصل الثالث

حيرة علماء النصارى وتخبطهم في القرن العشرين

استمر البحث عن عيسى التاريخي حتى القرن العشرين. وفي هذا القرن ظهر ألبرت شوايزر المتوفى عام ١٩٦٥م والذي عمل منصراً بغرب أفريقيا لمدة طويلة. يرى ألبرت شوايزر أن عيسى الناصري الذي زعم آباء الكنيسة أنه كان ينذر الناس باقتراب مملكة الإله، وأنه عاش لفترة طويلة في منطقة الجليل، لم يكن في حقيقة الأمر إلا شخصية خرافية وهمية اختلقها آباء الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية، لأن الإيمان بالأساطير الخرافية كان شائعاً في تلك الأزمان. ويرى شوايزر أن الإيمان بتلك الأسطورة لا يتناسب مع رجل القرن العشرين. ويرى شوايزر كذلك أن الشيء الذي يسيطر على عقل كل من يؤمن بالمسيحية ليس هو عيسى التاريخي الرجل الذي زعمت الكنيسة أنه عاش فترة في منطقة الجليل، بل هو شيء آخر يختلف تماماً عن هذا الرجل الخيالي الذي لم يوجد أصلاً. يرى شوايزر أن الشيء الذي يسيطر على عقول الناس حقيقة هو الرجل الروحي الذي بعث من الموت بعد صلبه وقتله من جانب أعدائه.

يرى ألبرت شوايزر أن الدعوة إلى المسيحية دعوة لا تستند على أساس تاريخي أو علمي أو منطقي، وأن عيسى الذي تصفه الأناجيل متناقض الأقوال مضطرب التفكير، وأن الأناجيل كذلك تصوّر عيسى بصورة الرجل الذي عجز عن تحقيق كل ما كان يتنبأ به، وتصوره كرجل عاجز لم يستطع أن يحقق أهدافه وأطماعه. ويضرب شوايزر مثالاً لذلك بما جاء في إنجيل متى: (قال عيسى لحوارييه يوماً عندما أرسلهم لهداية الأمم الإسرائيلية: اذهبوا إليهم سيعذبونكم ويقتلونكم، عندما تواجهون بالعذاب في مدينة فروا إلى مدينة أخرى. الحق أقول لكم الآن إنكم لن تذهبوا إلى كل المدن الإسرائيلية قبل أن يأتي ابن الإنسان والذي ستدين له الإرض ويمتد ملكه إلى أمم كثيرة)[1].

---

(١) متى ١٠: ٢٣.

يقول شوايزر: أن عيسى كان يقصد أن ملكه وإعلان نفسه كابن للإنسان أوشك أن يقع، وكان يظن أن العالم سيدين له، ويخضع له حسب ما ورد في هذا الإنجيل. ولقد ظن عيسى أن كل ذلك سيحدث قبل أن يرجع إليه حواريوه من المدن الإسرائيلية. لكن الحواريين رجعوا لعيسى في فترة قصيرة، وغير متوقعة، ولم يعانوا كما توقع لهم، ولم يحدث لهم قتل أو اضطهاد من قبل اليهود.. إن ملك الإله لم يقترب لذا لم يستطع عيسى أن يعلن نفسه كإبن للإنسان الذي ستدين له أمم وشعوب كثيرة[١].

ويورد الكاتب بورنكام في كتابه (عيسى الناصري) آراء مشابهة لأفكار شوايزر حول هذا الموضوع نورد ترجمتها فيما يلي: (إنه من العسير تكوين صورة حقيقية لشخص عيسى الناصري لأنه من الثابت تاريخيًا أن هناك حلقة مفقودة في تاريخ المسيحية، وهي الفترة التي عاش فيها هذا الشخص الناصري. بل أن الروايات عن أقواله وأفعاله كانت شفهية، ولم تكتب إلا في وقت متأخر.. إن الأحداث التي تروي طفولة عيسى لا تعطي معلومات كافية عن نشأة عيسى الناصري. وأن قصة مولده في إنجيل لوقا مختلفة اختلافاً كبيراً عن قصة مولده التي وردت في إنجيل متى). يرى بورنكام أيضاً أن الأناجيل لم تذكر عن أسرته شيئاً كثيراً سوى أن عيسى كان يهوديًا بل أن الأناجيل تختلف حتى في إيراد هذا القول. فالأناجيل السنوبتيكية تقول بأنه ولد ونشأ في منطقة الجليل، بينما يقول يوحنا أنه ولد ونشأ في منطقة جودا.

انتقد بورنكام آباء الكنيسة الذين حاولوا إخفاء حقيقة عيسى وأصله اليهودي قائلاً: هؤلاء الآباء يحاولون إخفاء حقيقة ثابتة وواضحة وضوح الشمس. ويرى بورنكام أن تداول أمثال هذه الأفكار هو الذي يحرم النصارى من الوصول لحقيقة عيسى الناصري، وبالإضافة إلى ذلك فإن التاريخ يحيط كل تلك الأحداث بهالة من الغموض لم يستطع أحد من النصارى اختراقها حتى اليوم. ولكن من المعلومات القليلة التي أمكن جمعها ومعرفتها ادعى بورنكام أنه قد استطاع أن

---

(١) انظر كتاب: The Quest of The Historical Jesus, Albert Schweitzer, New York, The Macmillan Company, 1968, pp. 358 - 401.

يثبت أن عيسى قد ولد وسط اليهود في جو مشحون بالحديث عن الإلهيات، وأن المسيحية لم تنفصل عن اليهودية وتنطلق إلى العالم إلا بعد حادثة صلب المسيح وموته وقيامه من الموت مرة أخرى. ويقول بورنكام أنه رغم اختلاف الأقوال وتضاربها حول حادثة القيام بالذات، وعدم ثبوتها تاريخيًا، إلا أن النصارى يأخذون تلك الحادثة كحقيقة إيمانية ثابتة، لأن الإيمان في نظر آباء الكنيسة لا دخل له بالتاريخ وحقائق التاريخ[1].

ويقول هاوارد مارشال: إن الباحثين عن عيسى التاريخي وجدوا صعوبة كبيرة في الوصول إلى حقيقة ذلك الرجل، وحقيقة الأشخاص الذين كانوا يعيشون حوله والأحداث التي عاصرها. ونقل هاوارد مارشال آراء العلماء في ذلك ومن بينها رأي جيرالد Gerald الذي قال: أن هناك أيادي كثيرة لعبت بالأناجيل، ومحت كثيراً من الوقائع التاريخية وأضافت إليها وقائع أخرى مما يفسح المجال للشك في أصل نسبة الأقوال الموجودة في الأناجيل لكتابها.

ويعلق هاوارد مارشال على ذلك بقوله: إن جيرالد محق كل الحق فيما قاله، فإننا لا نستطيع أن ننكر أن اقوالاً كثيرة أُدخلت على الأناجيل نفسها بعد أن كتبت. كما أننا لا نستطيع أن نعرف متى أدخلت تلك الأقوال على الأناجيل بالتحديد. كما أننا أيضاً لا نستطيع أن ننكر أن الأقوال التي كانت تضاف إلى الأناجيل كانت تعبر عن ثقافات الشعوب التي اعتنقت المسيحية وآمنت بها وعملت على تشكيلها وتلوينها بطابع جديد. وهذا أدى بالتالي إلى صعوبة التفريق بين الأقوال والأفعال التي شارك بها عيسى في تكوين المسيحية وبين الأقوال والأفكار التي ساهمت بها البيئات المختلفة في تكوين المسيحية.

ويؤيد هاوارد مارشال كذلك رأي هيتملر Heitmuller الذي ورد فيه ما ترجمته: إن الأب بولس لم يأخذ نظرياته وفلسفاته التي أدخلها على المسيحية من آباء الكنائس بأورشليم ولكنه أخذها عن يهود الديزبورا Diaspora الذين كانوا قد تنصروا وسكنوا مدينة أنطاكيا. وقد كانوا متأثرين تأثراً بالغاً باليهودية وبالفلسفة

---

(١) انظر كتاب: Jesus of Nazarth, Gunther Born Khamm, Harper and Brothers Publishers, New York, 1959, pp. 153 - 187.

اليونانية التي كانت تسود تلك المناطق لفترة طويلة من الزمان[1].

ويقول ديترش بنهوفر D. Benhoeffer: أنه لا يوافق الديانة المسيحية في تقسيمها العالم إلى قسمين: عالم القديسين وعالم اللادينيين لأن هذه تفرقة غير مفهومة المعنى لديه. ويرى بنهوفر أن العالم المعاصر يمر بمرحلة تاريخية أوشكت فيها الأديان أن تنقرض لأن البشر ـ في نظر بنهوفر ـ قد وصلوا إلى مرحلة متقدمة من الوعي والإدراك بحيث لا يحتاجون لمعونة الإله في تدبير شئونهم.

وبناء على دراسته لتاريخ المسيحية يقول بنهوفر: إن الدين المسيحي قد استغل ضعف الإنسان في هذا الكون ليفرض عليه أفكاراً وآراء غير منطقية باسم الدين. ويرى بنهوفر أيضاً أن الدين قد حاول إقناع الإنسان الذي كان يعيش سعيداً بعيداً عن الهموم بأنه تعيس شقي، وأنه ينغمس في الخطيئة يتوارثها أبًا عن جد منذ أن عصى آدم ربه بالأكل من الشجرة المحرمة. يقول بنهوفر: وهكذا أصبح الدين قيداً جديداً وغلاً ثقيلاً يكبل الإنسان ويكتم حريته خاصة مع مرور الزمن، وتمكن الطقوس والشعائر الدينية من معتنقيها، فامتلأ الإنسان بذلك همًّا وغمًّا.

ويرى بنهوفر أنه من العسير فرض تلك الأوهام والخرافات على الرجل الحديث. ويرى أن على آباء الكنيسة أن يعيدوا تفسير معتقداتهم الدينية بما يتوافق مع إنسان القرن العشرين. كما يرى بنهوفر أيضاً أن الإنسان يلجأ إلى الميتافيزيقا أو النظر إلى عالم ما وراء الطبيعة عندما يعجز عن فهم حقيقة وجوده ومصيره. وهذا هو السبب الرئيسي ـ في نظر بنهوفر ـ الذي يوجه الإنسان للبحث عن الإله. بل يقول بنهوفر أن الإنسان غالباً ما يلجأ إلى الإله ليملأ الفراغ الذي يتركه العقل، فالعقل الإنساني قد يصل إلى درجة من العجز في تفسير بعض ما يصادفه من معضلات أو مصائب بنسبتها إلى الإله. واستمر الحال هكذا ـ في رأي بنهوفر ـ إلى أن جاء عصر ازدهار المعارف والعلوم الطبيعية فأزاح الستار عن كثير من الغموض الذي كان يسود مختلف أوجه الحياة. وعندها شعر الإنسان بأنه لا يحتاج لمعونة الإله في حل ما يصادفه من غموض أو مشكلات. وهكذا فقد

---

(١) انظر كتاب: The Origin of New Testament Christiology, 1. Haward Marshall, Interuniversity Press, Downer's Illionois, 1976, pp. 32 - 37.

تمكن الإنسان المعاصر من التحرر من قيود الدين ورفض التبعية للإله كما زعم بنهوفر. ويزعم بنهوفر وأتباعه أن الإله (قد مات)، وهم يعنون بذلك أن الإله الحي الذي كان يحتاج إليه الإنسان قد انتهى دوره تماماً، ولا مكانة له في هذا العالم. بل ادعوا أن الحديث عن الإله غير مناسب للبيئة الثقافية الحديثة، وأن جهود الإنسان المعاصر يجب أن تنصرف لأشياء أكثر جدية وفائدة لبني البشر[١].

مدرسة اللاهوت المتطور:

ولقد بلغ التخبط بالنصارى مبلغاً عظيماً في هذا القرن عندما بدأوا يتحدثون عما يعرف باسم مدارس اللاهوت المتطور Process Theology ومن أشهر أساتذة تلك المدرسة ألفريد نورث وايتهيد Alfred North Whitehead الذي يزعم أن الإله ليس شيئاً مغايراً في ذاته وطبيعته عن البشر، وليس شيئاً مستقلاً كل الاستقلال عنهم. فالإله وخلقه في نظر أصحاب تلك المدرسة أشياء متجانسة ومتماسكة في وحدة تامة.

إن الإله في نظر وايتهيد يخلق الخلق كي يضيفهم إلى ذاته فيزداد بذلك قوة وكمالاً، لأن الإله ـ بزعمه ـ ناقص ومحتاج لخلقه مثل حاجتهم إليه. والإله في نظر وايتهيد وأمثاله في نمو وتطور مستمر، وكلما فني شيء من خلقه فيه يزداد الإله بزعمهم قوة وعظمة، وأن حاجة الإله للإنسان في نظر وايتهيد لا تقل عن حاجة الإنسان للإله. فالإله والإنسان يكملان بعضهما بعضاً. ثم يقول وايتهيد: أن هناك شيئاً واحداً يميّز الإله عن البشر، فبينما البشر يتصفون بالنقص فقط، فإن الإله له طبيعة مزدوجة بحيث يتصف بالكمال والنقص في آن واحد. فاتصاف الإله بالكمال يظهر فيما سماه وايتهيد بطبيعة الإله الأساسية Primordial Nature حيث يظهر الإله بمظهر القوة ويستطيع أن يتصف في تلك الحالة بصفات الكمال، كالقدرة والعلم وغيرها. أما الجانب الآخر الذي أسماه وايتهيد بطبيعة الإله المتعادلة مع البشر Consequential Nature فهو الجانب الذي يظهر فيه الإله بمظهر الضعف. وتبعاً لهذا الجانب الأخير يحس الإله بما يدور في العالم من أشياء،

---

(١) انظر كتاب: Letters and Papers From Prison, D. Bonhoffer, New York, Macmillan, 1953.

ويتخذ من طريق هذا الجانب سبيلاً للوصول إلى العالم المادي المكون من البشر وغيرهم من المخلوقات فيجذبهم ويدمجهم في ذاته. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

والإله في نظر وايتهيد جزء لا تيجزأ من خلقه. فالعالم لا قيمة له دون الإله والإله لا وزن له دون العالم المحسوس. ويقول وايتهيد: أنه لا يستطيع أن يجزم أو يدلي برأي في القول بأن الإله خلق المخلوقات من العدم، لكن الشيء الذي استطاع أن يجزم به هو الزعم بأن الإله في حاجة إلى تلك المخلوقات. ويرى وايتهيد أن الإله محتاج من بين تلك المخلوقات التي خلقها للإنسان خاصة، ولا يستطيع الإله في نظر وايتهيد أن يستغني عن الإنسان، لأنه المخلوق الوحيد الذي يعقل ويفكر، وبذلك يستطيع أن يساعد الإله في الخلق والإبداع. يرى وايتهيد أن تلك الحقائق التي اكتشفها أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور مؤخراً كانت مجهولة لدى فلاسفة الدين المسيحي لعدة قرون بالرغم من أن الإنسان ـ كما يزعم وايتهيد ـ كان يشارك بلا وعي في تطوير الإله من حين لآخر عن طريق الزُّهَّاد وعن طريق محاولة الفناء في الإله. ويرى وايتهيد أن تلك الفكرة كانت تسود العالم قبل ظهور المسيحية. ويدعم وايتهيد رأيه بالأفكار التي كانت سائدة عند فلاسفة اليونان القدامى من أمثال أفلاطون وفلاسفة الحلول والانتشار كافلوطين وغيرهم.

يقول وايتهيد: إن الذي يهمه ليس بداية الأشياء ونشأتها، إنما الذي يهمه هو حركتها وازديادها ونموها، فهو يرى أن الإله في القرن العشرين نما نموًّا كبيراً ومضطرداً عما كان عليه في القرون الأولى للمسيحية. وهو يقول في تهجم على الذات الإلهية: إن العالم شارك في خلق الإله، كما خلق الإله العالم، فالإنسان في نظر وايتهيد يمد الإله بالحياة الجسدية لينمو ويزيد في حجمه ونشاطه، والإله بدوره يمد الإنسان بالحياة الروحية ليتطور وينمو فكريًّا.

نظرة أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور لعيسى:

يرى أصحاب تلك المدرسة أن أكبر مشكلة واجهت المسيحية في ماضيها قد تمثلت في كيفية الربط بين الألوهية والبشرية في شخص عيسى التاريخي،

خاصة وأن مدارس المسيحية في القرون الوسطى قد عجزت في معظم الأحيان عن إقناع كثير من البشر بأن عيسى حقًّا إله يتمتع بكامل ما للآلهة من حقوق وفي نفس الوقت كان بشراً كاملاً في بشريته يتمتع بجميع المواصفات البشرية. ويرى أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور وعلى رأسهم وايتهيد وتلهارد أنهم قد حلوا تلك المشكلة حلاً مقنعاً ومرضياً للنصارى، وأنهم قد توصلوا للحقيقة الكاملة في الربط بين البشرية والألوهية في شخص عيسى لأنهم يدعون أن كل شخص يشارك في خلق الإله، والإله بدوره يشارك في خلق ذلك الشخص. وعليه فإن كل منا يستوعب الإله ـ بزعمهم ـ والإله يستوعبه بدرجات متفاوتة، حسب مقامات الناس وأقدارهم. وأصحاب هذه المدرسة يدّعون أن عيسى شخص فريد في نوعه استطاع أن يستوعب الإله، كما استوعبه الإله بصورة أكبر من استيعابه لبقية البشر، وهذا هو السبب في رأيهم الذي جعل عيسى ينادي بأنه ابن الإله، لأن الإله يوليه عناية خاصة مختلفة تماماً عن العناية التي يوليها لبقية البشر. وهكذا يتصور أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور أنهم قد قدموا خدمة جليلة للمسيحية وحلوا مشكلة عويصة كانت تواجه المسيحيين منذ القرون الأولى للمسيحية حلاً سليماً ومرضياً ومتواكباً مع تفكير الرجل العصري الحديث.

نظرة أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور للبعث:

يرى أصحاب تلك المدرسة أن النظرية الفلسفية القديمة لدى النصارى، والتي تقول بالبعث والحساب ومن ثم تقسيم البشر إلى فريقين جزء منهم في نعيم وجزء منهم في الجحيم هي نظرية غير سليمة، لأن أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور يرون أن الإله يريد أن يستفيد من كل خلقه، وأن الخلق بعد الموت يصيرون جزءاً من الإله، فكيف يحرم الإله نفسه من بعضهم بإرسالهم إلى الجحيم. ويرى أصحاب تلك المدرسة أن الإنسان عند موته لا يفنى ولا يعذب في الجحيم، ولا يدخل الجنة، إنما يمر بمرحلة حياة أخرى، وأنه لا يوجد هناك موت، بل توجد نقطة تحول من مادة إلى مادة أخرى فيصير الإنسان بعد موته جزءاً من الذات الإلهية الكاملة. بل زعم وايتهيد أن الجزء المادي من الإنسان عند فنائه في الإله، يصير هو الجزء الباعث لحركة الإله. فموت الإنسان في نظر

وايتهيد ضروري لحياة الإله. ويرى وايتهيد تبعاً لفلسفته أن كمال الإله شيء نسبي، فهو كامل بالمقارنة بخلقه، ولكنه لا يوجد كمال مطلق، لا في البشر ولا حتى في الإله. ويقول وايتهيد أن مشكلة المسيحية في الماضي أنها كانت ترى أن التغير والتطور شيء محال على الإله وتعتبره نقصاً، بينما في واقع الأمر أن التطور والتحسين والنمو حتى بالنسبة للإله يعتبر شيئاً مطلوباً. ويقول وايتهيد: إن الإله الذي ينمو ويتحسن في ذاته خير من الإله الراكد الخامل الساكن. إن إله وايتهيد يتطور وينمو ويكمل نفسه ولا يعد كاملاً إلا إذا قورن بمخلوقاته فقط[١].

يرى روبرت ميلرت[٢]: أن الشيء الذي أدى إلى تخبط النصارى وخروجهم بتلك الأفكار المتشعبة هو تعصب آباء الكنيسة الكاثوليكية وتمسكهم بالآراء القديمة ومحاربتهم للأفكار الجديدة، ورميهم لكل من يريهم حقيقة المسيحية بالكفر والزندقة. ولكن بالرغم من مجهودات آباء الكنيسة ودفاعهم عن معتقداتهم التقليدية، وحجرهم على آراء الناس، وادعائهم حيازة كل المعارف الدينية والدنيوية، فإن الكنيسة الكاثوليكية بالذات قد تعرضت لهزات عنيفة بعد خروج الناس على تعاليمها خاصة الطبقة المتعلمة، بل الطبقة التي تعلمت تعليماً دينيًا عالياً في المعاهد والجامعات التي أنشأتها تلك الكنائس لتخريج دفعات من المنصرين وآباء الكنائس. ولقد وجد آباء الكنائس أن الدارسين قد أكثروا من التساؤل والبحث عن الحلقة المفقودة في المسيحية. بل قد رمى بعض الطلبة آباء الكنائس بالجمود والتحجر، وعدم مواكبة العصر. ولذا فقد بدأ بعض آباء الكنائس في الدعوة لعقد المؤتمرات النصراينة لتطوير المسيحية وجعلها تواكب التطور الحضاري في القرن العشرين. وبناء على احتجاجات الطبقة المتعلمة وثورتها على آباء الكنيسة خاصة البابا الروماني فقد تم عقد مؤتمر الفاتيكان الثاني بروما عام ١٩٦٨م وذلك لإصلاح حال الكنيسة الكاثوليكية. ولقد تم بموجب ذلك المؤتمر الإعتراف بأن الكنيسة كمؤسسة دينية كبرى في حاجة للإصلاح الدائم والمستمر،

---

(١) انظر كتاب: What is Process Theology?: An Introduction to The Philosophy of Alfred North Whithead and How it is Becoming Applied to The Christian Thought Today, Robert Mellert, New York, U.S.A., 1975, pp. 39 - 130.

(٢) المرجع السابق.

وفي حاجة إلى التطور والتغير، لمواكبة العصور التي تمر بها. وأقر البابا بولس في هذا المؤتمر بأن أعضاء الكنيسة كانوا دائماً في تطور مستمر وصراع مع البيئات المختلفة التي عاشوا فيها، وأن آباء الكنيسة منذ القرون الأولى كانوا لا يتورعون من الإدلاء بآرائهم الشخصية فيما يتعلق بأمور الدين، وكانوا يحاولون جاهدين تطوير المسيحية لتساير وتواكب المجتمعات، ولكن في العصور الوسطى التي تعتبر عصور مظلمة بالنسبة لتاريخ المسيحية، توقف الإبداع والخلق والتطور. ثم أدلى أعضاء الفاتيكان أيضاً بآرائهم في ذلك المؤتمر، وقرروا بأن سبب جمود الكنيسة في العصور الوسطى، إنما يرجع إلى رفض آباء الكنيسة لتقبل نقد المعارضين بصدر رحب، ومحاربة كل صاحب رأي أو فكرة معارضة لهم ورميه بالهرطقة. وأقر أعضاء الفاتيكان بفساد مثل ذلك الأسلوب ونادوا بوجوب تطوير المسيحية لكي تساير روح العصر حتى تتمكن من الأستمرار والانتعاش واستقطاب المؤمنين. ولأول مرة في تاريخ المسيحية تتحدث الكنيسة في هذا المؤتمر عما يسمى بحقوق الإنسان. وبناء على قرارات هذا المؤتمر أيضاً حارب آباء الكنيسة تحديد النسل باعتبار أن الزواج سنة الإله لحفظ النوع البشري، وأيدت الكنيسة الزواج ونصحت به. ومن المعروف أن الزهد والعزوف عن الزواج كانا من الفضائل المحببة للقساوسة في القرون الأولى للمسيحية وما بعدها. ولقد فضّل كثير من آباء الكنائس الرهبانية والزهد في الحياة الزوجية، بل قال القديس أوغسطين في القرن الخامس الميلادي أن الزواج كان ضروريًا لحفظ النوع البشري قبل مجيء عيسى المسيح، ولكن بعد أن جاء عيسى جاءت نهاية العالم معه وعليه فلا ضرورة للزواج وإنجاب الأبناء[1].

الثورة النسائية في عالم الغرب:

لقد طالبت المرأة في عالم الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية بالمساواة بالرجل في كل شيء. وقد نالت بعض ما تشتهي، ومازالت تكافح من أجل استيفاء كل ما تعتبره حقًّا لها.

---

(١) انظر كتاب: Human Vita Encyclical of Pope Paul, 1968, U.S.
انظر أيضاً كتاب: Process Theology, PP. 89 - 98.

ومما لفت نظري وأدهشني مطالبة بعض النساء المثقفات في الولايات المتحدة، من أمثال البروفسيرات في كليات الأديان بأن يكون في الإله جزء من الأنوثة، لأن قول آباء الكنيسة منذ القدم وإلى اليوم أن الإله أب يشير إلى أنهم يعتبرون الإله مذكراً!! وهذا القول قد نشأ ـ في رأيهن ـ عن أنانية الرجل ومحاولته الإستئثار بكل شيء. فالمرأة في الغرب ترى أن يعاد النظر في هذا الموضوع للوصول إلى حل وسط يحفظ لكل من الجنسين حقه. فالرب أو الإله الأب ـ في رأيهن ـ يجب أن يكون حاوياً لعنصري الذكورة والأنوثة بقدر متوازن. وهذه هي المساواة المطلوبة في حق الجنسين كما يزعمن. أما بعضهن الآخر فقد بلغ بهن الشطط أن قلن أن الخالق يجب أن يكون أنثى لأن المرأة ـ في رأيهن ـ أقدر على رعاية مولودها من الرجل وذلك بما لديها من عواطف جياشة وحنان دافق. ولقد اقترحن أن يكون التعديل في أناجيلهم كما يلي: بدلاً من قولهم (الأب، الإبن، الروح القدس) يجب أن يقال: (الأم، الإبن، الروح القدس). كما أنهن يرين أن المسيحية ديانة جاءت لتقف مع المقهورين وتحارب الإستغلال. وبما أن الرجل في الديانة النصرانية هو المتسلط الذي يقهر النساء، فإن مثل هذا التغيير ـ بزعمهن ـ يدعم موقفهن ويقويه. ومن أعجب ما رأيت أن هؤلاء النسوة يعقدن الندوات، ويسيرن المظاهرات ويجتهدن غاية الإجتهاد لجذب أكبر عدد من النساء والرجال لتبني وجهة نظرهن. بل بلغت ببعضهن الحماسة لدرجة محاربة الدين المسيحي نفسه، ومحاولة خلق دين جديد ينصف المرأة.

ومن أعضاء تلك الحركة النسائية البروفسيرة ميري ديلي أستاذة اللاهوت بكلية بوسطن بالولايات المتحدة. لقد طالبت ميري ديلي المرأة المسيحية أن تفيق وتنهض وتنظر للديانة المسيحية نظرة متفحصة. وتتفاءل ميري ديلي بأن نهضة المرأة المسيحية ستحدث تغييراً كبيراً في الديانة المسيحية. بل إنها ستغيّر نظرة المسيحيين المعاصرين وفكرتهم عن الإله، تلك الفكرة الخاطئة التي ورثوها منذ قرون عديدة عن آبائهم وأجداهم. وتقول ميري ديلي: إن المسيحية نشأت في بيئة اليهود، لذا فإن تلك البيئة قد تركت تأثيراً كبيراً على تعاليم المسيحية حيث كان الرجل مسيطراً، ومازال مسيطراً حسب تقاليد الدين اليهودي، على كل شيء.

ونسبة لهذه السيطرة التاريخية في المجتمع اليهودي، والمجتمع المسيحي البدائي فإن المرأة في نظر ميري ديلي لم تجد أي فرصة للمشاركة في صياغة التعاليم الدينية بالقدر الذي يحفظ حقوقها. وتستشهد ميري ديلي على هذه التفرقة الدينية في عالم اليوم بصورة المسيح الإله ـ كما تقول ـ والذي قد صوره الرجال في صورة رجل مثلهم وليس فيه أي جانب يمكن أن يمثل النساء. ـ والمسيح كما جاء في جميع الأناجيل كان رجلاً، ونادى بأن أباه الإله أيضاً ذكرٌ مثله. وتقول ميري ديلي: إن كان الإله في ملكوته أباً فإنه من الطبيعي أن يأمر بأن يسيطر الرجل على المجتمع، وإنه من الطبيعي أن يفضل مثل هذا الإله جنساً على جنس آخر، وأن يجعل المرأة خاضعة للرجل. وتقول أيضاً: إن تحيّز الإله الأب للرجل واضح في المسيحية، ولا مجال لمداراته أو دسه حتى في أواخر القرن العشرين. وترى ميري ديلي أن الرجل قد وضع قيوداً كثيرة على المرأة وغلفها بغلاف الدين، وبالتالي أخضع المرأة له. ومن أجل تصحيح هذه الأفكار الخاطئة ترى ميري ديلي أنه على المرأة المسيحية المعاصرة أن تثور، وأن تطالب بحقوقها التي تتمثل في المساواة التامة بالرجل. وترى ديلي كذلك أن المرأة في القرن العشرين قد وصلت إلى قمة الوعي بحيث أبصرت الأخطاء التي تردّت فيها المسيحية، وعليه فلابد من تصحيحها. وترى ديلي أن المرأة الحديثة بنهضتها وإدراكها يمكن أن تساعد على تحرير عقل الرجل، وأن تجبره على تفهم هذه الحقائق وقبول الواقع الذي يتميز بالحرية والمساواة. وتقول ديلي: أن بعض الرجال بدأوا يتفهمون هذه الحقائق فعلاً حتى أنهم حاربوا الأفكار القديمة حرباً فعلية، وكونوا الجمعيات المؤيدة لحقوق المرأة كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية وغيرهما.

وترى ميري ديلي: أن تلك المفاهيم التي تدعو إلى قهر المرأة هي في حقيقتها مفاهيم خاطئة نسبت إلى الدين زوراً وبهتاناً، وأنها إنما أُدخلت في الديانة المسيحية في العصور الأولى من المسيحية، حيث سادت أنظمة القبيلة ونظام الأسرة الأبوية المعروفة. ولعل هذا النظام العشائري في رأي ميري ديلي، والذي يفرض سيطرة الأب المطلقة على جميع أفراد أسرته، هو الذي ساعد في تدعيم صورة الإله الأب في المسيحية بالشكل الذي نعرفه اليوم. وترى ميري ديلي أن

آباء الكنيسة قد تقمصوا هذا الدور الأبوي، وصاروا يتحكمون في أقدار الناس، ويعاقبون كل من تسوّل له نفسه الخروج على سلطان الكنيسة، زاعمين أنهم بذلك يرضون الإله ويمارسون سلطاته نيابة عنه.

وقد أبدت ميري ديلي أيضاً اعتراضها على المبدأ المسيحي المعروف والذي يزعم أن الإله عندما جاء لينقذ البشر، جاء متقمصاً صورة رجل، ولم يأت في صورة امرأة. وترى ميري ديلي أن الشيء الذي كان يتبادر إلى أذهان آباء الكنيسة، ومازال يسيطر على عقول أكثرهم إلى اليوم، هو أن الإله لم يرد أن يأت ويحل في امرأة، لأنها مخلوق أقل درجة من الرجل. وتقول كذلك: إنه ربما ظن هؤلاء أن الإله لم يرد أن يتقمص شخصية الجنس الدنيء، لذلك فإن الإله عندما قرر أن يتنزل عن عرشه ويعيش مع البشر فقد اختار المجيء في صورة رجل. وترى ميري ديلي أن صورة الإله الذكر في هذا القرن فقدت حيوتها لأن علماء اللاهوت المتطور جعلوا البشرية كلها جزءاً من الإله، وقالوا أن كل من يتوفى من البشر يعود إلى الفناء في ذات الإله، سواء كان ذلك الشخص رجلاً أو امرأة. وتستدل ميري ديلي بأن فناء جميع الأجناس من ذكور وإناث في ذات الإله بعد موتهم يدل بزعمها على أن الإله يحتوي على عنصري الذكورة والأنوثة بقدر متساو. وعليه فلا يصح بزعمها أن يعتبر الناس الإله كائناً مذكراً، كما كان عليه الحال لدى المسيحيين من قبل. وهذا القول يتوافق تماماً مع رأي زميلتها الأستاذة ميري بكير التي ادعت بأن الإله يجب أن يكون حاوياً للذكورة والأنوثة بقدر متساو أيضاً، وأنه يجب أن يطلق على الإله اسم الإله (الأم ـ الأب) Mother - Father لأن ذلك أقرب إلى طبيعته من إسمه السابق وهو الإله الأب.

وتقول ميري ديلي أن هناك أفكاراً خاطئة قد تسربت إلى المسيحية عبر العصور، منها القصة التي تجعل السيدة مريم تسجد لإبنها الوحيد وتعبده كإله لا لشيء إلا لكونها امرأة يجب أن تخضع للرجال حسب القانون العشائري الذي كان سائداً عندما كُتب الإنجيل. وترى ديلي أن تلك القصص وأمثالها تحتاج لمراجعة كثيرة لأن المستقبل يوحي بأن المسيحية ستأتي بمريم جديدة وعيسى آخر. كما تأمل ميري ديلي أن يأتي الإله مرة أخرى ويتقمص شخص امرأة ليغير تلك الصورة

الرديئة التي تبدو فيها المسيحية اليوم.

وتقول ميري ديلي تحت عنوان (ماذا وراء القناع؟): إن حركة تحرير المرأة حركة قوية وفعالة ويجب أن لا يستهان بها. وتقول إنها حركة تستطيع أن تقف في وجه كل من يعترض طريقها. وترى ديلي أن السلطات الدينية عزلت المرأة في الماضي وحرمتها عن ممارسة النشاط الديني. ولقد تركز هذا النشاط في أيدي الرجال طيلة القرون الماضية تحقيقاً لمصالح الرجال الذاتية دون أن يعطى أي اعتبار لوجود المرأة بجانب الرجل. ولكن العنصر النسائي ـ حسب رأي ديلي ـ قد أصبح يمثل الآن قوة كبيرة في المجتمع، وأن مستقبله مبشر بخير كثير. وتأمل ديلي أن يتمكن هذا العنصر من تحطيم أغلاله، وأن يشارك بجد وفاعلية في بناء المجتمع الذي يكفل كرامة المرأة وحريتها[1].

وتقول روز ميري لور أستاذة الفلسفة بكلية القديس جون بنيويورك: أنه بالرغم من وعد مؤتمر الفاتيكان الثاني بالوقوف مع المرأة ومساندة نهضتها الحديثة، واعتبار المرأة عضوا في المؤتمرات الدينية التي تقام، ورغم وقوف بعض القساوسة ومناداتهم بأن يفسح المجال للمرأة لكي تدخل في عضوية الفاتيكان، فإن تلك الوعود لم تكن إلا شعارات زائفة يستتر بها أعضاء الفاتيكان ويدرأون بها ممارساتهم المجحفة في حق المرأة.

وتحكي روز ميري لور قصة الصحافية التي حاولت الدخول إلى أحد مؤتمرات الفاتيكان للمشاركة فيما يدور فيه من نقاش، إلا أن أعضاء المؤتمر قد تصدوا لها وأخرجوها من قاعة المؤتمر، ولم يتورعوا عن استعمال العنف في إخراجها. وتعلق روز ميري لور على ذلك بقولها: إنه لا غرابة في أن يحدث مثل ذلك لأن المجتمع الغربي قد ورث عن آبائه وأجداده عادات وتقاليد معينة تدعو إلى تقديس الرجل وإلى ظلم المرأة والحط من شأنها، وهي ترى أن مثل هذه العادات قد خيمت على عقول كثير من الناس بحيث لا يمكن القضاء عليها بسهولة. وترى روز ميري أن المسيحية ورثت تلك العادة السيئة المتمثلة في قهر المرأة واضطهادها عن اليهودية. فاليهود كانوا يعاملون المرأة بقسوة، فهي لم تكن

---

(١) انظر: The Commenweal: A Monthly Newspaper, March 12, 1971 PP. 7 - 11.

تحضر الصلوات، أو الإجتماعات الدينية، بل كانت تقبع بالمنزل خاضعة للرجل.
وترى روز ميري أن آباء الكنيسة قد استقوا كثيراً من أفكارهم عن أحبار اليهود، وما فتئوا يوبخون المرأة قائلين: (بالمرأة بدأت الخطيئة، ومن أجل المرأة ورثنا الذنب والموت) وهم يشيرون بذلك إلى الخطيئة الأولى التي وقع فيها آدم أبو البشر، زاعمين أن حواء هي التي أغوته وأضلته وسولت له ارتكاب تلك المعصية. وتشير روز ميري أيضاً إلى قصة أخرى وردت في الأناجيل السنوبتيكية من أن امرأة زنت فجيء بها لتمثل أمام المسيح لمعاقبتها، ولكن القصة أغفلت أي ذكر للرجل الذي ارتكب معها جريمة الزنا، ولم يهتم أحد بمعاقبته على ما ارتكب، بل وقع اللوم كله على المرأة. وترى روز ميري أن في ذلك تفرقة ظاهرة ضد النساء، وهي ناتجة من تأثير اليهود على الديانة المسيحية، حيث كانت الشريعة اليهودية تفرض عقوبات صارمة على الزانية أشد وأنكى من العقوبات التي تفرضها على الزاني. وتشير روز ميري أيضاً أن الأناجيل قد ذكرت أنه من الواجب على المرأة أن لا تخون زوجها، وشددت على ذلك أكثر من تشديدها على الرجل فيما يختص بخيانته لزوجته. وتقول روز ميري أن في هذا أيضاً تفرقة ضد المرأة. وترى أن السبب في ذلك هو إيمان آباء الكنيسة بكثير من التقاليد القديمة التي تدعم سلطان الرجل على حساب المرأة. وتستشهد روز ميري أيضاً بأن المحكمة العليا في إيطاليا المسيحية قد أصدرت حكماً تشدد فيه العقوبة على الزانية، بل تفرض عليها عقوبات قاسية، أقسى من العقوبات التي تفرضها على الزاني. وتقول روز ميري: إن تلك القصة قد ذكّرتها بأفكار القديس بونا فينشر Bonaventure الذي عاش في القرن الثالث عشر والذي كان يقول: (إن المرأة أفعى)، وكان دائماً يحذر أبناء جنسه قائلاً لهم: يجب أن لا تتحدثوا إلى النساء إلا إذا اضطررتم إلى ذلك. ولا تنظروا إلى وجوه النساء أبداً. وإن تحدثت إليك امرأة فاجبرها على السكوت بالإنصراف عنها بقدر الإمكان، وذلك إذا لم تستطع أن تخبرها صراحة بأن تكف عن الكلام. وبعد ثلاثمائة سنة من مقالة بونا فينشر كتب أحد القساوسة ويدعى روبرت بلارمين ـ كما تروي روز ميري ـ مقالاً ذكر فيه: أنه توجد هناك ثلاث طبقات من البشر لا يمتلكون الوعي الديني الكافي، ولا يستطيعون أن يرقوا إلى مستوى الروحانيات وهم: أبناء الريف، والمتخلفون عقليًا، والنساء.

وترى روز ميري أن المسيحية أخذت بعضاً من الأفكار العدائية ضد المرأة من فلاسفة الإغريق والرومان القدامى أيضاً، خاصة المعلم أرسطو الذي كان يرى أن المرأة مخلوق غير كامل الخلقة. ولقد جاء القديس توماس الأكويني في القرن الثالث عشر وقال: أن الرجل هو الغاية التي تتوق المرأة للوصول إليها، وأن المرأة خلقت من أجل الرجل. ولكن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، ولذلك فهو يتوق إلى أشياء أخرى لا تحلم بها المرأة.

وفي ختام مقالها ترى روز ميري أن الحركة النسائية الحاضرة تسير ببطء، ومع هذا فهي تتنبأ بأن الثورة النسائية بفضل حماسة كثيرات من النساء سوف تأتي بنتائج باهرة في القريب العاجل[١].

ولقد أثرت تلك الثورة النسائية فعلاً في الديانة المسيحية كما توقعت ميري ديلي، وروز ميري لور، وعقد مؤتمر في الولايات المتحدة للنظر في تلك القضية، واستجاب كثير من آباء الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية للثورة النسائية، وقرروا تغيير بعض العبارات الواردة في الأناجيل بما يتمشى ورغبة هؤلاء النساء.

ولقد ورد في مجلة النيوزويك Newsweek الأمريكية ما ترجمته: (..لقد خلق الرجل الكتاب المقدس بما يوافق هواه وجعل الإلهين، الأب والإبن، على صورته هو. وفي الأسبوع الماضي اجتمعت لجنة منبثقة عن المجلس القومي للكنائس بالولايات المتحدة الأمريكية لتضع حدًّا لمملكة الرجال في الكتاب المقدس. وتمخض هذا الإجتماع عن إصدار نسخة تجريبية جديدة للإنجيل لا تحتوي على العبارات المعهودة في الأناجيل والتي كانت تمجّد جنس الرجل، وتشير إلى الذات الإلهية بعبارات وأوصاف تدل على الذكورة.. وتحتوي هذه النسخة الجديدة من الإنجيل على تغييرات أخرى تساير مقتضى التغيرات الإجتماعية المعاصرة بالولايات المتحدة. ولقد ورد في هذه النسخة الجديدة استبدال بعض العبارات القديمة بعبارات مستحدثة مثل: استبدال العبارة القديمة

---

(١) انظر: The Commonweal, December 20 1968, PP. 365 - 368.

التي تقول: (في البداية خلق الله الرجل) بعبارة (وفي البداية خلق الله الإنسان)، واستبدلت عبارة: (إن أبانا هو إبراهيم) بعبارة: (إن أبانا هو إبراهيم وأمهاتنا هن سارة وهاجر) واستبدلت كلمة (إخواني) في كل موضع بكلمة (قومي).. وهكذا[١].

ثورة الزنوج بالولايات المتحدة الأمريكية:

لقد انبثقت عن تلك الثورة النسائية ثورة أخرى من فئة أخرى مهضومة الحقوق ومضطهدة وسط المجتمع الأمريكي، وهذه الفئة هي فئة الزنوج الأمريكان. وقد نشطت حركة الزنوج أثر اضطهاد الرجل الأبيض لأخيه الأسود واعتباره أقل منه مرتبة بل أقل ذكاء وإنسانية. ولقد وصل نشاط الزنوج وكفاحهم إلى الثورة على الكنائس الخاصة بالبيض وانتقدوهم في تصويرهم المسيح في صورة رجل أبيض. وزعم الزنوج أن تلك الصورة للإله نتجت عن التفرقة العنصرية. وقال الزنوج أن عيسى كان رجلاً شرقيًا أسمراً ولم يكن رجلاً من البيض على الإطلاق. ويقول الزنوج أيضاً أن المسيحية تدعي بأنها دين الفقراء ومهضومي الحقوق، ولذا فقد طالب بعض الزنوج في ثورتهم بإصلاح حال المؤسسات الدينية والإجتماعية حتى يمكن إنصاف الزنوج والفقراء والمضطهدين من أبناء الشعب الأمريكي. وتحقيقاً لهذه المساواة التي ينادي بها الزنوج فإنهم قد طالبوا بتصحيح مفاهيم الناس حول الرب، وإعادة صياغة صورته في شكل إنسان ملون، وهي الصورة الحقيقية لابن الرب كما ادعى هؤلاء الزنوج.

هذا المطلب متوقع وسط مجتمع يمارس التفرقة العنصرية في أسوأ صورها، فقد حضرت محاضرة للبروفسير آرثر جونسون أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، حيث تحدث فيها عن الوراثة والبيئة قائلاً: إن اختبارات الذكاء أثبتت أن الرجل الأبيض يفوق الرجل الأسود بخمسة عشر درجة من درجات معدل الذكاء. وبما أن عامل الوراثة يشكل ثمانين بالمائة من مكونات الإنسان العقلية وعامل البيئة يشكل عشرين بالمائة فقط، ففي هذا دليل ـ حسب رأي

---

(١) انظر: Newsweek, October, 24, 1982, P. 49.

البروفسير ـ على أن الوراثة لها دور كبير في تخلف الرجل الأسود. واستشهد البروفسير بآراء علماء آخرين منهم دكسون الذي قال: إن أبحاثه قد أثبتت له أن قطرة واحدة من الدم الزنجي تؤثر في النسل، فهي تغلظ الشفاه، وتسطح الأنف، وتطفىء جذوة الذكاء في الإنسان لتوقد مكانها نيران الغباء والبهيمية الناتجة عن الأصل الزنجي.

ويستشهد آرثر جونسون برأي عالم نفسي آخر يقول: إنه من الطبيعي أن نعتبر الرجل الأبيض أعلى مرتبة من الرجل الأسود، لأن نتائج اختبارات الذكاء أثبتت أيضاً أن الرجل الأسود متخلف عن الرجل الأبيض بما يقارب ٢٠٠٠ سنة. ولقد ادعى هذا العالم الأخير أن هناك تمايزاً طبيعيًا بين الجنسين.

كما استدل آرثر جونسون أيضاً برأي عالم النفس الأمريكي المعروف جونسون الذي يرى أن مهارة الرجل الأبيض ومقدرته العلمية أعلى من مهارة ومقدرة الرجل الأسود. كما أن اختبارات الذكاء ـ حسب ما يدّعي ـ قد أثبتت أن ذكاء الطفل الأسود الذي يبلغ عشر سنوات من العمر يتقارب مع ذكاء الطفل الأبيض الذي يبلغ ثماني سنوات من العمر.

ولقد تجاهل العالم آرثر جونسون وأمثاله بالطبع الحقائق التي تشير إلى أن الطبقة التي ينتمي إليها الجنس الأسود في المجتمع الأمريكي، هي الطبقة التي تعاني الفقر والجوع والمرض، وتلقى نصيباً ضئيلاً من العناية الصحية والتعليم، زيادة على ضغط المجتمع الأبيض عليها آناء الليل وأطراف النهار.

يقول عالم اللاهوت والقس الزنجي جيمس كون James H. Cone ما ترجمته: .. أن الرجل الأسود في الولايات المتحدة الأمريكية عاش حياة الرق، والذل لفترة طويلة، وهو اليوم يعاني من عدم توفر العدالة الإجتماعية لحمايته من ظلم الرجل الأبيض. بل أن القوى السياسية أدخلت الرعب في قلوب السود وأخضعتهم، وأسكتتهم عن المطالبة بحقوقهم فاستسلموا في يأس تام منتظرين مجيء العدالة عند ظهور المسيح مرة أخرى.

يقول كون: أن المسيح لم يكن رجلاً أبيضاً، وأن الإله عندما تقمص شخص إنسان لم يحل في رجل أبيض، ولكن الرجل الأبيض كعادته يحاول إخفاء

تلك الحقيقة عن أعين الناس لكي يتصرف في كل موارد الأرض حسب هواه، ولكي يستعبد الآخرين. ويقول كون أيضاً: إنه يجب أن يفيق هؤلاء البيض من غفلتهم، وينظروا لعيسى بعين الحكمة والعقل. إن عيسى رجل شرقي أسمر. ويدّعي كون أن تلك الحقيقة اكتشفتها الكنائس الخاصة بالسود في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات من هذا القرن عندما بدأ الزنوج ثورتهم المشهورة من أجل الحقوق المدنية. ومنذ ذلك التاريخ صارت للمسيح في المجتمع الأمريكي صورتان مختلفتان تمام الإختلاف، فالذي يدخل الكنائس الخاصة بالسود يجد المسيح مصوّراً في صورة رجل أسود، وعند دخوله الكنائس الخاصة بالبيض يجد المسيح مصوراً في صورة رجل أبيض.

ويرى كون أن الرجل الأبيض يعتبر نداءات الرجل الأسود ناتجة عن شعوره بعدم الأمن، ويعد نداءاته وصرخاته لتوجيه المسيحية وجهتها الصحيحة، نوعاً من الهرطقة التي ستنتهي بعد قليل. لكن كون يدعي أن الرجل الأسود قد توصل إلى حقيقة الإله بعد دراسة شاملة لآثار عيسى وثقافة عصره. ويرى كون كذلك أن انتقال المسيحية من الشرق الأوسط إلى دول الغرب، هي التي غيّرت المسيحية وشوهتها كي تتمشى مع مزاج الرجل الأبيض وأهوائه.

ويقول كون: أن سيطرة الرجل الأبيض، وتحريفه للدين واستغلاله للآخرين باسم الدين هي التي دعت ماركس للخروج على المسيحية واعتبارها أفيون الشعوب. ويرى كون أن ماركس كان محقًا في قوله بأن الدين هو السلاح الذي يملكه الإستغلاليون للسيطرة على الآخرين. ثم يقول كون: لو كانت المسيحية تسير مسارها الطبيعي لما تجرأ ماركس وأمثاله للخروج عليها. ويقول كون: إن ماركس لم يخرج بتلك الآراء والأفكار العدوانية على الأديان إلا بعد أن عايش المسيحية ودرسها دراسة متعمقة[١].

لقد رأينا في هذا الباب صوراً من تخبط النصارى وضلالهم، وارتباكهم حول الأسس والدعائم التي ترتكز عليها عقيدتهم، من ذلك أنهم بدأوا الخروج

---

(١) انظر كتاب: The God of the Oppressed, James H. Cone, a Crossroad Book, the Seabury Press, New York, 1975, PP. 132 - 137.

على تعاليم الكنائس عندما بدأت تباشير النهضة العلمية بأوربا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. واستمر الصراع بين الدين والعلم يشتد إلى أن استطاع العلماء أن يتوجوا انتصاراتهم على الكنيسة الكاثوليكية بأوربا، تحت شعارات ما يسمى بعصر العقلانية والتنوير. ولقد دأبت الكنيسة على محاربة هؤلاء العلماء وتعذيبهم وحرقهم لأنهم قد خرجوا في تصورها على تعاليم الإله. ورأينا كيف أن هذه الإجراءات قد خلقت عداء مستفحلاً بين الدين والعلم مما حدا بكثير من العلماء أن يخرجوا على سلطان الكنيسة وأن يصيروا ملاحدة في آخر الأمر.

ولكن الضغوط التي مورست على الكنيسة الكاثوليكية خاصة، جعلتها تعيد النظر في بعض مواقفها من العلم والعلماء، ومن مظاهر النهضة الصناعية والتقدم الإجتماعي والسياسي الذي ساد العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين، خاصة وأن علماء الدين بدأوا يبحثون مع غيرهم في مواضيع دينية كانت محرمة عليهم فيما سبق. ولقد تناولت أبحاث هؤلاء العلماء كثيراً من القضايا الحساسة كقضية البحث عن عيسى التاريخي، وعن حياته، وعن صلته بالمسيح الذي زعم آباء الكنيسة بأنه إله، وعن كتاب الأناجيل وسيرهم، والبحث عن التاريخ الذي دونت فيه هذه الأناجيل، وكيف؟ وأين؟ وأثناء ذلك كانت تثار أسئلة كثيرة ومحرجة تدور حول مبادىء المسيحية وأسسها. ولقد اشتط بعض العلماء في ذلك حتى أنهم قد أنكروا وجود عيسى المسيح نفسه، واتهموا رجال الدين المسيحي بأنهم قاموا بخلق تلك الشخصية الأسطورية لتدعيم أسس سلطانهم. وأمام كل هذه الضغوط لم يجد رجال الدين المسيحي وأصحاب الكنائس بدًّا من تقديم التنازلات تلو التنازلات من أجل إرضاء العامة الذين ما فتئوا ينفصلون عن الكنائس ويتشككون في المسيحية ويكفرون بها. ومن صور التراجع المضحكة التي نراها عندهم، ما عمد إليه البابوات مؤخراً من إعادة كتابة الإنجيل كي يتوافق مع الأفكار المعاصرة، ومن تغيير لكثير من معتقداتهم التاريخية التي تعصبوا لها، وتمسكوا بها القرون الطوال. ومن أمثال ذلك إدخال عنصر الأنوثة في تركيب الثالوث. فبعد أن كانوا ينادون الإله (بالأب والإبن والروح القدس) أصبحوا ينادونه اليوم (بالأب ـ الأم، والإبن، والروح القدس) وذلك استجابة للضغوط التي واجهوها من حركات تحرير المرأة في الولايات المتحدة التي زعمت أن

الثالوث يمثل سطوة الرجل، ولا يحتوي على أي عنصر يؤكد حق المرأة في المساواة بالرجل.

الباب الرابع

في جمع السنة النبوية الشريفة

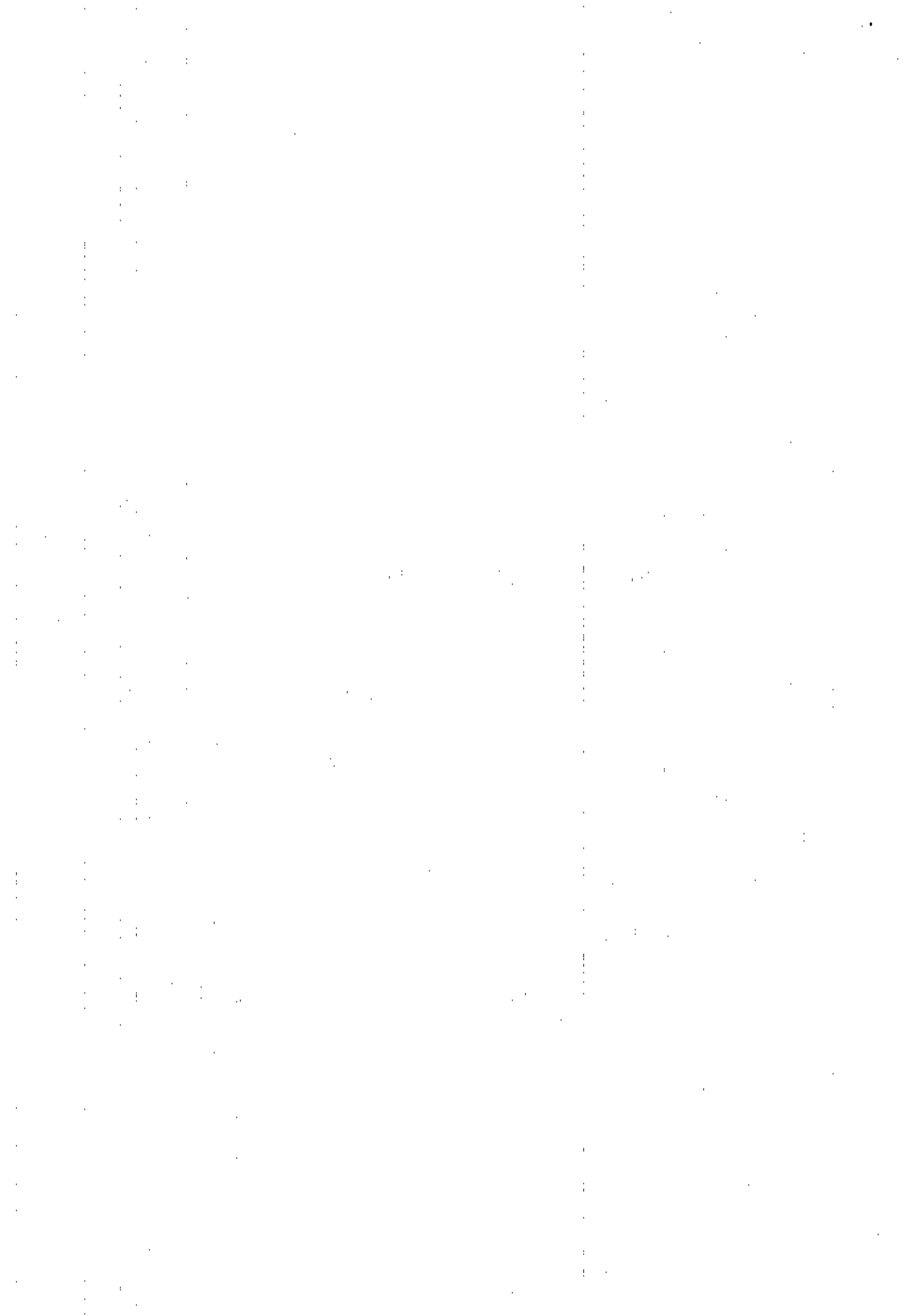
ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالسنة وأهميتها في الإسلام.

الفصل الثاني: حفظ ورواية وكتابة السنة منذ عهد النبي ﷺ وإلى عصر أتباع التابعين.

الفصل الثالث: العناية بسند ومتن السنة الشريفة.

الفصل الرابع: في الأحاديث الموضوعة.



الفصل الأول

في التعريف بالسنة النبوية الشريفة وأهميتها

ويتضمن تمهيداً وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في تعريف السنة النبوية الشريفة.

المبحث الثاني: في أقسام السنة النبوية الشريفة.

المبحث الثالث: أهمية السنة النبوية الشريفة.

جمع السّنة النبوية الشريفة

تمهيد:

رأينا في الأبواب السابقة الهجوم الذي شنه المنصرون على السّنة النبوية الشريفة لأنها في نظرهم ضعيفة المتن والسند، وعليه فلا يمكن نسبتها لرسول الله ﷺ. كما رأينا في الباب الأول صوراً من الاتهامات التي وجهها المستشرقون وأشباههم للسنة النبوية الشريفة. ولقد قمنا في الباب الثاني بالنظر في طرق جمع الأناجيل وتحقيقها خاصة من ناحيتي المتن والسند. ورأينا كيف تضاربت الأقوال واختلطت وتناقضت في جمع الأناجيل وتحقيقها. كما رأينا في الباب السابق صوراً من تخبط النصارى وضلالهم وتشويههم للدين المسيحي وتحريفهم له وتزوير نصوصه باسم التطور ومجاراة البيئة. كما رأينا كيف اختلقوا الأسباب والأعذار لكي يداروا ضعف المتن والسند في الأناجيل. كما رأينا اعتراف بعض عقلائهم صراحة بعدم ثبوت نسبة معظم الروايات التي وردت في أناجيلهم للسيد المسيح عليه السلام.

وبالرغم من اعتراف علماء الدين المسيحي بضياع إنجيل السيد المسيح الأصلي وفقدانه إلا أنهم لم يثوبوا إلى رشدهم، ولم يعودوا إلى جادة الصواب، بل استمروا في مكابرتهم وتمادوا في غيهم وادعائهم الزائف بمعقولية الأقوال التي ورثوها عن آبائهم، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا ينشرون أباطيلهم هذه بين الناس، ويتهجمون على الملل الأخرى خاصة الإسلام الحنيف، من ذلك أنهم بدأوا يتهمون المسلمين بالجمود والتحجر وعدم مواكبة العصر، وعدم النظر في أمور دينهم بعين ناقدة وذلك لإغواء المسلمين وحثهم على تحريف دينهم باسم التطور أيضاً كما فعلوا هم من قبل. ويظهر ذلك بوضوح في هجومهم على السّنة النبوية الشريفة، ومحاولة التقليل من شأنها والإساءة إلى محمد رسول الله ﷺ. ونحن في هذا الباب إن شاءالله نريد التعريف بالسنة النبوية الشريفة، وتوضيح مكانتها في التشريع الإسلامي لنبين مدى حرص المسلمين على تدوين السنة والاحتفاء بها وحفظها تماماً كما جاءت عن الرسول ﷺ وذلك تمهيداً للمقارنة بين أساليب

النصارى في جمع أناجيلهم وأساليب المسلمين في جمع السنة النبوية الشريفة. وعند ذلك بإذن الله نستطيع أن نحكم أي الفريقين قد ضل وغوى وأيهما قد أفلح وأنجح في صيانة آثار عقيدته، وأيهما كان ومايزال على هدى من ربه.

وسوف يشتمل هذا الباب بإذن الله على عدة موضوعات هي:
التعريف بالسنة النبوية الشريفة، حفظ ورواية وكتابة السنة في عهد النبي ﷺ، حفظ ورواية وكتابة السنة في عهد الصحابة والتابعين، حفظ وكتابة السنة في عهد أتباع أتباع التابعين.

ثم نتحدث عن العناية بسند ومتن الحديث آخذين في الاعتبار المعايير والأسس التي اتبعها العلماء في تصنيف الحديث إلى مراتبه المختلفة، والأسس التي تم بموجبها قبول الحديث أو رده. وبعد هذا سنتحدث بإذن الله عن الحديث الموضوع ثم نتبع ذلك بإيراد بعض الأحاديث الموضوعة والأسباب التي أدت إلى وضعها وانتشارها بين الناس.

المبحث الأول: التعريف بالسنة ومكانتها في الإسلام:

السّنة في اللغة هي الطريقة المسلوكة والمعتادة في الحياة[١]. وفي الاصطلاح هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

أما الحديث فهو في اللغة الكلام الذي يتحدث به وينقل بالصوت أو الكتابة[٢]. وهو في الاصطلاح مرادف للسنة عند جمهور العلماء. وذهب قوم إلى اختصاصه بما يصدر عن النبي ﷺ من قول دون الفعل والتقرير. والحق أن الأصل في الوضع اللغوي للسنة هو الفعل والتقرير، والأصل في الحديث هو القول. ولكن بما أن كليهما هنا يرجع إلى ما صدر عن النبي ﷺ فلذلك مال أكثر المحدثين والأصوليين إلى تناسي أصليهما اللغوي والإصطلاح بهما على شيء واحد والقول إنهما مترادفان[٣].

---

(١) لسان العرب ٢/ ٢٢١.

(٢) لسان العرب ١/ ٥٨٢.

(٣) انظر كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٤٩.

وقد استُعملت كلمة السنة والسنن في القرآن الكريم ستة عشر مرة. وهي وردت لتفيد طريقة الحياة أو الحكم أو السلوك، منها قوله تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[4].

أما كلمة حديث فقد وردت ثلاثاً وعشرين مرة لتعني القرآن والسنة وغيرهما. ونسوق بعض الأمثلة للآيات التي وردت لتعني بالحديث كلام الله وكلام رسول الله ﷺ وهي:

قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾[8].

والحديث النبوي الشريف وحيٌ من عند الله سبحانه وتعالى، وهو من الذكر

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٢.
(٢) سورة الكهف: ٥٥.
(٣) سورة الإسراء: ٧٧.
(٤) سورة آل عمران: ١٣٧.
(٥) سورة الزمر: ٢٣.
(٦) سورة القلم: ٤٤.
(٧) سورة الأنعام: ٦٨.
(٨) سورة التحريم: ٣.

الذي وعد الله بحفظه **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[1].

وقد ساق ابن حزم في كتابه (الأحكام في أصول الأحكام) أدلة قوية للتدليل على أن السنة من الذكر[2].

وقد وردت أحاديث تدل على نزول الوحي بالسنة على النبي ﷺ كنزوله بالقرآن تماماً، نذكر منها مجيء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورة إنسان لتعليم المسلمين أمور دينهم. فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث**. قال: وما الإسلام؟ قال: **الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**. قال: ما الإحسان؟ قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**. قال: متى الساعة؟ قال: **ما المسئول بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها:**

إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبي ﷺ **﴿إن الله عنده علم الساعة﴾** ثم أدبر. فقال ردوه. فلم يروا شيئاً. فقال: **هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**[3].

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) انظر كتاب الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، طبعة الخانجي بالقاهرة ١٣٤٥هـ/ ١٠٩ ـ ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة ١/ ١٩٢ (من الكرماني).
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب إمارات الساعة عن طريق أبي خيثمة زهير بن حرب ١/ ١٢٨ ـ ١٣٥ بلفظه وفيه زيادات في أول الحديث قدم السؤال عن الإسلام على السؤال عن الإيمان وفيه (يا محمد أخبرني عن الإسلام) وفيه (فقال رسول الله ﷺ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وفيه (وتؤتي) بدل (تؤدي) وليس فيه (المفروضة) وفيه (وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) وفيه (قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه) وفيه بعدها (فأخبرني عن الإيمان) ليس فيه (الإيمان الأول) أبدل (بلقائه/ب (وبكتبه) وفيه (واليوم الآخر) بدل (وتؤمن بالبعث) وبعدها فيه (وتؤمن بالقدر خيره وشره =

= قال: صدقت) وفيه (ربها) وفيه (أن نرى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون) قبل (في البنيان) ليس فيه الآية وفيه (ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

وفي نفس الكتاب باب تعريف الإيمان ١/ ١٣٧ ـ ١٣٩ من طريق أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب بلفظه وفيه (يوماً) قبل (بارزاً) وفيه (يا رسول الله) قبل كل من (ما الإيمان) و(ما الإسلام) وفيه (وكتابه) قبل (ولقائه) وفيه (الآخر) بعد (البعث) وفيه (الصلاة المكتوبة، وزاد (يا رسول الله) قبل (ما الإحسان) وفيه (فإنك إن لن تراه) وفيه (يا رسول الله متى الساعة) وفيه بعد (ربها) (وذلك من أشراطها، وفيه، رعاء البهم فذاك من أشراطها) وفيه (قال) قبل (أدبر الرجل). ليس فيه (قال ردوه) وفيه (فأخذوه ليردوه) وفيه بعد (فقال، (رسول الله ﷺ) وأدخل (اللام على (يعلم).

وفي نفس الكتاب باب الكلام في القدر عن طريق محمد بن عبيد العنبري، وأبو كامل الجحدري، وأحمد بن عبده/ ١٣٦ نحوه. وفي نفس الكتاب والصفحة عن طريق محمد بن حاتم نحوه وفي نفس الكتاب والباب/ ١٣٦ ـ ١٣٧ من طريق حجاج بن الشاعر نحوه.

وفي نفس الكتاب باب تعريف الإسلام عن طريق محمد بن عبدالله بلفظه وفيه إذا ولدت الأمة بعلها وفي كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام ١٣٩ ـ ١٤٠ عن طريق زهير بن حرب بلفظه مع زيادات في أول الحديث وفيه السؤال عن الإسلام أولاً وفيه (يا رسول الله ما الإسلام). وفيه (قال ولا تشرك بالله شيئاً) وفيه (وتؤتي الزكاة) وليس فيه (المفروضة) وفيه (قال صدقت) وفيه (يا رسول الله ما الإيمان) وفيه (وكتابه) وقبل (ولقائه) وفيه (وتؤمن بالقدر كله قال: صدقت) بعد (البعث) وفيه (يا رسول الله ما الإحسان) وفيه (أن تخشى الله بدل أن تعبد الله) وفيه (لا تكن) بدل (لم تكن) وبعدها زاد (قال صدقت) وفيه (متى تقوم) وفيه (وسأحدثك) وفيه (إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها) وفيه (من الغيب) بعد (خمس) وفيه ثم قرأ. وفيه (ثم قام الرجل) بدل (أدبر) وفيه بعد (فقال) رسول الله ﷺ) وفيه (علي) بعد (ردوه) وفيه (فالتمس فلم يجدوه فقال رسول الله ﷺ هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا).

وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام ٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٩ عن طريق أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي مع زيادات في أوله. وليس فيه من (كان إلى فأتاه رجل) وفيه (يا محمد) قبل (ما الإيمان) وليس فيه (الإيمان وفيه (وكتبه) بدل (ولقائه) وفيه (واليوم الآخر والقدر خيره وشره) وفيه (الواو) بدل (اللام) في (ما) وفيه (شهادة أن

= لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) وفيه (أقام) و(إيتاء) وليس فيه (المفروضة). وفيه (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) وفيه (أقام) و(إيتاء) وليس فيه (المفروضة). وفيه (وصوم) وفيه (القاء) بدل (الواو) في (ما الإحسان) وفيه بعد (يراك) (في كل ذلك يقول له صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه) وفيه (الفاء) على (متى) وفيه (عنها) بعد (المسئول) وفيه (قال فما أمارتها. وفيه (أن تلد) وفيه (ربتها وأن ترى الحفاة العراة العاله) وفيه (الشاة) بدل (الإبل) وليس فيه البهم وفيه (يتطاولون) ولم يذكر الآية بل فيه (قال عمر فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال: يا عمر هل تدري من السائل؟ ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم).. (من تحفة الأحوذي).

أخرجه النسائي في كتاب الإيمان باب صفحة الإيمان والإسلام ٨/ ٩٠، ٩١ من طريق محمد بن قدامة بلفظه: مع زيادات في أول الحديث وليس فيه (كان إلى رجل) بل فيه (أقبل رجل..) وفيه السؤال عن الإسلام أولاً وفيه (قال يا محمد أخبرني من الإسلام؟) وفيه (شيئاً) بعد (تشرك به) وفيه (وتؤتي) وليس فيه (المفروضة) وبعدها زاد (وتحج البيت) وزاد فيه (قال إذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله ﷺ نعم. قال: صدقت. فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه) وفيه (يا محمد أخبرني ما الإيمان) ليس فيه (أن تؤمن) وفيه (والكتاب والنبيين وتؤمن بالقدر) بدل (تؤمن بالبعث) وفيه (قال فإذا فعلت إلى قوله: صدقت) وفيه (قال: يا محمد أخبرني) وفيه زيادات قبل (ما المسئول) وفيه (لكن لها علامات تعرف بها) وقدم (إذا رأيت الرعاة البهم) عن (ورأيت المرا تلد ربها) وليس فيه (في) قبل (خمس) مع زيادات في آخر الحديث وليس فيه من (ثم أدبر إلى دينهم).

أخرجه أحمد بن حنبل ٢/ ٤٢٦ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (يا رسول الله) قبل (ما الإيمان) وفيه (وكتابه) قبل (ولقائه) وزاد بعد (رسله) (ألا تشرك به شيئاً) وزاد بعدها (وتقيم الصلاة المكتوبة وتصوم رمضان) وليس فيه ما الإسلام بل فيه (ما الإحسان) وفيه (فإنك أن لا تراه) وفيه (يا رسول الله) قبل (متى الساعة) وفيه (سأحدثك) وفيه بعد (ربها فذاك من أشراطه) وأيضاً فيه (إذا كان العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها). وليس فيه (الإبل) وزاد بعد (البهم فذاك من أشراطها) وفيه (النبي) بدل (رسول) وفيه (الرجل) بعد (أدبر) وفيه بعد (فقال) رسول الله ﷺ ردوا علي الرجل فأخذوا ليردوه) وفيه بعد جبريل (عليه السلام) وفيه اللام قبل الياء في (يعلم).

١/ ٢٧ من طريق عبدالله بلفظه وفيه زيادات في أول الحديث وفيه السؤال عن الإسلام أولاً وفيه (وفي الشهادتين) وفيه بعد (وملائكته) (والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر

ومنها مجيء الوحي للنبي ﷺ بالسنة مثل مجيئه بالقرآن في صورة غير مرئية حيث كانت تظهر على النبي ﷺ الإمارات الدالة على نزول الوحي في كلا الحالتين. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون نزول الوحي عليه ﷺ بأمارات تدلهم على ذلك. من أمثلة ذلك ما جاء في صحيح البخاري من حديث صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليه أثر الخلوق أو قال صفرة وقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي. فأنزل الله على النبي ﷺ فستر بثوب، ووددت أني قد رأيت النبي ﷺ وقد أنزل الله عليه الوحي فقال عمر: تعال أيسرّك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله عليه الوحي؟ قلت: نعم. فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط أحسبه قال: كغطيط البكر، فلما سرى عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلوق عنك وأنق الصفرة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك[1].

= كله) وفيه (أن تعمل لله كأنك تراه) وفيه (ومتى الساعة) وفيه (إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشاة تطاولوا) وبعدها (وولدت الإماء رباتهن) وفيه (فمكث يومين أو ثلاثة ثم قال يابن الخطاب أتدري من السائل عن كذا وكذا؟ قال الله ورسوله أعلم. قال: ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم.. مع زيادات في آخر الحديث.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العمرة باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ٢/ ٢٠٢ وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب ما يباح لبسه للمحرم بحج أو عمرة ٣/ ٢٤٩، ٢٥٠ من طريق شيبان بن فروخ بلفظه وفيه (جاء رجل) وفيه (وعليها خلوق) وفيها (أثر) قبل (صفرة) وفيه (وأنزل على النبي الوحي) وفيه (الواو) بدل (الفاء) في (ستر) وفيه (وكان يعلى يقول) قبل (وددت) وأبدل (قد رأيت) بـ (إني أرى) وفيه قدم (اغسل عنك أثر الصفرة) عن (اخلع عنك..) وأبدل (وانق) بـ (اغسل عنك أثر) وأبدل (كما تصنع) بـ (ما أنت صانع).
وأخرجه في نفس الكتاب والباب/ ٢٥١، ٢٥٢ من طريق زهير بن حرب بلفظه وفيه أن أبا يعلى كان يقول لعمر ليتني أرى نبي الله ﷺ حين ينزل عليه فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة وعلى النبي ﷺ ثوب قد أظل معه ناس من أصحابه منهم عمر) وفيه (إذ جاءه رجل) وفيه (صوف) بعد (جبة) وفيه (متضمخ بطيب) بدل (أثر الخلوق) وفيه (فنظر إليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت) وفيه (فجاء الوحي فأشار عمر بيده إلى يعلى) قبل (تعال) وليس فيه من =

= يسرك إلى البكر) وفيه (فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط ساعة) وفيه (ثم) بدل (فلما) وفيه (أين الذي سألني) وفيه بعد (العمرة) (آنفاً) وفيه (انزع عنك الجبة) وفيه (الذي بك) بدل (عنك) وليس فيه (واتق الصفرة).
وأخرجه مسلم في نفس الكتاب باب مواقيت الحج/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ من طريق إسحاق بن منصور بلفظه وفيه في أول الحديث: (كنا مع رسول الله ﷺ) وليس فيه (بالجعرانة) وفيه (بها أثر من خلوق) وليس فيه (أو قال صفرة) وفيه (فقال يا رسول الله إني أحرمت بعمرة فكيف أفعل فسكت عنه فلم يرجع إليه) وفيه (وكان عمر يستره إذا أنزل عليه الوحي ليظله) وليس فيه قول عمر (تعال إلى الثوب) مع زيادات أخرى وليس فيه (من له غطيط إلى البكر) وفيه (آنف) قبل (العمرة) وفيه (إنزع عنك جبتك) وفيه (الذي بك) بعد (الخلوق) وليس فيه (اتق الصفرة) وفيه (وافعل) بدل (واصنع) وفيه (ما كنت فاعلاً) قبل (في حجك).
وأخرجه في كتاب الحج باب ما يتاح لبسه للمحرم بحج أو عمرة/ ٢٥١ من طريق ابن أبي عمر نحوه.
وأخرجه في نفس الكتاب والباب ٢٥٢ من طريق عقبة بن مكرم العمي ومحمد بن أبي رافع واللفظ لابن رافع نحوه.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب المناسك باب الرجل يحرم في ثيابه/ ٢/ ١٦٤ من طريق محمد بن كثير نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق محمد بن عيسى نحوه.
وأخرجه النسائي في كتاب المناسك باب الجبة في الإحرام ٥/ ٩٩، ١٠٠ من طريق نوح بن حبيب القومي بلفظه بدأه بقول يعلي (ليتي أرى رسول الله ﷺ وهو ينزل عليه) وفيه (بينما نحن بالجعرانة والنبي ﷺ في قبة فأتاه الوحي فأشار إلى عمر تعال فأدخلت رأسي) وبعدها قال: (فأتاه رجل) وفيه (قد أحرم في جبة) وفيه (متضمخ بطيب) وفيه (يا رسول الله ما تقول في رجل قد أحرم في جبة) وبعدها (إذ أنزل الوحي). وفيه (فجعل النبي ﷺ يغط لذلك فسرى عنه) وفيه (أين الرجل الذي سألني آنفاً) وفيه (فأتي بالرجل) وفيه (أما الجبة) قبل (اخلعها) وفيه (أما الطيب فاغسله) وفيه بعدها (ثم أحدث إحراماً) مع زيادات في آخر الحديث.
أخرجه أحمد بن حنبل ٤/ ١٢٢ من طريق عبدالله بلفظه وبدأه بمثل حديث النسائي وفيه (فلما كان بالجعرانة وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به معه ناس من أصحابه منهم عمر) وبعدها (إذ جاءه..) ليس به (وهو بالجعرانة) وليس فيه من (وعليه أثر إلى البكر) وفيه (فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط لذلك ساعة ثم سري عنه) وفيه (أين الذي سألني) وفيه بعد العمرة (آنفاً) وفيه (فالتمس الرجل به فقال النبي ﷺ: أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات) وفيه (أما الجبة فانزعها) وفيه (ما) بدل (كما).

المبحث الثاني

أقسام السّنة النبوية الشريفة

تنقسم السنة النبوية الشريفة إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: السنة القولية:

وهي الأحاديث التي وردت فيها أقوال النبي ﷺ. ومن أمثلة ذلك:

أ ـ الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**[1] **فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمجِّسانه**»[2].

---

(١) الفطر الإختراع والإبتداء والفطرة الحال منه والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المهييء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها وإنما يعدل عن الفطرة من يعدل لآفات التقليد (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام من طريق أبو اليمان ٣/ ٤٦٤، ٤٦٥ (من فتح الباري).
وفي كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ من طريق عبدان بلفظه ١٠/ ٣٠ (من فتح الباري).
وفي كتاب القدر باب (الله أعلم بما كانوا عاملين) من طريق يحيى بن بكير بلفظه وفيه (الواو) بدل (أو) وليس فيه (يمجسانه) ١٤/ ٢٩٥ (من فتح الباري).
أخرجه مسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين ١٦/ ٣٠٧ من طريق حاجب بن الوليد بلفظه أتى (الواو) بدل (أو).
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٢٣٣ من طريق عبدالرزاق بلفظه وفيه (الواو) بدل (أو).
وفي ٢/ ٢٧٥ من طريق عبدالرزاق بلفظه وفيه (كل مولود) ليس فيه (أو) بدل (الواو) وفي ٢/ ٣١٢، ٣١٥ من طريق عبدالرزاق بلفظه وفيه (مولد) بدل (مولود) وبعده (يولد إلا) =

ب ـ الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**[1] ثلاث مرات، قالوا: يا رسول الله لمن؟ قال: **لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2].

= وفيه قبل (الفطرة) (هذه) وفيه (الواو) قبل (ينصرانه) وليس فيه يمجسانه وفي ٢/ ١٤٠ من طريق محمد بن جعفر بلفظه وفيه (كل مولود يولد) وفيه (يشركانه) بدل (يمجسانه) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الإيمان باب الفطرة ١/ ٢٩٢ من طريق وفيه (كل مولود) حذف (إلا) وحذف أو من الموضعين وفي نفس الكتاب والباب والجزء من طريق يحيى بن بكير بلفظ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب القدر باب ما جاء في الأطفال ٧/ ٢١٨ عن ابن عباس بلفظه فيه (كل) ليس فيه (إلا) ولا (يمجسانه) أبدل (أو) بـ (الواو) وزاد إسناده إلى البزار.

(١) النصيحة هي إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر بهذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها (النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر باب في النصيحة من طريق محمد بن بشار وعقب عليه بقوله: هذا حديث حسن ٦/ ٥٢ (من تحفة الأحوذي).

وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان ترجمة للباب ٨/ ٢٤٦ بلفظه حذف أوله وبدأه بـ (الدين النصيحة لله ولرسوله) وليس فيه (لكتابه) (من فتح الباري) وفي كتاب الإيمان باب قوله ﷺ: الدين النصيحة عن عبدالله نحوه ١/ ١٤٦، ١٤٧ (من فتح الباري).

وفي نفس الكتاب والباب والجزء عن جرير بن عبدالله نحوه ١٤٧، ١٤٨ (من فتح الباري).

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدين النصيحة ٢/ ٢٦، ٢٧، عن تميم الداري بلفظه ليس فيه (ثلاث مرات) وفيه (قلنا لمن) وفيه بعد (لكتابه) و(لرسوله).

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النصيحة ٢/ ٥٨٣ عن تميم الداري بلفظه وفيه (إن) في أوله وكرر (الدين النصيحة) ثلاث مرات كتابه وحذف (اللام) من كل من (لكتابه) و(لائمة).

أخرجه النسائي في سننه في كتاب البيعة باب النصيحة للإمام ١٠/ ١٤٠ من طريق الربيع بن سليمان بلفظه وفيه (أن الدين النصيحة) مكررة ثلاثة مرات كتابة وقدم (لمن) عن (يا رسول..) وزاد (ولرسوله) بعد (لكتابه) وفي نفس الجزء والكتاب والباب من طريق عبد بن محمد بلفظ حديثه السابق في كتاب البيعة ولم يذكر التكرار ولم يكرر.

وبنفس هذا اللفظ أيضاً أخرجه النسائي في نفس الجزء والكتاب والباب ١٤٠ عن تميم الداري. =

القسم الثاني: السّنة الفعلية:

وهي الأحاديث التي وردت فيها أفعال النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ جاء في صحيح البخاري بسنده عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[1].

ب ـ جاء في صحيح البخاري من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه[2] فصلى فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها[3].

= أخرجه الدارمي في سننه في كتاب (الرقاق باب الدين النصحية ٢/ ٢٢٠ من طريق جعفر بن عون بلفظه ليس فيه (ثلاث مرات) وفيه (قالوا) قدم (لمن) عن (يا رسول الله) وزاد (ولرسوله).

أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٢٩٧ من طريق صفوان بلفظه وفيه (مرات) و(قالوا) وليس فيه (وعامتهم).

وفي ٤/ ١٠٢، ١٠٣ من طريق سفيان بلفظه وفيه (ثلاث) وفيه (ولرسوله).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب كيف يكون الرجل في أهله؟ من طريق حفص بن عمر ١٣/ ٦٧٠ (من فتح الباري).

وفي كتاب الآذان باب من كان في حاجة أهله وأقيمت الصلاة فخرج ٢/ ٢٣ من طريق آدم بلفظه وفيه بعد (كان) (يكون) وزاد بعد أهله (تعني خدمة أهله) وفيه خرج بعد (أقام) (من فتح الباري).

وفي كتاب النفقات باب خدمة الرجل في أهله ١١/ ٤٣٥ من طريق محمد بن عرعره بلفظه (من فتح الباري).

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٤٩ من طريق يحيى بلفظه إلا أنه أبدل (قام) بـ (خرج) أخرجه أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده ٦/ ٢٦ من طريق وكيع نحوه.

(٢) العاتق ما بين المنكب والعنق والجمع عتق أو عواتق (لسان العرب ١٢/ ١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته من طريق أبو الوليد ١٣/ ٣٥ (من فتح الباري).

وفي كتاب الصلاة باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة من طريق عبدالله بن يونس نحوه ٢/ ١٣٧ (من فتح الباري). =

القسم الثالث: السنة التقريرية:

وهي الأحاديث التي وردت في إقراره ﷺ لأفعال الصحابة رضوان الله عليهم. ومن أمثلة ذلك ما جاء في صحيح البخاري بسنده عن أبي مرة مولى أم هانيء بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة إبنته تستره، فقالت: فسلمت عليه فقال: **من هذه؟** فقلت: أنا أم هانيء بنت أبي طالب فقال: **مرحباً بأم هانيء**. فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلاً قد أجرته[1]. فلان بن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: **قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء**. قالت أم هانيء: وذاك ضحى[2].

= أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب جواز حمل الصبيان في الصلاة ٥/٣١ من طريق عبدالله وقتيبة بن سعيد نحوه.
وفي نفس الجزء والكتاب والباب ٣١/٣٢ من طريق محمد بن عمر نحوه.
وفي نفس الجزء والكتاب والباب ٣٢ من طريق أبو الظاهر نحوه.
أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب العمل في الصلاة ١/٢١٠ من طريق القعني نحوه.
أخرجه النسائي في سننه في كتاب الصلاة باب حمل الصبيان في الصلاة ووضعهن في الصلاة ٣/٨ من طريق قتيبة نحوه.
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٣٠٣ من طريق عبدالرحمن وعبدالرزاق نحوه وفي ٥/٣٠٣ من طريق حجاج بن محمد نحوه. وفي ٥/٣١١ من طريق وكيع نحوه.
وأخرجه الدارقطني في سننه في كتاب الصلاة باب العمل في الصلاة ١/٢٥٦ من طريق خالد بن مخلد بلفظه وفيه (يحمل رسول الله..) وفيه (بنت زينب بنت رسول الله) وليس فيه (بنت أبي العاص) أبدل (على عاتقه) بـ (هو في الصلاة) حذف (فصلى).

(١) أجاره أمنه فلا يجب نقص جواره وأمانه (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً من طريق إسماعيل بن أبي أويس ٢/١٥ (من فتح الباري).
وفي كتاب فرض الخمس باب أمان النساء وجوارهن من طريق عبدالله بن يوسف بلفظه ليس فيه (قالت) قبل (سلمت) ولا (فلما انصرف) أدخل الفاء على قلت أبدل (ذاك) بـ (ذلك) ٧/٨٢، ٨٣، (من فتح الباري). =

وهكذا أجاز رسول الله ﷺ إجارة أم هانيء للمشرك حتى يسمع كلام الله.

= وفي كتاب الأدب باب ما جاء في زعم ومن طريق عبدالله بن مسلمة بلفظه ليس فيه قالت ٣/١٦٩ (من فتح الباري).
وأخرجه مسلم في كتاب المسافرين باب استحباب صلاة الضحى ٥/٢٣١، ٢٣٣ من طريق يحيى بن يحيى بلفظه حذف (عليه) بعد (سلمت) وفيه (علي بن أبي طالب) قبل (ابن أمي) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب في أمان المرأة ٢/٧٧ عن ابن عباس نحوه.
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/٣٤١ من طريق ابن الحباب نحوه.
وفي نفس الجزء ٣٤٣ من طريق وكيع نحوه.
وأخرجه الدرامي في سننه في كتاب الصلاة باب صلاة الضحى ١/٢٧١ من طريق عبدالله بن عبدالمجيد نحوه.

المبحث الثالث

أهمية السنة النبوية الشريفة

للسنة النبوية الشريفة أهمية كبرى في الإسلام، ونحن مأمورون بنص القرآن الأخذ بها فقد قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾[5]. وقال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[6].

ومن أهمية السنة النبوية الشريفة أنها:

أولاً: مبيّنة للقرآن الكريم وشارحة له لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[7]. فالسنة النبوية قد تجيء مبينة لما جاء مجملاً في القرآن. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**إن الصلاة كانت**

---

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) سورة النساء ٦٤.

(٣) سورة آل عمران ٣٢.

(٤) سورة آل عمران ١٣٢.

(٥) سورة النساء ٥٩.

(٦) سورة النساء ٦٥.

(٧) سورة النحل ٤٤.

على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1]. فجاء النبي مبيناً لذلك بقوله في الحديث الذي أخرجه البخاري عن مالك يرفعه للنبي ﷺ قال. . . «**وصلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**»[2].

وبينت السنة أيضاً قوله تعالى: **﴿وعاشروهن[3] بالمعروف﴾**[4]. أمر الله سبحانه وتعالى الزوج بحسن عشرة زوجته، فبين النبي ﷺ ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ ما حق المرأة على الزوج؟ قال: «**أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر[5] إلا في البيت**»[6].

---

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة . . ٥/٢٧، ٢٨ (من الكرماني).
وفي كتاب الأذان باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمؤمنين ٥/٨٨، ٨٩ نحوه (من الكرماني).
وأخرجه مسلم في كتاب الصلوات باب أوقات الصلوات الخمس ٢/٢٥٣، ٢٥٤ من طريق قتيبة بن سعيد نحوه.
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٣٥ بلفظه وفيه (كما تروني).

(٣) المعاشرة المخالطة والعشير المعاشر والقريب والصديق والجمع عشراء، وعشير المرأة زوجها لأنه يعاشرها ومعشر الرجل أهله (لسان العرب ٦/ ٦٥٠).

(٤) سورة النساء ١٩.

(٥) الهجر ضد الوصال يقال هجرت الشيء هجراً إذا تركته وأغفلته (النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢٥٤).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج من طريق أبو بكر بن أبي شيبة ١/ ٥٩٣، ٥٩٤.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها ١/ ٢٩٤ من طريق موسى بن إسماعيل بلفظه أخرجه بصيغة المخاطب وفيه (ما حق زوجة أحدنا عليه وفيه (إذا اكتسيت أو أكسيت).
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٣ من طريق عفان بلفظه مع زيادات في أوله وآخره وبصيغة المخاطب.
وأخرجه أحمد بن حنبل أيضاً في نفس الجزء والصفحة من طريق عبدالرزاق بصيغة =

ثانياً: السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع. فقد قال القرآن الكريم عن الرسول ﷺ: **﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[1]. بل أن السنة النبوية الشريفة تبين لنا أن هذا التشريع قد حدث عمليًا ومن أمثلة ذلك:

أ ـ جاء في صحيح البخاري عن خنساء بنت حزام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب[2]، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها[3].

ب ـ وجاء في صحيح البخاري من حديث عامر قال: سمعت النعمان بن بشير

= المخاطب وحذف (ولا تقبح).

أورده صاحب الفتح الرباني في كتاب النكاح باب ما جاء في حق الزوج على الزوجة ١٦/ ٢٣١ من طريق يزيد بلفظه وزاد إسناده إلى البيهقي وابن حبان والحاكم وقال فيه (صححه الحاكم وابن حبان) أورده النووي في رياض الصالحين باب الوصية بالنساء ٩٤ عن معاوية بن حيده.

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

(٢) الثيب ليس ببكر ويقع على الذكر والأنثى يقال رجل ثيب وامرأة.

ثيب واصل الكلمة (واو) لأنه من ثاب يثوب إذا رجع (انظر لسان العرب ١/ ٢٤١) وانظر أيضاً الفائق في غريب الحديث ١/ ١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود من طريق إسماعيل ١/ ٩٩، ١٠٢ (من فتح الباري).

وفي كتاب الإكراه باب لا يجوز نكاح المكره من طريق يحيى بن قزعة بلفظه وفيه (النبي) بدل (رسول) وفيه (نكاحها) ١٥/ ٣٥١ (من فتح الباري).

وفي كتاب الحيل باب في النكاح من طريق القاسم نحوه ١٥/ ٣٧٣، ٣٧٤ (من فتح الباري) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب من زوج ابنته وهي كارهة ١/ ٦٠٢ عن عبدالرحمن بن يزيد ومجمع بن يزيد نحوه.

أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٣٢٨ من طريق عبدالرحمن بن مهدي بلفظه وفيه (النبي) بعد (فرد).

وفي نفس الصفحة والجزء من طريق سفيان بن عيينه نحوه.

أخرجه الدارسي في سننه في كتاب النكاح باب الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة ٢/ ٦٣ من طريق خالد بن مخلد بلفظه وفيه (زوجها) قبل (أبوها).

رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، فقال: **أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟** قال: لا. قال: **فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**. قال فرجع فرد عطيته[1].

ومما يدل على أن السنة مشرّعة كالقرآن تماماً ما جاء في سنن الترمذي من حديث المقدام بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكىء على أريكته، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمنا، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتابه الهبة باب الإشهاد على الهبة من طريق حامد بن عمر ١٤١/٦ (من فتح الباري).
وفي نفس الجزء والكتاب باب الهبة للولد من طريق عبدالله بن يوسف نحوه ١٣٨ (من فتح الباري) وفي كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة زور إذا شهد من طريق عبدان نحوه ١٨٦/٦ (من فتح الباري).
وأخرجه مسلم في كتاب الهبات. باب كراهية تفصيل بعض الأولاد في الهبة ٦٧/١١ من طريق أبو بكر بن أبي شيبة بلفظه جاء في أول الحديث (يتصدق على أبي ببعض ماله) ثم ساق قول أمه وفيه (انطلق) و(النبي) بدل (رسول) وفيه (يشهد على صدقي فقال رسول الله ﷺ فعلت هذا بولدك ثم أكمل الحديث.
أخرجه النسائي في سننه في كتاب النفل ٢١٩/٦، ٢٢٠ من طريق عبدالله بن سعيد نحوه.
أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الهبات باب الرجل ينحل ولده ١٩٥/٢ من طريق هشام بن عمار نحوه. أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده من طريق أبو معاوية نحوه. أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢٦٩/٤ من طريق محمد بن أبي عدي نحوه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما نهى عنه أنه يقال عند حديث رسول الله ﷺ ٤٢٦/٧، ٤٢٧ من طريق محمد بن بشار.
قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه (من تحفة الأحوذي). =

ج - والسنة النبوية الشريفة هي المعيار الذي ينبغي على المسلم اتباعه في سلوكه. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[1]. فقد كان رسول الله ﷺ أكمل الناس خلقاً بل أن حسن الخلق كان سمة من سمات رسول الله ﷺ قبل وبعد مبعثه. فقد شهدت له السيدة خديجة بذلك عند بدء الوحي. أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قصة بدء الوحي على رسول الله ﷺ في حديث طويل فيه: «.. فقالت خديجة، كلا والله ما يخزيك[2] الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[3]، وتكسب المعدوم، وتقري

= وأخرجه في نفس الكتاب والباب ٤٢٤ من طريق قتيبة نحوه وقال فيه هذا حديث حسن. (من تحفة الأحوذي).
أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة عن طريق عبدالوهاب بن نجده ٤/٤٠٠ بلفظه وفي أوله (إلا إني) أوتيت الكتاب ومثله معه) وفيه (ألا يوشك رجل شبعان) قبل (على أريكته) وفيه (يقول عليكم بهذا القرآن) وفيه فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) وليس فيه من وما وجدنا فيه حراماً إلى قوله حرم الله، مع زيادات في آخر الحديث.
وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق أحمد بن محمد بن حنبل وعبدالله بن محمد النفيلي نحوه.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ١/٦ من طريق أبو بكر بن أبي شيبة بلفظه وفيه (يوشك الرجل متكئاً) وبعد أريكته فيه (يحدث بحديث من حديثي فيقول) وفيه بعد (الله) (عز وجل) وفيه (من حلال) وفيه (من حرام) وفيه (إلا) قبل (وإن) وفيه (مثل) بدل (كما).
وفي نفس الكتاب والباب ٧٦ من طريق مضر بن علي الجهمي نحوه.

(١) سورة الأحزاب ٢١.
(٢) كتاب سيرة النبي ﷺ لابن هشام، انظر أيضاً محمد في طفولته وصباه تأليف محمد شوكت ٤٢٦ - ٤٢٧.
خزى يخزي خزياً أي ذل وهان (النهاية في غريب الحديث والأثر).
(٣) الكل بفتح الكاف المثقل من كل يكل، والكل العيال (النهاية في غريب الحديث والثر ٤/١٩٨). انظر أيضاً لسان العرب ١٤/١١٥.

الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1][2].

ولقد شهد صحابة رسول الله ﷺ له بمكارم الأخلاق، كما جاء في الحديث الصحيح عند الإمام البخاري. فقد أخرج البخاري بسنده عن مسروق رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع عبدالله بن عمرو يحدثنا إذ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً[3] ولا متفحشاً[4]. وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي من طريق يحيى بن بكير ١/ ٢٦، ٢٧ (من فتح الباري). وفي كتاب التعبير باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة من طريق يحيى بن بكير بلفظه وفيه (أبشر) بعد (كلا) أدخل (الفاء) على (والله) وفيه (لا) بدل (ما) وقدم (تصدق الحديث) عن (تحمل الكل) وليس فيه (تكسب المعدوم) ١٦/ ١٠، ١١ (من فتح الباري).

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي ٢/ ٢٠٠، ٢٠١ من طريق أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن سرج بلفظه وفيه (أبشر) بعد (كلا) وأدخل (الفاء) على (والله) وزاد فيه (وتفقدها وتصدق الحديث).

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣، من طريق عبدالرزاق بلفظه حذف (كلا) وفيه (أبشر فوالله) وفيه (لا) بدل (ما) وبدأه (بأنك تصدق الحديث) وليس فيه تكسب المعدوم.

(٢) أما أفعال الخير المذكورة في الحديث فقد وضحها العيني بقوله:

الكل بفتح الكاف وتشديد على اللام وأصله الثقل ومنه قوله تعالى في سورة النحل ١٧٦: ﴿كل على مولاه﴾ واصله من الكلال وهو الإعياء أي ترفع الثقل وأراد تعيين الضعيف المنقطع. وتكسب المعدوم فيه قولاً أولهما: معناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه له تبرعاً، وثانيهما: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من المصروفات والفوائد ومكارم الأخلاق، قال نوائب الحق لأن النائبة وهي الكارثة النازلة خيراً وشرًا (عمدة القارىء). شرح صحيح البخاري: ٥١.

(٣) الفاحش هو ذو الفحش (لسان العرب ٨/ ٢١٦).

(٤) المتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده والفحش والفاحش والفاحشة في الحديث هو كل ما يشتد فيه من الذنوب والمعاصي (لسان العرب ٨/ ٢١٦).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل من طريق عمرو بن حفص ١٣/ ٦٦ (من فتح الباري).

وفي نفس الكتاب والجزء باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً من طريق جعفر بن عمرو بلفظه وليس فيه (أنه كان يقول) بل فيه (قال رسول الله ﷺ. وفيه (أنه) قبل =

بل أن النبي ﷺ كان يأمر صحابته بمكارم الأخلاق ويحثهم على ذلك. فقد جاء في الحديث الصحيح عند الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان. وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ لأخيه: اركب هذا الوادي فاسمع قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق[1].

وقد نفى النبي ﷺ عن نفسه الشريفة الشر والفحش. ويظهر ذلك من الحديث الوارد عند الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رجلاً استأذن النبي ﷺ قال: **بئس[2] أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة. فلما جلس انطلق[3] النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت**

= (خياركم) وأبدل ما بعدها بـ (أخيركم خلقاً) (من فتح الباري).
وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب صفة النبي ﷺ من طريق عبدان بلفظه أبدل (رسول) بـ (النبي) حذف (وأنه) قبل (كان) وفيه قبل (خياركم) (من) وفيه (إن أحسنكم) بدل (أحاسنكم) ٧/ ٣٨٥ (من فتح الباري).
أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في حسن الخلق ٢/ ٥٥٢ من حديث عائشة نحوه أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ١٨٩ من حديث محمد بن جعفر بلفظه وفيه (أن من أحبكم إلي) بدل (إن خياركم).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ١٣/ ٦٤، ٦٥ (من فتح الباري) وفي كتاب المناقب باب إسلام إبي ذر الغفاري ٨/ ١٨٣ من طريق عمر بن عباس نحوه ٨/ ١٧٣ (من فتح الباري).
وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي ذر ١٦/ ٣٢، ٣٣ من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعره الشافعي ومحمد بن حاتم، واللفظ لابن حاتم بلفظه حذف أول الحديث وبدأه بـ (لما بلغ أبي ذر) وزاد بعده (النبي) (مكة) وزاد أيضاً بعد (الوادي) (فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء) وزاد بعد (ثم إنني) (فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله وجاء (ثم) بعد (رجع) وقال بعدها (إلى أبي ذر الغفاري) مع زيادات في آخر الحديث.

(٢) بئس مهموزاً فعل جامع لأنواع الذم وهو ضد نعم في المدح (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٩٠).

(٣) انطلق أي كان مستبشراً منطلق الوجه يقال طلق الرجل بالضم يطلق كلامه فهو طلق =

عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[(1)]».

وقد كان الغرض من بشاشة رسول الله ﷺ لمثل هذا الشرير وعدم مجابهته بالمكروه هو تأليف قلب مثل هذا الرجل، والنبي ﷺ أراد توضيح حال المنافقين لأمته أيضاً فإن قوله ﷺ فيه قول حق وفعله حسن عشرة[(2)].

وقد كان رسول الله ﷺ رحيماً في معاملته لأمته. وقد وضح الله سبحانه وتعالى أنه أنزل الرحمة في قلب النبي ﷺ: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو**

= وطليق (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٤٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً من طريق عمر بن عيسى ١٣/٦١، ٦٣ (من فتح الباري).
وفي نفس الكتاب والباب والجزء من طريق صدقة بن الفضل نحوه ٨١ (من فتح الباري).
أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب مداراة من يتقي فحشه ١٦/١٤٣، ١٤٤ من طريق قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة النافذ، وزهير بن حرب، وابن النمير كلهم عن ابن عيينة واللفظ لزهير نحوه.
أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب حسن العشرة ٢/٥٥١ من طريق مسدد بلفظه بدأه بـ (استأذن رجل) ليس فيه (فلما رآه) أبدل (أخ) بـ (رجل) وقدم (بئس ابن) عن (بئس أخ) وفيه (اذنوا له فلما دخل ألان له القول) وليس فيه من (فلما جلس) إلى (انطلق الرجل) حذف (له) بعد (قالت) وفيه (ألنت له القول وقد قلت له ما قلت) أخر (عند الله) عن (منزله) وفيه قيل (تركه) (ودعه) أو . .) وأدخل (اللام) على (اتقاء) وفيه (فحشه) بدل (شره).
أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في المداراة من طريق ابن أبي عمر نحوه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ٦/١٣٢، ١٣٣ (من تحفة الأحوذي).
أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/٣٨ من طريق سفيان بلفظه وفي نفس الجزء ١٥٨، ١٥٩ من طريق أبو عامر وشريح نحوه.

(٢) انظر فتح الباري بشرح البخاري ١٣/٦٢ انظر أيضاً عمدة القارىء شرح صحيح البخاري ٢٢/١١٧، ١١٨، انظر أيضاً إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/٣١.

كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[1]. بل أن رسول الله ﷺ كان يحث على الرفق. فقد جاء عند الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[2][3].

والسنة أيضاً تأتي مؤكدة للقرآن كما يؤكد القرآن السنة. وقد رأينا كيف أكدت السنة قوله تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾**.

وقد أكد رسول الله ﷺ ذلك عندما أوصى بالنساء خيراً. وتسمى السّنة هنا بالسنة المؤكدة[4].

ويأتي القرآن أيضاً مؤكداً للسنة النبوية الشريفة. فقد قال الله سبحانه وتعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة**

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) الشين: العيب وقد شانه يشينه (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، من طريق عبدالله بن معاذ العنبري ١٦/ ١٤٦.

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الهجرة وسكن البدو ٣/ ١ من طريق أبن بكر وعثمان ابنا أبي شيبة بلفظه مع زيادات في أوله وفيه قبل (الرفق) (يا عائشة ارفقي فإن. .) أبدل (لا) بـ (لم) حذف (الباء) من (ينزع).

أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦/ ٨٥ من طريق ابن نمير بلفظه مع زيادات في أول الحديث وفيه قبل (الرفق) (يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل) أبدل (لا يكون) بـ (لم يكون) زاد (قط) بعد (شيء) وأبدل (لا) بـ (لم) قبل (ينزع).

وفي نفس الجزء ١١٢ من طريق حسين نحوه.

وفي نفس الجزء ١٢٥ من طريق عثمان بلفظه مع زيادات في أوله وفيه (عليك بالرفق فإن) قبل (الرفق).

وفي نفس الجزء ٢٠٦ من طريق وكيع نحوه.

وفي نفس الجزء ٢٢٢ من طريق حجاج وابن نمير بلفظه مع زيادات في أول الحديث وزاد قبل (الرفق) (يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل) وأبدل (لا) بـ (ولم) قبل ينزع وزاد بعدها (الرفق).

(٤) سورة البقرة ٢٢١.

ولو أعجبتكم﴾[1].

ساق ابن كثير عن السدي أن هذه الآيات نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء، فغضب عليها فلطمها ثم فزع فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره خبرها، فقال له: ما هي؟ قال: تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: يا عبدالله هذه مؤمنة، فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: نكح أمته. وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم فأنزل الله الآية.. اهـ[2].

فقد أقر النبي ﷺ قول عبدالله بن رواحة لأعتقنها ولأتزوجنها. ونزلت الآية موافقة لهذا الإقرار.

---

(١) انظر السنة المفترى عليها تأليف سالم البهنساوي طبعة دار البحوث العلمية الكويت الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٥٧/١١.

الفصل الثاني

في حفظ ورواية وكتابة الحديث منذ عهد النبي ﷺ وإلى عصر أتباع التابعين

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: حفظ ورواية وكتابة الحديث في عهد النبي ﷺ.

المبحث الثاني: حفظ ورواية وكتابة الحديث في عصر الصحابة والتابعين.

المبحث الثالث: حفظ ورواية وكتابة الحديث في عصر أتباع التابعين وأتباعهم.

المبحث الأول
حفظ ورواية وكتابة السّنة في عهد النبي ﷺ

في بداية عهد الدعوة نهى النبي ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم عن كتابة السنة حتى لا تختلط بالقرآن الكريم. لكنه ﷺ أباح كتابة السنة في الحالات التي لا يخشى فيها اختلاطها بالقرآن الكريم. وقد اجتهد بعض العلماء للتوفيق بين الأحاديث التي نهت عن الكتابة وأحاديث الإذن بالكتابة. وأكثر العلماء على أن الإذن بها هو الذي كان سائداً في عهد النبي ﷺ. قال في ذلك الدكتور مصطفى السباعي: (وقد اختلف العلماء في التوفيق بين أحاديث النهي عن الكتابة وبين هذه الآثار التي تدل على الإذن بها، فالأكثرون على أن النهي منسوخ بالإذن، ومن قائل بأن النهي خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، أما الإذن فهو خاص بمن أمن عليه ذلك، وأعتقد أنه ليس هناك تعارض حقيقي بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن. ويتمثل الإذن في سماحه بتدوين بعض النصوص من السنة لظروف وملابسات خاصة أو سماحه لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم. والتأمل في نص حديث النهي قد يؤكد هذا الفهم، إذ جاء عامًّا مخاطباً فيه الصحابة جميعاً.

لا يقال: أن ذلك يقتضي أن يكون الحكم باقياً على الحرمة مادام السماح لظروف خاصة ولأشخاص معينين، لكننا نقول: إن سماح الرسول لعبدالله بن عمرو بكتابة صحيفته واستمراره في الكتابة حتى وفاة الرسول دليل على أن الكتابة مسموح بها في نظر الرسول وإن لم يكن تدويناً عامًّا كالقرآن. ويؤكد الإذن بالكتابة ما جاء في البخاري عن ابن عباس أنه لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: (ايتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) ولكن عمر حال دون ذلك بحجة أن النبي قد غلبه الوجع، وهذا مما يؤيد الرأي القائل بأن آخر الأمرين كان هو الإذن. . اهـ[1].

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور/ مصطفى السباعي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م: ٦١. =

وهكذا نرى أن المنع عن الكتابة قد زال لزوال علته. وهذا كان معروفاً في أقوال وأفعال النبي ﷺ مثل حديث التصريح للمسلمين بزيارة القبور بعد أن كان قد منع المسلمين من زيارتها، وذلك لقرب عهدهم بالجاهلية، وخشية النبي ﷺ أن يقع بعضهم في أفعال مشابهة لما كانوا يفعلونه في الجاهلية. فلما استقر الإيمان في قلوب الناس وتمكنت منهم القيم الإسلامية أباح النبي ﷺ زيارة القبور.

جاء في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا من سقاء فاشربوا من الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز. باب النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ٤/٦٥٠ من طريق أبو بكر بن أبي شيبة.
أخرجه أيضاً في نفس الكتاب والباب ٦٥١ من طريق حجاج بن الشاعر بمعناه.
وأخرجه الترمذي في كتاب الجنائز. باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ٤/١٥٨، ١٥٩ من طريق محمد بن بشار ومحمود بن غيلان، والحسن بن علي الخلال بلفظه وفيه في أوله (قد كنت) وفيه بعد (القبور) (قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه) وفيه في نهاية الحديث (فإنها تذكر الآخرة)
قال الترمذي: حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون بزيارة القبور بأساً وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.
وأخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور من طريق محمد بن آدم ٤/٧٣ بلفظه وفيه (أيام) بعد ثلاث.
وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق محمد بن قدامة بلفظه مع زيادات في أول الحديث وفيه (ونهيتكم عن زيارة القبور) وفيه (فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً).
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز. باب ما جاء في زيارة القبور ١/٥٠١ من طريق يونس بلفظه وفيه (كنت نهيتكم) وفيه (فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة) ليس فيه من قوله ونهيتكم عن لحوم إلى مسكراً).
وفي نفس الكتاب ص ٥٠٠ من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري نحوه. =

والإذن بالكتابة جاء متأخراً عن النهي عن الكتابة وعليه يمكننا أن نقول أن الإذن بالكتابة جاء ناسخاً للنهي عن الكتابة. قال صاحب توضيح الإفكار: (النهي عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما كثر عدد المسلمين وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة وميزوه من الحديث زال الخوف عنهم، فنسخ الحكم الذي كان مترتباً عليه وصار الأمر إلى الجواز)[1].

نرى أن النبي ﷺ كان حريصاً على حفظ القرآن الكريم وتبليغه كما نزل عليه من الله سبحانه وتعالى. وما كان يريد أن يختلط القرآن الكريم بالسنة خاصة أن القرآن كان يكتب في الرقاع والعظام. ومن شدة حرص النبي ﷺ على القرآن أنه كان يعجل بتلاوته وحفظه ويكابد المشاق في ذلك حتى نزلت الآية الكريمة: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**﴾[2].

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على أمته لا يريد لهم التشتت والتفرق. ومن استعراضنا لأناجيل النصارى رأينا كيف اختلط كلام الله في الأناجيل

= وقال في الزوائد إسناده حسن.

وأخرجه أحمد بن حنبل ١/١٤٥ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (فزوروها فإنها تذكر بالآخرة). وفي ١/٤٥٢ من طريق عبدالله بلفظه فيه (كنت نهيتكم) وفيه (ونهيتكم أن تحبسوا لحوم الأضاحي) وفيه (ونهيتكم عن الظروف فانتبزوا فيها) وفيه (فاجتنبوا كل مسكر).

وفي ٣/٣٨ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (إني نهيتكم) وفيه (فإن فيها عبرة) وليس فيه (إلا في سقاء) وليس فيه (في الأسقية كلها) وفيه (ولا أحل مسكراً ونهيتكم عن الأضاحي فكلوا). وفي ٣/٦٦ من طريق عبدالله بلفظه وفيه زيادات في أوله وفيه (ونهيتكم عن زيارة) وفيه (فإن زرتموها فلا تقولوا هجراً).

وفي ٥/٣٥٠ من طريق عبدالله بلفظه وفيه زيادات في آخره.

وفي ٥/٣٥٧ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (وإني كنت نهيتكم) مع زيادات في أوله وآخره.

(١) توضيح الأفكار ٣٣٣، ٥٣٤.

(٢) سورة القيامة: ١٦، ١٧.

بأقوال البشر. وكيف أدى ذلك إلى انقسام النصارى شيعاً وأحزاباً، وأدى إلى تخبطهم وانحرافهم عن جادة الصواب. وبما أن رسول الله ﷺ لم يكن يرض للمسلمين مثل هذا التفرق والتخبط الناتج عن خلط كلام الله بكلام البشر ـ وإن كان هذا البشر رسول الله وسيد خلقه ـ فقد أراد رسول الله ﷺ لهم أن يجمعوا القرآن بدقة تامة حتى لا يشك أحد من بعده في كلام الله. كما أراد لأمته التمييز الدقيق بين القرآن والسنة. ومما يدلنا على ذلك أن السنة النبوية الشريفة كانت تكتب بين يدي النبي ﷺ، وأقر النبي ذلك، بل أمر بعض صحابته بالكتابة عندما شكوا إليه من النسيان. ومما يدلنا على ذلك أيضاً أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يكتبون فيها الأحاديث، كما وصلت إلينا نصوص بعض الكتب التي كان يرسلها النبي ﷺ للأقطار ونصوص بعض المعاهدات التي كان يعقدها ويتم تدوينها وختمها بخاتمه ﷺ.

حفظ ورواية الحديث في عهد النبي ﷺ:

آمن الصحابة رضوان الله عليهم بدعوة محمد ﷺ وتجاوبوا معها، وبذلوا النفس والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله. وكانوا حريصين كل الحرص على حفظ وتطبيق ما يسمعونه عنه. بل كانوا يتذاكرون كل ما يسمعونه من رسول الله ﷺ، وكانوا شديدي الحرص على مذاكرة الحديث وسماعه وحفظه، وكانوا يتناوبون حضور مجالس رسول الله ﷺ ويبلّغ الشاهد منهم الغائب كما أورد ذلك محمد عجاج الخطيب في كتابه «السنة قبل التدوين» حيث قال:

(وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله ﷺ حرصاً شديداً إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها. وقد يعسر على بعضهم الحضور فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

رسول الله ﷺ: كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ، فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم)[١].

كانت الوفود كذلك تأتي إلى رسول الله ﷺ من مسافات بعيدة ليسألوه عن أحكام الشريعة ليتعلموها ويعلموها قومهم عند رجوعهم إليهم. من ذلك ما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي حمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس، يجلسني على سريره فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي، فأقمت معه شهرين ثم قال: إن وَفْد عبدالقيس لما أتوا النبي ﷺ قال: **من القوم؟ أو من الوفد؟** قالوا: ربيعة. قال: **مرحباً بالقوم، أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**. فقالوا يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر. فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة.

فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع. أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: **أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**. ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت. وربما قال المقير وقال: **احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم**[٢].

---

(١) السنة قبل التدوين ٥٨، ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان. باب أداء الخمس من الإيمان ٢/١٠٦، ٢١٠ (من الكرماني). وفي كتاب العلم باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ويخبروا من وراءهم وقال مالك بن الحويرث ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ٢/٧١، ٧٢ من طريق محمد بن بشار بلفظه وفيه (إن وفد) وفيه (لما) قبل (أتوا) وأدخل الفاء على (قال) وفيه (من الوفد أو من القوم) وفيه قبل (كفار مضر) (ولا نستطيع أن تأتيك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر نخبر به) وأبدل (وحده) بـ (عز وجل) وفيه (هل تدرون) وفيه (وصوم رمضان) وفيه (وتعطوا الخمس من المغنم) وفيه (احفظوه) (من الكرماني).

وفي كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة =

= ٥/١٦٦، ١٦٧ من طريق أبو عاصم بلفظه بدأه بـ(قدوم وفد عبدالقيس) وليس فيه من لما أتوا إلى مضر) وفيه (فقالوا أنا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو عليه من وراءنا، وليس فيه من (وقال احفظوهن إلى وراءكم) وفيه (فقال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله ثم فسرها لهم شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن نودوا إلى خمس مما غنمتم وأنهى عن الدباء والخثم والمقير والنقير) (من الكرماني).

وأخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب منيبين إليه، واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٤/١٧٦، ١٧٧، من طريق قتيبة نحوه. (من الكرماني).

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ١/١٥٢، ١٥٥ من طريق خالد بن هشام بلفظه وبدأه (يقدم وفد على رسول الله ﷺ) وفيه قالوا: (إنا من هذا الحي من ربيعة) وليس فيه من (مرحباً إلى الأشربة) وفيه (آمركم بأربع) وفيه (أنهاكم) وفيه (الإيمان بالله ثم فسرها لهم) وفيه (وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر) فلا تخلص إليك إلا في الشهر الحرام) وفي (فمرنا بأمر نعمل به) وليس فيه (إلى) بعد (تؤدوا) وفيه (وأنهاكم) وليس فيه (عن أربع) وقدم (الدباء) وفيه (المقير وليس فيه المزفت).

وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الأشربة باب من طريق نضر بن علي الجهضمي ٤/٦٧٣ نحوه.

وفي نفس الكتاب والباب ٦٧٤، من طريق شيبان بن فروخ نحوه.

وفي نفس الكتاب والباب ٦٧٥ من طريق يحيى بن يحيى نحوه.

وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان من طريق قتيبة ٧/٣٥٠، ٣٥١ بلفظه وبدأه بـ(قدم وفد عبدالقيس) وفيه (فقالوا إنا الحي من ربيعة ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام) وفيه بعد (فمرنا) (بشيء نأخذه عنك) وفيه (وندعوا إليه من وراءنا وفيه (آمركم) وليس فيه (ونهاهم) وفيه (الإيمان بالله ثم فسرها لهم شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وفيه (تؤدوا خمس ما غنمتم).

وأخرجه الترمذي في نفس الكتاب والباب والجزء ٢٥٢ من طريق شعبة بلفظه وفيه (أتدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله) وذكر الحديث. وأخرجه الترمذي في نفس الكتاب والباب والجزء ٣٥٢ من طريق قتيبة نحوه (من تحفة الأحوذي).

(أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة باب في الأوعية ٣/٣٣٠ من طريق سليمان بن حرب بلفظه بدأه (يقدم وفد عبدالقيس) وليس فيه من (قال من القوم إلى الأشربة) وفيه (قالوا يا

كما أن بعض الصحابة درج على المجيء إلى رسول الله ﷺ للتثبت شخصيًا من نقل الأخبار التي سمعها عن الإسلام، فكان لا يطمئن إلا إذا استوثق من أن الأخبار التي وردت إليه هي أخبار صحيحة ومنقولة نقلاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ. ومن ذلك قصة الأعرابي الواردة عند الإمام أحمد بن حنبل من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء. فكان يأتيه الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع. فأتاه رجل منهم فقال: يا محمد، أتانا رسول فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك. قال: **صدق**. قال: فمن خلق السماء؟ قال: **الله**، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: **الله**، قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: **الله**، قال: فمن جعل فيها هذه المنافع؟ قال: **الله**، قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع الله أرسلك؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، فقال: **صدق**. قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**. قال وزعم رسولك أن علينا صدقة في أموالنا، قال: **صدق**، قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**. قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا، قال: **صدق**، قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: **صدق**، قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: **نعم**. قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن. فلما انصرف قال: **لئن صدق ليدخلن الجنة**(١).

= رسول الله إنا هذا الحي من ربيعة قد حال بيننا وبينك كفار مضر وليس نخلص إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذ به وندعو إليه من رواءنا) وفيه (آمركم) وفيه (وأنهاكم) ليس فيه (آمرهم) وليس فيه من (وحده إلى قال) وفيه (وعقد بيده واحدة) بعد (إلا الله) وبعدها (قال مسدد الإيمان بالله ثم فسرها لهم) وليس فيه (صيام رمضان) وفيه (أن تؤدوا الخمس مما غنمتم) وفيه (وأنهاكم عن الدباء) والحنتم والمزفت والمقير) وزاد (وقال ابن عبيد النقير مكان المقير).

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٩٣/٣، وفي ١٤٣/٣ أخرجه من طريق عبدالله بلفظه وفيه بعد (الجبال) وجعل فيها ما جعل) وفيه (نبيًا) بعد (بعثك بالحق) وفيه (شيئاً) بعد =

كتابة الحديث في عهد النبي ﷺ:

١ ـ كتابات النبي ﷺ لأهل الأقطار: كتب النبي ﷺ كتباً لأهل الأمصار كان يمليها على صحابته ويرسلها لهم فيها تعاليم الإسلام منها:

أ ـ أن النبي ﷺ كتب لوائل بن حجر كتاباً ليعمل به أهل حضرموت وبه أركان الإسلام وتعاليمه وفريضة الزكاة وحد الزنا والخمر. وبعث كذلك كتاباً ليعمل به أهل اليمن.

كما أن النبي ﷺ سن دستوراً لأهل المدينة دونه الصحابة[١].

ب ـ صحف كتبها الصحابة بعد سماح الرسول ﷺ لهم بذلك وأقرهم عليها ومنها:

صحيفة عبدالله بن عمرو التي كانت تسمى بالصحيفة الصادقة. قال عبدالله بن عمرو: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى. فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلي فيه وقال: (**اكتب والذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق**)[٢].

وهذه الصحيفة شاهد حق على تدوين الصحابة للسنة بين يدي النبي ﷺ كما بين ذلك عجاج الخطيب في قوله: (كان رسول الله ﷺ قد سمح لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بكتابة الحديث لأنه كان كاتباً محسناً فكتب عنه الكثير واشتهرت صحيفة ابن عمرو رضي الله عنه (بالصحيفة الصادقة) كما أراد كاتبها أن يسميها لأنه كتبها عن رسول الله ﷺ، فهي أصدق ما يروى عنه وقد رآها مجاهد بن جبر (٢١ ـ ١٠٤هـ) عند عبدالله بن عمرو، فذهب ليتناولها فقال له: (مه يا غلام ابن مخزوم) قال مجاهد: قلت: ما كتبت شيئاً. قال: هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد، وكانت هذه الصحيفة عزيزة جدًّا على ابن

= (أزيد).

وفي ١/ ٢٦٤ أخرجه من طريق عبدالله نحوه.

(١) كنز العمال ٥/ ٢٥١ سيرة ابن هشام ٢/ ١١٩.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل ٢/ ١٦٢.

عمرو حتى قال: (ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط) وربما كان يحفظها في صندوق له حلق خشية عليها من الضياع. وقد حفظ هذه الصحيفة أهله من بعده، ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يحدث منها..

ولهذه الصحيفة أهمية علمية لأنها وثيقة علمية تاريخية تثبت كتابة الحديث النبوي الشريف بين يدي رسول الله ﷺ وبإذنه. اهـ[(١)].

كما أن النبي ﷺ قد حث الصحابة على أن يكتبوا لأبي شاه عندما شكا إليه أبو شاه من النسيان، جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة في حديث طويل أن أبا شاه قال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال: **(اكتبوا لأبي شاه)**[(٢)].

وقد كان لنشاط الصحابة أثر فعال في نشر سنته بين الناس، فكان الصحابة يجالسون رسول الله ﷺ ويتدارسون كل ما يقوله لهم فيما بينهم، بل كانوا مندفعين في طلب العلم وحفظه وتبليغه للناس ونشره بينهم لأن القرآن الكريم حث المسلمين على ذلك وطالبهم به في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**[(٣)]. وقوله تعالى: **﴿وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**.

٢ ـ كتب المعاهدات: وذلك مثل المعاهدة التي وقعها النبي مع مشركي مكة عند صلح الحديبية وكان علي بن أبي طالب يكتب ما يمليه عليه رسول الله ﷺ. نقل ابن كثير قول الزهري في قصة تلك المعاهدة: فجاء سهيل بن عمرو

---

(١) السنة قبل التدوين ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب الرخصة في كتاب العلم ٤/٤٢٨ ـ ٤٢٩ من طريق يحيى بن موسى ومحمود بن غيلان. قال الترمذي هذا حديث صحيح وقد روى شيبان عن يحيى بن أبي كثير مثل هذا.
وأخرجه الترمذي في نفس الكتاب والباب ٤٢٧/٤٢٨ من طريق قتيبة نحوه.
وأخرجه البخاري في كتاب اللقطة باب تعرف لقطة أهل مكة ١١/٩٢٨ من طريق يحيى بن موسى بلفظه في حديث طويل منه (فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن) وفيه (أكتب لي) مع زيادات في آخره.

(٣) انظر تفسير ابن كثير.

فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً. فدعا النبي ﷺ بعلي رضي الله عنه وقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: **اكتب باسمك اللهم** ثم قال: **هذا ما قضى عليه محمد رسول الله**. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب: محمد بن عبدالله. فقال النبي ﷺ: **والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. اكتب: محمد بن عبدالله**.. فقال له النبي ﷺ **على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطه ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ جاء (أبو جندل) بن سهيل بن عمرو يحجل في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي. فقال النبي ﷺ: **إنا لم نقض الكتاب بعد**. قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً. فقال النبي ﷺ: **فأجزه لي**. قال: ما أنا بمجيز ذلك لك.. فرده النبي إليهم وفاء بالعهد. وعندما صرخ أبو جندل قائلاً: يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني.. قال رسول الله ﷺ: **يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهداً وإنا لن نغدر بهم**.

جاءت تلك القصة أيضاً في الحديث الصحيح الوارد عند البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء.

على أن من أتاه من المشركين ردوه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا

بجلبان[1] السلاح: السيف والقوس ونحوه. فجاء أبو جندل يحجل في قيوده فرده إليهم[2].

وهناك كتب كتبها النبي ﷺ للملوك كالكتاب الذي أرسله لملك الروم وأخرجه البخاري في بدء الوحي من حديث أبي سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ معادياً فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال: إيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان، قلت أنا أقربهم نسباً. فقال: ادنوه مني وقربوا

---

(١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام خشبة الحراب من الأرم يوضع فيه السيف مغموداً ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في آخر الكور أو واسطته وانشقاقه من الجلبة وهي الجلدة التي توضع على السيف والقوس ونحوه. يريد ما يحتاج إلى معاناة لا كالرماح لأنها مظهره يمكن تعجيل الأذى بها وإنما اشترطوا ذلك ليكون علماً وإمارة للسلم، إذ يكون دخولهم صلحاً (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب الصلح مع المشركين من طريق موسى بن مسعود ٦/ ٢٣٣ (من فتح الباري).
وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب صلح الحديبية ١٢/ ٣٤، ٣٦ من طريق عبدالله بن معاذ العنبري ونحوه.
وفي نفس الكتاب والباب والجزء ١٣٦، ١٣٨ من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأحمد بن جناب المصعبي نحوه.
أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب في صلح العدو ٢/ ٧٧، ٧٨ عن المسور بن مخرمة نحوه.
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٢٢٣ عن المسور بن مخرمة نحوه.
وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ٤/ ٣٣١ عن المسور نحوه.
أخرجه الدارمي في سننه في كتاب السير باب في صلح النبي ﷺ يوم الحديبية ٢/ ١٥٥ من طريق محمد بن يوسف نحوه.
وأخرجه في ٢/ ١٩٢ من طريق عبدالله بلفظه.
وأخرجه ٥/ ١٨٤ من طريق عبدالله نحوه.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم باب في كتابه العلم ٣١٨/٤ وفيه تسمعه وفيه (ما يخرج).

أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه. قال فوالله لولا الحياء أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه.. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون...[1].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٢٦.

المبحث الثاني

حفظ ورواية وكتابة السّنة في عهد الصحابة والتابعين

قبل أن نواصل الحديث عن حفظ ورواية وكتابة السنة النبوية الشريفة في عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يجدر بنا أن نعطي تعريفاً موجزاً عن الصحابة والتابعين أنفسهم.

يقول ابن حجر في تعريفه للصحابي: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه، ومن لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى. ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى وقولنا (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.. ويدخل في قولنا: مؤمناً به كل مكلف من الإنس والجن.. ويخرج بقولنا (مات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به وارتد ومات على ردته..

ويعرف الصحابي بأشياء منها: أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي، ثم بالاستفاضة والشهرة، ثم بأن يروي عن أحد الصحابة بأن فلاناً له صحبة مثلاً، وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح، ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة: أنا صحابي..

والصحابة عدول بتعديل الله سبحانه وتعالى لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ وقوله: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾.. ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، علماً أنه لو لم يرد من الله سبحانه وتعالى

ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم. هذا مذهب كافة العلماء(١).

والتابعي هو من لقي الصحابي رضي الله عنه مؤمناً، ومات على الإسلام. وطرق معرفة التابعي أيضاً هي بالتواتر والاستفاضة والشهرة ورواية أحد الصحابة أوالتابعين بأنه تابعي أو أن يصرح هو بذلك. بل أن التابعين أيضاً عدول بتعديل الله سبحانه وتعالى لهم، فقد قال تعالى فيهم: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾(٢). ولِمَا جاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**. قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ قرنين أو ثلاثة. وقال النبي ﷺ: (**أن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**)(٣).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٧ ـ ١١.
(٢) سورة التوبة: ١٠٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ١١/ ١٧٢ (من الكرماني)
وفي كتاب بدء الخلق باب فضل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ من طريق إسحاق بلفظه وفيه (رسول) بدل (النبي) وفيه (خير أمتي) وليس فيه (النبي) وفيه (بعد قرنه قرنين) وفيه (ثم أن) قبل (بعدكم) وفيه بعد (لا يستشهدون) (ويخونون ولا يؤتمنون).
وفي نفس الكتاب والباب ٢٠٠ من طريق محمد بن كثير بلفظه وفيه (خير الناس) بدل (خيركم) وليس فيه قول عمران وفيه (ثم يجيء قوم) وفيه (تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) في آخره مع زيادات في آخر الحديث.
وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في القرن الثالث ٦/ ٤٦٩، ٤٧٠ من طريق واصل بن عبدالأعلى بلفظه وفيه (خير الناس قرني) وليس فيه عمران وليس فيه (قال النبي=

= ﷺ) وفيه (ثم يأتي من بعدهم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها).
وفي نفس الكتاب والباب ٤٧٠، ٤٧١ من طريق قتيبة بن سعيد بلفظه وفيه (خير أمتي) وفيه (القرن الذي بعثت فيهم) وفيه (ولا أعلم أذكر الثالث أم لا). وفيه (ثم ينشأ) (أقوام) وقدم (يشهدون) وفيه (ويفشو فيهم السمن).
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
وفي نفس الكتاب والباب ٤٧٠ من طريق الحسين بن حريث نحوه.
قال الترمذي وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ. (من تحفة الأحوذي).
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد ٢/٧٩١ من طريق عثمان بن أبي شيبة وعمرو بن رافع بلفظه بدأ الحديث بـ (سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير قال: قرني) وليس في كلام عمران وفيه (ثم يجيء قوم تبدو شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته).
وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق عبدالله بن الجراح نحوه.
أخرجه أحمد بن حنبل ١/٣٧٨ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (خير الناس) ليس فيه قول عمران وفيه (ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهادتهم إيمانهم وإيمانهم شهادتهم).
وفي ١/٤٣٤ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (خير الناس) وفيه (ثلاثاً أو أربعاً) بعد (يلونهم) وفي نهايته مثل حديثه السابق.
وفي ١/٤١٧ نحوه.
وفي ٢/٢٢٨ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (خير أمتي القرن الذي بعثت فيه) وفيه بعد (يلونهم) (والله أعلم أقال الثالثة أم لا) وفيه ثم يجيء قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا.
وفي ٢/٩١٠ من طريق عبدالله بلفظه وفيه قول أبو هريرة (لا أدري ذكر مرتين أو ثلاثاً) وفيه قبل يشهدون (ثم خلف من بعدهم قوم يحبون السمانة).
وفي ٤٧٩ من طريق عبدالله أخرجه بلفظ حديثه أعلاه وفيه (يخلف من بعدهم).
وفي ٤/٢٦٧ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (خير الناس) وفيه قول عمران (فلا أدري قال رسول) وفيه (ثم يكون بعدهم) قدم (يشهدون).
وفي ٤/٤٢٦ نحوه.
وفي ٢/٤٣٦ من طريق عبدالله بلفظه وفيه سمعت عمران في أول الحديث وفيه (لا أدري مرتين أو ثلاثة) وفيه (ثم يأتي أو يجيء) بدل (أن) وقدم (ينذرون) على (يخونون) وفيه

حفظ ورواية الحديث في عهد الصحابة والتابعين:

لقد كان رسول الله ﷺ المصدر الأساسي الذي يستقي منه الصحابة تعاليم الإسلام، وكانوا يرجعون إليه في جميع أمورهم، يستفتونه فيفتيهم، يسألونه فيجيبهم، ويستهدون به فيهديهم إلى سواء السبيل. وبعد انتقال رسول الله ﷺ إلى جوار ربه لم يبق أمام الصحابة والتابعين، إلا كتاب الله وسنة رسوله. ولم يغادرهم النبي ﷺ إلا بعد أن اكتمل الدين: **﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1].

وتمسك الصحابة رضوان الله عليهم بسنة رسول الله ﷺ جنباً إلى جنب مع كتاب الله مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2]. وعملوا على تبليغ السنة النبوية الشريفة إلى كل من يدخل الإسلام ويحيط بالقرآن علماً. وقد اقتدى الصحابة برسول الله ﷺ لقوله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**[3].

وكان صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم يحرصون كل الحرص، ويتوخون منتهى الدقة عند روايتهم لما يحفظون من أحاديث رسول الله ﷺ لأنه حذر من الكذب عليه. أخرج البخاري بسنده عن أنس أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً، أن النبي ﷺ قال: **«من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»**[4]. فالسنة النبوية الشريفة كانت محفوظة في صدور الصحابة يحدثون

= (ويظهر منهم) قبل (السمن).
وفي ٤/ ٤٤٠ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (خير امتي القرن الذي بعثت فيهم) وفيه (والله أعلم أذكر الثالث أم لا) وفيه (ثم ينبوء قوم) قدم (يشهدون) وفيه (ويفشو فيهم السمن).

(١) سورة المائدة: ٣.
(٢) سورة الحشر: ٧.
(٣) سورة الأحزاب: ٢١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/ ٣٥ وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب العلم باب في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ٧/ ٤٢١ وقال فيه: حديث حسن غريب صحيح وروى هذا الحديث =

= من غير وجه عن أنس عن النبي ﷺ. (من تحفة الأحوذي).

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٣.

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من النسائي والدارقطني في مقدمة كتاب الضعفاء. (انظر تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: ٩٢٨).

وأخرجه البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/ ٣٦ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه وفيه (من كذب علي متعمداً) بدل (من تعمد علي الكذب) مع زيادات في أول الحديث.

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من مسلم، والحاكم في المدخل. (انظر تحذير الخواص ١١).

وأخرجه البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/ ٣٥ عن عبدالله بن الزبير بلفظه وفي أول الحديث (قلت للزبير: إني لأسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان، وفلان. قال: أما إني لم أفارقه منذ أن أسلمت ولكني سمعته يقول: من كذب علي . .) حذف (من تعمد علي كذباً).

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ٧/ ٤١٨، ٤١٩ (من تحفة الأحوذي).

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ ٤/ ٣١٩ ـ ٣٢٠.

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٤.

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من النسائي والدارقطني (انظر تحذير الخواص: ١٠).

وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت وقال عمر رضي الله عنه، دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقعاً أو لقلقة عن المغيرة بن شعبة ٧/ ٨٦ بلفظه. وحذف أول الحديث وأبدله بـ (إن كذباً علي ليس ككذب على أحد من كذب علي متعمداً).

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب العلم باب من روى حديث وهو يرى أنه كذب ٧/ ٤٢٢ وقال فيه: حسن صحيح (من تحفة الأحوذي).

وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من مسلم والدارقطني (تحذير الخواص ١١).

بعضهم بعضاً، ويصدقون بعضهم بعضاً. ولم يكن الصحابة يعرفون الكذب. جاء عن أنس بن مالك أنه حدث بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له رجل: أسمعت هذا من رسول الله؟ قال: نعم. أوحدثني من لم يكذب. والله ما كنا نكذب ولا كنا ندري ما الكذب[1].

= وأخرجه الحاكم في المدخل بلفظه وفيه في أول الحديث (حدثوا عني ولا تكذبوا علي من كذب علي متعمداً).
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده لكل من البخاري والترمذي والحاكم في المدخل (تحذير الخواص: ١٢).
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٢٩٧ عن جابر بلفظه وحذف أول الحديث وأبدله بـ (من كذب علي متعمداً) قبل فليتبوأ.
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/١٣.
وأخرجه الترمذي في كتاب باب في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ٧/٤١٩ عن ابن مسعود بهذا اللفظ.
وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/١٣، ١٤ عن أبي هريرة بلفظه وأبدل أول الحديث بـ (من تقول علي ما لم أقل).
وأخرجه أحمد بن حنبل ٣/٣٠٣ عن جابر بلفظه حذف أوله وفيه (من كذب علي متعمداً).
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى الدارمي وابن ماجه (تحذير الخواص: ١٣).
وبهذا اللفظ وعن خالد بن عرقطه أخرجه أحمد بن حنبل ٥/٢٩٢.
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من البزار وأبو يعلى والطبراني (تحذير الخواص: ١٩).
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٢٠١ عن عقبة بن عامر بلفظه وفيه (من كذب علي متعمداً).
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من (أبو يعلى والطبراني) (تحذير الخواص: ١٩).
وبهذا اللفظ عن زيد بن أرقم أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٦٧.
وبهذا اللفظ وعن نفس الصحابي زاد السيوطي إسناده إلى كل من البزار والطبراني) تحذير الخواص: ٢١.

(١) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع: ١٢أ.

ومن حرص صحابة رسول الله ﷺ على سنته أنهم كانوا يتعمدون الإقلال من روايتها متى ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. وهم كانوا لورعهم وتقواهم يخشون الوقوع في الخطأ. وفي ذلك قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: (أدركت مائة وعشرين من الأنصار، أصحاب محمد ﷺ ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه)[١].

الصحابة والتثبت من الرواية:

راعى الصحابة رضوان الله عليهم عند التحديث أحوال المحدثين. فقد قال ابن مسعود: إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغه عقله فيكون عليه فتنة. وكان العلماء ـ كما قال الزهري ـ لا يحدثون إلا طلاب العلم، ويأبون تحديث السفهاء وأهل الأهواء. وقد بلغ ببعضهم الحرص أن لا يحدث إلا من حفظ القرآن[٢].

ولقد تشدد صحابة رسول الله ﷺ في التثبت من الحديث قبل أخذه من الرواة. وقد كان أبو بكر الصديق أول من تثبت في قبول الحديث بعد عهد النبي ﷺ، فقد جاء في تذكرة الحفاظ قول الذهبي: (كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار. فروى ابن شهاب عن قبيصة بن زؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً. ثم سأل الناس. فقام المغيرة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد؛ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك. فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه)[٣]، ومن الواضح أن أبا بكر كان ينوي التثبت في أخذ الحديث فاستدعى شهادة رجلين لقبوله.

وقد روي أيضاً أن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يتشدد في قبول الأخبار. ومن ذلك ما جاء في حديث البخاري من حديث أبي سعيد

---

(١) طبقات ابن سعد ٧: ١٤.
(٢) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع: ١٢٩ ب.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧.

الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**». فقال: والله لتقيمن عليه بينة. أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم. فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاث ٢٢/٨٥ وفي آخر الحديث قول ابن المبارك أخبرني عيينه حدثني يزيد عن بسر سمعت أبا سعيد بهذا.
وفي نفس الكتاب والباب والجزء ص ٨٥ نحوه (من الكرماني).
وأخرجه مسلم في كاب الآداب. باب الاستئذان ٨/٥٩، ٦٠ من طريق عمرو بن محمد بن بكير الناقد بلفظه وفيه وفي أوله (جالسه بالمدينة) بعد (كنت) وفيه (إذ جاء أبو موسى فزعاً) وليس فيه (كأنه) وفيه (أو) قبل (مذعور) وفيه قبل (قال) (قلنا ما شأنك) وفيه (إن عمر أرسل إلي أن آتيه فأتيت بابه فسلمت ثلاثاً فلم ترد علي فرجعت) قبل (ما منعك) مع زيادات أخرى وفيه (قال عمر أقم عليه البينة وإلا أوجعتك) وليس فيه (أمنكم أحد..) وفيه (لا يقوم معه إلا أصغر القوم) وبعدها زاد (قال أبو سعيد قلت أنا أصغر القوم قال: فاذهب به إليه).
وأخرجه مسلم في نفس الكتاب والباب: ٨٦٠، ٨٦١ من طريق أبو الطاهر نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب ٨٦٠ من طريق قتيبة بن سعيد وابن أبي عمر بلفظه. قال مسلم زاد ابن عمر في حديثه (قال أبو سعيد فقمت معه فذهبت إلى عمر فشهدت له).
وفي نفس الكتاب والباب ٨٦١ من طريق نصر بن علي الجهضمي نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق محمد بن المثنى، وابن بشار نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب ٨٦٢ من طريق محمد بن حاتم نحوه ومن طريق محمد بن بشار نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب ٨٦٢، ٨٦٣ من طريق حسين بن حريث أبو عمار نحوه.
وفي نفس الكتاب والباب ٨٦٣ من طريق عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان نحوه.
وأخرجه الترمذي في أبواب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في أن الاستئذان ثلاث ٧/٤٦٤ ـ ٤٦٦ من طريق سفيان بن وكيع نحوه.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان ٤/٣٤٥، ٣٤٦ من طريق أحمد بن عبده بلفظه وفيه (كنت) قبل (جالساً) وفيه (فجاء أبو موسى فزعاً) وفيه (فقلنا له ما أفزعك) وفيه (أمرني عمر أن آتيه فأتيته) قبل (فاستأذنت) =

طلب عمر بن الخطاب من أبي موسى البينة على الحديث حرصاً في التثبت خاصة وأن عمر بن الخطاب كان حاكماً ومعلماً للرعية وأراد أن تقتدي به الرعية في التثبت من الرواية. ومن المعروف تاريخيًا أن الفتوحات الإسلامية كانت قد كثرت في عهد عمر، ودخل في الإسلام كثير من الناس فخشي عمر على حديث رسول الله ﷺ من الدس والتدليس خاصة بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية. وقد علق الخطيب على[1] هذه القصة بقوله: أما طلب بعض الصحابة دليلاً على صدق المحدث فهو من باب التثبت. أما العادة التي درج عليها الصحابة هي قبول الأخبار دون شاهد. ولم يشذوا عنها إلا في مواقف خاصة رمياً منهم على تعليم المسلمين التثبت في الحديث.. وكيف يكون عمر شاكًا في صدق أبي موسى وهو الذي يقول له: إن كنت لامينا على رسول الله ﷺ ولكني أردت أن لا يتجرأ الناس على الحديث. ثم انظر ما رواه مسلم من أن أبيًا عاتب عمر على موقفه من أبي موسى وقال له: لا تكن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ. ألا ترى في هذا العتاب الشديد دليلاً على أن عمر وقف من أحد الصحابة موقفاً لم يكن مألوفاً لديهم.

= وفيه (أن تأتيني) بعد (منعك) وفيه (قد جئت) قبل (فاستأذنت) وليس فيه (فرجعت) وفيه (لتأتيني على هذا بالبينة) وليس فيه من (أمنكم إلي والله) وفيه (فقال قام أبو سعيد معه فشهد له).

وفي نفس الكتاب والباب ٣٤٦ من طريق مسدد نحوه.

وفي نفس الكتاب والباب والصفحة من طريق يحيى بن حبيب نحوه ومن طريق زيد بن أحرم نحوه.

وفي نفس الكتاب والباب ٣٤٧ من طريق عبدالله بن مسلمة نحوه.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب الاستئذان ٢/ ١٢٢١ من طريق أبو بكرة نحوه.

وأخرجه أحمد بن حنبل ٣/ ٦ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (كنت في حلقة من حلق الأنصار) وفيه (فجاءنا) وفيه (أن عمر قد أمرني أن آتيه فأتيته) قبل (فاستأذنت) وليس فيه (على عمر) وليس فيه (من ما منعك إلي فرجعت) وفيه (لتجيئني ببينة على الذي تقول وإلا أوجعتك) وفيه زيادات وفيه (لا يقوم معك) وفيه (وكنت أصغرهم) وفيه (وشهدت أن رسول الله ﷺ قال: من استأذن ثلاث فلم يؤذن له فليرجع).

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٦٣ انظر أيضاً شرف أصحاب الحديث.

ومما يؤكد لنا حرص عمر بن الخطاب على أن لا يضيع حديث رسول الله وسط زحام أحاديث أهل الكتاب وغيرها من أهل البدع أنه نهى أحد التابعين من نسخ كتاب دانيال الذي يعتبره النصارى أحد أنبياء بني إسرائيل وأفردوا له كتاباً في أسفار العهد القديم فيه نبؤاته وأقواله[1]. نهى عمر هذا التابعي عن نسخ كتاب دانيال لكي لا تختلط كتب النصارى المحرفة وأقوالهم المزيفة مع سنة رسول الله ﷺ.

جاء عند ابن عبدالبر أن عمر كان يخشى أن يهمل المسلمون القرآن والسنة وكذلك كي لا يختلفوا في عقيدتهم[2].. ولهذا نهى عمر هذا التابعي عن استعمال هذا الكتاب بجانب كتاب الله وسنة رسوله. وقد كان عمر محقًّا كل الحق في ذلك، حريصاً كل الحرص على سنة رسول الله ﷺ خاصة وأنها لم تكن قد دوّنت كلها كالقرآن في عهد النبي.

وكانت عادة الصحابة حتى بين يدي النبي ﷺ عندمايروي أحدهم الحديث عن غيره من الصحابة أن يذكر، ذلك كأن يروي عليًّا حديثاً سمعه عن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ. أو يروي أبو بكر حديثاً سمعه عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ. ولقد تمسكوا بتلك العادة بعد رحيل الرسول ﷺ عنهم إمعاناً في التثبت والحيطة فظلوا يطلبون الإشهاد على الرواية، بل كانوا يمتحنون من يحدثهم ويختبرونه بتكرار الحديث عدة مرات للتأكد من صحته كما حدث لعبدالله بن عمرو مع عائشة في الحديث الصحيح الذي أورده مسلم من حديث عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي بلغني أن عبدالله بن عمرو مار بنا إلى الحج فألقه فسائله فإنه قد حمل عن النبي ﷺ كثيراً. فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم**». فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟ قال عروة حتى إذا كان قابل قالت: إن ابن عمرو قدم فألقه ثم فاتحه حتى تسأله عن

---

(١) انظر .Good News Bible pp: 954 - 973

(٢) انظر جامع بيان العلم ١/ ٦٤.

الحديث الذي ذكره لك في العلم قال: فلقيته فذكر لي نحو ما حدثني به في المرة الأولى، فلما أخبرتها بذلك قالت ما أحسبه إلا قد صدق. أراه لم يزد فيه ولم ينقص[1].

وقيل أن أول من فتش عن السند من التابعين هو التابعي الجليل الشعبي الذي جعل يفتش عن سند حديث سمعه عن رسول الله ﷺ من الربيع بن هيثم فسأل الشعبي الربيع: عمن سمعت هذا الحديث؟ فلما أشار الربيع إلى عمرو بن ميمون الأوذي ظل الشعبي يبحث عن الأوذي حتى وجده وسأله عمن سمع هذا الحديث. فأجابه عمرو بن ميمون بأنه سمعه من عبدالرحمن بن أبي ليلى. فظل الشعبي يبحث عن ابن أبي ليلى إلى أن لقيه وكرر نفس السؤال له. فأجابه ابن أبي ليلى حدثني أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وبعدها اقتنع الشعبي بصحة الحديث.

ولم يقبل التابعون ولا أتباعهم الحديث دون أن يسألوا عمن هذا..[2].

الصحابة والرحلة في طلب الحديث:

رحل الصحابة في طلب حديث رسول الله ﷺ إلى الأمصار البعيدة رغم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٥/٥٢٦.
وأخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ٢/٩٦ من طريق إسماعيل بن أويس بلفظه وفيه (لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد) وفيه (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) مع زيادات في آخره.
وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الاعتصام. باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس. ٧/٤٩ نحوه.
وأخرجه الترمذي في كتاب العلم. باب ما جاء في ذهاب العلم ٧/٤١١ نحوه.
وأخرجه الدارمي في المقدمة باب ذهاب العلم ١/٦٨ نحوه.
وأخرجه أحمد بن حنبل ١/١٦٢ من طريق عبدالله بلفظه وفيه (لا يقبض العلم انتزاعاً) وفيه (ينتزعه من العباد) وفيه (يقبض العلم بقبض العلماء) مع زيادات في آخر الحديث.
وأخرجه أحمد بن حنبل ١/١٩٠ من طريق عبدالله بلفظه بلفظ حديثه السابق.

(٢) انظر الجرح والتعديل ١/٣٤.

صعوبة المواصلات. وقد شهد لهم التابعون بذلك. روى ابن عبدالبر أن رجلاً من أهل خراسان سأل عامراً فقال يا أبا عمرو: كيف تقول في رجل كانت له وليدة فاعتقها فتزوجها؟ فإنا نقول عندنا هو كالراكب بدنة. فقال: حدثنا أبو بردة عن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له وليدة فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها وأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، وإيما عبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران. أعطيتكها بغير أجر، فلقد كان الراكب يركب فيما هو أدنى من هذا إلى المدينة»**[1].

وقد خرج أبو أيوب الأنصاري من المدينة قاصداً عقبة بمصر ليطمئن قلبه فيما يتصل بحديث لم يبق ممن سمعه عن الرسول ﷺ غيره وغير عقبة. فقد قال ابن عبدالبر: خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة. فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري ـ وهو أمير مصر ـ فأخبره فخرج إليه فعانقه ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من ستر مؤمناً في الدنيا على خزيه**[2] **ستره الله يوم القيامة»** فقال له أبو أيوب: صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى المدينة.. اهـ[3].

وقد قال سعيد بن المسيب إني كنت لأسافر في مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد. وقال عمرو بن أبي مسلمة للأوزاعي: يا أبا عمرو، أنا ألزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثاً، قال: وتستقل ثلاثين حديثاً في

---

(١) جامع بيان العلم ١/ ٩٤.

(٢) الخزية هو الشيء يستحيا منه. انظر لسان العرب ٨/ ٢٤٧.

(٣) جامع بيان العلم ١/ ٩٣، ٩٤.

أربعة أيام؟ لقد سار جابر بن عبدالله إلى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عقبة في حديث واحد وانصرف إلى المدينة لا يلوي على شيء وأنت مستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام![1].

والرحلة في طلب الحديث ترينا مدى حرص صحابة رسول الله ﷺ في حفظ ومراجعة حديثه الشريف مهما كلفهم ذلك من الجهد والمشقة. وكان سماع الحديث الواحد في رواية صحيحة عن النبي ﷺ أحب إلى الصحابة من الدنيا بما فيها. يقول الدكتور صبحي الصالح في ذلك ما نصه: (واختلفت أشكال الرحلة ومصدرها باختلاف الأشخاص والأمصار والأجيال. فكان في الراحلين من يمشي على رجليه، ومن يرتحل وهو ابن خمس عشرة سنة أو ابن عشرين، ومن يوصف بأنه أحد من رحل وتعب، أو بأن له رحلة واسعة، أو أنه أكثر وأكثر الترحال، أو أن له العناية التامة بطلب الحديث والرحلة، أو أنه بقي في الرحلة بضع عشرة سنة. وكان يقال في أمثال هؤلاء أحياناً: نضرب إليه آباط المطي، وأكباد المطي، أو رحل الناس إليه أو كانت الرحلة إليه في زمانه)[2].

ولم يكتف صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم بحفظ السنة وروايتها. بل كانوا يسارعون في تطبيقها عمليًا. ومن ذلك ما جاء في صحيح الإمام البخاري عن مجاهد أنه قال: كنت عند عبدالله بن عمرو وغلامه يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي؟ أصلحك الله. قال إني سمعت رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه[3].

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث: ٨٢٧.

(٢) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح: ٥٥، ٦٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب الجار اليهودي: ٤٣.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في حق الجوار من طريق محمد بن عيسى نحوه.
وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حق الجوار من طريق محمد بن عبدالأعلى نحوه وقال فيه: حديث حسن غريب ٦/ ٧٤ (من تحفة الأحوذي).
وفي نفس الكتاب والباب والجزء عن عائشة رضي الله عنها بلفظه أتي في أول الحديث قبل (يوصي) بـ (مازال جبريل صلوات الله عليه) وأبدل (حتى خشينا أو روينا) بـ (ظننا) =

ومنها ما جاء أيضاً في صحيح البخاري من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية[1] فمروا عليهما بجنازة فقاما فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض أي من أهل الذمة[2]. فقالا: أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال: أليست نفساً؟[3].

ومنها أيضاً ما جاء في صحيح البخاري من حديث المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة[4] وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت[5] رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امروء فيك جاهلية. إخوانكم خولكم[6] جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم

= ٦/ ٧٥ بلفظه وعقب عليه بقوله هذا حديث حسن صحيح.

(١) القادسية بالقاف وكسر الدال المهملة والسين المهملة المكسورة وتشديد الياء مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وبها كانت وقعة القادسية أيام عمر بن الخطاب بينها وبين الكوفة مرحلتين وبينها وبين بغداد نحو خمس مراحل (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٠٧).

(٢) الذمة والذمام هي بمعنى العهد والأمان والضمان والحرية والحق وسمي أهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب من قام لجنازة يهودي ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤ (من فتح الباري).

وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة ٧/ ٢٨، ٢٩ من طريق أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن المثنى بلفظه ليس فيه (أي من أهل الذمة) أبدل النبي بـ (رسول) وليس فيه (قيل له جنازة) بل فيه (فقيل إنه).

أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز باب القيام للجنازة ٢/ ١٨٢ عن جابر نحوه.

(٤) الربذة بالتحريك قرية معروفة قرب المدينة وبها قبر أبي ذر الغفاري (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٨٣) انظر أيضاً تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٣١).

(٥) السب الشتم فقال سبه يسبه سبًا وسباباً (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٣٠).

(٦) الخول: حشم الرجل واتباعه وأحدهم خائل وقد يكون واحداً ويقع على العبد والأمة وهو مأخوذة من التخويل أي التمليك وقيل من الرعاية (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٨٨).

فأعينوهم[1].

الصحابة والتابعون ورواية الحديث بالمعنى:

لقد كثرت الفتوحات في عصر الصحابة والتابعين، واعتنق الإسلام كثير من الموالي والعجم[2]. وعليه فقد كان من الضروري ترجمة القرآن وترجمة سنة رسول الله ﷺ خدمة للناطقين بغير العربية. لذلك رخص الصحابة رواية الحديث بالمعنى، واشترطوا أن يبين راوي الحديث ذلك. وهذا لم يكن بدعة منهم إنما علمهم رسول الله ﷺ ذلك فكان يرسل الكتب للناطقين بغير العربية، وكان له رسل يترجمونها كالرسائل التي كان يرسلها للملوك. فالصحابة والتابعون كانوا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية من طريق سليمان بن حرب ١/ ٩٣، ٩٤ (من فتح الباري).
وفي كتاب العتق باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم من طريق آدم بن أبي إياس بلفظه حذف من (الربذة) إلى (بامه) وأبدله بـ (فشكاني إلى النبي ﷺ) وليس فيه (يا أبا ذر) زاد بعد (بأمه) الثانية (ثم قال) ليس فيه (إنك امرؤ فيك جاهلية) زاد (أن) قبل (إخوانكم) (ما يغلبهم) قبل (فأعينوهم) ٦/ ١٠٥ (من فتح الباري).
وفي كتاب الأدب باب ما نهي من السباب واللعن من طريق عمرو بن حفص نحوه ١٩/ ٧٧ (من فتح الباري).
وفي الأدب المفرد باب سباب العبيد: ٥٧، ٥٨ من طريق آدم بلفظ حديثه في كتاب العتق وزاد (قلت نعم) بعد (أعيرته بأمه).
وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البر باب ما جاء في الإحسان إلى الخادم من طريق بندار بلفظه حذف أول الحديث وبدأه من قوله ﷺ (إخوانكم) وليس فيه (خولكم) وفيه (فتنة) قبل (تحت أيديكم) ومنه (من طعامه) و(من لباسه) و(لا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه فليعنه) ٦/ ٧٥، ٧٦ (من تحفة الأحوذي).
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٨٥ من طريق عبدالرحمن نحوه.
أورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب العتق باب الإحسان إلى الموالي والوصية بهم ٤/ ٢٣٦ عن رجل من الصحابة نحوه وزاد إسناده إلى أبو يعلى.
وفي نفس الكتاب والباب والجزء ٢٣٧، ٢٣٨ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ نحوه وزاد إسناده إلى الطبراني.

(2) العجم والعجم خلاف العرب.. يقال عجمي وجمعه عجم وخلافه عربي وجمعه عرب ورجل أعجم وقوم أعجم، لسان العرب ٢/ ٦٩٦.

يروون الحديث بالمعنى للضرورة ولتقارب ألفاظهم من ألفاظ الرسول ﷺ. وفي ذلك يقول محمد عجاج الخطيب: (يمكننا أن نحكم أن رواية الحديث بالمعنى كانت للضرورة، وكانت بقدر، وخاصة بعد أن عرفنا ورع الصحابة والتابعين ودقتهم في رواية الأخبار، وتحفظهم وتثبتهم مما يروون أو يسمعون. وهذا يرجح عندي أن الرواية بالمعنى إن وقعت تاريخيًا من بعض الصحابة فإنما كانت بألفاظ قريبة جدًّا من ألفاظه ﷺ لأنهم رأوا رسول الله ﷺ وسمعوا منه وتخرجوا بحلقاته واستضاءت قلوبهم بتوجيهه وعنايته. وكانوا على جانب عظيم من البيان والفصاحة. وهم أعلم الأمة بلغة العرب، لم يتسرب إلى كلامهم اللحن، ولم يغير سليقتهم ولسانهم امتزاج الأمم والشعوب.. ومن النادر أن نرى اختلافاً فيما نقلوه إلينا من جوامع الكلم أو مما يتعبد بلفظه كصيغ الأذان والإقامة والدعاء والتشهد وغير ذلك.. وليس جميع ما نقل إلينا مما اختلف لفظه بسبب الرواية بالمعنى، فجله يعود إلى تعدد مجالس الرسول ﷺ وكثرتها. فقد يتناول موضوعاً ويداوله في مناسبات مختلفة، ويجيب السائلين بما يتناسب مع أفهامهم. وقد يستفتيه أكثر من واحد في واقعة واحدة فيفتي كل واحد بما يكفيه ويروي غليله، وبعبارات متفاوتة تؤدي الغاية المقصودة. وما روي بالمعنى مع هذا لا يكاد يخفى على أهل هذا العلم لكثرة دراستهم حديث الرسول ﷺ، وللأمانة العلمية التي كان عليها الرواة فكانوا مثلاً رائعاً في الضبط والدقة والإتقان، يتبعون بعض ما يروونه بعبارة تفيد احتياطهم فيما نقلوه، وينبهون في أثناء سياق الحديث على موضع السهو أو الظن وكانوا يحرصون دائماً على نقل اللفظ النبوي كما صدر عنه عليه الصلاة والسلام.. اهـ[1].

كتابة الحديث في عصر الصحابة والتابعين:

وقد خشي الصحابة وأتباعهم من ضياع الحديث النبوي الشريف إن لم يتدارسوه فيما بينهم ويحفظوه ويدونوه. وكان الصحابة والتابعون بعد الفتوحات يتدارسون الحديث في كل الأمصار، وكانت تعقد بها حلقات للحديث ومذاكرته

---

(١) السنة قبل التدوين: ١٥٧.

كما كان يحدث في مكة والمدينة والكوفة وغيرها[1]. وكان أساتذة تلك الحلقات من الصحابة والتابعين. وكانوا دائماً يحثون طلابهم على مذاكرة الحديث. وقد كان ابن عباس الصحابي الجليل يحض طلبته على مذاكرة الحديث فيقول: تذاكروا هذا الحديث لا يفلت منكم فإنه ليس بمنزلة القرآن. القرآن مجموع محفوظ وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث تفلّت منكم، ولا يقل أحدكم حدثت أمس لا أحدث اليوم بل حدث أمس وحدث اليوم، وحدث غداً. كما كان يقول إذا سمعتم منا شيئاً فتذاكروه بينكم. وكان أبو سعيد الخدري يقول تذاكروا الحديث[2]. وقد داوم طلاب الحديث على حضور حلقات الحديث للمذاكرة في انتظام. وكان هناك أساتذة يتلقون عنهم الحديث. كما كانت هناك مدارس خاصة بتدريس الحديث النبوي الشريف. وقد قال في ذلك محمد عجاج الخطيب: (لم يكن طلاب العلم يكتفون بحضور مجلس الحديث ثم ينصرفون إلى أعمالهم حتى يحين المجلس القادم من غير أن يذاكروا ما يسمعونه. ولم يكن حضور حلقات العلم للتسلية وشغل أوقات الفراغ، متى شاء الطالب حضر، ومتى أحب انصرف منها. بل كان الطلاب يحضرون في أوقات معينة يخصصها لهم أستاذهم بعد صلاة الفجر مثلاً حتى الضحى أو بين الظهر والعصر فيتسابق الطلاب إلى الحلقة قبل انعقادها ليتخذوا أماكنهم حتى إذا ما حضر الأستاذ كان جميع الطلاب على استعداد لتلقي الحديث عنه. وقد يغيب عن الحلقة طالب، فيسأل عنه الشيخ ويعرف سبب غيابه. وقد يكلف بعض إخوانه بالسؤال عنه. فالحلقات في العصور الماضية كانت كالفصول النظامية في مدارسنا الحديثة)[3].

بل أن التابعين انكبوا على الكتابة في حلقات الصحابة. بل أن بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصاً شديداً. فقد كان سعيد بن جبير التابعي الجليل يكتب عن ابن عباس فإذا امتلأت صحفه كتب في نعله حتى يملأها. وكان سعيد بن جبير يقول: إنه كان يسير بين ابن عباس وابن عمر في طلب الحديث فيسمع منهما

---

(١) انظر التاريخ الكبير لابن عساكر ١/٦٩.

(٢) انظر شرف أصحاب الحديث: ٩٥.

(٣) السنة قبل التدوين: ١٥٩ ـ ١٦٠.

الحديث فإن لم يجد شيئاً يكتب فيه كتبه على واسطة الرحل حتى ينزل فيدونه[1].

بل أن الصحابة كانوا يوصون التابعين بالكتابة خشية ضياع العلم. فالحسن بن علي رضي الله عنهما كان يقول لبنيه وبني أخيه تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم تكونوا كبارهم غداً. فمن لم يحفظ منكم فليكتب وليضعه في بيته[2].

ومن أشهر التابعين الذين دونوا الحديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى عام ١٢٤هـ، وهو تابعي جليل التقى بالصحابة مثل أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وغيرهما وروى عن كبار التابعين من أمثال سعيد بن المسيب. وقد ورد في سيرة هذا التابعي أنه كان جريئاً في طلب العلم يسأل عما يريد، وأنه كان من أنشط طلاب العلم في طلب الحديث فيتردد على حلقات العلماء ولا يترك أحداً يعرف عنده شيئاً من العلم إلا قصده وسأله. واشتهر الزهري بذاكرة قوية. وكان سريع الحفظ بل كان يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته. وقال: ما استعدت حديثاً إلا مرة فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت. بل روي عنه أنه كان يراجع الحديث ليلاً حتى يصبح، بل كان يعنى بسند الحديث. فقد روى أحاديثاً كثيرة بأسانيد جيدة. بل كان يتثبت من سند الحديث. روى ابن حكيم أنه كان عند إسحاق بن أبي فروة وعنده الزهري فجعل ابن أبي فروة يقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ. فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجرأك على الله لا تسند حديثك؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم[3] ولا أزمة[4].

وكان الزهري يكتب الحديث المرفوع والموقوف. ومما يدلنا على ذلك أن محمد عجاج الخطيب نقل عن صالح بن كيسان قوله: (اجتمعت أنا والزهري نطلب العلم، فقلنا السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنّة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه. قال: فكتب ولم أكتب،

---

(١) انظر تقييد العلم ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٢) نفس المرجع السابق: ٩١.
(٣) خطم جمع خطام وهو الحبل الذي يقاد به البعير ١٥/ ٧٧ والزمام مثل الخطام. لسان العرب ١٥/ ١٦٤.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٥.

فأنجح وضيعت).

وقول أبي زناد: (كنا نكتب الحلال والحرام، وكان الزهري يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس. وكان الزهري أول من استجاب لطلب الخليفة عمر بن عبدالعزيز فدون له السنة في دفاتر، ثم وزع الخليفة لكل أرض له عليها سلطان دفتراً[1].

وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز التابعي أول الخلفاء الذين اهتموا بجمع الحديث وتدوينه، ذلك لأنه قد لاحظ وجود كثير من الخلافات المذهبية والعرقية واللغوية بين الناس. وخشي أن يؤدي ذلك إلى ضياع السنة واختلاطها بغيرها من الآثار الموضوعة فبادر بالكتابة إلى ولاته للتحري في جمع السنة النبوية الشريفة المكتوبة والمحفوظة في صدور الرجال. كما قام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتوجيه كثير من العلماء الذين كانوا يسكنون دار الخلافة بالكتابة في هذا الشأن من أمثال الزهري وأبي بكر بن حزم وغيرهما. وكان من الطبيعي أن يقف عمر بن عبدالعزيز هذا الموقف، لأن الفتوحات كانت قد اتسعت في عهده وبالتالي كثر عدد الناقلين لأحاديث الرسول ﷺ، فترى الحديث الذي كان يرويه صحابي عن الرسول ﷺ ويرويه عن هذا الصحابي أربعة أو خمسة من التابعين ويرويه عن التابعين عدد أكبر وبالتالي اتسعت رقعة الرواية للحديث وكثر ناقلو الحديث، فأراد عمر بن عبدالعزيز أن يضع حدًّا لسند الحديث وأراد هذا الخليفة أن يضع حدًّا للوضاعين الذين كانوا قد أكثروا الرواية من الحديث بعد الفتنة الكبرى ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

---

(١) السنة قبل التدوين: ٤٩١.

(٢) انظر تهذيب التهذيب ١٢: ٣٩.

المبحث الثالث

حفظ ورواية الحديث في عهد أتباع التابعين

بانتهاء القرن الأول الهجري، وفي النصف الأول من القرن الثاني الهجري ظهرت كتب المصنفات في الحديث. فبعد أن كان الحديث يجمع في الصحف والكتب دون ترتيب أو تبويب بدأ العلماء يرتبون الأحاديث حسب مصنفات الفقه والتفسير وغيرها. بل أن كتب المصنفات كانت تكتب في معظم البلاد الإسلامية التي فتحت في القرن الثاني الهجري وعلى أيدي علماء عديدين منهم: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج البصري (١٥٠هـ) بمكة، مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩) ومحمد بن إسحاق بالمدينة، حماد بن أبي سلمة بالبصرة، وسفيان الثوري (٩٧ ـ ٢٦١هـ) بالكوفة، ومعمر بن راشد باليمن، والإمام عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ ـ ١٠٧) بالشام، وعبدالله بن المبارك (١١٨ ـ ١٨١هـ) بخراسان، وهشيم بن بشير (١٠٤ ـ ١٨٣هـ) بواسط[1] وغيرهم.

وكانت تلك المصنفات تجمع بجانب الحديث النبوي الشريف فتاوى الصحابة والتابعين. وخير مثال لذلك موطأ الإمام مالك بن أنس.

الإمام مالك (٩٣ ـ ١٧٩هـ):

هو أبو عبدالله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ومحدثها الأشهر. وهو صاحب المذهب الفقهي المعروف والذي اعتمد فيه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس وزاد على ذلك عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة. تلقى العلم عن كبار الفقهاء من التابعين. وسمع كثيراً من الإمام الزهري حتى ليعتبر من أشهر تلاميذه. كما سمع من نافع مولى ابن عمر، واشتهر بالرواية عنه حتى أصبحت روايته تسمى في عرف المحدثين بالسلسلة الذهبية وهي (مالك عن نافع عن ابن عمر). دأب مالك على طلب العلم حتى صار إمام أهل الحجاز. وأطلق عليه لقب عالم المدينة وإمام دار الهجرة. كان مالك يعقد مجلساً للحديث في مسجد

---

(١) الجرح والتعديل لأبي لبابه حسن ٧٣.

النبي ﷺ بالمدينة ولا يرفع صوته في المجلس إجلالاً لرسول الله ﷺ، ولقوله تعالى: **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**[1].

وكان الإمام مالك عالماً بالفقه والحديث معاً فكان فقيهاً ومحدثاً، وقد روي عنه أنه كان محدثاً مشهوراً من كبار المحدثين في عصره. وكانت مجالسه للتحديث معروفة ومشهورة، بل كان يقصده الناس من مختلف الأمصار لسماع الحديث عنه. وكان مالك يتكلم في الحديث وفقه الحديث وكان له آراء في المسائل الإجتهادية أيضاً.

وأشهر ما عرف به الإمام مالك رحمه الله كتاب الموطأ الذي جمعه وألفه بعد أن حثه الخليفة المنصور على أن يؤلف كتاباً جامعاً في العلم وأن يوطئه للناس[2].

عني الإمام مالك في كتابه (الموطأ) بتدوين الأحاديث الصحيحة. وقد قيل أنه مكث أربعين سنة ينقح هذا الكتاب ويوضحه. وقد بوب الإمام مالك رحمه الله الموطأ على أبواب العلم المختلفة، وذكر في كل باب ما جاء فيه من حديث رسول الله ﷺ مبيناً الحديث المرفوع عن الموقوف والمقطوع. وكثيراً ما كان الإمام مالك يشرح الأحاديث ويوضح عباراتها.

اتفق المحدثون على أن موطأ الإمام مالك هو أقوم مؤلف في الحديث النبوي الشريف، وبأن الإمام مالك كان من كبار المحدثين في عصره. اعترف له أقرانه بذلك. قال سفيان بن عيينة: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ولا يحدث إلا عن ثقات.

وقال يحيى بن سعيد القطان: كان مالك إماماً في الحديث.

وقال قدامة: كان مالك أحفظ أهل زمانه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل ليحيى بن عبدالسلام عندما أحب حفظ

---

(١) سورة الحجرات: ٣.

(٢) انظر الجرح والتعديل ١/ ١٤ ـ ١٧.

الحديث: عليك بحديث مالك. وعندما سأله عن رأيه في مالك قال ابن حنبل: سمعت أبي يقول: مالك بن أنس ثقة، إمام الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهري. وإذا خالفوا مالكاً من أهل الحجاز فالحكم لمالك. ومالك نقي الرجال، نقي الحديث، وهو أنقى حديثاً من الثورى والأوزاعي.

وقال الإمام الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم. وقال أيضاً: إذا جاء الحديث عن مالك فشد به يديك. وقال أيضاً: كان مالك إذا شك في بعض الحديث طرحه كله. وقال ابن قدامة: كان مالك أحفظ أهل زمانه[1].

ومن تلك الأقوال نستنتج أن كتَّاب المصنفات كانوا أتقياء ورعين وكانوا من الأئمة المشهود لهم بالعلم والحفظ وقوة الذاكرة. فهم كانوا يفهمون الحديث ويستوعبونه ويتأكدون من سلسلة رواته قبل تدوينه في كتبهم.

ثم ظهرت كتب المسانيد التي أسند فيها لكل صحابي الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ سواء كان الحديث في الفقه أو التشريع أو المعاملات أو غيرها. ومنها مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ ـ ٢٤١هـ الذي ولد ببغداد وحضر مجالس العلماء في عصره أمثال أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة. ولقد جد الإمام أحمد بن حنبل في طلب العلم، فكان يلتقي بالشيوخ ويحفظ منهم ويكتب عنهم حتى صار إماماً للسنة النبوية الشريفة في عصره. ومن تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل البخاري ومسلم صاحبي أصح كتابين في الحديث النبوي الشريف.

والباحث في سيرة الإمام أحمد بن حنبل يجد أنه كان زاهداً وورعاً وعلى جانب عظيم من العلم والذكاء. وقد شهد له العلماء بذلك:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أورع، ولا أتقى، من أحمد بن حنبل.

وقال الحسن بن منصور الجصاص قلت لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت. وقال محمد البغوي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر[2].

---

(١) انظر الجرح والتعديل ١/ ١٤ ـ ١٧.

(٢) شرف أصحاب الحديث: ٦٨.

ولقد صنفت كذلك الكتب الصحيحة في الحديث النبوي الشريف، وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه.

صحيح الإمام البخاري ١٩٤ ـ ٢٥٦هـ:

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة الجعفي مولاهم، إمام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الإطلاق. ولد ببخارى ١٩٤هـ. ولقد بدأ حفظ الحديث النبوي الشريف وهو لم يبلغ العاشرة من العمر. ودرج على حفظ الحديث ومذاكرته وطاف الأقطار باحثاً عنه كما أخبر بذلك هو نفسه حيث قال: دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين. ودخلت البصرة أربع مرات. وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين. كان البخاري لا يسمع بشيخ يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا رحل إليه واختبره وسأله عنه وأخذ منه. كان البخاري أيضاً آية في الحفظ وقوة الذاكرة بصيراً بعلل الأسانيد ومتونها. ولقد اختبره علماء الحديث وأعجبوا بقوة حفظه وذاكرته وأمانته في نقل الحديث. بل أعجبوا غاية الإعجاب بتمكنه من الحديث النبوي الشريف.

كتب البخاري صحيحه المعروف لدى المسلمين عندما أشار أحد شيوخه على الطلبة بكتابة كتاب مختصر للأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله ﷺ، فوقع هذا القول في قلب الإمام البخاري ولبى طلب شيخه. وبدأ يجمع في صحيحه الذي سماه (الجامع الصحيح) الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توفرت في رجاله العدالة والضبط واللقيا. ومن شروط البخاري التي انفرد بها أنه اشترط السماع واللقيا بعد ثبوت معاصرة التلميذ لشيخه. وبهذا كان صحيح الإمام البخاري أول كتاب في تدوين الحديث النبوي الشريف بهذه الشروط الدقيقة. ترك البخاري الأحديث الحسنة والضعيفة واقتصر على الأحاديث الصحيحة. ولقد بوب الإمام البخاري صحيحه على أبواب العلم والفقه ورتبه على أبواب موافقة للأحاديث التي يشملها هذا الباب. وعرض فيه المواقف وتعليقات المعلقين وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء العلماء. ونجد أن البخاري عمل على تقطيع الحديث إلى أقسام يذكر في كل باب القسم الذي يناسبه

من الحديث. وقد بلغت أحاديثه كما قال ابن حجر في مقدمة فتح الباري (٧٣٩٧) حديثاً بالمكرر، وبغير المكرر ٢٦٠٢ حديثاً. ولما أتم تاليف صحيحه وتمحيصه عرضه على كبار المحدثين في عصره من أمثال الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم فاستحسنوه. ولقد عكف الناس من بعده على صحيحه حفظاً ودرساً وشرحاً وتلخيصاً. وعلق على هذا الكتاب الإمام الذهبي قائلاً: وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى. فلو رحل الشخص إلى سماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته[1].

وروي أن علماء بغداد حين قدم عليهم البخاري قد اجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا إسناداً لآخر وإسناد هذا متناً لآخر ودفعوها إلى عشرة أنفس كل رجل عشرة، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري. وأخذوا الوعد للمجلس، فحضر المجلس أصحاب الحديث من القرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. فمازال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته. والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: فهم الرجل، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب إليه رجل آخر من العشرة فسأله عن تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه، فلم يزل يلق عليه واحداً بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه. ثم انتدب إليه الثالث والرابع، إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع: ٤٤٦.

بالفضل[1].

وعلق السباعي على صحيح البخاري بقوله: (هذا ولم يعن علماء الإسلام بكتاب ـ بعد القرآن ـ كما عنوا بصحيح البخاري حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار، وترجمة رجال، عدداً كبيراً جدًّا، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين وثمانين شرحاً كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون.
ومن أشهر هذه الشروح أربعة: شرح الإمام بدرالدين الزركشي واسمه التنقيح (ـ ٧٩٤هـ) وشيخ الإسلام ابن حجر (ـ ٨٥٢هـ) من فتح الباري وهو أجل هذه الشروح وأوفاها وأكثرها شهرة وفائدة، وشرح العلامة العيني الحنفي (ـ ٨٥٥هـ) في عمدة القارىء، وشرح الجلال السيوطي (ـ ٩١١هـ) في التوشيح..[2].

صحيح الإمام مسلم ٢٠٤ ـ ٢٦١هـ:

هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. ولد سنة ٢٠٤هـ بنيسابور، وطلب العلم منذ الصغر. ثم رحل إلى أقطار الإسلام طالباً لحديث رسول الله ﷺ، فسافر إلى العراق والحجاز والشام ومصر وأخذ عن شيوخها. وقد تتلمذ مسلم على مشايخ البخاري وغيرهم. وكان الإمام مسلم شديد الإعجاب بالبخاري شديد التقدير له. وقد اقتدى به في جمع صحيحه. كتب مسلم كتاب الصحيح المشهور بصحيح مسلم وجمع فيه أحاديث رسول الله ﷺ، ولم يشترط مسلم كالبخاري مع المعاصرة اللقيا بل اكتفى بالمعاصرة. وكان تجريحه للرجال وتركه لهم أقل من تجريح الإمام البخاري لهم. لذلك قال العلماء أن أصح صحيح هو البخاري يليه في المرتبة صحيح الإمام مسلم.

والمتتبع لصحيح مسلم يجد أنه بعكس البخاري لم يقطع الحديث، ولم يكرر الإسناد، وإنما جمع ما ورد في الحديث الواحد في باب واحد، جامعاً في الحديث طرقه التي ارتضاها وأورد أسانيد متعددة بألفاظ مختلفة.

وقد شرح صحيحه كثير من الأئمة. ومن ذلك شرح الإمام الحافظ أبي

---

(١) تدريب الراوي: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٤٤٧.

زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ـ ٦٧٦هـ). وقد اختصره كذلك عدد من العلماء. ومن أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لأحمد بن عمر القرطبي (ـ ٦٥٦هـ) ومختصر الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذري[١].

سنن النسائي ٢١٥ ـ ٣٠٣هـ:

هو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني الحافظ، إمام عصره في الحديث وقدوتهم في الجرح والتعديل. ولد ٢١٥هـ بنساء وهي بلدة مشهورة في خراسان. ولقد تتلمذ على أشهر أئمة الحديث بخراسان، ورحل في طلب الحديث إلى الحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة.

كان النسائي شديد الحفظ والورع، بارعاً في علوم الحديث حتى نقل الذهبي أنه كان أحفظ من الإمام مسلم.

ألف النسائي سننه الكبرى في البداية. وكان فيها الصحيح والمعلول ولكنه اختصرها في السنن الصغرى وسماها (المجتبى). وكتاب المجتبى يلي الصحيحين في الدرجة لأنه أقل السنن ضعفاً. وقد شرح سننه الجلال السيوطي في كتاب مختصر سماه (زهرة الربى على المجتبى). وكذلك أبو الحسن محمد بن عبدالهادي السندي الحنفي (ـ ١٣٨هـ) اقتصر فيه على ما يحتاج إليه القارىء والمدرس في ضبط اللفظ وإيضاح الغريب[٢].

سنن أبي داود ٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ:

هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني. ولد سنة ٢٠٢هـ وتوفي سنة ٢٧٥هـ. رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر وخراسان. أخذ العلم عن شيوخ البخاري ومسلم وكتب عنهم.

أثنى عليه العلماء بالعلم والفهم مع الورع والتقوى وحسن التدين.

قال فيه الحاكم أبو عبدالله: كان أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة. قصر سننه على الأحكام، وبذلك كان أول من ألف في الأحكام من أهل

---

(١) تهذيب الأسماء للنووي: ٢/ ٨٩ انظر أيضاً مفتاح السنة: ٤٦.

(٢) تهذيب الأسماء للنووي ٢/ ٨٩.

السنن والصحاح. وكتابه في السنن جامع للأحاديث التي استدل بها فقهاء الأمصار وبنوا عليها الأحكام. ولذلك قال الإمام أبو سليمان الخطابي: اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله. ولقد رزق القبول من كافة الناس فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم. فالكل فيه ورد، ومنه شرب، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد الغرب وكثير من أقطار الأرض.

أما المنهج الذي اتخذه الإمام أبو داود في تصنيف مسنده فهو ما أخبر به عن نفسه كما نقله ابن الصلاح في مقدمته قائلاً: (ذكرت فيه الصحيح وما أشبهه وقاربه، وما كان في كتابي حديث فيه وهن شديد فقد بينته وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضه أصح من بعض)[1].

وقد شرح سنن أبي داود كثير من أهل العلم منهم الخطابي (٣٨٨هـ) وقطب الدين اليمني الشافعي (٧٥٢هـ) وشهاب الدين الرملي (٨٤٤هـ) واختصرها الحافظ المنذري (٦٥٦هـ) وهذب المختصر ابن القيم (٧٥١هـ) وقد شرحه شرف الحق العظيم آبادي وسماه (عون المعبود).

الإمام الترمذي: ٢٠٩ ـ ٢٧٠هـ:

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي. ولد بترمذ عام ٢٠٩هـ وأخذ الحديث عن كثير من العلماء منهم قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن موسى وسفيان بن وكيع، والإمام البخاري وغيرهم. رحل الترمذي في طلب الحديث النبوي الشريف إلى أقطار عديدة منها خراسان والعراق والحجاز وتلقى الحديث عن أئمتها حتى أصبح إماماً في الحديث. وكان الترمذي إماماً جليلاً ورعاً حافظاً للحديث ثقة. وقد شهد له العلماء بذلك:

قال أبو يعلى الخليلي: ثقة متفق عليه. ويكفي في توثيقه أن إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري كان يعتمده ويأخذ عنه.

ألف الترمذي كتاب الجامع على أبواب الفقه وغيره. واشتمل جامعه على

---

(١) الرسالة المستطرفة: ٩.

الحديث الصحيح والحسن والضعيف. إلا أن الترمذي بيّن في كتابه درجة كل حديث عند وروده في موضعه، وبيّن وجه ضعفه وبين مذاهب الصحابة وعلماء الأمصار، وعقد أبواباً للمسائل المختلفة وأفرد في كتابه فصلاً للعلل جمع فيه قواعد هامة[1].

وقد تناول كتابه بالشرح كثير من العلماء منهم أبو بكر بن العربي (٤٥٣هـ) ومنهم الجلال السيوطي، وابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) وعبدالرحمن المباركفوري الهندي (١٣٥٣هـ) وسماه (تحفة الأحوذي).

الإمام ابن ماجه ٢٠٧ ـ ٢٧٣هـ:

هو أبو عبدالله بن محمد بن يزيد بن ماجه الحافظ. طلب علم الحديث ورحل في طلبه حتى سمع من كثير من أصحاب الإمام مالك. وروى عنهم الكثير.

ولقد اعترف العلماء بفضله في الحديث، فقال أبو يعلى الخليلي القزويني: وكان عالماً بهذا الشأن، صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن، وارتحل إلى العراق ومصر والشام.

وقال ابن كثير: ابن ماجه هو صاحب السنن المشهورة الدالة على علمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة في الأصول والفروع. وسننه تشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً وألف وخمسمائة باباً، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسير منها.

شرح سننه كثيرون منهم محمد بن موسى الزميري (٨٠٨هـ) والسيوطي في مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه[2].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣/ ١١٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٥٢.

الفصل الثالث

في العناية بسند ومتن الحديث الشريف

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أقسام الحديث النبوي الشريف.

المبحث الثاني: دراسة أحوال السند والمتن.

المبحث الثالث: صور من تحمل الحديث النبوي الشريف وتناقله بين الرواة.

المبحث الأول

أقسام الحديث النبوي الشريف

رأينا من استعراضنا لحفظ ورواية وكتابة الحديث النبوي الشريف، منذ عهد النبي ﷺ وإلى عهد ظهور كتب المصنفات والكتب الصحيحة عند أتباع التابعين وأتباعهم كيف عني المسلمون بالحديث النبوي الشريف سواء كان مكتوباً أم محفوظاً. ورأينا كذلك كيف عني الصحابة وأتباعهم بالحديث بالتدقيق عند أخذه، بل كانوا يطلبون الإشهاد والبينة على الحديث قبل قبوله أو رده. ورأينا كيف رحل الصحابة في طلب الحديث للتأكد من صحة ما يسمعونه من حديث رسول الله ﷺ. ورأينا كيف تحقق التابعي الجليل الشعبي في حديث سمع أنه من حديث رسول الله ﷺ فظل يبحث عن سند الحديث حتى تيقن من أن راوي الحديث صحابي فاطمأن قلبه وقبل ذلك الحديث. ورأينا كيف تم تدوين كتب المصنفات، وبحثنا عن سيرة مصنفيها لإثبات عدالتهم وتحريهم الدقة في رواية الحديث.

وسنحاول في هذا الفصل إن شاءالله تتبع الطرق والمناهج التي اتخذها هؤلاء المصنفون لرد أو قبول الحديث النبوي الشريف، وكيف كانوا يتثبتون في ذلك.

ولقد وضع العلماء شروطاً عديدة لرد أو قبول الحديث النبوي الشريف منها:

أن لا يكون المروي مخالفاً لمحكم القرآن، وأن لا يكون مخالفاً لما ثبت نقله عن النبي ﷺ، ولا يكون ركيك اللفظ أو المعنى، وأن تثبت روايته عن النبي ﷺ من طرق عديدة وصحيحة. وهناك شروط اشترطوها في راوي الحديث أيضاً، منها:

أن يكون راوي الحديث مسلماً، فلا تقبل الرواية من كافر. وأن يكون راشداً، فلا تقبل الرواية من طفل. وأن يكون راوي الحديث عاقلاً، فلا تقبل

الرواية ممن بعقله خلل أو مرض. وأن لا يكون راوي الحديث مجاهراً بفسق أو معصية. اشترط العلماء أيضاً في راوي الحديث أن يكون عالماً بما يقول، ضابطاً لما يكتب ويتلفظ به بحيث أنه لو اختُبر بأحد أحاديثه وقد زيد عليه شيء لأدرك تلك الزيادة التي أُدخلت على حديثه في الحال.

وقسمت الأحاديث كذلك على حسب ضبط الرواة وقوة أحاديثهم إلى أحاديث صحيحة، أحاديث حسنة، وأحاديث ضعيفة. أما الموضوع وهو المكذوب على النبي ﷺ فهو شر أنواع الحديث.

والحديث في اصطلاح العلماء والمحدثين هو المرفوع، والموقوف، والمقطوع.

فالحديث المرفوع هو الذي يرفعه الصحابي إلى النبي ﷺ سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

والحديث الموقوف هو الذي يقف عند الصحابي، وبه قول الصحابي أو فعله.

والحديث المقطوع هو الذي يحكي أقوال وأفعال التابعين.

القسم الأول: الحديث الصحيح:

هو الحديث الذي يتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه (مرفوع، موقوف، مقطوع) من غير شذوذ أو علة. وينقسم الحديث الصحيح بدوره إلى حديث صحيح لذاته، وحديث صحيح لغيره. واشترط المحدثون عند الحكم على الحديث بالصحة عدة شروط منها:

أ ـ اتصال السند بلا انقطاع إلى أن يصل إلى النبي ﷺ أو الصحابي أوالتابعي.
ب ـ أن يكون الرواة كلهم عدول ثقات في كل طبقة من طبقات سند الحديث.
ج ـ أن لا يكون في متن الحديث علة تجعله مردوداً.
د ـ أن لا يكون الحديث شاذًا بأن يخالف الراوي الثقة من هو أوثق منه.

إذا توفرت في الحديث جميع هذه الشروط كان الحديث صحيحاً لذاته ولا يحتاج لغيره في تقويته. أما إذا وجد في الحديث قصور فاحتاج إلى حديث أو أحاديث مشابهة من طرق أخرى لتقويته أطلق عليه علماء المصطلح اسم الحديث

(الصحيح لغيره).

فالحديث الصحيح لغيره هو الحديث الذي صار صحيحاً وقويًا لتقوية ومعاضدة غيره له.

إذا توفرت الشروط السابقة في أنواع الأحاديث الآتية أطلق عليها أحاديث صحيحة وإلا كانت غير صحيحة.

١ ـ الحديث المعنعن: بأن يقال فيه فلان عن فلان.

٢ ـ الحديث الفرد: وهو الذي يتفرد به شخص واحد، فإن توفرت في هذا الشخص شروط العدالة كان الحديث (صحيحاً). ويسمى غريباً إن تفرد به أهل قطر واحد.

٣ ـ الحديث العزيز: وهو الذي يرويه عن الشيخ الثقة إثنان أو ثلاثة. والحديث المشهور وهو الذي يرويه عن الشيخ جماعة، أو أن يكون مستفيضاً بأن يرويه جماعة في كل طبقة.

٤ ـ الحديث المتصف بالإسناد العالي المطلق والنسبي: فالإسناد العالي المطلق هو قرب الإسناد من النبي ﷺ حيث يتصف الحديث بقصر السند، والإسناد العالي النسبي هو قرب الإسناد من إمام من أئمة المسلمين.

٥ ـ الحديث المتصف بأن له متابع أو شاهد: فالمتابع يتابع به لفظ الحديث فقط، والشاهد قد يتابع به اللفظ والمعنى.

والمتابعة تنقسم بدورها إلى:

أ ـ متابعة تامة: بأن يتفرد شخص تتوفر فيه جميع شروط العدالة بحديث عن شيخه. وبعد المتابعة يكتشف أن هناك شخص آخر من نفس الطبقة يتمتع بجميع شروط العدالة يروي مثل حديثه عن نفس شيخه.

ب ـ متابعة قاصرة: وتكون المتابعة قاصرة فيما لو وجد الحديث المشابه للراوي الثقة عن شيخ آخر مغاير لشيخ راوي الحديث الذي تفرد به. (أي إذا روى الراوي الثقة الذي يتمتع بجميع شروط العدالة حديثاً عن شيخه وبعد المتابعة اكتشف أن هناك شخص آخر من نفس طبقة المحدث، ويتمتع بجميع شروط العدالة يروي الحديث عن شيخ آخر).

والشاهد أيضاً ينقسم بدوره إلى قسمين:

أ ـ الشاهد اللفظي: وهو أن يعاضد الحديث بحديث آخر مشابه له في اللفظ وبسند مختلف.

ب ـ الشاهد المعنوي أن يعاضد الحديث بحديث آخر مشابه له في المعنى وبسند مغاير.

٦ ـ الحديث المدرج قد يعد صحيحاً إذا توفرت فيه شروط الحديث الصحيح، وإذا بيّن الناقل أو الكاتب العبارات المدرجة والمدخلة في الحديث سواء كانت في أول الحديث أو في وسط الحديث أو في آخر الحديث. ويجب على الراوي أن يوضح كذلك إن كان الإدراج في المتن أو كان الإدراج في السند. فإن روى الحديث بأسانيد مختلفة فعليه أن يبين لمن اللفظ بأن يقول: (واللفظ لفلان).

٧ ـ ويكون الحديث صحيحاً مصحفاً وهو أن يكتب الحديث دون نقط أو تشكيل لأسباب عديدة (كضعف نظر الكاتب وغيرها) فإن تدارك تلك الأخطاء علماء ثقات وصححوه كان الحديث صحيحاً.

القسم الثاني: الحديث الحسن:

هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ولكنه سلم ـ أي الحديث ـ من الشذوذ والعلة. والفرق بين الحديث الصحيح والحديث الحسن هو أن الرواة في الحديث الصحيح تاموا الضبط أما في الحديث الحسن فقد يكون هناك راو خفيف الضبط، إلا أن النوعين من الحديث قد اشتركا في خلوهما من الشذوذ والعلة.

وينقسم الحديث الحسن بدوره إلى حديث حسن لذاته وحديث حسن لغيره.

فالحديث الحسن لذاته هو الذي تتوفر فيه الشروط أعلاه، وقد سمي حسناً لذاته لأنه لا يحتاج إلى شيء يحسنه ويرقى به إلى درجة الحديث الحسن. والحديث الحسن قريب جدًا في درجته من الحديث الصحيح. وقد يرفع الحديث الحسن إلى درجة الحديث (الصحيح لغيره) إن وجد ما يقويه.

أما الحديث الحسن لغيره فهو الذي كان في سلسلة سنده راو لا يعرف مدى أهليته أو عدم أهليته للرواية لكنه ليس كثير الخطأ ولا متهماً بالكذب. كما يجب أن يكون هذا الحديث متابعاً بحديث آخر يماثله في المعنى فيرتفع الحديث السابق به بعد أن كان ضعيفاً إلى درجة الحديث الحسن لغيره.

وإذا توافرت شروط الحديث الحسن في الأحاديث التالية أطلق عليها إسم الحديث الحسن، وإلا كان الحديث ضعيفاً.

١ ـ الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع.

٢ ـ الحديث المعنعن.

٣ ـ الحديث الغريب أو الفرد.

٤ ـ الحديث العزيز والمشهور والمستفيض.

٥ ـ الحديث المتصف بالإسناد العالي المطلق والنسبي.

٦ ـ الحديث المتصف بأن له شاهداً لفظيًا أو معنويًا وكانت متابعته تامة أو قاصرة.

٧ ـ الحديث المدرج الذي توافرت فيه شروط الحديث الحسن، وتم توضيح نوع الإدراج فيه سواء في سند الحديث أو متنه.

القسم الثالث: الحديث الضعيف:

قسم علماء الحديث المتقدمون الحديث إلى قسمين فقط: (الحديث الصحيح) و(الحديث الضعيف). وأي حديث يفقد شرطاً من شروط الصحة كانوا يطلقون عليه إسم الضعيف. أما الحديث الحسن والذي بينه المتأخرون ووضعوه بين مرتبتي الحديث الصحيح والحديث الضعيف فكان يدرج تحت الحديث الصحيح أحياناً لمشاركته للحديث الصحيح في العمل به والاحتجاج به كما أدرجه بعضهم تحت الحديث الضعيف حتى جاء المتأخرون من أمثال الترمذي وميزوا الحديث الحسن عن الحديثين الصحيح والضعيف ووضعوه في درجة خاصة بينهما[1]. وقد عرف ابن الصلاح الحديث الضعيف بقوله: كل حديث لم تجتمع

---

(١) تدريب الراوي: ٩٠.

فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن المذكورتان فهو حديث ضعيف[1]. وقد تعددت تسميات الحديث الضعيف تبعاً لتعدد موجبات الطعن فيه. وقد أطلق علماء الحديث على أغلب أنواعه أسماء خاصة إلا أنه يمكن حصرها تحت أقسام ثلاثة:

١ ـ ما كان الضعف فيه ناشئاً من قِبَل الطعن في ضبط الراوي.

٢ ـ ما كان الضعف فيه ناشئاً من قِبَل الطعن في عدالة الراوي.

٣ ـ ما كان الضعف فيه ناشئاً من قِبَل الجهل بالراوي[2].

أولاً: الأحاديث التي كان ضعفها بسبب الطعن في ضبط الراوي:

١ ـ الحديث الشاذ:

وهو أن يأتي الثقة بحديث يخالف ما يرويه غيره من الثقات، ولا يوجد أصل متابع للحديث (وهذا هو وجه الضعف فيه).

ومن أمثلة الشذوذ في السند ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس: أن رجلاً توفي على عهد رسول الله ﷺ ولم يدع وارثاً إلا مولى هو أعتقه. وتابع بن عيينة على وصله ابن جريج وغيره، وخالفهم حماد بن زيد فرواه عن عمرو بن دينار عن عوسجة، ولم يذكر ابن عباس. ولذا قال أبو حاتم: (المحفوظ حديث ابن عيينة)، فحماد بن زيد من أهل العدالة والضبط ومع ذلك فقد رجح أبو حاتم رواية من هم أكثر عدداً منه[3].

ومن أمثلة الشذوذ في المتن، ما رواه أبو داود والترمذي من حديث عبدالواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: إذا صلى أحدكم الفجر فليضّجع عن يمينه. قال البيهقي: خالف عبدالواحد العدد الكثير في هذا، فإن الناس إنما رووه عن فعل النبي ﷺ، لا من قوله. وانفرد عبدالواحد من

---

(١) علوم الحديث: ٣٧.

(٢) الوضع في الحديث.

(٣) تيسير مصطلح الحديث ١١٦.

بين ثقات أصحاب الأعمش بهذا اللفظ[1].

٢ ـ الحديث المنكر:

وهو الحديث الذي يرويه الراوي الضعيف ويخالف فيه رواية الثقة أو الثقات. مثال ذلك:

حديث أبي القاسم عن أبي طالب العشاري قال: نا الدارقطني نا عبدالله بن القاسم قال: نا سليمان بن الربيع، نا همام بن مثلم. قال حدثنا عمر بن عبدالله بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي مسلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: من رفع كتاباً عن الطريق فجعله فيما لا يوطأ تعظيماً لاسم الله عز وجل.. قال الدارقطني تفرد به سليمان عن همام. وسليمان ضعيف، غير أسماء مشايخ وروى عنهم مناكير.

وقال ابن حبان: همام يسرق الحديث ويروي عن الثقات ما ليس من حديثهم فبطل الإحتجاج به[2].

ومن أمثلة الحديث المنكر أيضاً ما جاء في تدريب الراوي: حدثنا محمد بن ناصر وابن عبدالباقي قال: حدثنا حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا سياد بن حاتم قال: حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء، قال عبدالله: قال أبي: هذا حديث منكر. ومن رواية عنه أنه قال: الخطأ من جعفر[3].

٣ ـ الحديث المضطرب:

عرفه الدكتور صبحي الصالح بقوله: (هو الحديث الذي تتعدد رواياته ولكن لا يمكن ترجيح إحدى تلك الروايات على الأخرى. والإضطراب قد يقع في سند

---

(١) تدريب الراوي: ٨٢.
(٢) العلل المتناهية: ٨٢.
(٣) نفس المرجع: ٩١.

الحديث أو متنه. . والإضطراب يقع في الإسناد غالباً، وقد يقع في المتن لكن قل أن يحكم المحدث على الحديث بالإضطراب في المتن وحده دون الإسناد.

ومن أمثلة الإضطراب في الإسناد حديث أبي بكر أنه قال: يا رسول الله أراك شبت. قال: شيبتني هود وأخواتها.

قال الدارقطني: هذا حديث مضطرب، فإنه لم يرو إلا من طريق أبي إسحاق، وقد اختلف فيه على نحو عشرة أوجه. فمنهم من رواه عنه مرسلاً، ومنهم من رواه موصولاً، ومنهم من جعله من مسند أبي بكر، ومنهم من جعله من مسند سعد، ومنهم من جعله من مسند عائشة، ورواته ثقات لا يمكن ترجيح بعضهم على بعض والجمع متعذر.

ومثال الاضطراب في المتن حديث البسملة الذي أخرجه مسلم في صحيحه من رواية الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدث قال: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بـ(الحمد لله رب العالمين) لا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول قراءة ولا آخرها.

فهذه العبارة الأخيرة التي ينص فيها الراوي على نفي قراءة البسملة هي المتن المضطرب في هذا الحديث لأن مسلماً والبخاري اتفقا على إخراج رواية أخرى في الموضوع نفسه لا يتعرض فيها الراوي لذكر البسملة بنفي أو إثبات، وإنما يكتفي بقوله: فكانوا يستفتحون القراءة، بـ(الحمد لله رب العالمين) يقصد أن الفاتحة هي السورة التي كانوا يستفتحون بها. ولو وقف الأمر عند هذا الحد لأمكن ترجيح الحديث المتفق عليه ومن ثم لم يوصف الحديث الأول بالإضطراب. ولكن رواية ثالثة عن أنس تفيد أنه سئل عن الإفتتاح بالبسملة فأجاب أنه لا يحفظ في ذلك شيئاً عن رسول الله ﷺ. وتردد مثله في هذه المسألة يحسب له حسابه، فأصبح عسيراً، أو متعذراً ترجيح ما يتعلق بالبسملة إثباتاً أو نفياً وتعذر الترجيح كان السبب المباشر في وصفنا لمتن الحديث الأول بالاضطراب[1].

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه: ١٨٧ ـ ١٨٩. شرح النخبة: ٢١.

٤ ـ الحديث المعلل:

هو الحديث الذي كان يبدو سليماً من العلل وبعد البحث والتنقيب أُكتشفت فيه علة تقدح في صحته. وهذا العلم يخفى على كثير من الناس إلا من كان منهم واسع الاضطلاع في الحديث النبوي الشريف وعلومه. وقال في ذلك ابن حجر: (هو أغمض أنواع علوم الحديث وأعقدها، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهماً ثاقباً، وحظًا واسعاً، ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتنون).

وقد أُلفت في علل الحديث مؤلفات كثيرة يستطيع الباحث فيها بسهولة ويسر أن يجد هذا النوع من الحديث وسبب العلة فيه. ومن تلك الكتب:

كتاب العلل لعلي بن المديني. وكتاب العلل للخلال ويقع في عدة مجلدات، وكتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي وغيرها[١].

٥ ـ الحديث المدرج:

وهو الحديث الذي غير الراوي في سنده أو متنه أو أدخل فيهما ما ليس منهما. أو أن يغير في سياق إسناده أو يدخل في متنه ما ليس منه بلا فصل[٢].

والحديث المدرج ينقسم بدوره إلى قسمين: مدرج الإسناد ومدرج المتن.

أما مدرج الإسناد فهو أن يروى حديثاً بسند غير سنده. ومثال ذلك قصة ثابت بن موسى الزاهد:

رُوي أن ثابت بن موسى دخل على شريك بن عبدالله القاضي وهو يملي ويقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ وسكت ليكتب المستملي. فلما نظر إلى ثابت قال: (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) وقصد بذلك ثابت لزهده وورعه، فظن ثابت أنه متن ذلك الإسناد فكان يحدث به.

أما الإدراج في متن الحديث فيأتي على ثلاثة أنواع:

---

(١) الرسالة المستطرفة: ٧١.

(٢) تيسير مصطلح الحديث: ١٠٢.

أ ـ وقوع الإدراج في أول الحديث ومن أمثلة ذلك: أن يقول الراوي كلاماً للاستدلال على الحديث، فيروي عنه دون أن يفصل بين قوله وبين الحديث، فيتوهم السامع أنه من الحديث الشريف. ومن أمثلة ذلك الحديث الذي ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار. فقوله: أسبغوا الوضوء من كلام أبي هريرة.

ب ـ وقوع الإدراج في وسط الحديث. ومن أمثلة ذلك حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في بدء الوحي: كان النبي ﷺ يعتكف في غار حراء، وهو التعبد، الليالي ذوات العدد.
فقوله (وهو التعبد) مدرج من كلام الزهري.

ج ـ وقوع الإدراج في آخر الحديث. ومن أمثلة ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: للعبد المملوك أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله، والحج، وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك.
فقوله (والذي نفسي بيده.. إلخ) من كلام أبي هريرة[1].

٦ ـ الحديث المقلوب:

وهو أن يُقدم أحد رواة الحديث في السند عن الآخر، أو توضع في متن الحديث عبارة مكان أخرى، أو لفظ مكان آخر.

ومن أمثلة ذلك أن يُقدم إسم الأب عن إسم إبنه، كالحديث المروي عن كعب بن مرة يقول فيه الراوي (مرة بن كعب).

ومن أمثلة القلب في المتن أن يقلب متن الحديث بأن يجعل صدر الحديث عجزه وعجزه صدره. ومثال ذلك (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله).

وهو وارد بهذا اللفظ عن الإمام مسلم: حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

---

(١) تيسير مصطلح الحديث: ٢١.

٧ ـ الحديث المصحّف والمحرّف:

والنوعان أي ـ التحريف والتصحيف ـ يقعان في المتن والسند. فالحديث المصحف هو أن يقع الخطأ في الحديث بسبب النقط مع بقاء صورة الخط. ومن أمثلة ذلك:

حديث شعبة عن العوام بن (مراحم) صحفه بن معين فقال عن العوام بن (مزاحم) (بالزاي بدل الراء). وحديث من صام رمضان وأتبعه (ستًا) من شوال، صحفه أبو بكر الصولي فقال: من صام رمضان وأتبعه (شيئاً) من شوال.

والحديث المحرف هو الحديث الذي يدخل فيه الغلط بسبب التشكيل كأن يضم المفتوح، ويكسر المرفوع.. وهكذا[١].

ثانياً: ما كان الضعف فيه ناتجاً عن الجهل بعدالة الراوي:

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الحديث المجهول.
٢ ـ الحديث المرسل.
٣ ـ الحديث المنقطع.
٤ ـ الحديث المعضل.
٥ ـ الحديث المعلق.
٦ ـ الحديث المدلس.

١ ـ الحديث المجهول:

وهو الحديث الذي لا يعرف فيه عين الراوي، أو حاله. وأسباب الجهالة بالراوي ثلاثة وهي:

١ ـ كثرة نعوت الراوي من إسم وكنية أو لقب أو صفة أو حرفة أو نسب، فيشتهر بشيء منها فيذكر بغير ما اشتهر به لغرض من الأغراض، فيظن أنه راو آخر فيحصل الجهل بحاله.

---

(١) توجيه النظر: ٢٦١.

٢ ـ قلة روايته، فلا يكثر الأخذ عنه لقلة روايته، فربما لم يرو عنه إلا واحد.
٣ ـ عدم التصريح بإسمه لأجل الإختصار ونحوه. ويسمى الراوي غير المصرح بإسمه (المبهم)[١].

٢ ـ الحديث المرسل:

هو الحديث الذي سقط منه الصحابي، فيقول فيه التابعي: قال رسول الله ﷺ دون أن يذكر الصحابي الذي سمعه من الرسول ﷺ.

ومن أمثلة ذلك: الحديث الذي رواه عبدالرحمن بن جابر عن النبي ﷺ من أنه قال: سادة السودان أربعة: لقمان الحبشي، والنجاشي، وبلال، ومهجع[٢].

٣ ـ الحديث المنقطع:

وهو الحديث الذي سقط من سنده رجل، أو يذكر في سياق سنده رجل مبهم، كأن يقال حدثنا رجل عن رجل أو حدثنا شيخ عن أبي هريرة.. ومن أمثلة ما سقط منه رجل:

حديث عن إسماعيل قال: حدثنا ابن مسعده قال: حدثنا حمزة قال: حدثنا ابن عدي قال: حدثنا علي بن محمد بن حاتم، حدثنا أحمد بن عيسى الخشاب قال: حدثنا إبراهيم بن مالك الأنصاري قال: حدثنا حماد بن يزيد عن أيوب عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هذا جبريل يخبرني عن الله سبحانه وتعالى: ما أحب أبا بكر وعمر إلامؤمن تقي، ولا أبغضهما إلا منافق شقي، وأن الجنة لأشوق إلى سلمان الفارسي من سلمان إليها.

والإنقطاع ناتج في هذا الحديث عن أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة[٣].

٤ ـ الحديث المعضل:

هو أن يسقط من سنده راويان متواليان أو أكثر على التوالي. وهو نوع خاص من الحديث المنقطع. فالمنقطع قد يسقط منه أكثر من راو لكن ليس على التوالي.

---

(١) تيسير مصطلح الحديث: ١١٨ ـ ١١٩.
(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة: ٣٣.
(٣) انظر العلل المتناهية: ١٩٥.

٥ ـ الحديث المعلّق:

وهو أن يسقط في أول الإسناد راو أو أكثر. ومن أمثلة ذلك ما روي عن علي بن خشرم قال: كنا عند ابن عيينة فقال: قال الزهري، فقيل له: حدثكم الزهري، فسكت، ثم قال: قال الزهري، فقيل له سمعت من الزهري فقال: لا ولا ممن سمعه من الزهري، حدثنا عبدالرزاق عن معمر، عن الزهري[1].

٦ ـ الحديث المدلّس:

وينقسم الحديث المدلس إلى قسمين:

أ ـ تدليس السند.

ب ـ تدليس الشيوخ.

أما تدليس السند فهو أن يروي أحد الرواة حديثاً عن شيخ عاصره ولكنه لم يسمع منه موهماً بلفظه السامعين بأنه سمعه من ذلك الشيخ[2].

ومن أمثلة تدليس الشيوخ أن يصف راوي الحديث من سمع منه الحديث بأوصاف يبالغ فيها، أو تكون أعظم من حقيقة الراوي، أو يسمي شيخه بغير الاسم الذي اشتهر به[3].

ثالثاً: ما كان الضعف فيه ناشئاً عن الطعن في عدالة الراوي:

وقد يكون الطعن في الراوي لأسباب عديدة منها: فحش الغلط، وكثرة الغفلة أو أن يكون متهماً بالكذب والفسق والبدعة وغيرها. فإذا اتُّهم الراوي بالكذب يترك حديثه ويسمى حديثه الحديث المتروك. فإن كان الراوي فاحش الغلط وكثير الغفلة يسمى حديثه (المنكر). وإن كان الراوي يكذب على رسول الله ﷺ يسمى حديثه (موضوعاً). وستتحدث في الفصل القادم عن الحديث الموضوع إن شاءالله.

---

(١) انظر تدريب الراوي: ١٤٠.

(٢) الباعث الحثيث: ٥٨.

(٣) إختصار علوم الحديث: ٥٩.

والأحاديث الصحيحة والحسنة يعمل بها في العقائد والعبادات والمعاملات وفضائل الأعمال، أما الحديث الضعيف فلا يصح العمل به لا في فضائل الأعمال ولا غيرها.

قال الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحه: (يتناقل الناس هذه العبارة: يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال، فيسوغون بها جميع ما يتساهلون في روايته من الأحاديث التي لم تصح عندهم ويدخلون في الدين كثيراً من التعاليم التي لا تستند إلى أصل ثابت معروف، وأن هذه العبارة ليست على مر العصور أكثر من صدى لعبارة أخرى مماثلة لها منسوبة إلى ثلاثة من كبار أئمة الحديث هم: أحمد بن حنبل، وعبدالرحمن بن مهدي، وعبدالله بن المبارك، فقد روى عن هؤلاء أنهم كانوا يقولون إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا.

على أن عبارة هؤلاء الأئمة لم تفهم على وجهها الصحيح، فغرضهم من التشديد ليس مقابلة أحدهما بالآخر كتقابل الصحيح بالضعيف في نظرنا نحن، وإنما كانوا إذا رووا في الحلال والحرام يتشددون فلا يحتجون إلا بأعلى درجات الحديث وهو المتفق في عصرهم على تسميته (بالصحيح) فإن رووا في الفضائل ونحوها مما لا يمس الحل والحرمة، لم يجدوا ضرورة للتشديد وقصر مروياتهم على الصحيح، بل جنحوا إلى قبول ما هو دونه في الدرجة وهو الحسن، الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم، وإنما كان يعتبر قسماً من الضعيف. ولو أن الناس فهموا تساهل هؤلاء الأئمة في الفضائل إنما يعني أخذهم بالحديث الحسن الذي لم يبلغ درجة الصحة لما طوعت لهم أنفسهم أن يتناقلوا تلك العبارة السالفة «يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال»، فمما لا ريب فيه في نظر الدين أن الرواية الضعيفة لا يمكن أن تكون مصدراً لحكم شرعي ولا لفضيلة خلقية؛ لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، والفضائل كالأحكام من دعائم الدين الأساسية ولا يجوز أن يكون بناء هذه الدعائم واهياً على شفا جرف هار.

لذلك لا نسلم برواية الضعيف في فضائل الأعمال.. لأن لنا مندوحة عنه بما ثبت لدينا من الأحاديث الصحاح والحسان، وهي كثيرة جدًّا في الأحكام

الشرعية والفضائل الخلقية. ولأننا.. لا نؤمن من أنفسنا الاعتقاد بثبوت الضعيف، ولولا ذلك لما سميناه ضعيفاً، وإنما يساورنا دائماً الشك في أمره ولا ينفع في الدين إلا اليقين ـ اهـ)[1].

---

(١) علوم الحديث: ٢١٠ ـ ٢١٢.

المبحث الثاني

دراسة أحوال السند والمتن

قسم علماء الحديث علم دراسة الحديث النبوي الشريف إلى علمين رئيسيين:

أ ـ علم الحديث رواية، وهو العلم الذي يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير، أو صفة، وكل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأي المختار[1].

ب ـ علم الحديث دراية، أو علم أصول الحديث. ويبحث هذا العلم في أحوال الراوي والمروي من حيث القبول والرد. أما أحوال الراوي فتتلخص في معرفته جرحاً، أو تعديلاً، ومعرفة موطنه، وأسرته، ومولده، ووفاته.

أما أحوال المروي فهو ما يتعلق بشروط الرواية عند التحمل والأداء، كما يتعلق ذلك أيضاً بالأسانيد إتصالاً وانقطاعاً وإعضالاً وغيرها. وسنتحدث هنا باختصار عن بعض العلوم التي تبحث في دراسة السند والمتن لنرى إلى أي مدى صان المسلمون السنة النبوية الشريفة من التبديل والتحريف. وهذه العلوم هي:

١ ـ علم الجرح والتعديل.
٢ ـ علم رجال الحديث.
٣ ـ علم مختلف الحديث.
٤ ـ علم علل الحديث.
٥ ـ علم غريب الحديث.
٦ ـ علم ناسخ الحديث ومنسوخه.

---

(١) علوم الحديث: ١٠٧.

أولاً: علم الجرح[1] والتعديل[2]:

هو علم يبحث في جرح رواة الحديث، وتعديلهم بألفاظ مخصوصة. والجرح في الحديث هو أن يرُد المحدث الحافظ المتقن رواية الراوي لحديث لاكتشافه علة فادحة في هذا الراوي، أو في روايته بحيث تجعل حديثه ضعيفاً.

أما التعديل فهو وصف الراوي بما يفترض قبول روايته[3].

ومن المشهور أن علماء الحديث لم يجرحوا الرواة للتشهير بهم، وإنما كانوا يفعلون ذلك لوجه الله ولصيانة حديث رسول الله ﷺ. يقول في ذلك أبو لبابة حسن في كتابه الجرح والتعديل: (ونظراً لأهمية النتائج المادية والأدبية المترتبة على الجرح والتعديل، فإن العلماء نبهوا إلى وجوب تقوى الله والتزام حدود وآداب الإسلام التي جاء بها ليكرم الإنسان ويحفظ له كرامته ويحقق له الأمن والعدل ما التزم بالشريعة وأهدافها، وأن حفظ أعراض المسلمين لمن أقدس مقدسات الإسلام. ومن هنا حرص ابن دقيق العيد على التركيز على هذا المعنى وتذكير أصحاب الشأن في الجرح والتعديل بخطورة ما يمارسون من العمل فقال: أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام.. فلا مجال للتشنيع أو التشهير، وإنما هو أداء لواجب ديني يتمثل في النصيحة للمسلمين لدرء كل مفسدة يمكن أن تتسرب إلى أصول شريعتهم وفروعها)[4].

والعلماء مختلفون في تقديم أحدهما على الآخر. فالذين يعدون التعديل هو

---

(١) يقال جرح جرحه جرحاً إذا أثر فيه وكلمه بالسلاح ونحوه، وعند المبالغة يقال جرّحه أي أكثر فيه الجراح (لسان العرب ٢ ـ ٤٢٢) ويقال جرح الرجل فلاناً إذا غش شهادته. ويقال استجرح الشاهد إذا وجد ناقصاً غير كفء الشهادة (الفائق في غريب الحديث والأثر ١ ـ ٢٠٨).

(٢) العدل ضد الجور فيقال: هو يقضي بالحق أي يعدل فهو عادل لسان العرب: ٤٣٠ ـ ٤٣٢.

(٣) المختصر في علم الرجال والأثر: ٤٥.

(٤) الجرح والتعديل: أبو لبابة حسن ٧٥.

الأصل والجرح شيء طارىء يقولون بأنه يجب أن يبحثوا في سيرة الشخص المجروح قبل الحكم عليه. أما من يعتبر الجرح هو الأصل فيتركون رواية المحدث أن جرحه أحد الثقات.

ولقد رأينا عند الحديث عن حفظ ورواية وكتابة السنة أن هذا العلم بدأ بين يدي النبي ﷺ وذلك من أجل التثبت من الرواية. وفي عصر ظهور المصنفات ظهرت كتب عديدة في هذا العلم منها: طبقات ابن سعد الزهري البصري، وقد اختصره العلامة السيوطي عام ٩١١هـ بعنوان: «إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد» وللإمام البخاري تواريخ ثلاثة فيها تجريح وتعديل.

إن عناية العلماء بهذا العلم تظهر لنا مدى حيطة المسلمين وحرصهم على حفظ سنة رسول الله ﷺ كما وردت عنه تماماً.

ثانياً: علم رجال الحديث:

وهو العلم الذي يعرف به رواة الحديث. فهو علم يتحدث عن راوي الحديث، والعصر الذي عاش فيه، ونسبته، وكنيته وغيرها من الأشياء. وهو علم يفيد المتأخرين في معرفة رواة الحديث.

قسم المحدثون الرواة إلى طبقات مختلفة كطبقة الصحابة، وطبقة التابعين، وأتباعهم. ومن فوائد هذا العلم أنه يساعد على معرفة الأكابر من الأصاغر، والمتقدمين من المحدثين من المتأخرين، وينزل المحدثين منازلهم بحيث لا يخفى على طالب الحديث شيئاً عن سيرتهم، وعدالتهم، وصحة ما روي عنهم. وبجانب هذا فإن هذا العلم يزيل الاشتباه عن رواة الحديث. وقد ألفت كتب عديدة في هذا الشأن منها: طبقات ابن سعد (٢٣٠هـ)، وكتاب عزالدين بن الأثير المسمى (أسد الغابة في أسماء الصحابة). وكتب ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) كتاباً سماه (الإصابة في تمييز الصحابة). وقد اختصره السيوطي عام ٩١١هـ في كتابه (عين الإصابة).

ثالثاً: علم مختلف الحديث:

هو علم يبحث في أحاديث قد توهم التناقض لكل من ليست له خبرة ودراية

بالحديث النبوي الشريف وعلومه. هذا العلم فن دقيق يجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التناقض، ليزيل الإلتباس عن الحديث النبوي الشريف وذلك بتخصيص العام منها وتقييد المطلق وغيرها. قال الإمام النووي رحمه الله في ذلك: (هذا فن من أهم الأنواع، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف وهو: أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيوفق بينهما، أو يرجح أحدهما. وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه، والأصوليون الغواصون على المعاني)[1].

وقد ألف في هذا العلم علماء عديدون منهم الإمام الشافعي رحمه الله المتوفى (٢٠٤هـ)، وابن قتيبة المتوفى عام (٢٧٦هـ) والساجي المتوفى عام ٣٠٧هـ، وابن الجوزي المتوفى عام (٥٩٧هـ).

من فوائد هذا العلم أنه يزيل اللبس عن حديث رسول الله ﷺ حيث خشي المحدثون على الحديث من سوء فهم العامة فاحتاطوا لذلك بهذا العلم.

رابعاً: علم ناسخ الحديث ومنسوخه:

وهو علم يزال به الوهم عن الأحاديث التي قد لا يعرف من ليست له دراية بهذا العلم سبباً يوهم التعارض فيها. وكما أن الحديث ينقسم إلى مطلق ومقيد وعام وخاص فهو ينقسم أيضاً إلى ناسخ ومنسوخ. فعلماء الحديث لهم دراية بالأحاديث الناسخة والمنسوخة كعلمهم بأن الحديث المتقدم يكون منسوخاً والمتأخر يكون ناسخاً، ومن أمثلة ذلك: النهي عن كتابة الحديث في بدء الدعوة خشية التباسه بالقرآن، والإذن به عند زوال العلة. وكالنهي عن زيارة القبور والإذن بها، وغير ذلك من الأمور.

ويعرف علم الناسخ والمنسوخ أيضاً من معرفة تواريخ صدور الأحاديث من رسول الله ﷺ، ومن الإلمام بعلم السيرة النبوية الشريفة لمعرفة ما اشتهر عنه من سنة.

وقد أُلفت كتب عديدة للكشف عن ناسخ الحديث ومنسوخه ككتاب (ناسخ

---

(١) تدريب الراوي ١٩٧.

الحديث ومنسوخه) لأحمد بن إسحاق الديناري المتوفى (٣١٨هـ) ومؤلفات الأصبهاني المتوفى (٣٢٢هـ)، وابن الجوزي المتوفى عام (٥٩٧هـ)، ومن فوائد هذا العلم أيضاً أنه كسابقه يزيل اللبس عن حديث رسول الله ﷺ.

خامساً: علم علل الحديث:

ويكشف بهذا العلم عن علة الحديث كإدراج في الحديث، أو وصل منقطع به، أو الإيهام بأن الحديث من رواية شيخ لم يروه، وغيرها من العلل التي رأيناها عند استعراضنا للحديث الضعيف. وقد رأينا أيضاً بعض المؤلفات التي ألفت في هذا الشأن.

سادساً: علم غريب الحديث:

قد رأينا عند استعراضنا لحفظ ورواية وكتابة الحديث في عصر التابعين كيف أدت الفتوحات الإسلامية إلى دخول أعداد كبيرة في الإسلام من الذين لا ينطقون اللغة العربية، وكيف خشي العلماء من ضياع الحديث فاحتاطوا لذلك بجمعه، وبدأوا يدونونه في مؤلفات خاصة به بعد أن كان مدوناً في كتب وصحف صغيرة جمع فيها كل صحابي ما تيسر له من حديث بجانب أنها كانت مجموعة في صدور رجال ثقات عدول. وفي مثل هذا الوضع نجد أنه من الطبيعي أن تخفى معاني كثير من الكلمات العربية على الناطقين بغير اللسان العربي. وقد احتاط المحدثون لذلك بشرح وبيان وتوضيح الكلمات التي يتعسر فهمها على هؤلاء وغيرهم من العرب الذين قد تطرق الفساد إلى ألسنتهم. كل هذا أدى إلى ظهور علم خاص سماه المحدثون علم غريب الحديث يبحث فيه عن كل ما غمض من كلمات الحديث ويعمل على توضيحها.

ولقد كتب علماء عديدون في هذا الشأن مؤلفات ضخمة وقيمة منهم:

أبو عيينة معمر بن المثنى البصري (٢١٠هـ)، وأبو الحسن النضر المازني (٢٠٤هـ)، والقاسم بن سلام (٢٢٣هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ). وقد كتب العلامة الزمخشري (٥٣٨هـ) كتابه المعروف (الفائق في غريب الحديث والأثر)، وكتب مجد الدين المشهور بابن الأثير كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر)، واختصر

هذا الكتاب العلامة السيوطي (٩١١هـ) في كتاب سماه (الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير).

المبحث الثالث

صور من تحمل الحديث النبوي وتناقله بين الرواة

كان صحابة رسول الله ﷺ يسمعون الحديث منه مباشرة في كثير من الأحيان، وكانوا يروونه عنه، أو يكتبونه في صحفهم بعبارات وألفاظ تفيد سماعهم المباشر عن النبي ﷺ، أو ملاحظتهم المباشرة لسنته الفعلية والتقريرية، كقول الصحابي: قال رسول الله ﷺ. أو رأيت رسول الله ﷺ يفعل كذا، وكذا، أو سكت النبي ﷺ وغيرها.

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون سنة رسول الله ﷺ في أحيان أخرى بطريق رواية غيرهم من الصحابة عنه ﷺ، إذ درج الصحابة على تبليغ بعضهم بعضاً امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ لهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب. وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يبينون السنة التي تلقوها عن النبي ﷺ بألفاظ تفيد ذلك، كذلك كانوا يبينون ما يسمعونه من إخوانهم عن النبي ﷺ بألفاظ تفيد ذلك، كأن يحدث عبدالله بن الزبير عن عائشة ويبين ذلك بقوله: (قالت عائشة..) أو (روت عائشة عن رسول الله ﷺ). واستمر الحال كذلك في عصر التابعين وأتباعهم، وكل يوضح عمن سمع الحديث سواء كان سمعه من الرسول ﷺ مباشرة، أم سمعه من أحد يحدث عنه.

ولقد زادت رقعة رواية الحديث النبوي الشريف، وكثر طلبة العلم، وكثرت رحلتهم إلى الشيوخ الذين اشتهروا بعقد الحلقات لتدريس الحديث النبوي الشريف في العصور الأولى للإسلام. وكما رأينا سابقاً، فقد ظل طلبة الحديث يحملون الحديث عن شيوخهم وينقلونه لغيرهم. ولقد دقق علماء الحديث في معرفة كيفية نقل المحدثين من طلبة الحديث عن شيوخهم وعن العبارات التي استخدمت في ذلك. ولقد وضع علماء الحديث قواعد يبينوا فيها أهلية ناقل الحديث لرواية حديثه، من إجازة الشيخ لهذا التلميذ بإقراره بالإجازة مباشرة، أو

بأن يناوله كتابه، أو يكتب له بأن يروي عنه، أو يعلمه بذلك، أو توحي ألفاظ من الشيخ للطالب بأن يحدث عنه، أو يجد الطالب كتاباً بخط شيخه فيعرفه ويتبين خطه. وكلها أشياء تفيد إقرار الشيخ للتلميذ بالرواية عنه. وستتحدث عن ذلك فيما يلي باختصار إن شاءالله.

أولاً: السماع عن الشيخ:

اعتبر علماء الحديث أن أعلى صور تحمل الطالب للحديث عن شيخه هو السماع من لفظ شيخه، سواء قال الشيخ الحديث وسمعه الطالب من قوله، أم قرأ عليه الشيخ الحديث من كتابه فسمعه منه. وعلى الطالب أن يرويه عن شيخه بعبارة تفيد السماع المباشر كأن يقول: (سمعت)، أو (أخبرنا) أو (حدثنا)، أو (قال لنا)، أو (ذكر لنا فلان) أو (نبئنا أو أنبئنا) وهما قليلان في الاستعمال[1].

أ - لفظ (سمعت) مقدمة عن بقية الألفاظ، فقد بين الخطيب البغدادي ذلك في قوله: والأكثرون على تقديم لفظ (سمعت) على الألفاظ الباقية، ولا يكاد أحد يقولها في أحاديث الإجازة والمكاتبة، ولا في تدليس ما لم يسمعه، فكانت لذلك أرفع من سواها[2].

ب - ويلي قول (سمعت) في المرتبة قول المحدث (حدثني وحدثنا) مع ضرورة التمييز بين قوله حدثني وحدثنا. فإذا سمع عن العالم وحده قال: حدثني. وإذا سمعه عن الشيخ وغيره معه قال: حدثنا.

ج - ثم يأتي في المرتبة الثالثة قول المحدث أخبرني وأخبرنا مع ضرورة تمييز المحدث أيضاً بين اللفظ في حالة الإفراد والجمع. فإذا قال (أخبرني) فهو ما قرأ التلميذ على شيخه، وإذا قال (أخبرنا) هو ما قرىء أمامه على الشيخ وهو يسمع[3].

د - ثم يأتي قول المحدث (نبئنا وأنبئنا) وهما قليلان في الإستعمال، كما ذكر السيوطي.

---

(١) تدريب الراوي: ١٣٠.

(٢) الكفاية: ٢٨٤.

(٣) نفس المرجع السابق: ٢٩٤.

هـ ـ وأضعف العبارات منزلة أن يقول المحدث (قال) أو (ذكر) من غير أن يبين لمن ذكر الشيخ. هل ذكره له أم لغيره؛ لأن تلك العبارات توهم سماعه من الشيخ وهو نوع من التدليس.

ثانياً: القراءة على الشيخ:

وهي أن يلقي التلميذ الحديث على شيخه، من ذاكرته، أو من كتاب بيده، فيقره الشيخ. فهنا جاز للطالب أن يحدث بالحديث قائلاً: سمعت (قراءة على الشيخ) أو يقول: قرىء على الشيخ وهو يسمع[1] وأنا كذلك أسمع. وجوّز علماء الحديث للطالب أن يقول: سمعت من الشيخ قراءة عليه، أو حدثنا الشيخ قراءة عليه، أو أخبرنا الشيخ قراءة عليه، لكي لا يقع المحدث في التدليس أن قال سمعت، دون أن يوضح طريقة سماعه من الشيخ.

ثالثاً: الإجازة:

وهي أن يتيح الشيخ لتلميذه أن يروي عنه الأحاديث، سواء سمعها منه، أو وجدها مكتوبة في كتبه، وهي كانت تكتب غالباً بخط اليد فيعرف الطالب خط شيخه دون مشقة. وقد تشدد بعض العلماء في رواية الطالب بطريق الإجازة لأن الشرع لا يبيح رواية من لم يسمع[2] ولكن جمهور المحدثين أجازوها بشروط منها:

أ ـ إذا أجاز الشيخ لتلميذه، أو لتلاميذه، كتاباً معيناً.

ب ـ إذا أجاز الشيخ لتلميذه، أو لتلاميذه، رواية جميع مسموعاته. والإجازة تنقسم بدورها إلى أربعة أقسام:

١ ـ المناولة:

وهي أن يناول الشيخ تلميذه أحاديث مكتوبة ليرويها عنه. وقد رتب العلماء المناولة على درجات يتفاوت بعضها على بعضها الآخر، وأعلى درجات المناولة هي: أن يقول الشيخ لتلميذه بعد مناولته كتابه: قد ملكتك إياه، وأقررتك روايته،

---

(١) إختصار علوم الحديث: ١٢٤.

(٢) تدريب الراوي: ١٣١.

فخذه مني، وأروه عني[1].

ويلي هذه الدرجة في المرتبة قول الشيخ لتلميذه، بعد أن يناوله الأحاديث المكتوبة بخطه، وبعد إقراره بصحتها: خذ هذا الكتاب، وراجعه، أو انسخه ثم رده إليّ.

ويلي هذه الدرجة في المرتبة أن يحضر التلميذ كتاباً لشيخه، ويكون الكتاب من سماع هذا الشيخ عن شيخ آخر، فيأخذه الشيخ ويتأمله، ثم يصرح له بروايته كقوله: إرو هذا عني.

وأقل هذه الصور مرتبة، أن يحضر التلميذ الكتاب للشيخ ليجيز له الشيخ روايته، أو ليناوله له الشيخ فيجيبه الشيخ لذلك دون أن ينظر في الكتاب أو يراجعه، أو يقابله[2].

٢ ـ المكاتبة:

وهي أن يكلف الشيخ أحداً بأن يكتب عنه بعض حديثه، أو يكتب الشيخ نفسه، وبخطه بعض أحاديثه لأحد تلاميذه، أو أن يرسل الشيخ إلى شخص بخط يده أحاديث ويقره على روايتها عنه، أو يكتب له الحديث دون أن يجيزه. فعندها يصح للتلميذ، أو طالب العلم، أن يروي تلك الأحاديث عن هذا الشيخ. وأعلى صور المكاتبة هي أن يكتب الشيخ لتلميذه مع الإجازة، أو أن يجيز الشيخ كتابة أحد تلاميذه في حضرته. ويلي ذلك في المرتبة المكاتبة دون الإجازة.

وبما أنه في تلك الأزمان كان الرسل ينقلون الرسائل المكتوبة من فرد لآخر، اشترط العلماء عند المكاتبة لشخص غائب، وإرسال الحديث إليه من قبل شيخ معين، أن يكون الرسول ثقة، عدلاً، لأن أمانة الرسول كافية في إقناع مستلم الرسالة بأن المكتوب فيها من خط الشيخ أو من خط كاتب الشيخ[3].

---

(١) في المناولة: انظر إختصار علوم الحديث: ١٣٧.

(٢) انظر علوم الحديث ومصطلحه: ٩٧.

(٣) انظر تدريب الراوي: ١٤٦.

٣ ـ الإعلام:

وهو أن يعلم الشيخ تلميذه، أو تلاميذه بأن مجموعة من الأحاديث المكتوبة، من مروياته، أو أنها من سماعه عن شيخ آخر دون أن يصرح لهم بروايتها. ويجيز العلماء للطالب أن يروي تلك الأحاديث عن هذا الشيخ، إلا إذا قال الشيخ للطالب بصريح العبارة لا أجيزها لك[١].

٤ ـ الوصية:

وهي أن يوصي الشيخ قبل موته أو سفره بكتاب معين ليروى عنه[٢]. وعلى الشخص الذي أوصى الشيخ له بالرواية، وأجازها له أن يرويها عنه، ويبين ذلك عند روايتها.

رابعاً: الوجادة:

وهي أن يعثر الطالب على أحاديث مكتوبة بخط شيخه. فإن عرفها ووثق بها جاز له أن يرويها عن هذا الشيخ، مبيناً الطريقة التي حصل بها على تلك الأحاديث، بأن يقول: (وجدت بخط فلان). والوجادة لا يجوز الشك بقيمتها، وهي صورة من صور تحمل الحديث كما هو واضح من قول الدكتور صبحي الصالح: (والوجادة حين تفهم على وجهها الصحيح، لا يجوز الشك بقيمتها، فهي صورة من صور التحمل، فجميع ما ننقله اليوم من كتب الحديث الصحيحة ضرب من الوجادة لأن حفاظ الحديث عن طريق التلقين والسماع أصبحوا نادرين جدًّا في حياتنا الإسلامية بعد أن انتشرت الطباعة وأضحى الرجوع إلى أمهات كتب الحديث سهلاً وميسوراً. وقد سبق أن جزم ابن الصلاح بأن مذهب وجوب العمل بالوجادة هو الذي لا يتجه لغيره في الأعصار المتأخرة. فإنه لو توقف العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيه. . والحق أن تشدد السلف في بعض صور تحمل الحديث وأدائه كالوجادة، والوصية والإعلام، كان له ما يسوغه في حياتهم

---

(١) انظر الباعث الحثيث: ١٤٠.

(٢) انظر تدريب الراوي: ١٤٨.

وظروفهم، فقد كان الحديث شغلهم الشاغل وكانوا أكثر منا حاجة إلى حفظه وروايته لضعف وسائل التدوين والكتابة لديهم، ونحن نجد لزاماً علينا أن ننشط في حفظ الحديث والتدقيق في طرق تحمله وروايته، ولكن تيسر الطباعة يقوم عنا بعبء كبير من أعباء حفظ الحديث وصيانته)[1].

ومن أهمية تلك الكتب المذكورة آنفاً أنها توصل الباحث بسهولة ويسر إلى معرفة الحديث ودرجته ومن أمثلة الكتب الموضحة لذلك:

أ ـ كتب الجوامع.
ب ـ المستخرجات على الجوامع.
ج ـ المستدركات عليها.
د ـ كتب السنن والزوائد.
هـ ـ كتب المسانيد.
و ـ كتب الموطآت.
ز ـ كتب المجاميع.
ع ـ كتب تكشف الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس والأحاديث الضعيفة.
ط ـ كتب مؤلفة في الرجال وطبقات الرجال.
ي ـ كتب مؤلفة في رجال معينين.
ك ـ كتب ألفت في تراجم رجال الكتب الستة الصحيحة.
ل ـ كتب صنفت في الثقات من الرجال.
م ـ كتب خاصة بالضعفاء.
ن ـ كتب يستعان بها في كشف العلة والشذوذ.

أ ـ كتب الجوامع:

الجوامع جمع جامع[2]. والجامع عند المحدثين هو كل كتاب يجمع من

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه: ١٠٢ ـ ١٠٤.

(٢) جامع اسم والفعل منه جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمعه وأجمعه فاجتمع وأمر جامع أي يجمع الناس. والمسجد الجامع الذي يجمع أهله، نعت له لأنه علامة للاجتماع (لسان العرب ١/٤٩٨ ـ ٥٠٠).

أحاديث رسول الله ﷺ في مختلف الأمور من عقائد وأحكام، وآداب، وتفسير، ومناقب وسير وغيرها. ومن أمثلة كتب الجوامع (الجامع الصحيح) للإمام البخاري، والذي قال فيه: ما جمعت في كتاب الجامع إلا الحديث الصحيح. ولقد قسمه البخاري إلى أبواب تشمل جميع أبواب الدين، من عقائد، وعبادات، ومعاملات وبيوع ومناقب، وتفسير، وآداب وغيرها.

افتتح البخاري هذا الكتاب (الجامع الصحيح) بكتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، ويليه كتاب العلم، وكتاب الطهارة والصلاة.. حتى انتهى بكتاب التوحيد. ومجموع تلك الكتب سبعة وتسعون كتاباً. وكل كتاب ينقسم بدوره إلى أبواب. وتحت كل باب جاء بما يناسبه من أحاديث. رقم البخاري هذه الكتب والأبواب والأحاديث. وذكر أطراف الأحاديث التي يكررها.

ب ـ كتب المستخرجات على الجوامع:

المستخرجات جمع مستخرج[1]. والمستخرج عند المحدثين، هو أن يأتي المصنف المستخرج إلى كتاب من كتب الحديث، فيخرج أحاديثه بأسانيد أخرى من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه، أو من فوقه، ولو في صحابي. وشروطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى لا يفقد سنداً يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة. وربما يسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سنداً يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب[2].

وكتب المستخرجات تتفق مع الكتاب المخرج عليه في الترتيب والأبواب لذلك تأتي بنفس موضوعات الكتاب (المخرج عليه). ولقد عني العلماء عناية كبرى بالكتب الصحيحة، خاصة صحيح البخاري، وقد قام كثير منهم بعمل المستخرجات على تلك الكتب، ومن أمثلة المستخرجات على صحيح الإمام البخاري ما يلي:

---

(١) الخروج نقيض الدخول، والاستخراج كالاستنباط أما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه والمفعول به واسم المكان والوقت (لسان العرب ١/ ٨٠٧).

(٢) تدريب الراوي: ١/ ١١٢.

١ ـ مستخرج الإسماعيلي المتوفى عام٣٧١هـ.
٢ ـ مستخرج الغطريفي المتوفى عام ٣٧٧هـ.
٣ ـ مستخرج ابن أبي زهد المتوفى عام ٣٧٨هـ.

ج ـ كتب المستدركات على الجوامع:

والمستدركات جمع مستدرك[١]. والمستدرك عند المحدثين هو كل كتاب جمع فيه مؤلفه أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة. فإن وجد هذا الكاتب أحاديث بنفس شروط الصحة التي اعتمدها صاحب أحد الكتب الصحيحة لكن صاحب الكتاب الصحيح لم يوردها في صحيحه جمعها صاحب المستدرك وضمنها مستدركه. ومن أمثلة كتب المستدركات: كتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم المتوفى عام ٤٥٠هـ.

رتب الحاكم كتاب المستدرك على طريقة الأبواب، وذكر فيها أنواعاً من الأحاديث الصحيحة التي على شروط البخاري ومسلم ولم يخرجاها، أو على شروط أحدهما ولم يخرجها. مع بيان كل ذلك عند ذكر الحديث. جمع الحاكم كذلك أحاديث رأى هو أنها صحيحة ولو لم تكن على شروطهما. ذكر الحاكم كذلك في المستدرك أحاديث لم تصح عنده، ولكنه نبه عليها.

د ـ كتب السنن والزوائد:

كتب السنن هي كتب الحديث المرتبة على الأبواب الفقهية. وتشتمل تلك الكتب على الأحاديث المرفوعة. وقد يوجد بها قليل من الموقوف، أو المقطوع لأن الأحاديث الموقوفة والمقطوعة لا تسمى سنة في اصطلاحهم[٢].

وكتب السنن كثيرة، ومن أشهرها:
١ ـ سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى عام ٢٧٥هـ.
٢ ـ سنن النسائي لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى عام ٣٠٣هـ.

---

(١) الدرك للحاق وقد أدركه.. والإدراك اللحوق يقال مشيت حتى أدركته وعشت حتى أدركت زمانه واستدركت ما فات وتداركته (لسان العرب ١/ ٩٧١).
(٢) انظر الرسالة المستطرفة: ٣٢.

٣ ـ سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى عام ٢٧٥هـ.
٤ ـ سنن الشافعي لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى عام ٢٠٤هـ.
٥ ـ سنن البيهقي لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى عام ٤٥٨هـ.
٦ ـ سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني المتوفى عام ٣٨٥هـ.
٧ ـ سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي المتوفى عام ٢٥٥هـ.

أما المقصود بكتب الزوائد فهي الكتب التي تجمع بها الأحاديث الزائدة عن تلك الأحاديث المتضمنة في بعض كتب الحديث المشهورة. ومن أمثلة ذلك الكتب التي اشتملت على أحاديث أخرجها أحد أصحاب السنن لكتاب سنن ابن ماجه مثلاً. فكتاب (زوائد ابن ماجة على الأصول الخمسة) شمل أحاديث أخرجها ابن ماجه في سننه ولم تخرج في الكتب الخمسة الصحيحة الأخرى. أما الأحاديث التي شارك ابن ماجه أصحاب الكتب الخمسة الصحيحة الأخرى في إخراجها فلا يتطرق لذكرها صاحب كتاب الزوائد. ومن أمثلة كتب الزوائد:

أ ـ فوائد المنتقي لزوائد البيهقي، لأبي العباس أحمد بن محمد البوصيري المتوفى عام ٨٤٠هـ.

ب ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى عام ٨٠٧هـ. وهي زوائد مسند أحمد بن حنبل، أبي يعلى الموصلي، مسند أبي بكر البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة: المعجم الكبير والأوسط والصغير.

ج ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ، وهي زوائد مسند ابي داود الطيالسي، مسند الحميدي، مسند مسدد بن مسرهد، مسند محمد بن يحيى المدني، منسد أبي بكر بن أبي شيبة، مسند أحمد بن منيع، مسند عيد بن حميد، ومسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة.

هـ ـ كتب المسانيد: وهي الكتب التي جمع فيها أصحابها الحديث النبوي الشريف وأسندوا أحاديث كل صحابي له. وهي مرتبة حسب الحروف الأبجدية وفقاً لأسماء الصحابة. وقد يرتب صاحب المسند مسنده على حسب سبق الصحابي (راوي الحديث) في الإسلام. وقد يرتبها على حسب القبائل، أو البلدان، أو غير ذلك. وقد يطلق المسند على الكتاب المرتب

على الأبواب أو الحروف لا على الصحابة.

وكتب المسانيد كثيرة منها:

١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى عام ٢٤١هـ.
٢ ـ مسند أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي المتوفى عام ٢١٩هـ.
٣ ـ مسند الإمام أبي داود سليمان بن داود الطيالسي المتوفى عام ٢٠٤هـ.
٤ ـ مسند أسد بن موسى الأموي المتوفى عام ٢١٢هـ.
٥ ـ مسند مسدد بن مسرهد الأموي البصري المتوفى عام ٢٢٨هـ.
٦ ـ مسند أبي علي بن علي المثنى الموصلي المتوفى عام ٣٠٧هـ.
٧ ـ مسند عيد بن حميد المتوفى عام ٢٤٩هـ.

ونريد هنا أن نأخذ مسند الإمام أحمد بن حنبل كمثال لنوضح كيفية معرفة الحديث عن طريق هذا المسند.

يشتمل هذا المسند على نحو من أربعين ألف حديث. وقد رتبه الإمام أحمد بن حنبل على مسانيد الصحابة مسنداً لكل صحابي الحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ. وقد رتب ابن حنبل الصحابة، على أفضليتهم، ومواقع بلدانهم التي نزلوها وقبائلهم وغيرها. ولم يلتزم عند ترتيبه بالحروف الأبجدية. وقد يجد الباحث في المسند أحاديث الصحابي الواحد في مواضع متفرقة. وقد اشتمل المسند على نحو من تسعمائة وأربعة من المسانيد للصحابة، وفي كل مسند يسرد أحاديث الصحابي (راويها).

ابتدأ أحمد بن حنبل مسنده بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة مقدماً أبا بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًا، ثم بقية العشرة رضوان الله عليهم، ثم ذكر حديث عبدالرحمن بن أبي بكر، ثم ثلاثة أحاديث لثلاثة من الصحابة، ثم مسانيد أهل البيت، فذكر أحاديثهم، وهكذا حتى انتهى بحديث شداد بن الهاد رضي الله عنه[١].

---

(١) أصول التخريج ودراسة الأسانيد: ٤٤.

و ـ كتب الموطآت:

والموطأ[1] لغة المسهل المهيأ. والموطأ في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الذي يضم أحاديث النبي ﷺ مرتبة على حسب الأبواب الفقهية. وهو يضم الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة. وسبب تسميته بالموطأ هو أن أصحاب هذه المؤلفات قد سهلوها وهيئوها للناس. ومن أمثلة كتب الموطآت:

١ ـ موطأ الإمام مالك بن أنس المدني المتوفى عام ١٧٩هـ.
٢ ـ موطأ ابن أبي ذئب محمد بن عبدالرحمن المدني المتوفى عام ١٥٨هـ.
٣ ـ موطأ أبي محمد عبدالله بن محمد المروزي المعروف بعبدان المتوفى عام ٢٩٣هـ.

وقد سبق أن تحدثنا عن موطأ الإمام مالك بن أنس.

ز ـ كتب المجاميع:

وهي ـ عند المحدثين ـ كل كتاب جمع فيه صاحبه عدة أحاديث من عدة مصنفات، ورتبها على حسب ترتيب تلك المصنفات. وقد أُلفت كتب كثيرة في هذا الشأن، منها:

١ ـ الجمع بين الصحيحين، للصاغاني الحسن بن محمد المتوفى عام ٦٥٠هـ وإسم الكتاب (مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية).
٢ ـ الجمع بين الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي المتوفى عام ٤٨٨هـ.
٣ ـ الجمع بين الأصول الستة، لأبي الحسن رزين بن معاوية الأندلس المتوفى عام ٥٣٥هـ وهو المسمى بالتجريد للصحاح والسنن.
٤ ـ الجمع بين الأصول الستة، لأبي السعادات المعروف بابن الأثير المتوفى عام ٦٠٦هـ واسم الكتاب (جامع الأصول من أحاديث الرسول).
٥ ـ مجمع الفوائد من جامع الأصول (ومجمع الزوائد)، لمحمد بن محمد بن سلميان المغربي المتوفى عام ١٠٩٤هـ. اشتمل هذا الكتاب على أربعة عشر

---

(١) وطأ الشيء هيأه.. وسهله لسان العرب ٣/ ٩٥٤.

مصنفاً حديثيًا وهي: الصحيحين، والموطأ للإمام مالك، والسنن الأربعة، ومسند الدارمي، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة. وهذه المجاميع مرتبة على الأبواب كترتيب الجوامع.

ح ـ الكتب التي تكشف الأحاديث:

وهي الكتب التي تشتمل على تلك الأحاديث التي اشْتُهرت على ألسنة الناس. والحديث المشتهر على ألسنة الناس قد يكون مثلاً شائعاً أو حكمة شائعة. وقد تكون مثل تلك الأقوال قوية اللفظ والمعنى لكن لا يصح نسبتها لرسول الله ﷺ، وقد تكون ركيكة اللفظ أو المعنى. والذي يهمنا هنا هو أن العلماء بحثوا في تلك الأحاديث وأفردوا لها المؤلفات حتى لا ينسب بعض الجهلة والوضاعين أمثال تلك الأحاديث لرسول الله ﷺ. والمقصود بالشهرة هنا انتشار الحديث بين الناس ومعرفته لدى عامتهم.

ولعل أكثر الكتب التي صنفت في الأحاديث التي اشْتُهرت بين الناس مرتبة حسب الحروف الأبجدية ما يلي:

١ ـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المتوفى عام ٩٧٤هـ.

٢ ـ (الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة) لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ.

٣ ـ (اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة) لابن حجر المتوفى عام ٨٥٢هـ.

٤ ـ (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي.

٥ ـ (تمييز الطيب والخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث) لعبدالرحمن بن علي بن الربيع الشيباني المتوفى عام ٩٤٤هـ.

٦ ـ (تسهيل السبيل إلى كشف الإلتباس عما دار بين الناس) لمحمد بن أحمد الخليلي.

٧ ـ (كشف الخفاء ومزيل الإلباس مما اشْتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس)

لإسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى عام ١١٦٢هـ.

ونأخذ كتاب (كشف الخفاء) كمثال لمعرفة كيفية ترتيب تلك الكتب، وتسهيل مؤلفيها للقارىء معرفة الحديث، مع بيان أقوال العلماء فيه إن كان حديثاً ضعيفاً أو موضوعاً، أو إن كان من الحكم والأمثال، أي ليس بحديث. يحتوي كشف الخفاء على كثير من الأحاديث المشتهرة بين الناس وهي مرتبة (أي تلك الأحاديث) حسب الحروف الهجائية.

لخص العجلوني في هذا الكتاب كتب الأئمة الذين سبقوه من المحدثين كالسخاوي، والسيوطي، وابن حجر وغيرهم. ومن ميزات هذا الكتاب أنه يبين عند كل حديث يورده أقوال العلماء فيه. فهو قد يقول: ليس بحديث، أو من الحكم المأثورة، أو من كلام الصحابة، أو هو من كلام أحد العلماء. وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة وخمسين ومائتين وثلاثة آلاف حديث.

ط ـ الكتب المؤلفة في الرجال وطبقات الرجال:

من المظاهر التي تدل على اهتمام المحدثين بالتثبت من مصادر روايتهم، ومن تحققهم عن متن وسند الحديث عنايتهم برجال الحديث وتقسيمهم الرواة إلى عدة طبقات، وتأليف المصنفات التي توضح ذلك. ومن تلك المصنفات:

١ ـ مصنفات في معرفة الصحابة.

٢ ـ مصنفات في طبقات الرجال.

٣ ـ مصنفات في رواة الحديث عامة.

٤ ـ مصنفات في رجال كتب معينة.

٥ ـ مصنفات في الثقات.

٦ ـ مصنفات في الضعفاء.

٧ ـ مصنفات في رجال بلاد معينة.

ونتناول تلك المصنفات بإيجاز فيما يلي:

١ ـ المصنفات التي دونت في معرفة الصحابة، وأهميتها:

ومن تلك المصنفات «الإستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر

الأندلسي. وقد أورد المؤلف فيه ترجمة لثلاثة آلاف وخمسمائة صحابي، ورتب الصحابة حسب الحروف الهجائية. ثم ذكر من اشتهروا بالكنى، ورتب ذلك أيضاً حسب الحروف الهجائية، ثم ذكر تراجم الصحابيات حسب الحروف الهجائية أيضاً. ومنها (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لعز الدين أبي الحسن علي بن الأثير الجزري المتوفى عام ٦٣٠هـ. ولقد اشتمل هذا الكتاب على ترجمة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسين صحابيًا. وقد رتبهم المؤلف حسب الحروف الهجائية ثم ذكر الكنى ثم الأسماء. وذكر عند ترجمة كل صحابي اسم من تقدمه من المؤلفين وترجم لهذا الصحابي أيضاً.

ولتلك الكتب أهمية عظيمة، وفائدة جليلة، في معرفة الحديث المرسل من الحديث الموصول، لأننا إن عرفنا أن الشخص الذي في نهاية الإسناد صحابي توثقنا من أن هذا الحديث مرفوع.

٢ ـ مصنفات في طبقات الرجال:

ومن تلك المصنفات (الطبقات الكبرى) لابن سعد، وهو أبو عبدالله محمد بن سعد كاتب الواقدي المتوفى عام (٢٣٠هـ). جمع المؤلف في هذا الكتاب تراجم للصحابة والتابعين وأتباعهم إلى عصره. ولقد وضع الكتاب في ثمان مجلدات خصص أولها للسيرة النبوية الشريفة. وخصص الثاني لغزوات النبي ﷺ، ومن جمع القرآن من الصحابة، ومن كان يفتي من الصحابة. وخصص المجلد الثالث لتراجم البدريين من المهاجرين والأنصار. والرابع للمهاجرين الذين لم يشهدوا بدراً، والصحابة الذين أسلموا قبل الفتح. والمجلد الخامس للتابعين والصحابة الذين نزلوا بلاداً معينة، ثم تابعيهم في تلك البلدان ومن بعدهم. والمجلد السادس للكوفيين من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى عصره. والمجلد السابع لمن نزل بلاداً كثيرة من الصحابة وأتباعهم إلى عصره. والمجلد الثامن خصصه للنساء الصحابيات فقط. ولقد اعتمد العلماء هذا الكتاب في الجرح والتعديل.

٣ ـ مصنفات في رواة الحديث عامة:

وهي كتب ضمت الثقات والضعفاء مع توضيح ذلك، منها:
«التاريخ الكبير» للإمام البخاري، وقد اشتمل على تراجم كثيرة رتبها على الحروف الهجائية، لكنه بدأ الكتاب بأسماء المحمدين لشرف اسم النبي ﷺ. ويذكر فيها عبارات عند الجرح كقوله: (فيه نظر)، أو سكتوا عنه أو (منكر الحديث) وقد يسكت عن رجال ولا يذكر عنهم جرحاً أو تعديلاً. ومنها كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم المتوفى عام ٣٢٧هـ. وقد رتبه مؤلفه حسب الحروف الهجائية، ويذكر عند ترجمة الراوي إسمه، وإسم أبيه، وكنيته، ونسبه وأشهر شيوخه، وتلاميذه. وقد يورد حديثاً في مرويات صاحب الترجمة. ويذكر بلد راوي الحديث، ورحلاته ويذكر شيئاً عن مذهبه، إن كان مخالفاً لمذهب أهل السنة ويذكر بعض مؤلفاته إن كانت له مؤلفات. وقد ذكر في مقدمة الكتاب أبحاثاً تتعلق بالجرح والتعديل.

ي ـ مؤلفات في رجال كتب معينة:

يستطيع الباحث عن طريق تلك المؤلفات التوصل إلى رجال تلك الكتب المعينة، كالمؤلفات التي وضعت لرجال صحيح البخاري مثلاً، أو المؤلفات التي وضعت لرجال صحيح مسلم، أو مؤلفات تجمع الكتابة في رجال الصحيحين. ومن تلك الكتب:

١ ـ كتاب «الهداية والإرشاد» في معرفة أهل الثقة والسداد، لأبي نصر أحمد بن محمد الكلباذي المتوفى عام ٣١٨هـ. وهذا الكتاب خاص برجال البخاري.

٢ ـ كتاب «الجمع بين رجال الصحيحين»، لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى عام ٥٠٧هـ. رتب هذا المؤلف كتابه حسب الحروف الهجائية. وجمع الكاتب بين رجال الصحيحين مبيناً ما اشتركا فيه من رجال، وما انفرد به كل منهما من رجال.

ك ـ المؤلفات الخاصة برجال الكتب الستة ومنها:

١ ـ (الكمال في أسماء الرجال) للحافظ عبدالغني عبدالواحد المقدسي

الجماعيلي الحنبلي المتوفى عام (٦٠٠هـ).

وقد تتبع العلماء هذا الكتاب بالتهذيب والإكمال. فقد هذبه أبو الحجاج يوسف المزي المتوفى عام ٧٤١هـ، ثم عَقِبه بالتهذيب والإكمال أيضاً علاء الدين مغلطاني المتوفى عام ٧٦٢هـ، وكتب تعقيبه في ذيل الكتاب وسمي كتابه (إكمال تهذيب الكمال).

وفي تهذيب المزي نرى أنه قد هذبه على تراجمه لرجال الكتب الستة، والمصنفات التي صنفت لكل كتاب منهما موضحاً لذلك عند كل ترجمة مع ذكره لراوي الحديث، وشيوخه وتلاميذه. وقد رتب الرواة حسب الحروف الأبجدية وذكر تواريخ الوفيات والخلافات وأقوال العلماء فيها. وقد نسب المزي الأقوال الواردة في الجرح والتعديل إلى قائليها، ونبه على بعض الأسماء المبهمة في الكنى وغيرها من الأشياء التي ترينا مدى تحري المزي للدقة، ومدى الجهد الجبار الذي بذله في خدمة السنة النبوية الشريفة.

ل ـ مصنفات خاصة بالثقات من الرجال فقط:

وهذا النوع من الكتب له أهمية كبرى في تسهيل الطريق لمن يريد أن يستوثق من رجال الحديث. ومن أمثلة ذلك:

كتاب الثقات لمحمد بن أحمد بن حبان البستي المتوفى عام ٥٣٤هـ. وقد صنفه ابن حبان على الطبقات ورتب رجال كل طبقة على الحروف الأبجدية. فمثلاً الجزء الأول لطبقة الصحابة، والثاني لطبقة التابعين، والثالث لطبقة أتباع التابعين، وهكذا.

م ـ كتب خاصة بالضعفاء: ومن أمثلة ذلك:

١ ـ كتاب (ميزان الإعتدال في نقد الرجال) للذهبي. وقد رتب الذهبي كتابه على الحروف الهجائية، وذكر فيه الرجال والنساء، ثم عقبه بكنى الرجال، ثم من عرف بأبيه من الرجال، ثم من عرف باللقب أو النسب، ثم مجاهيل الإسم، ثم النسوة المجهولات، ثم كنى النسوة، ثم فيمن لم تسم. وذكر الذهبي كل من جرحهم العلماء، ودافع عن البعض، ورد الكلام الموجه إليهم.

ن ـ كتب خاصة برجال معينين منها:

١ ـ (ذكر أخبار أصبهان) لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى عام ٤٣٠هـ.

٢ ـ (تاريخ بغداد) لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ.

ص ـ كتب يستعان بها في كشف العلة والشذوذ:

ومنها الكتب التي تعرف بكتب العلل. وكتب العلل تذكر الأحاديث المعلولة، وتبين عللها بدراسة علمية دقيقة لطرق الحديث، وكشف العلة بعد جمع الطرق واستعراضها. ومن هذه الكتب:

١ ـ (علل الحديث) لأبي حاتم.

٢ ـ (العلل ومعرفة الرجال) لأحمد بن حنبل.

٣ ـ كتاب (العلل) لعلي بن المديني.

٤ ـ كتاب (العلل الكبير) و(العلل الصغير) للإمام الترمذي.

٥ ـ كتاب (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) للإمام الدارقطني.

الفصل الرابع

في الأحاديث الموضوعة

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول: طرق معرفة الحديث الموضوع.

المبحث الثاني: أسباب وضع الحديث.

المبحث الأول

طرق معرفة الحديث الموضوع

الحديث الموضوع هو الحديث المختلق المكذوب على النبي ﷺ. ولقد ظهر الوضع في الحديث في عهد الصحابة رضوان الله عليهم. واختلف العلماء حول بداية الوضع وأغلبهم على أن الوضع بدأ في الأيام الأخيرة من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه[١].

ومن المعروف أن الصحابة والتابعين سرعان ما كانوا يكتشفون الأحاديث الموضوعة بمجرد سماعهم إياها. فهم كانوا يعرفون أحاديث رسول الله ﷺ أحق المعرفة لأن الحديث النبوي كان محفوظاً في صدورهم ومدوناً في صحفهم بجانب أنهم كانوا يتدارسون الحديث فيما بينهم ويعرفون رواة الحديث وسيَرِهم معرفة تامة.

وقد رأينا كيف دقق الصحابة والتابعون وأتباعهم عند أخذهم للحديث الشريف، وكيف وضعوا قواعد ثابتة لمعرفة الحديث وسنده. بل ورد أن عبدالله بن المبارك المتوفى عام ٨١١هـ وأبا إسحاق الفزاري المتوفى عام ٨١٨هـ كانا يتتبعان الأحاديث الموضوعة ويفندانها. ولقد تصدى كثيرون من رجال الحديث للوضع والوضاعين وقعّدوا قواعد دقيقة لكشف أباطيلهم، منها:

أولاً: أن يعترف واضع الحديث نفسه بوضعه للحديث. ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب «تذكرة الموضوعات» من قول جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهما قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبدالرزاق عن معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله له منها

---

(١) الوضع في الحديث: ١٨٣، ١٨٤.

طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان. . وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة. فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، ويحيى بن معين ينظر إلى أحمد فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة. فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات، ثم قعد ينظر بقيمتها، قال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوهماً لنوال. فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟

فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط من حديث رسول الله ﷺ، فإن كان لابد والكذب فعلى غيرنا.

فقال له: أنت يحيى بن معين؟

قال: نعم.

قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق وما تحققته إلا الساعة.

فقال له يحيى: كيف علمت أني أحمق؟

قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟ قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

ومنها حديث أبي حاتم البستي الذي قال فيه: دخلت باجزوان ـ مدينة بين الرقة وحران ـ فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال: حدثنا أبو ظليفة، حدثنا الوليد، حدثنا شعبة عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا. .

فلما فرغ من دعوته، قلت: رأيت أبا ظليفة؟ فقال: لا.

قلت: كيف تروي عنه ولم تره؟

فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة ـ أنا أحفظ هذا الإسناد الواحد، وكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد[1].

ومنها ما ذكره السيوطي عن الحاكم من قول سليمان بن حرب: دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: وضعت أربعمائة حديث وأدخلتها في

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص: ١٥٠ ـ ١٥١.

برنامج الناس، فلا أدري كيف أصنع؟[1].

ومنها أيضاً ما ذكره السيوطي من كتاب العقيلي عن معلى بن عبدالرحمن الواسطي أنه قال عند موته: وضعت في فضل علي بن أبي طالب سبعين حديثاً[2].

ثانياً: يعرف الحديث المكذوب أيضاً بعرض المحدثين الحديث بعضهم على بعض:

قال الأوزاعي: كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزائف، فما عرفوا منه أجزناه وما أنكروا تركناه.

وقال جرير: كنت إذا سمعت الحديث جئت به إلى المغيرة فعرضته عليه، فما قال لي: ألقه، ألقيته.

وقال الربيع بن هيثم: أن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه. وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تنكره[3].

ثالثاً: أن يصرح أحد الثقات بأن راوي الحديث كذاب:

منها ما جاء أن سليمان بن مهران الأعمش نظر إلى قاص يقص في المسجد فقال: حدثنا الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي وائل.

فتوسط الأعمش الحلقة وجعل ينتف شعر أبطه فقال له القاص: يا شيخ ألا تستحي نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا؟

فقال الأعمش: الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه.

قال: كيف؟

قال: لأني في سنة وأنت في كذب ـ أنا الأعمش وما حدثتك مما تقول شيئاً[4].

---

(١) نفس المرجع السابق: ١٦٤.

(٢) نفس المرجع السابق: ١٦٥.

(٣) نفس المرجع السابق: ١٦٨، ١٦٩.

(٤) نفس المرجع السابق: ١٤٥، ١٤٦.

ومنها ما ورد عن محمد بن إسحاق السراج قال: شهدت محمد بن إسماعيل البخاري ودفع إليه كتاب ابن كرام يسأله عن أحاديث منها:

عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكتب محمد بن إسماعيل على ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد[1].

ومنها ما جاء عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه سأل يحيى بن معين عن زكريا بن يحيى الكسائي الكوفي فقال: رجل سوء، يحدث بأحاديث سوء.

قلت: فقد قال لي: إنك كتبت عنه. فحول وجهه وحلف بالله أنه لا أتاه ولا كتب عنه، وقال يستاهل أن يحفر له بئر فيلقى فيها[2]. وما جاء من قول أبي داود أنه سمع يحيى بن معين يقول في سويد الأنباري: هو حلال الدم.

وما جاء أيضاً في قصة إنكار يحيى بن معين حديث لسويد يقول فيه: (من عق وعف وكتم..) وقول ابن معين لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً[3].

رابعاً: أن يكون الحديث ركيك العبارة ركيك المعنى:

منها حديث وضعه الوضاعون عن ابن عباس في سبب وضع العرب للحروف الأبجدية (أبجد هوز حطي، كلمن) كعلامات للترقيم فهم يقولون: قال ابن عباس عن النبي ﷺ: إن لكل شيء سبب وليس أحد يفطن له، وإن لأبي جاد لحديثاً عجيباً: أما أبجد فأبى آدم الطاعة وجدّ في أكل الشجرة وأما هوّز: فهوى من السماء إلى الأرض ـ أي آدم ـ أما حطي فحطت خطاياه، وأما كلمن فأكل من الشجرة، ومنّ عليه بالتوبة وأما سعفص: فعصى آدم ربه فأخرج من النعيم إلى النكد، وأما قرشت فأقر بالذنب وسلم من العقوبة[4].

ومنها الحديث الذي وضعه الوضاعون عن ابن عمر مرفوعاً: أن الملائكة

---

(١) ميزان الاعتدال: ٤/٢١.

(٢) المرجع السابق: ٢/٧٥.

(٣) المرجع السابق: ٢/٢٤٩، ٢٥٠.

(٤) الفوائد المجموعة: ٤٦٣.

قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ فقال: إني ابتليتهم وعافيتكم.

قالوا: لو كنا مكانهم ما عصينا؟ قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت فنزلا، فألقى عليهما الشبق، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة، فوقعت في قلبيهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم. فطلباها نفسها فأبت إلى أن قال: فلما استطيرت مسخها الله كوكباً، وقطع أجنحتها، ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما، فقال: إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذبتكما، وإن شئتما عذبتكما في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه فقال أحدهما: إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول، فاختاروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل، فانطلقا إلى بابل، فخسف بها، منها منكوسان بين السماء والأرض معذبان إلى يوم القيامة[1].

وجه علماء الحديث في نقدهم لتلك الأنواع من الأحاديث عنايتهم إلى المعنى أكثر من عنايتهم باللفظ لأنه ربما يروي الحديث الصحيح من ليس له إدراك كامل باللغة العربية بالمعنى لكن على شرط أن يوضح الراوي ذلك.

نقل السيوطي قول ابن حجر: (المدار في الركة على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن والركة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح. نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب)[2].

خامساً: أن يأتي الحديث مخالفاً لما هو معقول ومحسوس:

من ذلك الحديث الذي وضع عن جابر مرفوعاً إلى النبي ﷺ حيث قال: إن

---

(١) الفوائد المجموعة: ٤٩١.

(٢) تدريب الراوي: ٩٩.

لله ديكاً عنقه منطوية تحت العرش ورجلاه تحت النجوم، فإذا كانت هنيهة من الليل صاح: سبوح قدوس، وصاحت الديكة[1].

ومنها حديث موضوع عن جابر أيضاً وفيه أن جابراً رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء رجل من الأنصار فقال: أن ابناً لي دب من سطح إلى ميزاب فادع الله أن يهبه لأبويه. فقال النبي ﷺ قوموا: قال جابر: فنظرت إلى أمر هائل فقال النبي ﷺ: ضعوا له صبيًا على السطح فوضعوا له صبيًا فناغاه فدب الصبي حتى أخذه أبواه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل تدرون ما قال له؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال له لم تلق نفسك فتتلفها؟ قال: إني أخاف الذنوب، قال: فلعل العصمة أن تلحقك. قال: عسى. فدب إلى السطح[2].

ومنها الحديث الذي وضع عن عائشة رضي الله تعالى عنها ترفعه للنبي ﷺ من أنه قال: الشَّعَر في الأنف أمان من الجذام[3].

ومنها أيضاً ما نقله ابن عراق من أن إسحاق بن إبراهيم الطوسي قال: رأيت سرباتك الهندي في بلدة تسمى قنوج فقلت له: كم أتى عليك من السنين؟ قال: تسعمائة وخمس وعشرون سنة. وزعم أن النبي ﷺ أنفذ إليه حذيفة، وأسامة بن زيد وسفينة، وصهيباً، وأبا موسى الأشعري، يدعونه إلى الإسلام فأسلم وقبل كتاب النبي ﷺ.

ومنها ما جاء عن الحسن بن محمد قال: كنت في زمن الصبا سافرت مع أبي وعمي وأنا أب تسع عشرة سنة من خراسان إلى الهند في تجارة. فوصلنا إلى ضيعة من أوائل الهند فعرج القفل نحوها فنزلوا، فصبح أهل القافلة فسألنا عن ذلك فقالوا: هذه ضيعة المعمر الشيخ رتن، فرأينا بفناء القرية شجرة عظيمة وتحت ظلها جمع عظيم فتبادر أهل القافلة نحو الشجرة فرأينا زنبيلاً كبيراً معلقاً في غصن من الشجرة فسألناهم عنها فقالوا في هذا الزنبيل شيخ رتن الذي رأى النبي ﷺ، ودعى له بطول العمر ست مرات. فسألناهم أن ينزلوه لنسمع منه.

---

(١) اللالىء المصنوعة: ٦٠ ـ ٦٥.

(٢) الفوائد المجموعة: ٤٦٩.

(٣) اللالىء المصنوعة: ٩٩.

فتقدم شيخ منهم إلى الزنبيل فأنزله.. فرأينا الشيخ من وسط القطن، فإذا هو كالفرخ فحسر عن وجهه ووضع فمه على أذنه فقال: يا جداه هؤلاء قوم قد قدموا فيهم شرفاء من أولاد النبي ﷺ. فتنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية، فقال: سافرت مع أبي وأنا شاب في تجارة إلى الحجاز فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية فرأيت غلاماً أسمر اللون مليح الكون حسن الشمائل وهو يرعى إبلاً في تلك الأودية، وقد حال السيل بينه وبين إبله وهو يخشى خوض الماء لقوة السيل، فعلمت حاله فأتيت إليه وحملته وخضت السيل إلى عند إبله من غير معرفة سابقة. فلما وضعته عند إبله نظر إليّ وقال لي بالعربية: بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك، فتركته ومضيت إلى حال سبيلي..

ثم يحكي راوي الحديث قصة بعثة النبي ﷺ ومجيء شيخ رتن مرة أخرى ليرى ذلك النبي المبعوث فوجد أنه نفس الراعي الذي كان قد ساعده. فلما أسلم رتن على يدي النبي ﷺ حسب ادعائه دعى له النبي ﷺ بالبركة في عمره فاستجاب الله سبحانه وتعالى بكل دعوة مائة سنة وقال لهم: إن عمري اليوم ستمائة سنة وزيادة[١].

سادساً: أن يأتي الحديث مخالفاً للقرآن والسنة:

ومن أمثلة الأحاديث المكذوبة التي جاءت مخالفة للقرآن، الحديث الذي جاء منافياً لقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[٢].

فقد روي من قول الشعبي: بينما عبدالملك جالس وعنده وجوه من الناس من أهل الشام قال لهم: من أعلم أهل العراق؟ قالوا: ما نعلم أحداً أعلم من عامر الشعبي. فأمر بالكتب إلي، فخرجت إليه، حتى نزلت تدمر، فوافقت يوم جمعة فدخلت أصلي في المسجد، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أحاف به

---

(١) تحذير الخواص: ١٦٣، ١٦٤.

(٢) سورة الزمر: ٦٨.

قوم، فحدثهم قال: حدثني فلان.. يبلغ به النبي ﷺ: أن الله تعالى خلق صورين، له في كل صور نفختان، نفخة الصعق ونفخة القيامة.

قال الشعبي: فلم أضبط نفسي أن خففت صلاتي ثم انصرفت فقلت: يا شيخ اتق الله ولا تحدثن بالخطأ، إن الله تعالى لم يخلق إلا صوراً واحداً وإنما هي نفختان: نفخة الصعق ونفخة القيامة.

فقال لي: يا فاجر. إنما حدثني فلان عن فلان عن فلان وترد علي؟ ثم رفع نعله فضربني بها، وتتابع القوم علي ضرباً معه، فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صوراً، في كل صور نفخة فأقلعوا عني فرحلت حتى دخلت دمشق على عبدالملك بن مروان فسلمت عليه. فقال: يا شعبي: بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك، فحدثته حديث التدمريين فضحك حتى ضرب برجليه[1].

ومنها أحاديث منافية للسنة كالحديث الذي وضع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من أن النبي ﷺ قال: إذا تزوج أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين[2].

وهذا بعكس ما كان يدعو إليه النبي ﷺ من التزوج بذات الدين، فقد ورد في الحديث الصحيح عند الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت[3] يداك)[4].

---

(١) تحذير الخواص من أحاديث القصاص: ١٥٢ ـ ١٥٤.
(٢) الفوائد المجموعة: ١٢٣ انظر أيضاً اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ١٦٤.
(٣) ترب الرجل إذا افتقر أي لصق بالتراب وأترب إذا استغنى، هذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به، كما يقولون قاتلك الله، وقيل معناها لله درك وقيل أراد به المثل ليرى المأمور بذلك الجد وأنه إن خالفه فقد أساء، وقال بعضهم هو للدعاء على الحقيقة وكثيراً ما ترد العرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم لا أباً لك ولا أم لك، وهوت أمه، ولا أرض لك ونحو ذلك (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب استحباب نكاح الأكفاء من طريق مسدد ٢٠/ ١٨٦ =

ومنها الحديث الذي وضع عن ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ من أنه رأى طعاماً فقال: لمن هذا؟ قال العباس للحبشة أطعمهم قال: لا تفعل! إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا[1].

وهذا يخالف ما كان يدعو له ﷺ من التصدق بفضل الزاد والدعوة إلى إطعام الجائع. فقد جاء في الحديث الصحيح عند الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة

= (من عمدة القارىء). وأخرجه مسلم في كتاب النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين ١٠/ ٥١. عن طريق زهير بن حرب، محمد بن المثنى وعبدالله بن سعد بلفظه. وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين ١/ ٤٧٢ من طريق مسدد بلفظه إلا أنه أبدل (المرأة) بـ(النساء) وأدخل (اللام) على جمالها.

وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب النكاح باب أن المرأة تنكح على ثلاث خصال ٤/ ٤٣ عن جابر نحوه (من تحفة الأحوذي).

وأخرجه النسائي في سننه في كتاب النكاح. باب كراهية تزويج الزناة ٤٥/ ٥٦ عن طريق عبدالله بن سعيد بلفظه.

وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب تزويج ذات الدين ١/ ٥٩٧ عن طريق يحيى بن حكيم بلفظه إلا أنه أبدل (المرأة) بـ(النساء).

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٤٢٨ عن طريق يحيى بن سعيد بلفظ حديث ابن ماجه.

وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب النكاح ٢/ ١٦١ عن أبي سعيد الخدري بلفظه وفيه (على أحد خصال ثلاث) وفيه (تنكح المرأة على) قبل كل من (جمالها ودينها) وقال بعده (وخلقها) وليس فيه المال والحسب وفيه عليك بدل (فاظفر) و(يمينك) بدل (يداك) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الزيادة. وقال الذهبي: حديث صحيح.

وأخرجه الدارقطني في كتاب النكاح باب المهر ٣/ ٣٠٣ عن أبي سعيد نحوه. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب النكاح باب في الزواج ٤/ ٢٥٤ عن أبي سعيد الخدري بلفظه وفيه (على إحدى خصال) وقيل أربع ذكر الجمال وبعده المال وحذف الحسب وأبدل (أظفر) بـ(عليك) وزاد الخلق بعد الدين وفيه (يمينك) بدل (يداك) وزاد إسناده إلى أبي يعلى والبزار وقال: رجاله ثقات.

(١) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ٤٦٤.

له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً. فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر[1] فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له[2].

كذلك يتنافى مع الحديث الذي سبق أن أشرنا إليه من أنه وبخ أبا ذر مع عظم قدره، عندما عيّر بلالاً بأمه وكانت أمه حبشية.

وكذلك الحديث الذي وضع عن جابر يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: النظر إلى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان البصر[3]. وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾[4].

---

(١) الظهر: الإبل التي يحمل عليها وتركب. يقال: عند فلان ظهر أي إبل. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النفقات باب المواساة بفضول المال عن طريق شيبان بن فروخ ١٢/٣٣.

وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة باب فضول المال ١/٣٨٦، ٣٨٧ عن طريق عبدالعزيز بن يحيى بلفظه أبدل (النبي) بـ(رسول) أبدل (راحلة) بـ(ناقة) حذف (قال) قبل (فجعل) وفيه (يصرفها) بدل (بصره) و(عنده) بدل (معه) و(ظننا) بدل (رأينا). وفي كتاب الزكاة باب في حقوق المال ١/٣٨٧ عن طريق محمد بن عبدالله الخزاعي بلفظه وفيه (ناقة) بدل (راحلة). أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٤ عن طريق يزيد بلفظه أبدل أول الحديث بـ(أن رسول الله ﷺ نظر) وفيه (عنده) بدل (معه) وليس فيه من (قال) إلى ما ذكر.

(٣) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ٤٣٦.

(٤) سورة النور: ٣٠ ـ ٣١.

كما قد خالف الحديث الصحيح الذي ورد بصحيح البخاري وأمر بغض البصر. أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله، مالنا في مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض[1] البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. والأحاديث التي وردت في تأييد

---

(١) غض بصره أي كسره وأطرق. منه قصيدة كعب.
إلا أغن غضيض الطرف مكحول وهو مقبل بمعنى مفعول، وذلك إنما يكون من الحياء والخفر (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٧١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب قوله تعالى: ﴿ولا تدخلوا بيوتاً. . وما تكتمون﴾. عن طريق عبدالله بن محمد (١٣/ ٢٤٦، ٢٤٧ (من فتح الباري) وفي كتاب المظالم باب أمنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات عن طريق معاذ بن فضالة بلفظه وفيه (على الطرق) ليس فيه (يا رسول الله) ولا (من مجالسنا) وفيه قبل (نتحدث) (إنما هي مجالسنا) وفيه (أبيتم) وفيه (المجالس حقها) حذف أداة التعريف من (الأمر) و(النهي) ٦/ ٣٧ (من فتح الباري).
وفي كتاب الهبات باب فضل المنيحة عن عبدالله بن عمرو ٦/ ١٧٢ نحوه (من فتح الباري) وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه ١٤/ ١٠١، ١٠٢ عن طريق سويد بن سعيد بلفظه أبدل (الباء) بـ (في الطرقات) قدم (يد) على مجالسنا حذف (الفاء) من (قال) وفيه (رسول الله ﷺ) بعدها وفيه (الضمير) بدل (الطريق) الثانية.
وفي كتاب السلام باب من حق الجلوس بالطريق ورد السلام ١٦/ ١٤١، ١٤٢ من طريق سويد بن سعيد بلفظه آخر (يد) عن (مجالسنا) حذف (الفاء) من (فقال) وزاد بعده (رسول الله ﷺ) وفيه الضمير بدل الطريق وفي نفس الكتاب والباب والجزء ١٤١ عن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه نحوه.
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب الجلوس في الطرقات ٢/ ٥٥٥ عن طريق عبدالله بن مسلمة بلفظة أدخل (الفاء) على (قالوا) وزاد بعد (فقال) (رسول الله ﷺ) وفيه الضمير بدل الطريق وفي نفس الكتاب والباب والجزء ١٤١ عن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه نحوه. وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب الجلوس في الطرقات ٢/ ٥٥٥ عن طريق عبدالله بن مسلمة بلفظه أدخل (الفاء) على (قالوا) وزاد بعد (فقال) =

التفرقة العنصرية كلها موضوعة وكلها مناقضة للقرآن والسنة.

فالحديث الذي وضع عن الإمام علي رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: خير الناس العرب، وخير العرب قريش، وخير قريش بنو هاشم، وخير العجم فارس، وخير السودان النوبة[1] مناقض لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[2]، ومناقض للحديث الصحيح الوارد عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (رب أشعث[3] مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)[4].

= (رسول الله ﷺ) وفيه (فإن) بدل (فإذا) وليس فيه (إلا المجلس). أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣ر٣٦ عن طريق عبدالرحمن بلفظة أبدل (الفاء) بـ(في الطرقات) وفيه (أما) قبل (إذا) يتم وفيه (يا رسول الله) قيل (وما حق الطريق) وفي مسنده ٦/ ٣٨٥ ـ أخرجه أحمد بن حنبل أيضاً ـ عن طريق شريح بن عمرو الخزاعي نحوه.

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٣٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) أشعث أي متفرق شعر رأسه (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٧٨).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ـ باب فضل الضعفاء والخاملين من طريق مسعد بن سعيد ١٦/ ١٧٤.

وفي كتاب الجنة باب جهنم ١٧/ ١٨٧ عن طريق سعيد بن سعيد بلفظه وأخرجه البخاري في كتاب الصلح باب الصلح والدية ٥/ ٢٣٤ عن طريق أنس نحوه ٥/ ٣٣٤. (من فتح الباري).

وفي كتاب الجهاد ـ باب قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال) عن أنس نحوه ٦٠/ ٣٦٣ (من فتح الباري). وفي كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿والجروح قصاص﴾ ٩/ ٣٤٤ عن أنس نحوه (من فتح الباري).

وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الديات، باب القصاص ٢/ ٥٠٣ عن أنس بن مالك بلفظه وفيه زيادات في أوله وحذف أول الحديث وجاء بـ(إن من عباد الله من لو..) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب جهنم من طريق محمود بن غيلان نحوه وعلق عليه بقوله: هذا حديث حسن صحيح ٧/ ٣٣١، ٣٣٢ (من تحفة الأحوذي). وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الديات باب القصاص في السنن ٢/ ٨٨٤، ٨٨٥ من حديث أنس نحوه. وفي كتاب الزهد. باب من لا توبة له ٢/ ٣٧٨ من حديث معاذ بن جبل نحوه. =

ويدعم قول النبي ﷺ الآية الكريمة ويبين لصحابته رضوان الله عليهم أن الله لا ينظر إلى صورهم ولا إلى أجسامهم إنما يفاضل بينهم بالتقوى والصلاح، فإن الناس قد يحتقرون شخصاً ويحطون من قدره لأسباب دنيوية دون أن يعلموا أنه قد تكون لهذا الشخص مكانة عظيمة ودرجة أرفع من درجاتهم عند الله وذلك لتقواه وصلاحه.

يقول النووي في صفة هذا الأشعث الذي يدفعه الناس ويطردونه من أبوابهم ويحتقرونه: .. أي لا قدرة له عند الناس، فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقاراً له إلا أنه لو أقسم على الله لأبره، أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراماً له، بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيراً عند الناس[1].

سابعاً: أن يشتهر واضع الأحاديث بالكذب:

ومن الوضاعين الذين اشتهروا بالكذب:

أحمد بن عبدالله بن الحكيم الغرياني، الذي كان وضاعاً مشهوراً بالوضع ويحدث بالمناكير.

ومنهم أحمد بن عبدالله بن خالد الشيباني الجويباري الهروي، وضع ألوفاً من الأحاديث لفرقة الكراهية وقد كان يضرب المثل بكذبه.

ومنهم الحسين بن علوان الذي اشتهر بالوضع وكان يضع على هشام وغيره.

ومنهم سعد بن طريق الإسكافي والذي كان يلقب بسعد الخفاف، وهو كذاب وضاع كان يضع الحديث على الفور. وعندما ضرب المعلم ابنه وضع حديثاً في ذلك فقال: (معلموا صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين).

ومنهم غيّاث بن إبراهيم الذي كان كذاباً وضاعاً للحديث. وقد روي أنه جاء المهدي وهو يطيّر الحمام فروى حديث: (لا سبق إلا في حافر أو نصل أو

= وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٢٨ من طريق أنس نحوه. ومن ٤/ ٣٠٦ من طريق حارثة بن ذهب الخزاعي نحوه.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٧٤، ١٧٥.

جناح). فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال: أشهد أن قفاك قفا كذاب.

ومنهم مأمون بن أحمد بن مأمون السلمي الذي كان دجالاً وضاعاً، وهو أحد الكذابين المشهورين.

ومنهم محمد بن سعيد المصلوب بالشام وقد كان أحد الزنادقة وكبار الوضاعين، وضع أحاديث كثيرة.

ومنهم أبو عصمة نوح بن مريم المروزي أحد المشهورين بالوضع. قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة. ليس عند أصحاب عكرمة. قال: إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي أبي إسحاق فوضعته حسبة.

ومنهم بن وهب القاضي شيخ الجويباري، وكان من أكذب الناس ومن كبار الوضاعين. وضع للرشيد حديث (أنه ﷺ كان يطيّر الحمام) فزجره الرشيد وأخرجه وقال: لولا أنه قرشي لعزلته عن القضاء[1].

وورد في الفوائد المجموعة قول النسائي: الكذابون المعروفون بالوضع أربعة:

إبن أبي يحيى بالمدينة، والوافدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام[2].

ثامناً: أن يتضمن الحديث الموضوع وعيداً شديداً على أمر حقير أو وعداً عظيماً على أمر صغير:

يعرف الحديث بأنه موضوع لهذين السببين: ومن أمثلة الحديث الذي به وعد شديد على أمر صغير الحديث الذي وضع عن أبي هريرة وابن عباس قالا: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق الله فوعظنا فيها موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب واقشعرت منها الجلود وتقلقلت منها الأحشاء. أمر بلالاً فنادى: الصلاة جامعة قبل أن يتكلم، فاجتمع إليه الناس فارتقى المنبر وقال: ... من نكح امرأة حلالاً بمال حلال

(١) تذكرة الموضوعات: ٢٣٦ ـ ٣٠٢.

(٢) الفوائد المجموعة: ٤٢٦.

يريد بذلك الفخر والرياء لم يزده الله إلا ذلاً وهواناً وإقامه الله بقدر ما استمتع بها على شفير جهنم يهوي فيها سبعين خريفاً، ومن ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان. ويقول الله تعالى يوم القيامة عبدي زوجتك على عهدي فلم توف بعهدي فيتولىالله طلب حقها فتستوجب حسناته كلها فلا تفي به فيؤمر به إلى النار، ومن خان أمانته في الدنيا ولم يؤدها إلى أربابها مات على غير دين الإسلام، ولقي الله وهو عليه غضبان. ثم يؤمر به إلى النار فيهوي من شفيرها أبد الأبدين.. ومن وصف امرأة لرجل فذكر جمالها وحسنها حتى افتتن بها فأصاب منها فاحشة خرج من الدنيا مغضوباً عليه. ومن غضب الله عليه غضبت عليه السموات والأرضون السبع، وكان عليه من الوزر مثل وزر الذي أصابها قلنا: فإن تابا وأصلحا قال: قبل منها ولا يقبل توبة الذي وصفها.

ومن أمثلة ما جاء بوعد عظيم على أمر صغير: الحديث الذي وضع بسنده عن حميد الطويل قال: دخلنا على أنس بن مالك نعوده فقلنا: حدثنا بشيء سمعته من رسول الله ﷺ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عيادة مريض أحب إليّ من عبادة أربعين أو خمسين سنة. قلنا: زدنا. قال أخبرني أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال: من شيع جنازة فرجع حط الله عنه أربعين كبيرة.

ومنها الحديث الذي وضع بسنده عن أنس رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ قال: من سقى الماء في موضع يقدر على الماء فله بكل شربة يشربها برًا كان أو فاجراً عشر حسنات تكتب له وعشر درجات. وترفع له عشر سيئات تحط عنه، وإن شربة العطشان كعتق نسمة وإن شربة العطشان الذي قد هجم عليه الموت كعتق ستين نسمة. ومن سقى الماء في موضع لا يقدر على الماء فكأنما أحيا الناس جميعاً. قلت له: وما إحياء الناس جميعاً؟ قال: أليس إذا أحييت نفساً فثوابك الجنة كذا من أحيا الناس جميعاً فثوابه الجنة.

تاسعاً: أن يدّعي الوضاع سماعه عن شيخ ولكن بعد التحقيق يثبت أن هذا الوضاع لم يعاصر ذلك الشيخ أو عاصره ولكنه لم يره:

من ذلك ما أورده الخطيب بسنده عن عبدالله بن محمد بن أبي السدي قال: سمعت أبي يقول: قدم أبو حذيفة البخاري مكة وجعل يروي عن ابن جربا وابن

طاؤوس فقيل لسفيان: أن رجلاً من أهل خراسان قدم يروي عن ابن طاؤوس، فقال: سلوه في أي سنة سمع، قال فسألوه فأخبره أنه سمع في سنة كذا فقال سفيان: سبحان الله، مات عبدالله بن طاؤوس قبل موعده بسنتين[1].

ومنها ما جاء من أن يحيى بن معين سمع أن عمر بن هارون البلخي يروي عن جعفر بن محمد فكذبه وبين بأن جعفر بن محمد كان قد مات قبل أن يراه عمر بن هارون البلخي ويلتقي به، وأكد أن جعفر بن محمد مات بمكة قبل أن يدخلها عمر بن هارون البلخي[2].

ومنها ما جاء من إنكار ابن المديني على سهيل بن ذكوان أبي السفدي كذبه وادعاءه بأنه رأى السيدة عائشة رضي الله عنها لأن السيدة عائشة كانت قد لحقت بالرفيق الأعلى قبل أن يحط الحجاج مدينة واسط بدهر[3].

عاشراً: يعرف الحديث الموضوع من مؤلفات تخصصت لتتبع الحديث الموضوع:

لقد وفق الله سبحانه وتعالى كثيراً من علماء الحديث إلى تمييز الأحاديث الموضوعة، وجمعها في مؤلفات وكتب كثيرة يستفيد منها المتأخرون من العلماء في الكشف عن الحديث. ومن تلك المؤلفات:

أ ـ كتاب (الموضوعات) لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ. وكتاب (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لنفس المؤلف.

ب ـ (تذكرة الموضوعات) و(قانون الموضوعات والضعفاء) لأحمد بن طاهر بن علي الهندي المتوفى عام ٩٨٦هـ.

ج ـ كتاب (اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

د ـ (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبي الحسن علي بن

---

(١) اللآلىء المصنوعة: ٣٦١ ـ ٣٦٦.

(٢) نفس المرجع السابق: ٨٥.

(٣) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع: ١٦٠أ.

عراق الكناني المتوفى عام ٩٦٣هـ.

هـ - (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني.

و - (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) للسيوطي.

ز - (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) والمعروف بالموضوعات الكبرى للعلامة نور الدين محمد بن محمد بن سلطان المشهور بالملا.

المبحث الثاني
أسباب وضع الحديث

الأسباب التي أدت إلى وضع الحديث كثيرة متشعبة ومتداخلة نحصر بعضها فيما يأتي:

١ ـ أحاديث وضعت لأسباب سياسية.
٢ ـ أحاديث وضعت لأسباب دينية.
٣ ـ أحاديث وضعت لأسباب اجتماعية.
٤ ـ أحاديث وضعت لأسباب اقتصادية.
٥ ـ أحاديث وضعها أصحاب الحرف لمدح حرفهم وذم الحرف الأخرى.
٦ ـ أحاديث وضعت لتغطية العيوب الشخصية وإبراز عيوب الغير.
٧ ـ أحاديث وضعت من أجل التسلية والترفيه.
٨ ـ أحاديث وضعت للتشاؤم والتفاؤل.

١ ـ الأحاديث التي وضعت لأسباب سياسية:

من الأحاديث التي وضعت لأسباب سياسية الأحاديث التي تزعم بأن النبي ﷺ نص بالخلافة من بعده لشخص معين. ومنها: الأحاديث التي وضعت في مدح بعض الخلفاء، والأحاديث الأخرى التي وضعت في ذمهم. ومنها أحاديث وضعت لنصرة المذاهب السياسية، ومنها أحاديث وضعت للتقرب من الحكام، ومنها أحاديث وضعت لتأليب الناس على بعض الأئمة. نورد فيما يلي بعض الأمثلة التوضيحية:

الحديث الذي وضعه الوضاعون ينكرون فيه خلافة أبي بكر مدعين أن عليًا بن أبي طالب كان أحق بالخلافة بعد النبي ﷺ. فقد ورد أن النبي ﷺ قال في خطبة له: (من كنت مولاه فعلي مولاه). والحديث الذي وضع عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (... أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست

مولى المؤمنين؟ فقالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[1][2] ومنها ما وضع على لسان علي بن أبي طالب أنه قال: بايع الناس لأبي بكر رضي الله عنه وأنا والله أولى منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم يبايع الناس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق منه فسمعت وأطعت خوفاً أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذا أسمع وأطيع أن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم.. إلخ.

وحديث وضع عن عائشة رضي الله تعالى عنها ترفعه إلى النبي ﷺ قائلة: لما حضر رسول الله ﷺ الموت قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوت له أبا بكر، فنظر إليه، ثم وضع رأسه فقال: ادعوا لي حبيبي. فدعوت عمر، فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال: ادعوا لي حبيبي. فقلت ويلكم ادعوا له علي بن أبي طالب، فوالله ما يريد غيره. فلما رآه أدخله في الثوب الذي عليه، فلم يزل محتضنه حتى قبض ويده عليه.

كما أن هناك أحاديث أخرى تخرج عليًا من دائرة الخلافة وتقلل من شأنه: قال بعض الوضاعين في إنكارهم الخلافة على علي بن أبي طالب: إنه لا يصح أن يكون خليفة أصلاً. وقد وضع هؤلاء المغالين أحاديثاً ونسبوها لرسول الله ﷺ ليؤكدوا أقوالهم منها:

الحديث الذي وضع على لسان خيثمة يرفعه للنبي ﷺ قال: (بايع النبي ﷺ أعرابيًا، فلما خرج من عنده قال له علي: فإن مات النبي ﷺ فمن من تأخذ حقك؟ قال: لا أدري. قال: ارجع فاسأله، فرجع الأعرابي فسأله، فقال النبي ﷺ: من أبي بكر، فلما خرج قال له علي: فإن مات أبو بكر فمن من تأخذ حقك؟ قال: لا أدري قال: ارجع فاسأله، فقال: من عمر. فلما خرج قال له

---

(١) سورة المائدة: ٣.
(٢) العلل المتناهية: ٢٢٣.

علي: فإن مات عمر؟ قال: لا أدري قال: ارجع فاسأله. قال فرجع فسأله فقال النبي ﷺ: من عثمان. فلما خرج قال له علي: فإن مات فمن من تأخذ حقك؟ قال: لا أدري فقال له ارجع فاسأله. فقال النبي ﷺ: إن مات عثمان فإن استطعت أن تموت فمت).

ومنها الحديث الذي وضع على لسان معاذ يرفعه للنبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت أني وضعت في كفة وأمتي في كفة، فعدلتها، ثم وضع أبو بكر فعدل بأمتي، ثم عمر فعدلها ثم وضع عثمان في كفة فعدلها ثم رفع الميزان.

ومنها الحديث الذي وضع على لسان سفينة أنه قال: لما بنى النبي ﷺ المسجد وضع حجراً ثم قال: ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ثم قال: ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال: ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدي[1].

أحاديث وضعت في مدح بعض الأئمة وأخرى في ذمهم:

من ذلك الأحاديث التي وردت في مدح علي وأبنائه وأحفاده وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم، كالحديث الذي وضع على لسان ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ من أنه قال: إسمي في القرآن: والشمس وضحاها، وإسم علي: والقمر إذا تلاها، وإسم الحسن والحسين: والنهار إذا جلاها وإسم بني أمية، والليل إذا يغشاها.. إلخ.

ومنها الأحاديث التي وردت في مدح العباس وولده، منها الحديث الذي نسب إلى النبي ﷺ من أنه قال لعمه العباس: حصن فرجه في الجاهلية والإسلام فحرم الله بدنه على النار وولده، اللهم هب مسيئهم لمحسنهم. ومنها الحديث يا عباس: إذا كانت سنة خمس وثلاثين فهي لك ولولدك: منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي.

ومنها الأحاديث التي وردت في مدح معاوية حيث زعم الراوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناول معاوية سهماً وقال: خذ هذا السهم حتى تلقاني في الجنة.

---

(١) العلل المتناهية: ١٧٩ ـ ٢٠٥.

وأيضاً الحديث الذي وضع على لسان أنس يرفعه النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان، لا أراه ثمانين عاماً أو سبعين عاماً، ثم يقبل عليّ على ناقة من المسك الأذفر، حشوها رحمة الله وقوائمها من الزبرجد. فأقول: معاوية؟ فيقول لبيك، فأقول أين كنت منذ ثمانين عاماً؟ فيقول: في روضة تحت عرش ربي يناجيني وأناجيه. ويقول: هذا عوضك ما كنت تشتم به في الدنيا.

ومنها الأحاديث التي وردت في ذم الخلفاء: منها الحديث الذي وضع عن الرسول ﷺ من أنه أخذ العَلَم من يد علي ورفعه إلى معاوية.

ومنها الحديث الذي وضع عن رسول الله ﷺ من أنه قال: أول من يختصم من هذه الأمة علي ومعاوية.

ومن الأحاديث التي وضعت في ذم بني العباس الحديث الذي وضع عن النبي ﷺ من أنه قال: أقبلت رايات ولد العباس من عقاب خراسان، جاءوا لنقض الإسلام، فمن سار تحت لوائهم لم تنله شفاعتي يوم القيامة[١].

أحاديث وردت في ذم معاوية:

منها الحديث الذي وضع عن النبي ﷺ قال: لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة معاوية.

والحديث الآخر الذي وضع عن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه.

والحديث الذي وضع على لسان أبي برزة يرفعه للنبي ﷺ قال: أن النبي ﷺ سمع صوت غناء فقال: انظروا ما هذا؟ قال أبو برزة: فصعدت فنظرت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت وأخبرت النبي ﷺ فقال: اللهم أركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً[٢].

---

(١) الفوائد المجموعة: ٣٦٨ ـ ٤١٣.

(٢) الفوائد المجموعة: ٤٠٧.

آحاديث وضعها الوضاعون لنصرة المذاهب السياسية:

لقد كثر أصحاب المذاهب السياسية بعد الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رضي الله عنه فظهرت الفرق الخارجة على الإمام علي رضي الله عنه، والفرق التي أيدت الإمام علي رضي الله عنه ثم طائفة أخرى اعتزلت الفتنة. والخوارج إسم يطلق على من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء الصحابة أو من بعدهم من تابعين وأتباعهم[1].

وقد وضع الخوارج أحاديث ضد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان الخوارج يضعون الأحاديث حسب أهوائهم ولنصرة مذهبهم، فقد روي أن أحد الخوارج قال: إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، إنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً[2].

ومن تلك الفرق الشيعة وهم الذين قدموا الإمام علي على بقية الأئمة، وادعوا أنه أحق بالخلافة منهم. بل قال بعضهم: إن الخلافة يجب أن يتوارثها آل البيت، أي أبناء علي وأحفاده[3].

والشيعة هم الذين وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضائل علي وأحفاده، كما وضعوا أحاديث كثيرة لنصرة مذهبهم. ولقد روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه عندما سأله أبو عصمة عمن يأمره أن يسمع الآثار، أجاب قائلاً: من كل عدل في هواه إلا الشيعة فإن أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد ﷺ[4].

أحاديث وضعها الوضاعون للتقرب من الحكام:

أما الأحاديث التي وضعها الوضاعون للتقرب من الحكام فهي قليلة جدًّا، وتكاد تكون نادرة، نسرد منها مثالاً هنا لأن كثيراً من المستشرقين يطعنون في الأحاديث النبوية الشريفة ويدّعون أن معظمها وضعت لإرضاء الخلفاء وللتقرب

---

(١) انظر كتاب الملل والنحل ١/ ١١٤.
(٢) الكفاية: ١٩٨.
(٣) الشيعة وأصولها ١١٠ ـ ١١١.
(٤) الكفاية: ٢٠٣.

منهم، ويتهجمون بذلك زوراً وبهتاناً على الأئمة والخلفاء المسلمين الذين لم يقبلوا الوضع في الحديث الشريف حتى وإن كان القصد من الحديث الموضوع مدحهم أو إرضائهم.

ومن أمثلة الأحاديث التي وضعها الوضاعون لتملق الحكام الحديث الذي وضعه غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي كسباً لود المهدي وأملاً في نيل عطائه، فقد ورد أنه دخل على المهدي ـ وكان المهدي يحب الحمام ويلعب به ـ فإذا قدامه حمام، فقيل له حدث أمير المؤمنين فقال: حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح، فأمر المهدي له بعطية. فلما قام قال: أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ: أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه[1].

٢ ـ أحاديث وضعت لأسباب دينية:

الأحاديث التي وضعت لأسباب دينية كثيرة منها أحاديث وضعها بعض الوضاعين من أصحاب البدع كالقدرية والجهمية والمرجئة والروافض لدعم مذاهبهم ولذم أصحاب المذاهب الأخرى، وأحاديث أخرى وضعت لتدعيم بعض المذاهب الفقهية وتقويتها. ومنها أحاديث وضعت للترغيب والترهيب. ومنها أحاديث وضعها الوضاعون وبعض المندسين في صفوف المسلمين من المنافقين للتقليل من شأن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، وليظهروا الرسول في صورة غير لائقة بمقامه الكريم وبالتالي يتمكنون من ورائها الوصول إلى هدفهم وهو هدم الإسلام بعد إثبات عدم صدق نبوته ﷺ حسب زعمهم.

أ ـ أحاديث وضعها أصحاب المذاهب السياسية:

ومن أمثلة تلك الأحاديث التي وضعت لذم أصحاب الفرق والمذاهب السياسية المناوئة ما يلي:

القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم.

---

(١) تدريب الراوي: ١٠٣.

وحديث: صفنان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب، القدرية والمرجئة.

وحديث: الزيدية مجوس هذه الأمة[1].

وحديث: كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق، فمن قال ذلك منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول[2].

وحديث: إن لكل أمة يهود ويهود أمتي المرجئة.

ومنها الحديث الذي وضع على لسان أبي سعيد الخدري يرفعه للنبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لعن أربعة على لسان سبعين نبيًّا، قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: القدرية، والجهمية، والمرجئة، والروافض، قلنا: يا رسول الله ما القدرية؟

قال: الذين يقولون الخير من الله والشر من إبليس، ألا إن الخير والشر من الله.

قال: فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله. قلنا يا رسول الله ما الجهمية؟ قال: الذين يقولون القرآن مخلوق، ألا إن القرآن غير مخلوق، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله.

قلنا يا رسول الله: فما المرجئة؟ قال: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. قلنا: يا رسول الله فما الروافض؟ قال: الذين يشتمون أبا بكر وعمر. ألا فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله[3].

ب ـ أحاديث وضعت للترغيب والترهيب:

ومنها الأحاديث التي وضعت في فضائل القرآن الكريم مثل الحديث الذي وضع عن علي رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ قال: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت:

---

(١) العلل المتناهية: ١١ ـ ١٨.

(٢) العلل المتناهية: ٢١.

(٣) الموضوعات ١/٢٧٨.

ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

ومنها الأحاديث التي وردت في فضل القرآن، أو في فضل سور معينة من القرآن. فقد وضع عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى رسول الله ﷺ من أنه قال: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً. ومن قرأ في كل ليلة ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لقي الله يوم القيامة ووجهه في صورة القمر ليلة البدر.

وحديث وضع عن ابن عباس يرفعه للنبي ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أعطي نوراً من حيث قرأها إلى مكة، وغفر له إلى الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء والدبيلة، وذات الجنب والبرص والجذام والجنون وفتنة الدجال[1].

أحاديث وضعت في فضل بعض آيات القرآن ومنها: الحديث الذي وضع عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ من أنه قال: من قرأ آية الكرسي إثر وضوئه أعطاه الله ثواب أربعين عاماً، ورفع له أربعين درجة وزوجه أربعين حوراء.

وحديث وضع عن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: إني فرضت على أمتي قراءة سورة يس كل ليلة، فمن داوم على قراءتها كل ليلة ثم مات، مات شهيداً.

وحديث وضع عن ابن مسعود قال فيه: قرأت القرآن على النبي ﷺ، فلما بلغت هذه الآية: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل..﴾[2] قال: ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السام والموت[3].

---

(١) اللآلىء المصنوعة ١/ ٢٦٢.
(٢) سورة الحشر: ٢١.
(٣) الفوائد المجموعة: ٧٦ ـ ٨٠.

أحاديث وضعت للتقليل من شأن الإسلام ورسول الإسلام:

وهي الأحاديث التي تظهر النبي ﷺ في فعله أو في قوله في صورة غير لائقة بمكانته ومقام نبوته لتشويه صورته ﷺ وصورة الإسلام وبالتالي يتسنى لهؤلاء الوضاعين وأمثالهم صد الناس عن دين الله.

ومنها الأحاديث التي تصور النبي ﷺ في صورة شخص شره، كالحديث الذي وضع عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال بزعمهم: كنا في وليمة رجل من الأنصار فأتي بطعام فيه باذنجان، فقال رجل من القوم يا رسول الله: إن الباذنجان يهيج المرارة، فأكل رسول الله ﷺ باذنجانة في لقمة، وقال: إنما الباذنجان شفاء من كل داء، ولا داء فيه.

والحديث الذي وضع عن ابن أخي الزهري عن امرأته عن أبيها قال: كان النبي ﷺ يأكل بكفه كلها[1].

ومنها الأحاديث التي تصوره ﷺ بصورة من كان يفعل أفعالاً حقيرة، لا قيمة لها، بل يدعو أمته لفعلها. ومنها:

الحديث الذي وضع عن خالد بن معدان يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: الديك الأبيض صديقي، وعدو عدو الله، يحرس دار صاحبه، وسبعة دور. وكان رسول الله ﷺ يبيته معه في البيت.

ومنها الأحاديث التي وضعها أصحابها زاعمين أنهم وضعوها يريدون بها وجه الله تعالى، مثل الأحاديث التي وضعت لحث الناس على قراءة القرآن. ويزعم هؤلاء الوضاعون أنهم لم يكذبوا على رسول الله ﷺ بل كذبوا له.

ومن تلك الأحاديث الأحاديث التي وضعت في فضائل القرآن وادعى واضعوها أنهم وضعوها حسبة، ما جاء من أن محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملاً يقول: حدثني شيخ بحديث فضائل سور القرآن الذي يروي عن أبي بن كعب، فقلت للشيخ، من حدثك قال: حدثني رجل من المدائن وهو حي، فصرت إليه. فقال حدثني شيخ بعبدان، فصرت إليه، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ. فقال: هذا الشيخ حدثني، فقلت يا شيخ من

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة: ٢٤٦.

حدثك؟ قال: لم يحدثني أحد. وكلنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن.

٣ ـ الأحاديث التي وضعت لأسباب اجتماعية:

وردت أحاديث من وضع الطبقات الإجتماعية المختلفة كطبقة الفقراء وطبقة الأغنياء وغيرهم، وذلك لتدعيم مراكزهم الإجتماعية. كما وردت أحاديث أخرى في مدح ناس معينين وذم آخرين، أو مدح بلاد بعينها وذم أخرى. كما وضعت أحاديث للإقلال من شأن المرأة ووضعت أخرى لمدحها، وكل ذلك ناتج عن التفرقة العنصرية والزعم بتفضيل رسول الله ﷺ لأمم من المسلمين على غيرهم دون مبرر. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* أحاديث وضعت في مدح الفقر:

حديث وضع عن رسول الله ﷺ يقول فيه: اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: سيروا إلى الفقراء، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا.

وحديث: الفقير فخري وبه أفتخر.

وحديث: من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة ثم فضحه.

وحديث: من آذى فقيراً مؤمناً بغير حق فكأنما هدم مكة عشر مرات، وبيت المقدس، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين.

وحديث: لايزال العبد في ستر الله ما لم يبغض أهل الجوع وقلة المطعم فإذا أبغضهم هتك ستره[1].

وحديث: الفقراء أصدقاء الله، ورأس مالهم الليل والنهار، فطوبى لمن اتجر قبل أن يذهب رأس ماله.

وحديث: الفقراء أصدقاء الله، والمرضى أحباء الله. ومن مات على التوبة فله الجنة. وتوبوا، ولا تنسوا، فإن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب لا يسد

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة: ٣١٢ ـ ٣١٦.

حتى تطلع الشمس منه.

وحديث: أولياء الله من خلقه أهل الجوع والعطش فمن آذاهم انتقم الله منه، وهتك ستره، وحرم عليه عيشه من جبينه.

*** أحاديث وضعت في ذم الفقر وذم الغنى:**

كحديث: قراءة سورة القلاقل أمان من الفقر.

قال ابن سلطان: والقلاقل هي التي أوائلها (قل) وهي خمس سور أولها سورة الجن، ولكن المشهورة هي أربعة: الكافرون والإخلاص والمعوذتان[(١)].

ومنها الحديث الذي وضع عن النبي ﷺ يقول: الفقر قيد المجرمين.

ومنها حديث: الفقراء سود الوجوه في الدارين[(٢)].

ومنها حديث: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن فتنتهم أشد من فتنة العذارى[(٣)].

*** أحاديث وضعت في ذم ألوان البشر وأعراقهم ومنها:**

حديث: احذروا صفر الوجوه فإنه إن لم يكن من علة أو سهر فإنه من غل في قلوبهم للمسلمين.

وحديث: دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه.

وحديث: العرب سادات العجم.

وحديث: جور الترك ولا عدل العرب.

*** أحاديث وردت في مدح بلاد وذم أخرى:**

كحديث: الجيزة روضة، ومصر خزائن الله في أرضه.

وحديث: إذا جئت يا معاذ أرض الخصيب ـ يعني من اليمن ـ فهرول فإن فيها الحور العين[(٤)].

والحديث الذي وضع عن علي رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ قال: قال

---

(١) الأسرار المرفوعة: ٢٥٩.

(٢) كشف الخفاء ٢/١١٣.

(٣) تنزيه الشريعة المرفوعة: ٢١٤.

(٤) الأسرار المرفوعة: ٨٩.

رسول الله ﷺ: أربعة أبواب من أبواب الجنة أولهن الإسكندرية وعسقلان وقزوين، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت.

وحديث وضع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يرفعه للنبي ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ مر على مقبرة فقيل: يا رسول الله، أي مقبرة هذه؟ فقال: هي مقبرة بأرض العدو يقال لها عسقلان يفتحها ناس من أمتي، يبعث الله منها سبعين ألف شهيد يشفع الرجل في مثل ربيعة ومضر. وعروس الجنة عسقلان.

ومنها الحديث الذي وضع عن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: ستفتح عليكم الآفاق، وستفتح عليكم مدينة يقال لها قزوين. من رابط فيها أربعين يوماً أو أربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب، عليه زبرجدة خضراء، عليها قبة من ياقوتة حمراء، لها سبعون ألف مصراع من ذهب، على كل مصراع زوجة من الحور العين.

*** أحاديث وضعت لذم بلاد معينة:**

حديث وضع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: أربعة مدائن من مدائن الجنة، وأربع مدائن من مدائن النار. فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق، وأما مدائن النار فالقسطنطينية والطبرية وأنطاكيا المحترقة وصنعاء.

ومنها الحديث الذي وضع عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه للنبي ﷺ قال: مكة آية الشرف، والمدينة معدن الدين، والكوفة فسطاط الإسلام، والبصرة فخر العابدين، والشام معدن الإسلام، ومصر عش إبليس وكهفه ومستقره[1].

وحديث وضع عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه للنبي ﷺ قال: إن الشيطان أتى العراق فباض فيهم وأفرخ، ثم أتى مصر فبسط بساطه وجلس، ثم أتى الشام فطردوه.

*** أحاديث وضعت للإقلال من شأن المرأة وأخرى لمدحها:**

من الأحاديث التي وضعت للإقلال من شأن المرأة حديث وضع عن عائشة

---

(١) اللآلىء المصنوعة ٢/٤٥٩ ـ ٤٦٧.

رضي الله تعالى عنها ترفعه للنبي ﷺ أنه قال: طاعة النساء ندامة.

ومنها حديث أيضاً وضع عن أنس يرفعه للنبي ﷺ من أنه قال: لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير فليستشير امرأة ثم ليخالفها، فإن في خلافها البركة[1].

ومنها الحديث الذي ورد في النهي عن أن تقص الرؤيا على النساء[2].

ومنها الحديث الذي وضع عن أنس مرفوعاً: قال: قال رسول الله ﷺ: لولا المرأة لدخل الرجل الجنة.

ومنها الحديث الذي وضع عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: لا تعلموا نساءكم الكتابة ولا تسكنوهن العلالي.

ومنها ما وضع عن أنس مرفوعاً: أجيعوا النساء جوعاً غير مضر، وأعروهن عرياً غير مبرح، لأنهن إذا سمن واكتسين فليس شيء أكره إليهن من البيوت، وليس شيء خير لهن من البيوت[3].

*** أحاديث وضعت للرفع من شأن المرأة:**

كالحديث الذي وضع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: إذا حملت المرأة فلها أجر الصائم القائم المتحنث المجاهد في سبيل الله، وإذا ضربها الطلق فلا يدري الخلائق ما لها من الأجر، فإذا وضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نفس تحييها، فإذا فطمت ضرب الملك على منكبيها وقال: استأنفي العمل[4].

ومنها الحديث الذي وضع عنه ﷺ يقول فيه: أحبوا البنات، فأنا أحب البنات. إن الرجل إذا ولدت له ابنة هبط ملكان فمسحا على ظهرها، وقالا: ضعيفة خرجت من صلب ضعيف، من أعان عليك لم يزل معان عليه إلى يوم القيامة[5].

---

(١) الأسرار المرفوعة: ٢٢٢.
(٢) نفس المرجع السابق: ٤٨٨.
(٣) اللآلىء المصنوعة: ١٥٩ ـ ١٨٢.
(٤) اللآلىء المصنوعة ٢/ ١٧٥.
(٥) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢١٧.

٤ ـ أحاديث وضعت لأسباب اقتصادية:

قد يضع الوضاع حديثاً في مدح سلعة لتلقى رواجاً في السوق، وقد يضع كذلك أحاديث في ذم سلع أخرى لكي لا تنافس أنواعاً في السوق. فهو يمدح أنواعاً من السلع والطعام ليقبل الناس عليها، ويذم أخرى ليصرف الناس عنها. ومن أمثلة ذلك:

حديث: الهريسة تشد الظهر.

وحديث: أكرموا الخبز، فإنه من بركات السماء والأرض.

وحديث: سيد طعام أهل الجنة اللحم.

وحديث: شرب اللبن من الإيمان. من شربه في منامه فهو على الإيمان والفطرة، ومن تناول اللبن فهو يعمل بشرائع الإسلام.

وحديث: عليكم بالعدس، فإنه مبارك يرق له القلب ويكثر الدمعة، وإنه قد بارك فيه سبعون نبيًا. وروي بزيادة أنه يرقق القلب ويسرع الدمع، وعليكم بالقرع فإنه يشد العقل ويزيد في الدماغ.

وحديث: الأرز مني وأنا من الأرز. خلقت الأرز من بقية نوري، ولو كان الأرز حيواناً لكان آدميًا، ولو كان آدميًا لكان رجلاً، ولو كان رجلاً لكان صالحاً، ولو كان رجلاً صالحاً لكان نبيًا، ولو كان مرسلاً لكان أنا.

وحديث: عليكم بالهندباء فإنه ما من يوم إلا وتقطر عليه قطرة من قطر الجنة.

وحديث: كلوا الباذنجان، وأكثروا منه، فإنه أول شجرة رأيتها في جنة المأوى.. إلخ. وفيه فمن أكلها على أنها داء كانت له داء، ومن أكلها على أنها دواء كانت له دواء.

وحديث: البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلاً، ويذهب بالداء أصلاً.

وحديث: أكرموا البقرة فإنها سيدة البهائم. ما رفعت طرفها إلى السماء حياء منذ أن عبد العجل.

وحديث: من كان في بيته شاه كان في بيته بركة. ومن كان في بيته شاتان كان في بيته بركتان. ومن كان في بيته ثلاثة أشياه إعتزل من الفقر، وتؤنس على

بيته الملائكة تقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

وحديث: أمر النبي ﷺ الأغنياء باتخاذ الغنم، والفقراء باتخاذ الدجاج. وفي رواية أخرى بزيادة: وعند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى.

وحديث: اتخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم، فإنها تلهي الجن عن صبيانكم.

وحديث: صلاة بخاتم تعدل سبعين بغير خاتم.

وحديث: تختموا بالزمرد فإنه يسر لا عسر فيه[1].

وهناك أحاديث وردت في ذم بعض السلع منها:

حديث وضع عن رسول الله ﷺ يخاطب فيه عليًا رضي الله عنه قال: ... وأمنع العروس في إسبوعها الأول من اللبان والخل والكزبرة والتفاحة الحامضة، قال علي: يا رسول الله لأي شيء أمنعها هذه الأشياء؟ قال: لأن الرحم يعقم ويعوّق من هذه الأشياء عن الأولاد. والصراصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد.

والحديث الذي وضع عن عطية بن بسر مرفوعاً: بئست البقلة الجرجير، من أكل منها ليلاً حتى يتضلع بات ونفسه تنازعه، وتضرب بعرق الجذام من أنفه، كلوها بالنهار، وكفوا عنها ليلاً[2].

والحديث الذي وضع عن أبي الدرداء مرفوعاً: لا تأكلوا اللحم.

والحديث الذي وضع عن محمد بن علي أن رسول الله ﷺ أتاه أوس بن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال: أما إني لا أحرمه، ولكن أتركه تواضعاً لله.

والحديث الذي وضع عن ابن عباس قال: أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: إن أمتك تُفتح لهم الأرض، وتفاض عليهم الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج. قال النبي ﷺ: وما الفالوذج؟ قال: يخلطون السمن

---

(١) تذكرة الموضوعات: ١٤٥ ـ ١٥٤.

(٢) اللآلىء المصنوعة: ٢/١٦٧.

بالعسل. فشهق النبي ﷺ شهقة[1].

٥ ـ أحاديث وضعها أصحاب الحرف لمدح حرفهم وذم الحرف الأخرى:

الأحاديث التي وضعها الحرفيون كثيرة نذكر بعضها فيما يأتي:

أولاً: أحاديث وضعها الحرفيون لمدح حرفهم ومنها: حديث: آخر الطب الكي. وقيل إنه حديث اشْتُهر بين أمثلة العرب يقولون فيه: آخر الدواء الكي[2].

وحديث: خير تجارتكم البرُ وخير صناعتكم الحرث.

وحديث وضع عن سعد بن معاذ من أنه ﷺ قال له: ما هذا الذي اكتسبت يداك؟ قال: يا رسول الله اضرب بالمرو المسحاة فأنفقه على عيالي. فقال ﷺ: هذه يد لا تمسها النار.

وحديث: عمل الأبرار من رجال أمتي الخياطة. وأعمال الأبرار من النساء المغزل.

وحديث: إن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: لا تسلم على الجزار. ثم قال له في يوم آخر: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: سلم على الجزار.

وحديث: نوعان أكرمهن الله في الدنيا والآخرة، الذهب والفضة فجعلهما شرفاً لأهل الدنيا في دنياهم، وزينة لأهل الآخرة في آخرتهم[3].

وحديث: الدينار والدرهم خواتم الله في أرضه. من جاء بخاتم الله قضيت حاجته.

وهناك أحاديث أخرى تذم أصحاب الحرف الأخرى منها الحديث الذي وضع عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: ألا أن التاجر فاجر، شرار الناس التجار والزراع.

والحديث الذي وضع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: اللهم لا

---

(١) اللآلىء المصنوعة: ٢٢٢ ـ ٢٣٩.

(٢) كشف الخفاء ١/ ١٥.

(٣) الفوائد المجموعة: ١٤٧.

تطع فينا تاجراً ولا مسافراً فإن تاجرنا يحب الغلاء، ومسافرنا يكره المطر.

وحديث: بخلاء أمتي الخياطون.

وحديث: لا تستشيروا الحاكة ولا المعلمين، فإن الله سلب عقولهم، ونزع البركة من أكسابهم.

وحديث: لا تشاوروا الحاكة والحجامين، ولا تسلموا عليهم.

وحديث: ثلاثة ذهبت منهم الرحمة: الصياد والقصاب وبائع الحيوان[1].

٦ ـ أحاديث وضعت لتغطية العيوب الشخصية وإبراز عيوب الآخرين:

مثل حديث: إن الله طهّر قوماً من الذنوب بالصلعة في رؤسهم وإن عليًا لأولهم.

وحديث: إن القصيرة قد تطيل، أي تلد ولداً طويلاً.

وحديث: ما خلا قصير من حكمة، ولا طويل من حماقة.

وحديث: اتقوا ذوي العاهات.

وحديث: إن الله يحب الرجل المشعراني ويكره المرأة المشعرانية.

٧ ـ أحاديث وضعت من أجل التسلية والترفيه:

من الأحاديث التي وضعت من أجل التسلية والترفيه الأحاديث التي وضعها القصاص وغيرهم ومنها:

حديث وضع عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: كلم الله البحر الشامي فقال: يا بحر. ألم أخلقك فأحسنت خلقك وأكثرت فيك من الماء؟ قال: بلى يا رب. قال: فكيف تصنع إذا حملت فيك عبادي يهللوني ويحمدوني ويكبروني؟ قال: أهلل معهم وأسبحك معهم وأكبرك معهم وأحملهم في ظهري وبطني قال: فأتاه الله الحلية والصيد والطيب.

وحديث وضع عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب من حب الله تعالى حتى عمي، فرد الله عليه بصره فأوحى إليه: يا شعيب ما هذا

---

(١) الأسرار المرفوعة: ٤٣٤.

البكاء؟ أشوقاً للجنة أم خوفاً من النار؟ قال: إلهي وسيدي أنت تعلم ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولاخوفاً من النار ولكني اعتقدت حبك بقلبي، فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي. فأوحى الله إليه: يا شعيب إن كان بك ذلك حقًّا فهنيئاً لك لقائي. يا شعيب لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي.

وحديث وضع عن تميم الداري قال: سئل رسول الله ﷺ عن معانقة الرجل إذا لقيه قال: فكانت تحية الأمم السابقة وخالص ودهم أن يسجد هذا لهذا، وأن أول من عانق خليل الله إبراهيم عليه السلام، وذلك أنه خرج مرة يرتاد الماشية بجبل من جبال بيت المقدس، وسمع مقدساً يقدس الله عز وجل فذهل عما كان يطلب، وقصد الصوت فإذا هو برجل طوله ثمانية عشر ذراعاً يقدس الله عز وجل، فقال له إبراهيم: يا شيخ، من ربك؟ قال: الذي في السماء. قال: فمن رب الأرض؟ قال: الذي في السماء. قال: ما بينهما إله غيره؟ قال: لا. هو رب من في الأرض. فقال له إبراهيم: هل معك أحد من قومك؟ قال: لا ما علمت أحداً من قومي بقي غيري. قال إبراهيم: فأين قبلتك؟ قال: قبلتي الكعبة قبلة إبراهيم.. فقال إبراهيم: أي يوم أعظم؟ قال: اليوم الذي يضع كرسيه للحساب، يوم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاخر بوجهه لهول ذلك اليوم. قال إبراهيم: ادع الله يا شيخ أن يؤمني وإياك هول ذلك اليوم. قال: ما تصنع بدعائي، إن لي دعوة محبوسة في السماء منذ ثلاثة سنين لم أرها. قال له إبراهيم: ألا أخبرك بما حبس دعاءك؟ قال: بلى. قال إبراهيم: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً أخر مسألته، يحب صوته وجعل له في كل مسألة ما لا يخطر على قلب بشر، وإذا أبغض صوته عجل مسألته، أو ألقى الأياس في صدره ليقبض صوته. فما مسألتك المحبوسة في السماء منذ ثلاثة سنين؟ قال: رأيت شابًّا في رأسه ذؤابة ومعه بقر كأنها الذهب وغنم كأنها فضة فقلت يا فتى: لمن هذه؟ قال: لخليل الله إبراهيم، فقلت: اللهم إن كان لك من الأرض دين فأدينه قبل خروج روحي من الدنيا. فاعتنقه إبراهيم وقال له: قد ردت مسألتك، وقد كان قبل ذلك هذا يسجد لهذا وهذا لهذا إذا لقيه، ثم جاء الإسلام بالمصافحة فلا تفرق الأصابع حتى يغفر الله لكل مصافح، فالحمد لله الذي وضع عنا الأصار[1].

---

(١) العلل المتناهية: ٤٦ ـ ٥٠.

٨ ـ الأحاديث التي وضعت للتشاؤم والتفاؤل:

الأحاديث التي وضعها المتشائمون والمتفائلون لتبرير موقفهم من كراهية بعض الأشياء أو الأيام أو الشهور أو في حبها والتفاؤل بها كثيرة. ومن أمثلة ذلك:

حديث: لا تسكن الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور.

وحديث: إياكم والسكن في السواد فإن من سكن السواد يصدأ قلبه. قيل يا رسول الله وهل يصدأ القلب؟ قال: كما يصدأ الحديد.

وحديث: السبت يوم مكر ومكيدة. إن قريشاً أرادوا أن يمكروا فيه فأنزل الله ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا﴾. ويوم الأحد يوم بناء وغرس لأن الجنة بنيت وغرست فيه. ويوم الاثنين يوم سفر وتجارة، ويوم الثلاثاء يوم دم. قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن ابن آدم قتل أخاه فيه، وفيه أرسل الله الريح على قوم عاد، وفيه ولد فرعون، وفيه ادعى الربوبية، أهلكه الله. ويوم الخميس يوم دخول على السلطان وقضاء الحوائج. قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن إبراهيم خليل الرحمن دخل على ملك مصر فرد عليه امرأته، وقضى حوائجه. ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن الأنبياء ينكحون ويخطبون فيه، لبركة يوم الجمعة.

وحديث: ما أهلك الله أمة إلا في آذار. ولا تقوم الساعة إلا في آذار.

وحديث: آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر.

وحديث: من اتخذ ديكاً أبيض في داره لم يقربه الشيطان ولا السحرة.

وحديث: لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء(١).

لقد تناولنا في هذا الباب شرحاً لمعنى السنة النبوية الشريفة ومكانتها في التشريع الإسلامي حيث أوردنا الأدلة على أهمية السنة التي تتلخص في أنها شارحة للقرآن، موضحة لبعض آياته ومشرعة أيضاً. وتطرقنا في أثناء ذلك إلى أنواع السنة من قولية وفعلية وتقريرية. ووضحنا كيف تمت كتابتها في عهد رسول

---

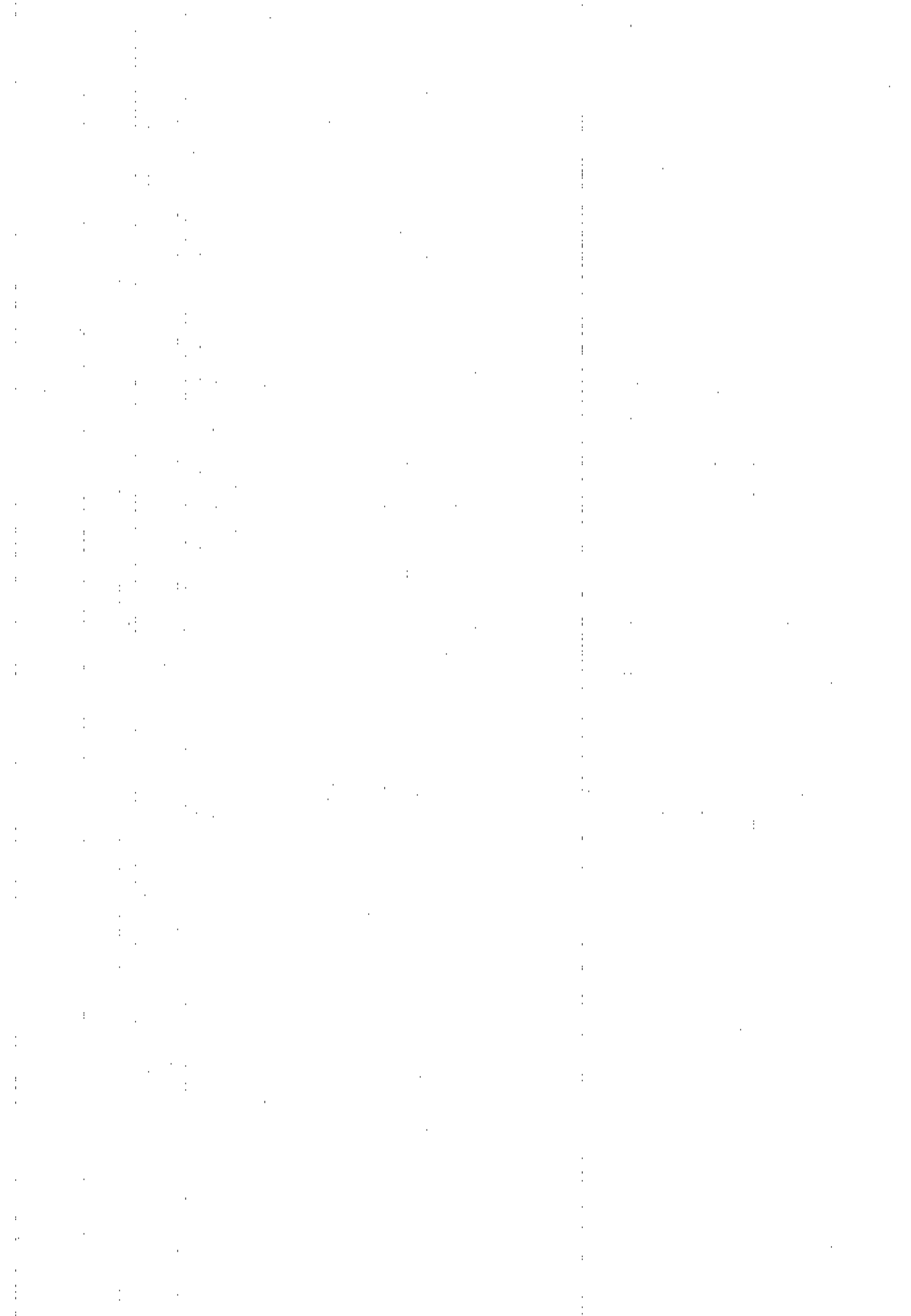
(١) تنزيه الشريعة المرفوعة: ٥١ ـ ٥٥.

الله ﷺ، وعهد الصحابة والتابعين عليهم رضوان الله.

كما رأينا الطريقة التي اعتمد عليها جامعو السنة في التثبت من رواية الحديث النبوي الشريف سنداً ومتناً. ورأينا الأسس التي اعتمد عليها أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما في تحقيق الكتب الصحاح والموطآت والمسانيد وغيرها.

كما تطرقنا في أثناء ذلك إلى موضوع الرحلة في طلب الحديث وأسبابها والنتائج التي أدت إليها، وتوصلنا من ذلك إلى أن كتابة الحديث النبوي قد بدأت في عهد النبي ﷺ واتُّخِذت كل الإحتياطات اللازمة لتمحيصه وتحقيقه قبل أن تتم نسبته إلى رسول الله ﷺ وذلك عكس ما ادعى المستشرقون وأشباههم من المغرضين. وتطرقنا إلى أنواع الحديث وأقسامه وبيَّنَّا درجاته من الصحة والأسس التي اعتمد عليها المحدثون في هذه التقسيمات، كما أوردنا أهم الكتب التي اشتملت عليها تلك الأنواع. كما تطرقنا إلى الوضع في الحديث والأسباب التي أدت إلى ذلك. وأوردنا أمثلة من الأحاديث الموضوعة وأتبعنا ذلك ببيان الطرق التي اتخذها علماء المسلمين لنقد تلك الأحاديث الموضوعة وردها على أصحابها.

وخلصنا من ذلك إلى أن السنة النبوية الشريفة قد بُدأ في تدوينها منذ عهد النبي ﷺ واستمر ذلك الجهد إلى ظهور المصنفات. وقد اتُبعت الطريقة العلمية الدقيقة في تدوين كتب الحديث ونقدها وتمحيصها وتبويبها، وترتيبها بأسلوب يدل على الحرص والنزاهة وسعة الأفق.



الباب الخامس

مقارنـــة وتحليـــل

ويشتمل على الموضوعات التالية:

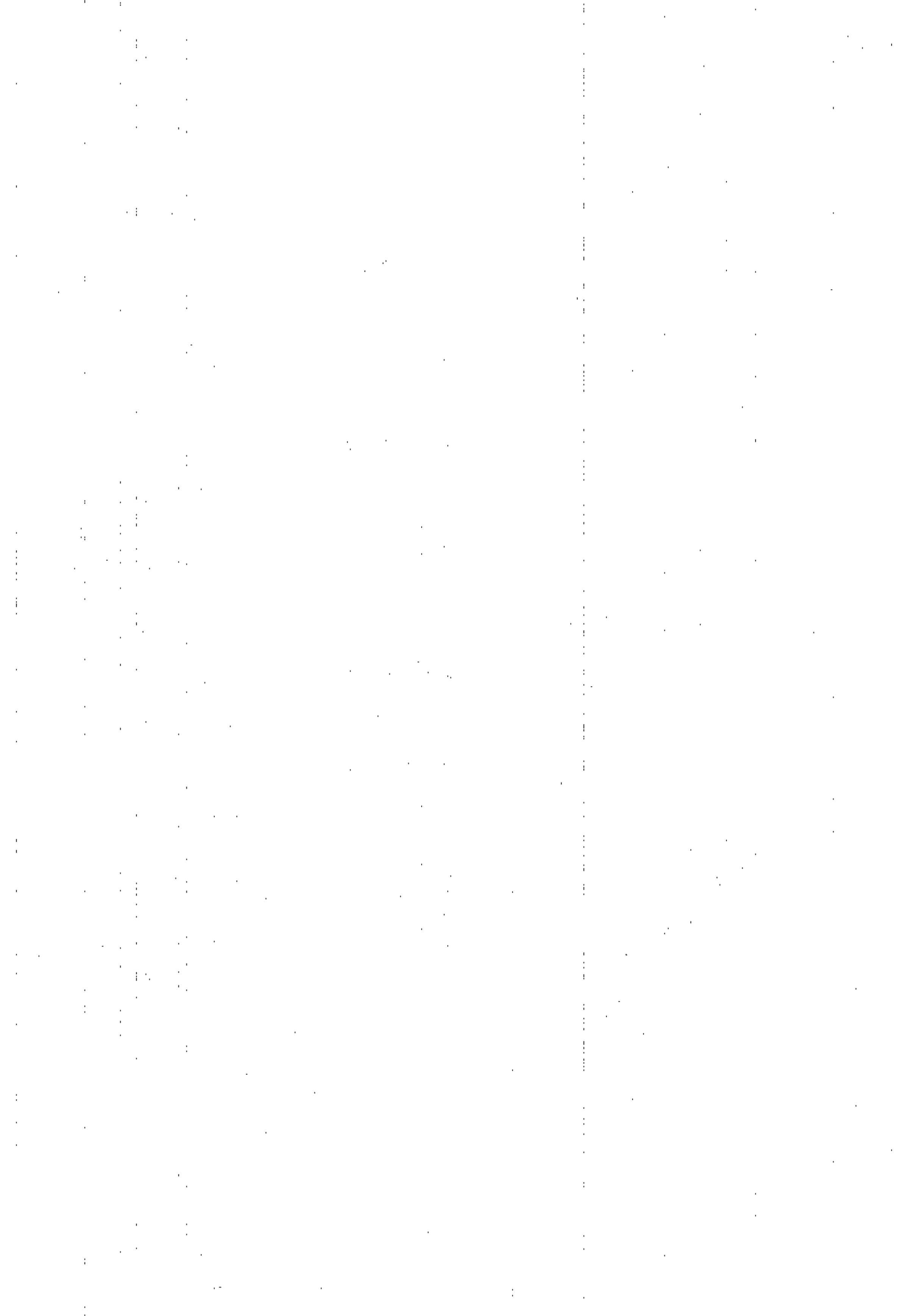
أولاً : السـير الذاتية لأصحـاب الكتب الستة الصحاح ومقارنة ذلك بسير أصحاب أسفار العهد الجديد.

ثانياً : الأسـس التي تم بموجبهـا جمـع وتدوين الأناجيل ومقارنة ذلك بطرق جمع وتدوين السنة النبوية الشريفة.

ثالثاً : تلخيص نتائج البحث.

رابعاً : محـاولـة تصحيح بعض المفاهـيم النصرانية الخـاطئة اعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

خامساً : الخـاتمــــة.



مقارنة وتحليل

تمهيد:

بعد أن رأينا صوراً من هجوم المستشرقين من يهود ونصارى وأشباههم على الإسلام عامة وعلى السنة النبوية الشريفة خاصة، وبعد أن رأينا السبل التي اتبعها النصارى في تدوين أناجيلهم، ثم السبل والوسائل التي اتبعها المسلمون في تدوين وتحقيق الحديث النبوي الشريف فإننا في هذا الباب بإذن الله سنتناول الموضوعات الآتية:

أولاً: السيرة الذاتية لكل من الأئمة الذين قاموا بتدوين كتب الحديث الصحاح ومقارنة ذلك بالسير الذاتية لكتّاب أسفار العهد الجديد.

ثانياً: الأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين السنّة النبوية الشريفة ومقارنة ذلك بالأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين الأناجيل.

ثالثاً: تلخيص نتائج البحث.

رابعاً: نقد وتحليل لبعض المفاهيم الخاطئة التي قامت عليها الديانة المسيحية ومازالت تتفانى في نشرها وترويجها بين الناس.

خامساً: محاولة تصحيح بعض المفاهيم النصرانية الخاطئة إعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

سادساً: الخاتمة واقتراحات البحث.

أولاً: مقارنة بين السِّيَر الذاتية لأئمة الحديث والسِّيرَ الذاتية لأصحاب أسفار العهد الجديد.

في الجدول التالي سنعقد مقارنة بين السير الذاتية لكل من الأئمة الذين قاموا بتدوين الستة الصحاح وبين السير الذاتية لكتَّاب أسفار العهد الجديد:

الجدول (أ) ويشتمل على مقارنة بين السير الذاتية لأصحاب الكتب الستة والسير الذاتية لأصحاب أسفار العهد الجديد:

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
١ ـ الإمام البخاري: أ ـ هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بردزبه الجعفي. الجعفي ولاء لأن جده المغيرة أسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي.	**١ ـ مرقص Mark** أ ـ قيل أن إسمه جون مرقص (يوحنا أو يحيا). هذا القول مبني على الظن. وقد نقل لنا تيني (Tenney) أن مرقص مجهول العين، لا يُعْرف إن كان إسمه الحقيقي هو مرقص، أم أن مرقص هو لقبه أم هو إسمٌ من وَضْع الناس الذين جاءوا بعده.
ب ـ ولد ببخارى عام ١٩٤هـ وتوفي عام ٢٥٦هـ. وكتب صحيحه في تلك الفترة. وقد نقل لنا ابن حجر العسقلاني أن رواية البخاري اتصلت له من طريق أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الغريري الذي توفي سنة ٣٢٠هـ. وكان سماع الغريري للصحيح مرتين، مرة بغرير عام ٢٤٨هـ، ومرة ببخارى عام ٢٥٢هـ. نقل ابن حجر أيضاً اتصال السند له من البخاري ومن طرق عديدة تؤكد أن كاتب الصحيح هو البخاري وأن كتابة الصحيح كانت في فترة حياته.	ب ـ قال تيني: إن تاريخ مولده مجهول، ونقل لنا الخلافات الواردة في ذلك: فمنهم من قال: إنه كان في العاشرة عند حادثة الصلب المزعومة، والتي قيل أنها كانت سنة ٣٠م. ومنهم من قال: إنه كان في العشرين وقت تلك الحادثة. وعقّب تيني على ذلك بقوله: كل هذه الأقوال مبنية على الظن. ونقل لنا تيني: أن تاريخ مولده وتاريخ وفاته كلها أشياء مجهولة. أما بخصوص تاريخ كتابته لإنجيله فقد قال تيني: إن ذلك أيضاً مبنيٌّ

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
	على الظن. وقد قيل أنه كتب بين عامي ٦٤ ـ ٧٠م. قال ستريت: إن هذا الإنجيل كتب قبل سقوط أورشليم. وقال المؤرخ إسبنوزا: إن هذا الإنجيل كتب بعد عام ١٨٠م. أما ميريل فيرى أن هذا الإنجيل كتب مرتين: مرة قبل هذا التاريخ (١٨٠م) ومرة بعده.
ج ـ الغرض من كتابة البخاري لصحيحه هو جمع الحديث الصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توفرت في رجاله العدالة والضبط والمعاصرة واللقيا، كما يتضح ذلك من الشروط التي وضعها البخاري نفسه في قبوله للأحاديث النبوية الشريفة.	ج ـ لم ترد أي آثار تثبت الغرض من وراء جمع مرقص لإنجيله. فهو شخص مجهول العين وأهدافه وشروطه في النقل ـ إن كانت له شروط ـ أيضاً مجهولة.
د ـ احتوى صحيح البخاري على أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة على الشروط التي وضعها البخاري لقبولها، فاستغرق هذا العمل ستة عشر عاماً لإنجازه.	د ـ إحتوى إنجيل مرقص على أقوال وأفعال منسوبة للسيد المسيح وعلى بعض الأحداث التي عاصرت ذلك.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
هـ ـ رحل البخاري إلى الأقطار الإسلامية لتلقي العلم على أيدي كبار أئمة الحديث أمثال: علي بن المديني، وإسحاق بن راهويه وغيرهما بل بدأ في حفظ الحديث النبوي الشريف وهو لم يبلغ العاشرة من عمره.	هـ ـ قال جوستاف أولين: إنه كان تلميذاً لبرنابا صاحب الإنجيل المعروف بإسمه، لكن برنابا نفسه مجهول، وحتى إنجيله لم يعتمد أصلاً ضمن الأناجيل التي اعْتُمدت في مؤتمر نيقية. قال هيبز في كتابه (الأناجيل السنوبتيكية): إن موطنه الأصلي كان قبرص، ونقله عمه برنابا إلى أورشليم. لكن هيبز لم يوضح إن كان مرقص رحل لأورشليم طلباً لدراسة أقوال السيد المسيح أم لسبب آخر.
و ـ كتب البخاري صحيحه باللغة العربية، وهي اللغة التي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ، وهي اللغة التي كان يخاطب بها الرسول ﷺ صحابته، ومازالت نسخته العربية موجودة ومتداولة.	وقال جورج كيميل: إن اللغة التي كتب بها مرقص إنجيله الأصلي مجهولة: ونقل لنا كيميل الخلافات الواردة في ذلك: فمنهم من قال: إنه كتب باللغة اللاتينية ثم تمت بعد ذلك ترجمته إلى اليونانية، وضاع الأصل. ومنهم من قال: إنه كتب باليونانية. ومما لا شك فيه أن اللغة اليونانية لم تكن لسان الفلسطينيين عند مبعث عيسى، كما أكد ذلك كيميل. ولم يكن عيسى عليه السلام يتحدث بها.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
ز ـ لقد أثنى كثير من العلماء على صحيح البخاري. فقال الشافعي: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماء كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم. وقال الذهبي: وأما جامع البخاري فأجلّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى، فلو رحل الشخص إلى سماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته.	ز ـ أما المصادر التي اعتمد عليها مرقص في نقل الأقوال والأحداث المنسوبة لعيسى والتي جمعت في هذا الإنجيل، فقد لخصها لنا جورج كميل بقوله: (كل المعلومات كانت عبارة عن أقوال متناثرة هنا وهناك في صحف قد تمزق بعضها ومحيت كتابات بعضها الآخر). ثم علق كيميل على ذلك بقوله: وإنها أقوال جمعها المتأخرون ونسبوها لمرقص. بل إن كيميل يرى أن حوادث المحاكمة والصلب دخيلة على الإنجيل الأصلي، والذي وصفه كيميل قائلاً: بأنه يمتاز بالإختصار الشديد.
ح ـ لقد شهد العلماء للبخاري في حياته بالحفظ وقوة الذاكرة بعد اختباره ببغداد، وأن كتاب البخاري (الصحيح) اعتُمد في حياته كما أورد لنا ذلك ابن حجر العسقلاني بعد أن شهد له جمع غفير من العلماء بالحفظ والأمانة.	ح ـ لم يُعتمد إنجيل مرقص ولم يُدخل قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد إلا في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م. ولو افترضنا أنه كُتِبَ عام ٧٠م وهو عام سقوط أورشليم، نجد أن هناك حوالي ٢٥٥ سنة بين تاريخ كتابته وتاريخ اعتماده. ولم يوضح المؤتمرون في نيقية سبباً لاعتمادهم هذا الإنجيل.

أصحاب أسفار العهد الجديد	أصحاب الكتب الصحيحة
ط ـ لم نجد عند مرقص أي شروط لتوثيق الأقوال التي ضمنها إنجيله، بل اتضح من قول كيميل أنها كانت أقوال متفرقة رتبها المتأخرون، وعند ترتيبهم لها لم يذكروا أنهم اتخذوا منهجاً لذلك. بل إن كتّاب الأناجيل الذين أضافوا إليها بعض الزيادات لاحقاً كلهم مجهولون، كما قال كيميل. وقال ميريل: إن الأناجيل كانت مكتوبة بخط اليد إلى ظهور الطباعة عام ١٤٣٧م، وصرح بأن معظمها قد فُقِد في القرن الخامس عشر بعد دخول الأتراك القسطنطينية.	ط ـ وضع البخاري شروطاً لقبول الأحاديث النبوية الشريفة وهي: اتصال السند، عدالة الرواة، أن لا يكون الحديث شاذًا، أن لا تكون بالحديث علة. اشترط البخاري أيضاً في كل رجال الحديث المذكورين في سلسلة السند شرطين هما: المعاصرة واللقيا.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
٢ ـ الإمام مسلم:	**٢ ـ متّى** Mat'hew:
أ ـ هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.	أ ـ قال ميريل: إن صاحب الإنجيل الذي يحمل إسم متّى مجهول تماماً.
ب ـ ولد بنيسابور عام ٢٠٤هـ وتوفي عام ٢٦١هـ، وكتب صحيحه في تلك الفترة.	ب ـ قال ميريل: إن تاريخ مولده ووفاته مجهولان. كما أورد كل من تيني وكيميل أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مجهول، وأن الأقوال التي وردت في ذلك أقوال مبنية على الظن. فقد قال قوم: أنه كُتب بعد سقوط أورشليم. وقال آخرون: إنه كتب قبل سقوط أورشليم. ونقل لنا تيني الخلافات التي دارت حول مكان كتابة الإنجيل: فمنهم من قال إنه كتب في اليونان، ومنهم من يرى أنه كتب في إيطاليا أو بآسيا الصغرى.
ج ـ الغرض من كتابة مسلم لصحيحه هو جمع الحديث الصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توفرت في رجاله العدالة والضبط والمعاصرة كما أوضح هو نفسه تلك الشروط في مقدمة كتابه.	ج ـ لم نر آثاراً تبين الغرض من وراء جمع متّى للأقوال والأفعال الواردة في إنجيله، والمنسوبة للسيد المسيح، ولا الشروط التي تم بموجبها جمع تلك الأقوال.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
د ـ احتوى صحيح مسلم على أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة حسب الشروط التي وضعها مسلم لقبول تلك الأحاديث.	د ـ إحتوى إنجيل متى على بعض الأقوال والأفعال المنسوبة للسيد المسيح، وبعض الأحداث التي أحاطت بالمسيح أو حدثت في عصره. لم يورد أي شروط تتعلق باعتماده لتلك الأقوال والأحداث التي جمعها في إنجيله.
هـ ـ رحل إلى الأقطار الإسلامية لتلقي العلم من أمثال شيوخ البخاري وغيرهم.	هـ ـ كاتب الإنجيل نفسه مجهول ولا يعرف شيء عن رحلته ولا عن أساتذته.
و ـ كتب مسلم صحيحه باللغة العربية وهي اللغة التي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ.	و ـ يرى جورج كيميل أن إنجيل متّى الأصلي كتب باليونانية، ولقد سبق أن قال كيميل: أن عيسى لم يكن يتحدث اليونانية.
ز ـ لقد أثنى العلماء على صحيح مسلم، من ذلك ثناء الذهبي عليه بقوله: أن الأصح صحيح البخاري، يليه في المرتبة صحيح مسلم.	ز ـ لم يَرِدْ قول جازم بصحة نسبة الأقوال والأفعال التي وردت في إنجيل متى لعيسى عليه السلام.
ح ـ لقد عُرِف مسلم بالورع والتقوى وأنه كان من أئمة الحديث ومشاهيره، وقد شهد له الإمام	ح ـ لم يُعتمد إنجيل متّى، ولم يدخل قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد إلا في مؤتمر نيقية عام

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
النووي بذلك. وقد اهتم العلماء بصحيحه بالشرح والاختصار، بل اعتمده العلماء واعتبروه ثاني الكتب الصحيحة (صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح كتابين بعد كتاب الله) كما قال الإمام الذهبي.	٣٢٥م، ولم يوضح المؤتمرون في نيقية سبباً لاعتمادهم هذا الإنجيل من بين الأناجيل الأخرى التي كانت كثيرة وشائعة بين الناس في ذلك العصر.
ط ـ وضع مسلم شروطاً لقبول الأحاديث النبوية الشريفة وهي: اتصال السند، عدالة الرواة، أن لا يكون الحديث شاذًا، أن لا تكون بالحديث علة، واشترط مسلم في رجال الحديث المذكورين في سلسلة السند شرط المعاصرة.	ط ـ لم نجد عند متى أي شروط لتوثيق الأقوال التي ضمنها إنجيله.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
٣ ـ الإمام النسائي:	**٣ ـ لوقا** Luke
أ ـ هو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني.	أ ـ قال ميريل تيني: إن كاتب هذا الإنجيل مجهول، لا يعرف شيء عن إسمه الحقيقي ولا عن سيرته الشخصية. وقال تيني: إن القول بأنه كان طبيباً أنطاكيًا قول مبني على الظن.
ب ـ ولد سنة ٢١٥هـ بِنَساء وهي بلدة مشهورة في خراسان. وتوفي عام ٣٠٣هـ بالرملة، وكتب سننه في تلك الفترة. وقد ثبت في تهذيب الأسماء للنووي صحة نسبة كتابي السنن والمجتبي للنسائي.	ب ـ قال جورج كيميل: تاريخ مولده مجهول، وتاريخ كتابته لإنجيله مجهول أيضاً، وأن الأقوال التي وردت في ذلك أقوال مبنية على الظن. وقال كيميل: أغلب الظن أنه كتب بعد سقوط أورشليم بين عامي ٧٠ ـ ٩٠م.
ج ـ عمل النسائي على جمع الأحاديث الصحيحة وما يقارب الصحيح في سننه الكبرى، ثم جمع الصحيح فقط في كتابه المجتبي. وقد كان غرض النسائي من كتابة السنن هو نفس الغرض الذي ذكرناه لدى البخاري ومسلم وهو جمع الحديث الصحيح الثابت لرسول الله ﷺ بالسند المتصل.	ج ـ لم نر آثاراً ثابتة تدلنا على الهدف الذي كان يرمي إليه لوقا عندما كتب إنجيله. ولم نجد أيضاً أي أثر للمنهج الذي اعتمد عليه في رد أو قبول الآثار المنسوبة لعيسى عليه السلام.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
د ـ إحتوت (سنن النسائي) على الأحاديث الصحيحة أو التي تقارب الصحيح على شروط الحديث الصحيح وما يقاربه. أما في المجتبي فلم يضع إلا الأحاديث الصحيحة.	د ـ احتوى إنجيل لوقا على بعض الأقوال والأفعال المنسوبة للسيد المسيح دون بيان درجتها من الصحة. وقال كيميل: أن كتاب الأحداث أو الأعمال (المسمى بأعمال الرسل) قد أُلحق بهذا الإنجيل. وقد ثبت أن تلك الأقوال ليست من أقوال صاحب الإنجيل. بل إنها أضيفت إلى إنجيله في وقت متأخر.
هـ ـ سمع من أئمة الحديث بخراسان والحجاز، والعراق، ومصر، والشام، والجزيرة.	هـ ـ قال جورج كيميل: لم يثبت تاريخيًا أن لوقا رأى السيد المسيح أو التقى به. وقال كيميل: إنه التقى ببولس صاحب الرسائل المشهورة. وكان يجوب معه البلاد واعظاً.
و ـ كتب النَّسائي كلاًّ من سننه الكبرى والمجتبي باللغة العربية.	و ـ قال جورج كيميل: أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية.
ز ـ لقد أثنى العلماء على سنن النسائي خاصة (كتاب المجتبي) الذي قال فيه النووي: إنه يلي الصحيحين في الدرجة.	ز ـ قال كيميل: إن إنجيل لوقا الأصلي قد ألحقت به أقوال عديدة ليست لها أدنى صلة بالنسخة الأصلية.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
ح ـ لقد شهدالعلماء للنسائي بالحفظ والإتقان والورع. أورد النووي أن علماء عصره قالوا: كان النسائي شديد الحفظ والورع، بارعاً في علوم الحديث، حافظاً متقناً، حتى نقل الذهبي: أنه كان أحفظ من الإمام مسلم. واعتمد العلماء كتابيه، بل عقب عليهما العلماء أيضاً بالشرح والتعليق.	ح ـ لم يُعتمد إنجيل لوقا ولم يدخل قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد إلا في عام ٣٢٥م في مجتمع نيقية. ولم يوضح المؤتمرون في نيقية سبباً لاعتمادهم هذا الإنجيل من بين الأناجيل الأخرى التي كانت متداولة في ذلك العصر.
ط ـ وضع النسائي شروطاً لقبول الحديث وهي شروط الصحيح والحسن وسار على ذلك في سننه الكبرى، ولم يلتزم بشرط الصحيح فقط إلا في المجتبي.	ط ـ لم نجد عند لوقا أي شروط لتوثيق الأقوال التي ضمنها إنجيله. بل قال ميريل إنه خالف الإنجيلين السابقين عليه في كثير من الأقوال.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
٤ ـ الإمام أبو داود: أ ـ هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني.	**٤ ـ يوحنا John** أ ـ قال جورج كيميل: إن الأقوال اختلفت في حقيقة إسمه. وقد ظن بعضهم أنه يوحنا بن الزبدي أحد حواريي عيسى. وقال آخرون إنه شخص مجهول انتحل شخصية جون بن الزيدي الحواري المذكور في الأناجيل السنوبتيكية، وكتب الإنجيل تحت إسمه.
ب ـ ولد سنة ٢٠٢هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ، وكتب سننه في تلك الفترة.	ب ـ تاريخ مولده ووفاته مجهولان كما بيّن ذلك جورج كيميل. أما عن تاريخ كتابته للإنجيل فيقول كيميل: إنه لم يكتب بين عامي ٨٠ ـ ٩٠م. أما المكان الذي كتب فيه الإنجيل فمختلف فيه. ونقل لنا كيميل هذا الخلاف في قوله: قيل إن هذا الإنجيل كُتب في آسيا الصغرى حيث انتقل يوحنا من الإسكندرية إلى هناك، وبعدها كتب الإنجيل. وقال آخرون: إنه أورشليمي الأصل. ويقول كيميل: أن القول بأن يوحنا كان سوري الأصل هو أقرب الأقوال إلى الصحة.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
ج ـ الغرض من كتابة أبي داود لسننه هو جمع الحديث الصحيح (وما أشبهه وما قاربه) الوارد عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل. والمنهج الذي اتبعه هو جمع الصحيح متبعاً شروط الصحيح، وكلما أورد حديثاً فيه ضعف بينه.	ج ـ لم يرد أي أثر يثبت الغرض من وراء جمع يوحنا لإنجيله، ولا يوجد أثر للأسس التي تم بموجبها جمع ذلك الإنجيل إن كانت هناك أي أسس لهذا العمل.
د ـ إحتوت سنن أبي داود على أحاديث رسول الله ﷺ وفق شروط الصحيح والحسن.	د ـ احتوى إنجيل يوحنا على أقوال وأفعال منسوبة للسيد المسيح. كما خالف يوحنا غيره من أصحاب الأناجيل باختراعه فكرة (اللوجوس)، عقل الإله، أو الإله الذي جاء وصار جسداً.
هـ ـ رحل أبو داود في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر وخراسان، وكتب عن شيوخها، كما أخذ عن مشايخ البخاري ومسلم، كالإمام أحمد، وابن أبي شيبة وقتيبة بن سعيد وغيرهم.	هـ ـ لم نر شيئاً عن رحلته في طلب أقوال السيد المسيح، بل تضاربت أقواله مع الأناجيل الأخرى، وقام بإدخال أفكار غريبة على المسيحية. وهذا يدل على عدم اهتمامه بمعرفة أقوال السيد المسيح الأصلية، بل قال العلماء: إنه اعتمد في كتابة إنجيله على الفلسفة اليونانية كثيراً، ولم يأبه لأقوال المسيح.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
و ـ كتب أبو داود سننه باللغة العربية.	و ـ يرى كيميل أن إنجيل يوحنا كتب باللغة اليونانية.
ز ـ أثنى العلماء على سنن أبي داود مؤكدين أنه كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كافة الناس.	ز ـ قال هاوارد: إن يوحنا خالف أصحاب الأناجيل السنوبتيكية كثيراً، وأنه أخذ فكرة اللوجوس عن فلاسفة اليونان.
ح ـ أثنى العلماء على أبي داود واصفين إياه بالعلم والفهم والحفظ. قال فيه الحاكم أبو عبدالله: كان الإمام أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة.	ح ـ لم نر أحداً قد أثنى عليه، بل كل الأقوال التي وردت عند كيميل وميريل وهاوارد تشير إلى أنه خالف كلاًّ من مرقص ومتّى ولوقا.
ط ـ اعتمد شروط الصحيح والحسن عند قبوله لأحاديث رسول الله ﷺ.	ط ـ لم نر له شروطاً اعتمدها عند جمعه لأقوال وأفعال السيد المسيح.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
٥ ـ الإمام الترمذي:	**٥ ـ بولس** Paul
أ ـ هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي.	أ ـ نقل لنا جونز: إن بولس يهودي الأصل، وكان إسمه الحقيقي شاول أو صاول، وعندما دخل المسيحية غير إسمه لبولس.
ب ـ ولد بترمذ عام ٢٠٩هـ وتوفي بها عام ٢٧٩هـ. ألف جامعه في تلك الفترة، وصحت نسبته إليه.	ب ـ تاريخ مولده مجهول. أما عن تاريخ وفاته فقد قال جونز: إنه أعدم عام ٦٢م.
ج ـ الغرض من كتابة الترمذي لجامعه هو جمع الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ بدرجاته الثلاث: الصحيح والحسن والضعيف مع بيان درجة كل حديث عند موضعه.	ج ـ لم يوضح بولس الغرض من وراء نسبة أقواله الشخصية للسيد المسيح. ويرى ميريل أن بولس كان يزعم بأنه يتلقى الوحي من السيد المسيح مباشرة، ولذا نسب أقواله الشخصية للسيد المسيح.
د ـ احتوى جامع الترمذي على الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ ومنها: الصحيح والحسن والضعيف وقد بين الترمذي درجة كل حديث في موضعه كما رأينا.	د ـ إشتملت رسائل بولس على دعوة الناس للإيمان بالمسيحية ورسالة السيد المسيح كما يراها هو. ولقد اتضح لنا ذلك من كتابات كيميل، وجوشيا رويس. إن عدد رسائله المتداولة أربع عشرة رسالة ولم تثبت له إلا سبع رسائل فقط، كما قال جورج كيميل.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
هـ ـ رحل إلى الآفاق وأخذ عن العراقيين والخراسانيين والحجازيين حتى غدا إماماً في الحديث.	هـ ـ رحل إلى أقطار عديدة ذكرها كيميل. وكان الغرض من رحلاته نشر المسيحية التي كان قد غيّرها تماماً عن أصلها، كما اتضح لنا ذلك من أقوال جوشيا رويس.
و ـ كتب الترمذي جامعه باللغة العربية.	و ـ يرى جونز أن بعض رسائل بولس قد كتبت باليونانية وبعضها باللاتينية.
ز ـ لقد وثق العلماء الإمام الترمذي. قال أبو يعلي الخليلي: ثقة متفق عليه. ويكفي في توثيقه أن إمام المحدثين البخاري كان يعتمده ويأخذ عنه.	ز ـ نقل جونز آراء العلماء في بولس، فمنهم من قال: إنه كان رجلاً عاديًا. ومنهم من قال: إن الإله قد تدخل تدخلاً مباشراً لهدايته. وقال آخرون: إنه كان يعاني من مرض نفسي وعصبي. وقال جونز: إن الذي يهمه في أمر بولس لا يتعلق بالرؤى والأحلام التي كان يراها ومدى صحتها أو عدم ذلك، ولكن الذي يهمه هو ما ترتب على تلك الرؤى من نتائج خطيرة في تاريخ المسيحية، بل في العالم الغربي إلى يومنا هذا. وقال جوشيا رويس: إن الأب بولس غيّر الديانة المسيحية التي جاء بها

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
	السيد المسيح (أو عيسى التاريخي) تغييراً واضحاً وملموساً.
ح ـ لقد شهد العلماء للترمذي ووثقوه وقبلوا جامعه، وهو يعد من الكتب الستة الصحاح.	ح ـ لم تُعتمد رسائل بولس، ولم تدخل قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد إلا في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م. بل قال العلماء من أمثال ميريل: أن بولس لم ير المسيح في حياته قط.
ط ـ التزم الترمذي الشروط المتفق عليها بين الأئمة في رد أو قبول الأحاديث وقد بين درجة كل حديث عند إيراده.	ط ـ لم يلتزم الأب بولس شروطاً معينة لاعتماده أقوال السيد المسيح. بل قد قال جوشيا رويس: أن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية التي نعرفها اليوم، وأن أقواله ليست لها صلة بأقوال عيسى التاريخي.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
٦ ـ الإمام إبن ماجه: أ ـ هو أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه.	**٦ ـ بيتر** (Peter) **جيمس** (James) جود (Jude) (أصحاب الرسائل القصيرة المعتمدة): أ ـ إن أصحاب هذه الرسائل مجهولو العين أيضاً، كما قال كل من كيميل وميريل. أما القول بأن جود وجيمس كانا أخوة لعيسى فهو قول مأخوذ عن أصحاب الأناجيل الأربعة التي لم تثبت نسبتها للسيد المسيح كما رأينا. أما قولهم بأن بيتر كان حواريًا لعيسى فلا يعرف إلا عن طريق تلك الأناجيل أيضاً.
ب ـ ولد سنة ٢٠٧هـ، وتوفي سنة ٢٧٣هـ.	ب ـ إن تاريخ مولد كل من بيتر وجيمس وجود مجهول وكذلك تاريخ وفاتهم.
ج ـ كان الغرض من إعداد كتابه هو جمع وتوثيق أحاديث رسول الله ﷺ. ولقد اهتم بالنواحي الفقهية، وجمع الأحاديث الجيدة، كما قال ابن كثير.	ج ـ إن رسائل (بيتر وجيمس وجود) قد كتبت للمساعدة في نشر رسالة المسيح، وهي أقرب ما تكون للرسائل الشخصية منها للكتب المقدسة.
د ـ إحتوت سنن إبن ماجه على أحاديث رسول الله ﷺ الواردة عنه،	د ـ لم نسمع شيئاً عن اهتمامهم بأقوال عيسى عليه السلام رغم الزعم

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
ولم يلتزم ابن ماجه بالصحيح فقط، بل جمع الحسن والضعيف لكنه وضح درجة كل حديث ضمنه في سننه.	القائل بأن جود وجيمس كانا أخوة لعيسى، ورغم الزعم القائل بأن بيتر هو أحد حواريي عيسى عليه السلام.
هـ ـ طلب علم الحديث ورحل في طلبه حتى سمع من أصحاب مالك والليث بن سعد.	هـ ـ إن اللغة الأصلية التي كتبت بها تلك الرسائل مجهولة.
و ـ كتب إبن ماجه سننه باللغة العربية.	و ـ لم يرد شيء من التوثيق أو الثناء على أصحاب تلك الرسائل.
ز ـ وثق العلماء إبن ماجة وشهدوا له بالعلم والفضل.	ز ـ لم نر ثناء من أحد على رسائلهم، ولقد تم اعتماد تلك الرسائل في مؤتمر كورتاج عام ٣٩٧م، ولم نجد أثراً للأسباب أو الشروط التي تم بموجبها اعتماد تلك الرسائل وإضافتها إلى أسفار العهد الجديد.
ح ـ أثنى العلماء على سنن ابن ماجه. قال أبو يعلى الخليلي القزويني عن ابن ماجه: وكان عالماً بهذا الشأن، صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن.	ح ـ لم يلتزم كتّاب هذه الرسائل بأي شروط معينة في كتابة رسائلهم.

أصحاب الكتب الصحيحة	أصحاب أسفار العهد الجديد
ط ـ إلتزم الشروط المتفق عليها بين الأئمة في جمع وتصنيف أحاديث الرسول ﷺ.	

لقد تبين لنا ـ من الجدول السابق ـ بما لا يدع مجالاً للشك أن العلماء المسلمين الذين قاموا بجمع وتدوين الحديث النبوي الشريف قد كانوا معروفين، وتوفرت فيهم شروط الضبط والعدالة، من تُقى وورع وحفظ وحرص على تحري الدقة والتثبت فيما يأخذون أو يدعون من أقوال. كما ثبت لنا أيضاً بأنهم رحلوا في طلب الحديث وثابروا على جمعه وتدوينه واجتهدوا في ذلك غاية الإجتهاد. ولقد تبين لنا أيضاً أنهم أدوا هذا العمل وفقاً لشروط وضوابط معينة تحروا في اعتمادها الدقة والحرص الشديد حتى يصلوا إلى أقصى درجات التثبت في حفظ ورواية وتدوين أحاديث الرسول ﷺ.

ومقابل ذلك اطلعنا على سيرة علماء النصارى الذين قاموا بجمع وتدوين الأناجيل، ولقد تبين لنا أن سيرهم مجهولة ولم يشهد لهم أحد بتقوى أو ورع أو حرص على الوصول إلى الحق في محاولاتهم التي بذلوها من أجل جمع وتدوين أقوال السيد المسيح عليه السلام، كما لم تُعرف لهم أي شروط محددة لرد أو قبول الروايات التي كانوا يجمعونها، بل اعتمد بعضهم على الرؤى والأحلام والهواجس، واعتمد الآخرون على الأساطير والأدب الشعبي والروايات التي لا سند لها على الإطلاق فجاء متن ما جمعوه متناقضاً، كما لم يثبت سنده للسيد المسيح عليه السلام.

ثانياً: الأسس التي تم بموجبها جمع وتدوين السّنة النبوية الشريفة ومقارنة ذلك بطرق جمع وتدوين الأناجيل:

وبما أن القوانين والنظم التي اتبعها علماء الحديث كانت دقيقة للغاية ومكنتهم من تحري الدقة فيما جمعوه، وبما أنه قد تبين لنا من الأبواب السابقة أنهم قد قسّموا الحديث النبوي الشريف إلى درجات متفاوتة (صحيح، حسن، ضعيف ثم موضوع) وذلك في ضوء ضوابط معينة، وبما أنه قد تبين لنا أن الإنجيل جمع، ولكنه لم يخضع لقوانين معينة وثابتة عند الجمع ولم يحقق، ولكي نكون موضوعيين في هذا البحث علينا أن نطبق نفس القوانين التي وضعها علماء الحديث لتصنيف الحديث إلى درجاته المختلفة على أسفار العهد الجديد التي تضم الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها لنرى إن كانت تلك الأسفار تأتي في نفس المرتبة من الصحة التي تتمتع بها الأحاديث النبوية الشريفة. وعليه سوف نحاول في الجدول أدناه بإذن الله تطبيق القوانين التي اتُبعت لتقسيم الحديث إلى مراتبه المختلفة على أسفار العهد الجديد.

الجدول (ب) ويشتمل على تطبيق شروط الحديث الصحيح على أسفار العهد الجديد:

شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث:	**تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد:**
(١) إتصال السند: مثال ذلك قول البخاري: حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك).	(١) نأخذ مثالاً من قول ورد في الأناجيل السنوبتيكية على لسان عيسى من لفظ متّى: (وعندما اجتمع الحواريون بعيسى قال لهم: إن ابن الإنسان سيسلّم لرجال، وسيقتلونه، ولكن بعد ثلاثة أيام سيعود للحياة من جديد. فحزن الحواريون حزناً شديداً). وكما هو واضح من النص أعلاه فإنه لا يوجد سند لهذا القول، بل هو مروي عن متّى ومرقص ولوقا عن عيسى عليه السلام بالرغم من أنه لم يثبت تاريخيًا أن متّى ومرقص ولوقا قد عاصروا أو رأوا عيسى عليه السلام.
(٢) عدالة الرواة: رواة الحديث أعلاه كلهم عدول. أما البخاري فقد عرفنا من الجدول السابق عند الحديث عن سيرته أنه	(٢) لا توجد سلسلة رواة للأقوال الواردة في الأناجيل، بل أن أصحاب الأناجيل السنوبتيكية مجهولو العين كما رأينا ولم يعدلهم أحد.

شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
ثقة ثقة، وعدل ضابط، بل هو من أئمة الحديث الذين دوّنوا كتباً في الجرح والتعديل. أما عبدالله بن يوسف فهو عدل بتعديل البخاري له. أما مالك فهو إمام جليل. ورأينا ذلك عند الحديث عن سيرته. وهو أيضاً عدل بتعديل البخاري له، وأخذه عنه، بالإضافة إلى أن الرازي عدّله في كتاب الجرح والتعديل، وأورد الرازي قول عبدالرحمن بن مهدي في مالك: من أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. أما نافع فتابعي جليل، وابن عمر صحابي جليل، وهم عدول بتعديل الله ورسوله ﷺ لهم. وقد تحدث الرازي في كتابه الجرح والتعديل عن عدالتهم.	
(٣) ألا يكون الحديث شاذًّا: والشاذ هو أن يخالف الثقة من هو أوثق منه. والحديث أعلاه مستوف لهذا الشرط.	(٣) هناك خلاف واضح بين رواة هذا الحديث، فبينما نجد أن متّى يقول: إن الحواريين حزنوا حزناً شديداً. نجد أن كلًّا من لوقا ومرقص يقول: لكن الحواريين لم يفهموا ماذا تعني تلك العبارات، ولم يعرفوا مغزاها.
(٤) ألا يكون في متن الحديث علة:	(٤) إن القول المنسوب لعيسى من

تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد	شروط الحديث الصحيح عند علماء الحديث
أنه قال عن نفسه إنه ابن الإنسان يتنافى مع كونه الإله الذي سيموت ويبعث. والحديث متناقض في متنه مع الأقوال الواردة في ألوهية عيسى في إنجيلي يوحنا وبولس. والثابت أنه كانت هناك أناجيل مغايرة لأناجيل متى ومرقص ولوقا لكنها قد صودرت وأبيدت. بل أن هذه الأناجيل الأخيرة نفسها قد حرفت وبدلت. وعليه فإننا نرى أن علل هذا القول المنسوب للسيد المسيح كثيرة ومتعددة.	لا يوجد في متن الحديث أعلاه علة. وهو حديث يتمشى مع عقيدة التوحيد السمحة التي جاء بها الإسلام، ونادى بها القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة النور، ٥٥: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾. وفي سورة الحج، ٢٦: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً﴾. وقوله تعالى على لسان لقمان موصياً إبنه في سورة لقمان، ١٣: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾.
(٥) لا توجد مثل هذه الشروط لدى كتاب الأناجيل الذين أوردوا ذلك القول المنسوب لعيسى عليه السلام. ولم يثبت أن أحدهم قد عاصر عيسى أو التقى به.	(٥) المعاصرة واللقيا: وضع البخاري شرطي المعاصرة واللقيا كشرطين أساسيين لصحة الحديث، وهذا الحديث أورده البخاري في صحيحه في كتاب الحج، باب التلبية، مما يدل على أنه استوفى شرطي المعاصرة واللقيا وإلا لما قبله البخاري الذي وضع هذين الشرطين وتقيد بهما عند جمع صحيحه.

لقد رأينا من الجدول السابق أن جميع شروط الحديث الصحيح بما في ذلك شرطي (المعاصرة واللقيا) اللذين تفرد بهما البخاري قد توافرت في حديث التلبية. أما القول الذي أوردناه من الأناجيل السنوبتيكية فلم يتوفر فيه شرط واحد من شروط الحديث الصحيح. وعليه فلابد أن يكون في درجة أدنى من درجة الحديث الصحيح. ولما كان الحديث الحسن يأتي في المرتبة الثانية بعد الحديث الصحيح، فلنقارن هذا القول الوارد في الأناجيل بالحديث الحسن ونطبق عليه نفس الشروط لنرى إن كان هذا القول يمكن أن يصنف في درجة الحديث الحسن.

الجدول (ج) ويشمل تطبيق شروط الحديث الحسن على أسفار العهد الجديد:

شروط الحديث الحسن عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
(١) إتصال السند: مثال الحسن لذاته ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٥ قال: حدثني يحيى بن سعيد عن بهز بن حكيم قال: حدثني أبي عن جدي قال: قلت يارسول الله من أبر؟ قال: أُمك. قال: قلت: ثم من؟ قال أُمك. قال: قلت ثم من؟ قال: أُمك. قال: قلت ثم من؟ قال: أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب.	(١) لقد رأينا أن القول المذكور آنفاً والمتغلق بصلب عيسى وعودته للحياة قد ورد في الأناجيل السنوبتيكية بلا سند.
(٢) عدالة الرواة: أحمد بن حنبل وشيخه القطان إمامان جليلان، بهز بن حكيم من أهل الصدق والصيانة وقد وثقه ابن المديني وابن معين والنسائي، لكن استشكل العلماء بعض مروياته حتى تكلم فيه شعبة بن الحجاج بسبب. وهذا لا يسلبه صفة الضبط، ولكن يشعر بأنه خف ضبطه، ووالده حكيم وثقه العجلي وابن حبان، وقال النسائي ليس به بأس.	(٢) لا يوجد رواة غير أصحاب الأناجيل السنوبتيكية لتلك الأقوال المنسوبة لعيسى عليه السلام، وكتّاب الأناجيل هؤلاء لم يعدلهم أحد، وهم مجهولو العين.

تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد	شروط الحديث الحسن عند علماء الحديث
(٣) هناك اختلاف واضح بين أقوال أصحاب تلك الأناجيل، إذ يناقض بعضهم بعضاً في كثير من المواقف والأحداث كما رأينا من قبل.	(٣) ألا يكون الحديث شاذًا: حديث بهز هنا حسن لذاته، لأنه اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه، غير شاذ، ولا معلل.
(٤) علل القول المنسوب لعيسى كثيرة، والأقوال متضاربة بين متى ومرقص من جهة وبين لوقا من جهة أخرى.	(٤) ألا يكون في متن الحديث علة. وقد رأينا أن متن الحديث قوي ليس به علة، وهو يتمشى مع ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تدعو إلى بر الوالدين. قال تعالى في سورة الإسراء، ٢٣: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾. وقال تعالى في سورة مريم، ٣٢: ﴿وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيًا﴾. وقال تعالى في سورة لقمان، ١٤: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾.

لقد رأينا من الجدول أعلاه أن شروط الحديث الحسن قد توفرت في الحديث الذي أورده أحمد بن حنبل. أما القول المنسوب لعيسى عليه السلام والوارد في الأناجيل السنوبتيكية فلم يتوفر فيه شرطٌ واحد من شروط الحديث الحسن. وعليه فلابد أن ننزل به عن درجة الحديث الحسن إلى ما دونها. ولما كان الحديث الضعيف يأتي في المرتبة الثانية بعد الحديث الحسن، فلنقارن هذا القول الوارد في الأناجيل بالحديث الضعيف، ونطبق عليه نفس الشروط لنرى إن كان هذا القول يمكن أن يصنف في مرتبة الحديث الضعيف.

الجدول (د) ويشمل تطبيق شروط الحديث الضعيف على أسفار العهد الجديد:

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
١ ـ ما كان الضعف فيه ناشئاً من قبل الطعن في الراوي ويشمل ذلك ما يلي:	
(أ) الحديث الشاذ: هو أن يأتي الثقة بحديث مخالف لغيره من الثقاة. وقد رأينا في الباب الخاص بأقسام الحديث مثالاً لذلك حيث أُنزل حديث حماد بن زيد إلى درجة الضعيف لمخالفة حماد لابن عيينة الذي هو أوثق منه. ورأينا كيف أُنزل حديث عبدالواحد: (إذا صلى أحدكم الفجر فليضطجع عن يمينه) إلى درجة الحديث الضعيف لأنه خالف العدد الكثير الذين رووه من فعل النبي ﷺ لا من قوله.	(أ) الروايات متضاربة بين مختلف الأناجيل ولا ندري شيئاً عن عدالة الرواة وهم كما بين لنا علماء اللاهوت الغربيون مجهولو العين.
(ب) الحديث المنكر: وهو أن يروي الضعيف حديثاً مخالفاً للثقات.	(ب) جامعو الأناجيل كلهم غير ثقاة، كما أن أقوالهم متضاربة ومتناقضة.
(ج) الحديث المضطرب: هو الحديث الذي تتعدد رواياته ويتعذر ترجيح إحداها على الروايات الأخرى. والإضطراب ـ كما رأينا ـ	(ج) لقد تعددت روايات أصحاب الأناجيل واضطربت وناقض بعضها بعضاً.

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
يقع في السند كما يقع في المتن. (د) الحديث المعلل: إذا كان الحديث يبدو سليماً ولكن العلماء اكتشفوا فيه علة قادحة فهم ينزلونه من درجتي الصحيح والحسن إلى درجة الضعيف.	(د) إن الأقوال الواردة في الأناجيل لا تبدو سليمة بل هي متناقضة وبها كثير من العلل.
(هـ) الحديث المدرج: ورأينا أن الإدراج يكون في أول الحديث أو في وسطه أو في آخره فإذا لم يوضح الراوي العبارات المدرجة أُنزل الحديث من مرتبتي الصحيح والحسن إلى مرتبة الضعيف.	(هـ) جامعو الأناجيل مجهولون، ولم يحكم أحد على أقوالهم أو حتى على بعضها بالصحة أو بأنها حسنة أو ضعيفة. لا تعرف العبارات الصحيحة من المدرجة، بل أن ما يسمى بكتاب الأحداث (أعمال الرسل) قد أُلحق مؤخراً بإنجيل لوقا، وحادثة الصلب قد أُلحقت مؤخراً بإنجيل مرقص، وأن هناك ثلاث رسائل وسفراً يسمى سفر الرؤى قد ألحقت بإنجيل يوحنا دون أن يبين كتابها أسماءهم أو هوياتهم أو سبب إلصاقهم لتلك الأشياء بالأناجيل.
(و) الحديث المقلوب: ورأينا أن القلب يقع في المتن كما يقع في السند. أما القلب في المتن فهو أن توضع عبارة قبل أخرى أو كلمة قبل أخرى في متن الحديث. أما القلب في السند فهو أن يوضع	(و) لا توجد أسانيد، ولا نعرف شيئاً عن صحة المتون لنحكم عليها.

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
أحد الرواة مكان الآخر أو أن يُغير إسم أحد الرواة بأن يوضع إسم الإبن بعد إسم أبيه وهكذا.	
(ز) الحديث المصحف والمحرف: وهو الحديث الذي يقع فيه الخطأ بسبب النقط أو الشكل، فإن وجد مثل هذا الخطأ ولم يصوب ينزل الحديث لدرجة الضعيف.	(ز) إن أقوال كيميل الواردة عن المخطوطات التي وجدت فيها أقوال مرقص تدل دلالة واضحة على أن تلك الأقوال قد وُجدت في صحف قد تمزق بعضها ومحيت كتابات بعضها الآخر. وقد جمعها المتأخرون ونسبوها لمرقص دون بيان كيفية جمعها ونسبتها إليه.
٢ ـ ما كان الضعف فيه ناشئاً عن الجهل بالراوي ويشمل ذلك ما يلي:	
(أ) الحديث المجهول: وهو الحديث الذي لا يعرف فيه عين الراوي أو حاله. والأسباب التي تؤدي إلى الجهل بالراوي كما أوضحها العلماء هي:	(أ) جميع رواة الأناجيل مجهولو العين.
١ ـ كثرة نعوت الراوي حتى يذكر بغير ما اشْتُهر به فيحصل الجهل بحاله، ولهذا ينزل العلماء الحديث الذي يرد عن مثل هذا الراوي إلى درجة الضعيف.	١ ـ لم نعرف على وجه اليقين الأسماء الحقيقية لكتّاب الأناجيل ناهيك عن نعوتهم.
٢ ـ قلة رواية الراوي الذي ربما لا يرد عنه إلا حديث واحد. لهذا أنزل العلماء الأحاديث التي ترد على	٢ ـ رواة الأناجيل مجرد أفراد، لم يرووا عن أحد، ولم يرو أحد عنهم.

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
لسان مثل هذا الراوي إلى درجة الضعيف.	
٣ ـ عدم التصريح بإسم الراوي. ويسمى الراوي غير المصرح بإسمه المُبهم. ولهذا أنزل العلماء الأحاديث الواردة عن مثل هؤلاء الرواة إلى درجة الحديث الضعيف.	٣ ـ بعض كتّاب أسفار العهد الجديد لم يصرح حتى بإسمه، مثل يوحنا الذي قيل إنه انتحل شخصية يوحنا الزبدي والذي يظن أنه أحد الحواريين.
(ب) الحديث المرسل: هو الذي سقط منه الصحابي، فيقول التابعي: قال رسول الله ﷺ. وفقدان الصحابي في سلسلة السند يؤدي إلى إنزال الحديث الذي يرويه التابعي إلى منزلة الضعيف.	(ب) القول بأن بعض كتّاب أسفار العهد الجديد قد عاصروا عيسى أو بعض حوارييه قول مبني على الظن والتخمين. أما الآخرون من كتاب الأناجيل فلم يروا المسيح إطلاقاً.
(ج) الحديث المنقطع: هو الذي سقط من سنده رجل أو ذكر في سياق سنده رجل مُبهم. وهذا هو السبب الذي يؤدي إلى إنزال الحديث من مرتبة الصحيح أو الحسن إلى مرتبة الضعيف.	(ج) لا يوجد سند لأسفار العهد الجديد ـ كما رأينا سابقاً ـ والأقوال الواردة عن كتّاب العهد الجديد أقوال مبهمة لا تدل على هوياتهم.
(د) الحديث المعضل: وهو الحديث الذي سقط من سنده راويان أو أكثر على التوالي. وهذا يؤدي إلى إنزال الحديث إلى مرتبة الضعيف.	(د) لا توجد سلسلة إسناد.

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
(هـ) الحديث المعلق: وهو الحديث الذي سقط من أول إسناده راو. وهذا السبب يؤدي إلى تصنيف الحديث في مرتبة الضعيف.	(هـ) لا يوجد سند كما رأينا سابقاً.
(و) الحديث المدلس: وينقسم إلى: تدليس الإسناد، وتدليس الشيوخ: وتدليس السند هو أن يروي أحد الرواة حديثاً عن شيخ عاصره ولكنه لم يسمع منه موهماً بلفظه السامعين بأنه سمع من ذلك الشيخ. وهذا يؤدي إلى تصنيف الحديث المروي في مرتبة الضعيف. أما تدليس الشيخ فهو أن يصف راوي الحديث شيخه بأوصاف يبالغ فيها، وقد تكون أعظم من حقيقته. أو يقوم بتغيير الإسم الذي اشْتُهر به ذلك الشيخ. وكل هذا يؤدي إلى تصنيف الحديث المروي في مرتبة الضعيف.	(و) لا يوجد لكتّاب أسفار العهد الجديد شيوخ أخذوا عنهم.
٣ ـ ما كان الضعف فيه ناتجاً عن الطعن في عدالة الراوي ويشمل ذلك ما يلي: (أ) أن يكون الراوي متهماً بالكذب، ولذا يترك حديثه، ويضعّف	٣ ـ لا يوجد لدى النصارى منهج معروف في التحقيق والتدوين. وليس هناك قول أقبح ولا أسمج من ادعاء كتّاب الأناجيل بأن المسيح ابن الله أو أن الله ثالث ثلاثة.

شروط الحديث الضعيف عند علماء الحديث	تطبيق نفس الشروط على أسفار العهد الجديد
فيسمى حديثه الحديث المتروك. (ب) أن يكون الراوي فاحش الغلط، كثير الغفلة، فيضعّف حديثه، ويسمى الحديث المتروك أيضاً.	

لقد تضاربت وتناقضت أقوال الأناجيل كما رأينا من قبل، لكن رجال الدين المسيحي لم يحاولوا حل تلك المتناقضات في الماضي وقبلوا الأناجيل كما هي دون تمحيص أو تدقيق، ولم يبينوا وجه الصواب في الأقوال المتناقضة. وكما رأينا من الجدول أعلاه فإن الأقوال الواردة في أسفار العهد الجديد تقع في مرتبة دون درجة الأحاديث الضعيفة، وليس أمامنا إلا أن نقارن تلك الأقوال الواردة في الأناجيل بالأحاديث الموضوعة متطرقين إلى مواصفاتها وأسباب وضعها كما وضح ذلك علماء الحديث.

الجدول (هـ) ويشمل مقارنة بين مواصفات وأسباب الوضع في الحديث النبوي الشريف ومواصفات وأسباب الوضع في أسفار العهد الجديد:

مواصفات وأسباب الوضع في الحديث الشريف	مواصفات وأسباب الوضع في أقوال السيد المسيح
١ ـ أحاديث وضعت لأسباب سياسية: ولقد رأينا أمثلة ذلك في الأحاديث التي وضعها الوضاعون لتأييد خلافة بعض الأئمة والحط من أقدار الآخرين. ومنها الأحاديث التي وُضعت للتقرب من الحكام مثل حديث غياث بن إبراهيم ونصه: (لا سبق إلا في نصل أو خف أو جناح). وغياث ـ كما رأينا ـ وضع هذا الحديث من أجل التقرب إلى المهدي حيث زاد (أو جناح) لأن المهدي كان يحب الحمام ويلعب به. ورأينا كيف أن المهدي لم يرض بذلك. وقال: أنا حملته على هذا. وأمر بذبح الحمام.	١ ـ أقوال اعْتُمدت لأسباب سياسية: لقد رأينا من قبل أن القول بألوهية عيسى وألوهية روح القدس كانت هي العقيدة التي آمن بها نصارى الإسكندرية وعلى رأسهم بطريق الإسكندرية. ورأينا أنه كانت هناك فرق أخرى لا تقر بتلك المقالة إلا أن المؤتمر الذي عقد بنيقية عام ٣٢٥م اعتمد تلك المقالة بتأييد من الإمبراطور قسطنطين وذلك لأسباب سياسية بحتة.
٢ ـ أحاديث وضعت لأسباب دينية ومنها: الأحاديث التي وضعها الوضاعون لدعم الفرق الدينية كالقدرية والجهمية وغيرهما ومثلها الأحاديث التي وضعها المندسون في صفوف الإسلام لتشويه صورته.	٢ ـ وُضعت أقوال كثيرة بالأناجيل لأسباب دينية: ومن أمثلة ذلك، الأقوال التي وضعها بولس مخالفاً لبقية الأناجيل نكاية في اليهود، وادعى في تلك الأقوال أن موت المسيح قد جعل منه إلهاً ناسخاً لكل القوانين التي أتى بها موسى. ولقد

مواصفات وأسباب الوضع في الحديث الشريف	مواصفات وأسباب الوضع في أقوال السيد المسيح
	ورد هذا في رسائله لأهل كورنثياس. وهذا القول يناقض ما جاء في الأناجيل السنوبتيكية من أن المسيح جاء مكملاً لقوانين موسى.
٣ ـ أحاديث وضعت لأسباب اجتماعية: ومن أمثلتها تلك الأحاديث التي وُضعت لذم الغنى ومدح الفقر.	٣ ـ أقوال وُضعت لأسباب إجتماعية: ومن أمثلة ذلك، الأقوال التي وضعت لذم الغنى ومدح الفقر. فقد ورد في إنجيل متّى قول منسوب لعيسى إجابة لمن سأله بأن يرشده لعمل يدخله الجنة قال: اذهب وتصدق بكل مالك واتبعني تدخل الجنة. وعقّب عيسى على ذلك بقوله: إنه من الصعب أن يدخل غني الجنة.
٤ ـ أحاديث وُضعت من أجل التسلية والترفيه. وقد رأينا أمثلة ذلك ومنها الأحاديث التي وضعها القصاص ومؤلفو الأحاجي.	٤ ـ أعتقد وأرجح أن معظم أسفار العهد الجديد قد وضعت من أجل التسلية والترفيه، وهي قصص أقرب للخيال منها للحقيقة، خاصة القصص الواردة حول مسرحية مجيء الرب ومعيشته وسط البشر ومعاناته، وإيذاء الناس له وانتصارهم عليه، وانتقامهم منه بلطمه على وجهه، والسخرية منه واقتياده لخشبة الصلب، وقتله بعد أن أوسعوه شتماً وسبًّا وإهانة. بل الأعجب من ذلك أن الرب ـ بزعمهم ـ ظل يصيح

مواصفات وأسباب الوضع في الحديث الشريف	مواصفات وأسباب الوضع في أقوال السيد المسيح
	ويستغيث فلا يغيثه أحد. بل إن قيامه وانتصاره ـ كما زعموا ـ كان خفية وسرًّا إذ جاء لمقابلة الحواريين في خوف شديد وحذر.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وهكذا رأينا أن أسفار العهد الجديد شبيهة إلى حد بعيد بالأحاديث الموضوعة. بل هي في مستوى الأحاديث الموضوعة تماماً، فرواتها مجهولو العين، لم يوثقهم أحد. وأسانيدها ضعيفة أو معدومة، ومتونها أضعف وهي مليئة بالشذوذ والعلل والتناقضات، كماأنها قد خضعت لكثير من صور الإضافة والحذف دون سبب مفهوم أو معلوم. وعليه فلا يمكن نسبة هذه الأقوال إلى السيد المسيح عليه السلام بأي حال من الأحوال.

ثالثاً. ملخص نتائج البحث:

لقد تبين لنا من استعراضنا للباب الخاص بجمع الأناجيل أن النصارى قد جمعوا ما أطلقوا عليه أقوال السيد المسيح وأفعاله والأحداث التي كانت محيطة به في أربعة أناجيل هي: إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل متّى، وإنجيل يوحنا. كما ألحقوا بإنجيل لوقا أسفار الأحداث أو الأعمال لأن معظم ما جاء بتلك الأسفار يدور حول أعمال بولس. كما رأينا أيضاً أن هناك رسائل ملحقة بالأناجيل وهي: رسائل بولس الأربعة عشر، رسالة جيمس، رسالتين لبيتر، ثلاث رسائل ليوحنا، أسفار الرؤى ليوحنا، ورسالة جود. كما يلحقون بذلك أيضاً تسعة وثلاثين سفراً من أسفار التوراة اعتمدوها وضموها لكتابهم المقدس وسمّوا هذه الأسفار المختارة من التوراة بأسفار العهد القديم. أما الأناجيل وملحقاتها فهم يطلقون عليها أسفار العهد الجديد.

ولقد رأينا أن الأناجيل الأربعة ورسائل بولس قد اعتُمدت في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م. وتبين لنا أن المؤتمرين في نيقية لم يأتوا ببرهان أو بينة ليعللوا بها سبب اختيارهم لتلك الأقوال والأحداث ونسبتها للسيد المسيح من بين الأناجيل والأقوال الأخرى التي كانت شائعة في تلك الأزمان. ومما يدلنا على أن الأناجيل كانت كثيرة وأن الأقوال كانت عديدة ومتضاربة ما أورده مؤلف كتاب (أرنيوس ضد الهرطقة) على لسان أرنيوس في عام ١٩٠م حيث قال: (لقد كثرت الهرطقة وتعددت الأقوال لكثرة الأناجيل). وقوله: (إن الإناجيل يجب أن تحصر على الأقل في أربعة، لأن البنيان يقوم على أربعة ركائز). ونقل لنا صاحب الكتاب أن أرنيوس كان من كبار رجال الكنيسة في عصره.

والنتيجة التي نستخلصها من هذه الأقوال هي: أن حصر الأناجيل في أربعة دون وجود قواعد ثابتة وبراهين وحجج في رد الأناجيل الأخرى المغايرة، وقبول رأي طائفة من بين طوائف كثيرة، دون توضيح أخطاء الطوائف الأخرى وإثبات أن الطائفة التي أُخذ برأيها هي المحقة، كل هذه الأشياء لا تتوافق مع روح البحث العلمي والتزام الجد في جانب من أهم جوانب الحياة، وهو الجانب المتعلق بالإعتقادات الدينية.

ورأينا كذلك كيف تم تعقُّب أصحاب الآراء المخالفة لما تم الإتفاق عليه في مؤتمر نيقية، وقهرهم وحرق أناجيلهم، وتكفيرهم كما حدث ذلك لآريوس الذي كان يؤمن بعقيدة التوحيد حيث اضطهد وحورب حتى فر إلى بلاد الفرس.

ولقد أورد لنا كيلي في كتابه «مبادىء المسيحية الأولى» ـ كما رأينا سابقاً ـ أن الامبراطور قسطنطين هو الذي دعا لعقد هذا المؤتمر بنيقية ليدحض فيه آراء أريوس الذي كان ينادي بأن المسيح بشر، وأن الإله واحد. بل قال كيلي: إن المؤتمر عقد لتفنيد أقوال أريوس وأتباعه بالذات ولإثبات مبدأ الثالوث كعقيدة ثابتة للنصارى وللقول بألوهية المسيح. وقد ذكر كيلي أن غرض الامبراطور قسطنطين كان غرضاً سياسيًا بحتاً وهو توحيد امبراطوريته بتوحيد الكنائس المختلفة حول مسألة الإلهيات. وقال كيلي: إن الإمبراطور قسطنطين فعل ذلك لكي لا تنشق عليه الرعية. وفي كتاب كيلي تصريح بأن قسطنطين كان وثنيًا، وكان يؤمن بتعدد الآلهة قبل اعتناقه المسيحية. ويروي كيلي قصة دخول قسطنطين المسيحية بأنه رأى في المنام أنه انتصر على روما بعد أن جاءه مَلَك وأمره بحمل الصليب والزحف للقضاء على امبراطور روما. وقال ابن القيم في كتابه القيِّم «هداية الحيارى»: إن الملك قسطنطين هو أول من ابتدع شارة الصليب.

نستنتج من هذا أن الأناجيل كانت كثيرة، ومتناقضة، وقد جمعت وأُحرقت لأسباب سياسية تتعلق بتوحيد معتقدات رعايا الملك قسطنطين الذي كان وثنيًا ـ كما أسلفنا ـ ويعبد آلهة متعددة. ويبدو أن فكرة تثليث الآلهة قد راقت له، ووافقت عقيدته الوثنية التي كان يؤمن بها.

وقد تبين لنا أيضاً عند عقد المقارنات بين السير الذاتية لأصحاب الكتب

الستة الذين أخذناهم كنماذج لكتّاب السّنة النبوية الشريفة وبين السير الذاتية لكتاب أسفار العهد الجديد أن جامعي الحديث النبوي الشريف هم من الثقاة المعروفين والمشهود لهم بالتقوى والورع والدقة في جمع وتدوين الأحاديث. أما بالنسبة لجامعي أقوال السيد المسيح فقد رأينا أنهم مجهولو الهوية، ولا يُعرف على وجه اليقين التواريخ التي ولدوا فيها ولا التواريخ التي توفوا فيها ولا تواريخ كتابتهم لأقوال السيد المسيح. وكل الأقوال الواردة في ذلك أقوال مبنية على الظن والتخمين. كما أنه قد ثبت لدينا أن أسفار العهد الجديد قد كُتبت باللغة اليونانية وهي لم تكن معروفة لدى السيد المسيح، ولم تكن لغة قومه. ومن الملاحظ هنا أن سند الأناجيل يتمثل في جامعي أقوال السيد المسيح في الكتب والرسائل التي تحمل أسماءهم فقط، فهم السند الوحيد لتلك الأقوال المتضمنة في متن أسفار العهد الجديد بالرغم من أنهم مجهولو الهوية كما أوضحنا سابقاً.

أما بخصوص سند إنجيل مرقص فقد اتضح لنا من أقوال تيني (TENNEY) أن كاتب هذا الإنجيل مجهول العين ولا يعرف شيء عن سيرته. بل أنه لا يعرف إن كان مرقص هو إسمه الحقيقي أم لقبه أم هو إسم من وضع الكتّاب الذين جاءوا من بعده. ولقد وقع الخلاف في تاريخ مولده كذلك، فقد قال تيني: إن تاريخ مولده مجهول. والعلماء مختلفون في سنه وقت حادثة الصلب المزعومة، فمنهم من قال: أنه كان في العاشرة عندما وقعت تلك الحادثة، ومنهم من قال أنه كان في العشرين.

ونقل لنا ستريتس الخلاف الذي دار حول المكان الذي كُتب فيه هذا الإنجيل، وبيّن بأن الأقوال الواردة فيه مبنية على الظن. ولقد ظن بعضهم أنه كتب في روما، وظن آخرون أنه كتب في اليونان. قال ستريتس: إن التاريخ الذي كتب فيه هذا الإنجيل هو أيضاً مختلف فيه. والأقوال الواردة في ذلك أقوال مبنية على الظن أيضاً، حيث ظن قوم أنه كتب قبل سقوط أورشليم على يد الرومان عام ٧٠م. ويستدل مؤيدو هذا الرأي بأن الإنجيل يحتوي على تنبؤات بسقوط أورشليم. وقال هيبز في كتابه «الأناجيل السنوبتيكية» أن موطن مرقص الأصلي هو قبرص ولقد أحضره عمه برنابا إلى أورشليم. ورأى كل من اسكندر وير،

ودونالدسون: أن مرقص كان يهودي الأصل قبل اعتناقه المسيحية، وهو أول من أسس كنيسة في الإسكندرية. وقال المؤرخ اسبينوزا: أن هذا الإنجيل كُتب بعد عام ١٨٠م. ويرى ميريل أن هذا الإنجيل كتب مرتين، مرة قبل سقوط أورشليم ومرة أخرى بعد عام ١٨٠م.

ويعتقد جورج كيميل أن اللغة التي كتب بها مرقص إنجيله الأصلي مجهولة. ورأينا في نقله لآراء العلماء في ذلك أنهم مختلفون فمنهم من قال: إنه كتب باللاتينية، ثم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية. ومنهم من قال: إنه كتب أصلاً باللغة اليونانية. أما بخصوص صحة الأقوال التي وردت في هذا الإنجيل فيمكننا أن نورد رأي جورج كيميل أيضاً وذلك بعد دراسته لأقوال علماء البحث والتنقيب في هذا الشأن حيث قال: «إن كل المعلومات التي جُمعت وُرتبت لإقامة هذا الإنجيل كانت عبارة عن أقوال متناثرة هنا وهناك في صحف قد تمزق بعضها ومُحيت كتابات بعضها الآخر فقام المتأخرون بجمعها ونسبتها لمرقص». ولقد رأينا أيضاً تعقيب جورج كيميل بأن قصة صلب المسيح والأحداث التي قادت إلى الصلب، وقصة القيام من الموت مرة ثانية، كلها قصص مضافة إلى هذا الإنجيل. ورأينا استدلال كيميل من ذلك على أن تلك القصة هي من اختراع النصارى بعد وفاة مرقص بقليل. ومن هذا القول نستنتج أن قصة عيسى الإله الأزلي الرب، وابن الرب، الذي جاء ومات على الصليب فادياً للبشرية، وقصة الإله الذي بُعث بعد الموت كلها قصص لا أصل لها ولا أساس لها في المسيحية. ونستنتج أيضاً أن الأناجيل لم تكن مصانة فكانت الأيدي تعبث بها، تضيف ما تشاء وتحذف ما تشاء دون ضابط أو رقيب عليها. ونخلص من هذا القول أنه لا يمكن نسبة هذا الإنجيل لسيدنا عيسى عليه السلام.

أما بخصوص سند إنجيل متّى فقد نقل لنا ميريل تيني: أن إسم كاتب هذا الإنجيل مجهول أيضاً، ولا يعرف شيء عن سيرته الشخصية، وأن الأقوال التي وردت حول متّى كلها أقوال مبنية على الظن والتخمين. ولقد اطلعنا كذلك على أقوال جورج كيميل حيث ادعى أن كاتب هذا الإنجيل من الحواريين الإثني عشر. وهذا قول غير مقبول لأن متّى كتب إنجيله الأصلي باللغة اليونانية، وهي لغة لم

تكن مألوفة لسكان فلسطين في تلك الأزمان. ولقد نقل لنا تيني الخلافات الدائرة حول مكان وزمان كتابة هذا الإنجيل. فقال بعضهم: أنه كتب قبل سقوط أورشليم. وقال بعضهم الآخر: أنه كتب بعد سقوط أورشليم. ولقد روى تيني أيضاً بأن المكان الذي كتب فيه متى إنجيله غير معلوم إطلاقاً، بل إن الأقوال التي أوردها الكتّاب بهذا الشأن كلها مبنية على الظن والتخمين، فمنهم من قال: أنه كتب في اليونان. ومنهم من قال: أنه كتب في أنطاكيا بآسيا الصغرى وغيرها.

أما بخصوص متن هذا الإنجيل فقد رأى جورج كيميل أن كاتبه قد عمل على إبراز شخص عيسى في صورة مسيح اليهود وذلك بعكس الأناجيل الأخرى. وقال كيميل: أن متّى قصر رسالة عيسى على هداية بني إسرائيل، وحاول أن يقرن الديانة المسيحية بالديانة اليهودية حتى في الطقوس المتعلقة بالصلاة.

وخلاصة القول أن كاتب هذا الإنجيل مجهول العين فلا يعرف إن كان كتبه شخص واحد أم أشخاص متعددون. ولا نعرف متى كُتب وأين كُتب، وبأي لغة. وكل هذه الحقائق تثير الشك وتضعف الثقة بتلك الأقوال التي وردت في إنجيل متَّى. ونخلص من ذلك بأنه لا يمكننا نسبة هذا الإنجيل إلى السيد عيسى عليه السلام خاصة وأن هذا الإنجيل اعْتُمد ضمن أسفار العهد الجديد بعد مرور أربعة قرون كاملة من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام.

أما بخصوص سند إنجيل لوقا فقد قال ميريل: إن كاتب هذا الإنجيل مجهول، لا يعرف شيء عن سيرته أو حياته الشخصية، ولا يعرف شيء عن إسمه الحقيقي. وحتى الأقوال التي تشير إلى أنه كان طبيباً أنطاكيًا، وأن اسمه الحقيقي جون مارك هي أقوال في حقيقتها مبنية على الظن. وقال جورج كيميل: أنه لم يثبت تاريخيًا أنّ لوقا قد رأى السيد المسيح أو عاصره. وقال كيميل: أن لوقا قد التقى ببولس صاحب الرسائل المعتمدة، وكان يجوب معه بعض المدن داعياً إلى المسيحية.

أما مكان وزمان كتابة هذا الإنجيل فهما مجهولان. وأغلب الظن ـ كما يرى جورج كيميل ـ أن هذا الإنجيل قد كتب خارج فلسطين بين عامي ٧٠، ٩٠ ميلادية.

أما بخصوص اللغة التي كُتب بها إنجيل لوقا فأغلب الظن أنه كتب باللغة اليونانية وذلك حسب رأي كيميل. ولقد نقل لنا كيميل أيضاً آراء العلماء حول الأحداث الواردة في أسفار (أعمال الرسل) الملحقة بهذا الإنجيل دون أي سند كما وضح ذلك جمع من العلماء. بل أكدوا أن تلك الأقوال الواردة في تلك الأحداث ليست من أقوال كاتب الإنجيل الأصلي. ويرى كيميل أن شخصاً انتحل اسم لوقا وكتبها ونسبها له. وكما رأينا سابقاً فإن لوقا قد خالف مرقص ومتّى في كثير من الأشياء. ويرى كيميل: أن لوقا قد استقى أقواله من مصادر أخرى غير المصادر التي استقى منها أصحاب الأناجيل الأخرى أقوالهم.

وخلاصة القول أن كاتب هذا الإنجيل مجهول الإسم والهوية، ولم يعتمد منهجاً ثابتاً في جمعه للأقوال التي نسبها للسيد المسيح، ولم يكتب إنجيله باللغة التي كان يتحدثها أهل فلسطين في ذلك الزمان. وعليه فلا يمكننا الثقة بأقواله أو قبول نسبتها للسيد المسيح عليه السلام.

أما بخصوص يوحنا فقد اتضح لنا من أقوال جورج كيميل أن الأقوال اختلفت في حقيقة إسمه، فقد ظن بعضهم أنه يوحنا بن الزبدي أحد حواريي عيسى، وقال بعضهم أن شخصاً مجهولاً قد انتحل شخصية يوحنا الزبدي الحواري المذكور في الأناجيل السنوبتيكية وكتب الإنجيل بإسمه. ورأينا كذلك أن تاريخ مولده ووفاته مجهولان. كما رأينا أن المكان الذي كتب فيه هذا الإنجيل مجهول، والزمان الذي كتب فيه مجهول كذلك، وكل الأقوال الواردة في هذا الشأن مبنية على الظن والتخمين، كما قال كيميل.

أما بشأن متن هذا الإنجيل فهو مضطرب. وقد قال تاتوم: أن يوحنا ناقض الأناجيل الأخرى في كثير من الأشياء، وأدخل في المسيحية أشياء غريبة، وغير مألوفة لدى كتاب الأناجيل السنوبتيكية. ورأينا كذلك قول ماكيال ـ أستاذ الكنائس بإكسفورد ـ الذي صرح بأن قصة اللوجوس أو روح الإله الإبن الذي انفصل عن والده ثم رجع وحل فيه مرة أخرى لا توجد إلا في إنجيل يوحنا. وصرح ماكيال بأن حذف أشياء وإضافة أشياء أخرى للمخطوطات المتعلقة بالدين وخلافه لم يكن شيئاً غريباً على المجتمع أو مستنكراً في العصر الذي عاش فيه يوحنا.

كما أن كاتب هذا الإنجيل مجهول العين، وهذا يطعن في أقواله ويجعلها غير معتبرة. بل أن القول الوارد في انتحاله شخصية أحد الحواريين يدل على أنه مدلس، وليست لديه الشجاعة الكافية حتى للتصريح بإسمه الحقيقي مما يشكك في أصالة الأقوال التي اعتمدها في إنجيله. إن ابتداع يوحنا لقصص وأشياء غير معروفة وغير شائعة عن السيد المسيح يدل دلالة واضحة على عدم نزاهته وعدم تورعه عن اختلاق الأحداث الكاذبة ونسبتها للسيد المسيح. وهذا شبيه بعمل أهل الهوى والبدع الذين رأينا نماذج منهم عند إيرادنا لأمثلة من الحديث الموضوع المكذوب على النبي ﷺ. كما أن اعتماد هذا الإنجيل في القرن الرابع الميلادي دون إبداء أي سبب وجيه ومقنع لذلك يدل على عدم التزام المؤتمرين في نيقية الدقة والموضوعية عند اعتمادهم لهذا الإنجيل بالرغم من التناقض الظاهر بينه وبين الأناجيل الأخرى التي اعتمدوها في مؤتمرهم المذكور أعلاه جنباً إلى جنب مع هذا الإنجيل. ونظراً لكل هذه الأسباب ولعدم وجود سند يوصل تلك الأقوال والأفعال للسيد المسيح فإنه يمكننا القول بأن إنجيل يوحنا هذا ليس هو الإنجيل الأصلي الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام.

أما بخصوص رسائل بولس فقد نقل لنا جونز أن كاتب هذه الرسائل هو بولس الرسول الذي كان في الأصل يهوديًا من طائفة الدايزبورا وهي بعض طوائف الغربيين. وكان يهود الدايزابورا يخلطون اليهودية بالفلسفة اليونانية. وروى جونز أن بولس كان يُدعى شاول أو حاول قبل اعتناقه المسيحية. وبعد اعتناقه المسيحية بدّل إسمه إلى بولس. وقد قال جوثام: أن تاريخ مولد بولس مجهول، ولكنه أعدم عام ٦٢م. أما تاريخ كتابة بولس لرسائله فهو مجهول أيضاً. قال جونز: أن بولس لم يكن من تلاميذ السيد المسيح أو حوارييه. ونقل لنا آراء العلماء الذين قالوا: إنه لم ير السيد المسيح في حياته. ونقل جرثام أيضاً طرفاً من الخلافات التي وردت حول أصله، حيث قال بعضهم: أنه كان روماني الأصل. وقال بعضهم الآخر: أنه ولد في طرطوس وتربى في أورشليم ولكنه كتب رسائله خارج فلسطين. أما عن سيرة بولس فقد نقل لنا جونز أنه كان في بداية حياته من أكبر أعداء المسيحية، وكان كثيراً ما يتسبب في أذى النصارى ولا يتورع عن التنكيل

بهم. وقد نقل لنا جونز أن بولس اعتمد في سرده لأقوال السيد المسيح على ادعاء تلقيه الوحي المباشر من السيد المسيح الرب الذي ادعى بولس أنه حل فيه، وأمره بكتابة تلك الرسائل. وقد رأينا أيضاً قول جوشيا رويس من أن بولس هو مؤسس المسيحية الحقيقي لأنه غيّر معالم المسيحية تغييراً كاملاً، وحول عيسى من مسيح لليهود إلى المسيح الرب الذي مات وفدى العالم بدمه. وقال جونز: أن ستًا من تلك الرسائل ليست لبولس، بل كتبت بواسطة تلاميذه الذين نسبوها إليه مؤخراً. ومما لا شك فيه أن بولس تأثر في رسائله بالفلسفات والديانات القديمة التي كانت تؤمن بتعدد الآلهة وتناسخ الأرواح. وخلاصة القول: أن بولس غيَّر كثيراً من الأقوال والمعتقدات التي كانت شائعة عن السيد المسيح. بل أن رسائله أتت بمسيحية جديدة مغايرة تماماً لرسالة المسيح، ومخالفة لأقوال أصحاب الأناجيل السنوبتيكية. ويمكننا أن نقول إن هذه الرسائل لا صلة لها بالسيد المسيح عليه السلام مطلقاً لأن بولس لم يلتق بالسيد المسيح ولم يسمع منه، ولا سمع ممن سمع من السيد المسيح، بل كان جريئاً في الإدلاء بأقواله الشخصية، وتصريحاته الذاتية التي لم يتورع عن نسبتها للسيد المسيح. ليس هذا فحسب، بل أن بولس ـ كما رأينا ـ قد ادعى أن المسيح شخصيًا قد حلّ فيه، وبناء على ذلك فقد ادعى بأن له الحق المطلق في إعادة تشكيل الديانة المسيحية كما يحلو له، وقد قام بذلك فعلاً.

أما بخصوص رسالة جيمس فقد اتضح لنا من قول روبرتس بأن الأقوال الواردة عن كاتبها مأخوذة عن الأناجيل السنوبتيكية التي جاء فيها بأن جيمس هو أحد أخوة عيسى. وقال روبرتس: ولا يعرف إن كان جيمس هو شقيق عيسى، أم هو أحد أبناء عمومته، أم أنه كان إبناً ليوسف النجار. وقد رجح روبرتس القول بأنه كان إبناً لمريم والدة عيسى. أما تاريخ مولده ووفاته فمجهولان. أما تاريخ كتابته للرسالة فالأقوال الواردة فيه مبنية على الظن. وقد قال تيني: أن جيمس لم يكتب رسالته قبل عام ٤٥ أو ٥٠م لأنه لا توجد أدلة تثبت أن تلك الرسالة قد كتبت قبل هذا التاريخ. أما مكان كتابتها فهو أورشليم كما يظن بعض الباحثين.

وخلاصة القول: أن رسالة جيمس هذه ليس موثوقاً بها، ولا يمكن نسبة ما

جاء فيها للسيد المسيح لعدم توفر الأدلة القاطعة على أن جيمس هذا كان أخاً لعيسى أو عاصره، أو نقل عنه. وكل الأقوال الواردة عن جيمس أقوال مأخوذة من الأناجيل السنوبتيكية والتي سبق أن رأينا عدم صحة الأخذ بها لاستحالة نسبتها للسيد المسيح عليه السلام.

أما صاحب رسالتي بيتر المعتمدتين ضمن أسفار العهد الجديد فلا يعرف عنه شيء إلا عن طريق الأناجيل السنوبتيكية. ولقد جاء في إنجيل متّى أن إسمه بيتر. وكان سماكاً من منطقة الجليل. وكان يلقّب بسيمون. أما بيتر روك أو بيتر الصخرة فهو الإسم الذي زعمت الأناجيل السنوبتيكية بأن عيسى كان قد لقبه به. وقال تيني: أن الأناجيل ذكرت بأن بيتر هذا قد استنكر بأن يكون المصلوب هو عيسى. وذكر تيني كذلك بأن الأناجيل السنوبتيكية ترى أنه كان أحد حواريي عيسى. أما مكان كتابته لرسالتيه فمختلف فيه. وقد نقل لنا تيني هذا الخلاف قائلاً: بعضهم يقول أنه كتب رسالتيه في أنطاكيا، وبعضهم يقول في روما، وبعضهم يقول في بابلونيا. وقال تيني: إن بيتر كان أحد تلاميذ بولس، وكان يترحل معه في معظم المدن التي زارها. أما تاريخ كتابة الرسالتين فمجهول. وأغلب الظن كما قال تيني: أنهما كتبتا حوالي عام ٦٠م. أما من ناحية المتن فقد تشابهت هاتان الرسالتان كما قال تيني مع رسائل بولس. وقال تيني أن بيتر كان متأثراً ببولس في كتابته للرسالة الأولى والتي وجهها لأصدقائه الذين كانوا يعانون الإضطهاد والأذى. وتحدث في الرسالة الثانية عن آلام السيد المسيح عند صلبه المزعوم. وقال تيني: أن بعض آباء الكنيسة كأورجان الذي عاش عام ٢٢٠م كان يرى أن الرسالة الثانية غير ثابتة لبيتر، وأنها منسوبة إليه زوراً وبهتاناً.

وخلاصة القول أنه لا يصح نسبة ما بهاتين الرسالتين من أقوال للسيد المسيح لأن المصادر التي أوردت سيرة بيتر وهي الأناجيل السنوبتيكية ليس موثوقاً بها ـ كما رأينا ـ بل هي في مرتبة الحديث الموضوع الذي لا يعتد به.

أما بخصوص رسالة جود فلا يعرف من الذي كتبها على وجه اليقين، وإن كان كاتبها يشير إلى نفسه بقوله «خادم عيسى المسيح»، وأحياناً يقول: «أخ جيمس». وتاريخ مولد هذا الكاتب مجهول وكذلك تاريخ وفاته. ولقد نقل لنا

تيني: أن زمان ومكان كتابة تلك الرسالة مجهولان أيضاً. ولقد اختلفت الأقوال فيها، فمنهم من قال: أن الرسالة كتبت عام ٦٧ أو ٦٨م، ومنهم من قال: إنها كتبت عام ٨٠م، ومنهم من قال: إنها كتبت عام ٨٥م. ويرى تيني: أن رسالة جود تؤكد ألوهية السيد المسيح. وقال أن هذا واضح من قول جود: أن المسيح يمكنه أن ينقذ عبده (جود) من الوقوع في الخطأ.

ونلاحظ هنا بأن الأقوال المعتمدة في التثبت من صحة هذه الرسالة هي الأقوال التي وردت في إنجيل مرقص فقط، كما أن هذه الرسالة اعْتُمدت بصورة قانوينة مؤخراً ضمن أسفار العهد الجديد وذلك في مؤتمر كورثاج عام ٣٩٧م، وهو المؤتمر الذي اعْتُمدت فيه جميع أسفار العهد الجديد الموجودة بالأناجيل.

وخلاصة القول: أن الأقوال التي اعتبرها صاحب الرسالة من أقوال السيد المسيح لا تصح نسبتها للسيد المسيح مطلقاً لعدم وجود سند يوصلها إلى السيد المسيح، كما أن السند الوحيد الذي اعْتُمد عليه في التثبت من سيرة جود هو إنجيل مرقص. وقد رأينا أن الأقوال الواردة في هذا الإنجيل مشكوك في أمرها ولا يصح نسبتها للسيد المسيح عليه السلام.

أما عن رسائل يوحنا الثلاث وسفر الرؤى فيرى تيني أن كاتبها مجهول، وأن القول بأن كاتبها هو صاحب الإنجيل الرابع قول مبني على الظن. أما زمان ومكان كتابة هذه الرسائل وسفر الرؤى فهو غير معروف. وقال تيني: أغلب الظن بأن تلك الرسائل قد كتبت في نهاية القرن الأول الميلادي. أما بخصوص متن تلك الرسائل وسفر الرؤى فقد قال تيني: إن الرسالة الأولى قد تحدثت عن الإلهيات، والمحبة الإلهية، وهذا يعتبر أهم ما جاء فيها في رأي تيني.

أما بخصوص متن الرسالة الثانية فقد قال قود سبيد Good Speed أن كاتبها قد وجهها لسيدة سماها «السيدة المختارة وأبنائها». ويرى قود سبيد أن يوحنا ربما كان يعني بتلك السيدة الكنيسة، ويرمز للمتعبدين بأبنائها. أما رسالته الثانية فقد قال تيني: إن الكاتب وجهها لأحد القساوسة. أما أسفار الرؤى ـ كما قال تيني ـ فتضم بعض التنبؤات والرؤى والأحلام التي ظن كاتبها أنها إلهام من الإله، ولذا كتبها لمواساة النصارى الذين كانوا يعانون الاضطهاد، وللتنبؤ بالإنتصارات

التي سيحققها النصارى في المستقبل. وفيها أيضاً تحذير للنصارى الذين كانوا يتخلون عن الديانة المسيحية إثر تعرضهم للإضطهاد. وقد قال تيني أيضاً: إنه لا يعرف على وجه التحديد من الذي كتب تلك الرؤى والنبوءات. وقال تيني: إن سفر الرؤى كتب بلغة يونانية ركيكة بعكس إنجيل يوحنا الذي كتب بلغة يونانية طلقة. وقال تيني: إن أسلوب الرسائل أيضاً مغاير للأسلوب الوارد في إنجيل يوحنا مما يدل على أن كاتب هذه الرسائل وكاتب الإنجيل المنسوب ليوحنا لا يمكن أن يكون هو نفس الشخص. وكما رأينا سابقاً فإن هذه الرسائل وسفر الرؤى قد اعتُمدت مؤخراً ضمن أسفار العهد الجديد وذلك في مؤتمر كورثاج عام ٣٩٧م.

وخلاصة القول إن الآثار التي أوردها كل من كاتب الرسائل وكاتب سفر الرؤى منسوبة للسيد المسيح لا تصح نسبتها إليه بأي حال من الأحوال لأن الكاتب مجهول في كلتا الحالتين وذلك بالإضافة إلى عدم توفر السند الذي يوصل تلك الأقوال لعيسى عليه السلام.

ولقد رأينا أن الكتاب المقدس عند النصارى والذي يسمونه «أسفار العهد الجديد» ـ وهو يضم الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ـ لم يعتمد كله بصورة قانونية إلا مؤخراً، وذلك في مؤتمر كورتاج عام ٣٩٧م. ليس هذا فحسب بل أن أحداً لا يستطيع أن يثبت لنا أن الأقوال الواردة في تلك الأناجيل، والمعتمدة في مؤتمر كورتاج لم تمتد إليها يد التحريف بعد أن تم اعتمادها ـ على علاتها ـ في ذلك المؤتمر. ولقد قال تيني TENNEY: إن الأناجيل لم تكن تدوّن في كتب، بل كانت مكتوبة بخط اليد حتى ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر. وقال أيضاً: إن هذه الأناجيل كانت خاصة بآباء الكنائس، ولا يعرف عنها الأفراد العاديون شيئاً إلا عن طريق أولئك القساوسة.

ولقد أفادنا تيني بأن النسخ التي كان يمتلكها آباء الكنائس كانت إما مكتوبة باللغة اليونانية أو اللغة الرومانية وأن هاتين اللغتين لم تكونا معروفتين لدى معظم النصارى. وقال تيني أيضاً: إن معظم تلك النسخ من الإنجيل كانت قد فقدت عند دخول الأتراك القسطنطينية في القرن الخامس عشر الميلادي. بل زاد تيني على

ذلك القول: أن الإنجيل لم يترجم إلى اللغتين الألمانية والإنجليزية إلا في القرن السادس عشر، وأن لوثر وكالفن كان لهما دور كبير في ترجمة الإنجيل للغتين الألمانية والإنجليزية. وقال تيني كذلك: إن الإنجيل لم ينتشر بين الناس، ولم يمتلكه الأفراد إلا بعد ظهور الطباعة. والشيء الذي يثير الشك حول صيانة الإنجيل عن التحريف والتبديل حتى بعد اعتماده عام ٣٩٧م هو أن ملكية الأناجيل كانت محصورة في أفراد معينين، وكانت الأناجيل ذاتها مكتوبة بخط اليد، ولم يكن من الميسور معرفة ما بها إلا عن طريق القساوسة والكهان. والشيء المثير حقًّا أن النصارى لا يمانعون من التبديل والتحريف في أناجيلهم حتى يومنا هذا. وخير مثال على ما نقول هو ما فعله آباء الكنائس في هذا القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية من تغيير بعض فقرات الأناجيل إستجابة لرغبات الثورة النسائية بأمريكا، كما رأينا في الأبواب السابقة من هذه الدراسة.

والشيء الملاحظ أيضاً أن علماء النصارى في الغرب يعترفون بأن الأناجيل متناقضة. ويعترفون بأن الأناجيل غيّرت معالم رسالة المسيح الأصلية، بل قال جوشيا رويس: أن الأب بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية التي نعرفها في الغرب اليوم. كما صرح تيني بأنه لا يعلم سبباً وجيهاً لاختيار تسعة رجال مختلفين واعتماد كتاباتهم كأناجيل مقدسة من بين كثير ممن كانوا يكتبون في نفس الموضوع. إن حيرة العلماء من أمثال تيني تدل دلالة واضحة على أن تلك الأشياء المسماة بأسفار العهد الجديد قد اعتُمدت إعتباطاً وبدون أي سبب وجيه يدعو إلى ذلك.

وعلى العكس من ذلك، فعند استعراضنا لجمع السنّة النبوية الشريفة، تبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن السنة النبوية الشريفة قد جُمعت بطريقة علمية دقيقة. ولقد رأينا في الباب الخاص بجمع السنة النبوية الشريفة كيف كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على سماع وحفظ حديث رسول الله ﷺ وتداوله فيما بينهم. ورأينا كيف أذن النبي ﷺ لصحابته بكتابة الحديث الشريف واستشهدنا بقوله ﷺ: «أُكتبوا لأبي شاه» عندما شكا إليه أبو شاه من النسيان. بل رأينا أنه كان للنبي ﷺ كتّاب يكتبون له رسائله. ورأينا أن هناك كتباً كانت تكتب بين يدي

النبي ﷺ لأهل الأقطار يمليها على صحابته فيكتبونها ويبعثون بها لأهل الأقطار من أجل دعوتهم إلى الإسلام، بل كان النبي ﷺ يعقد المعاهدات مع المشركين وكان صحابته يكتبون له المعاهدات كما يمليها هو عليهم. ورأينا ذلك عند حديثنا عن صلح الحديبية، وهذا وكثير غيره مما يدلنا على أن السنة النبوية الشريفة كانت تكتب بين يدي النبي ﷺ بجانب حفظها في الصدور.

وبعد التحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى كانت السنة محفوظة في صدور صحابته الكرام، مدونة في صحف بعضهم من أمثال الصحيفة الصادقة وغيرها. ولقد رأينا من سير صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم كيف كانوا عدولاً، ثقاة، أمينين، حريصين أشد الحرص على الذود عن سنة رسول الله ﷺ. وقد ظهر لنا ذلك بوضوح عندما استعرضنا بعض الأمثلة التي توضح تثبتهم من رواة الحديث الشريف. بل يتجلى ذلك في تخيّرهم للألفاظ التي يقدمون بها الحديث والتي كانت توضح بدقة إن كان الراوي قد سمع الحديث بنفسه، أم أنه نقل ذلك الحديث عن غيره من الرواة. بل قد بلغ بالصحابة الحرص والتشدد في أخذ الروايات وعدم قبولها إلا بعد الاستشهاد عليها مبلغاً عظيماً، وقد ظهر لنا ذلك في قصة أبي بكر الصديق مع الجدة التي جاءت تلتمس الميراث فلم يعطها شيئاً إلا بعد أن تثبت من شاهدين أقرا بأن رسول الله ﷺ كان يعطيها السدس. ورأينا كذلك كيف تثبت عمر بن الخطاب من حديث إبي موسى الأشعري في الاستئذان ثلاث مرات.

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن سيدنا عمر كان شديد الحرص على حفظ سنة رسول الله ﷺ، وهذا الحرص يظهر في قول سيدنا عمر لأبي موسى: أما إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ﷺ. كما أن رحلة الصحابة في طلب الحديث الواحد لهي خير دليل على تحريهم الدقة في رواية الحديث وجمعه وتدوينه.

وقد سار التابعون أيضاً على نهج الصحابة في الحرص والتثبت عند رواية الحديث النبوي الشريف. ولعل حرص الشعبي وتتبعه لسند حديث سمعه عن رسول الله ﷺ إلى أن أوصله للصحابي الذي سمعه من رسول الله ﷺ لهو خير

دليل على أمانة التابعين وحرصهم على التثبت في رواية الحديث النبوي الشريف. ولعل من أهم الأسباب التي ساعدت على حفظ حديث رسول الله ﷺ وأوجبت على المسلمين الاهتمام به، تلك التوجيهات التي كان يتلقاها المسلمون عن الرسول ﷺ في هذا الشأن. ولقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد حذرهم من الكذب عليه قائلاً: «من كذّب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». بل جاء في صدر الحديث عند بعض الرواة: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد» وذلك لأن الكذب على رسول الله ﷺ يضيّع الدين، ويطمس معالمه، ويدخل في الدين ما ليس منه. وقد رأينا ما حدث لرسالة السيد المسيح من تحريف وتشويه وتبديل نتيجة للأكاذيب التي نسبها إليه كتّاب الأناجيل.

ورأينا بعد ذلك كيف أن أتباع التابعين وتابعيهم اهتموا بالحديث النبوي الشريف وجمعوه في مصنفات خاصة، وعلمنا من سيرهم أنهم كانوا يتمتعون بالتقوى والورع. ولقد أخذنا الإمام مالك بن أنس كمثال لذلك، ورأينا في سيرته أنه كان تقيًا ورعاً، ورأينا كيف أن دأبه في طلب العلم قد أوصله إلى درجة الأئمة العلماء، ورأينا كيف أنه تتلمذ على أيدي أشهر التابعين أمثال الزهري، كما سمع الحديث عن نافع مولى ابن عمر وغيره. ورأينا آراء العلماء في الأسانيد التي كان يعتمدها مالك حيث قال بعضهم: إن من أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، بل سمّيت تلك السلسلة من السند بالسلسلة الذهبية لقوتها ولصحة سندها عن رسول الله ﷺ. كما رأينا أيضاً أن مالكاً كان يلقب بعالم المدينة وإمام دار الهجرة لعلمه وتقواه.

وعند حديثنا عن المقارنة بين سير أصحاب الكتب الستة وبين سير كتاب الأناجيل رأينا:

١ ـ إن تاريخ مولد البخاري وتاريخ وفاته معروفان، وقد ولد عام ١٩٤هـ وتوفي عام ٢٥٦هـ، وأنه ولد ببخارى وتوفي بتمرتنك وهي قرية بظاهر سمرقند. ورأينا أن إسمه الحقيقي معروف وكنيته معروفة والبلدة التي ولد بها معروفة، والبلدة التي توفي بها معروفة وأصله فارسي، كما ذكر صاحب الرسالة

المستطرفة[1]. ووجدنا أن سيرته معروفة لدى جميع علماء المسلمين. وعلمنا من سيرته أنه طلب العلم وهو في العاشرة، وظل يتلقى العلم طيلة حياته، وهاجر إلى الأقطار الإسلامية لتلقي العلم على أيدي أجلّ الشيوخ أمثال علي بن المديني. ورأينا في سيرته أيضاً أنه كان تقيًا وورعاً، حافظاً لأحاديث رسول الله ﷺ، وقد ظهرت قوة حفظه وظهر مدى تثبته عند اختبار علماء بغداد له. ورأينا كيف رد في براعة تامة أسانيد حديث رسول الله ﷺ لمتونها. وهذه القصة تدل دلالة واضحة على حفظه التام ومعرفته الشاملة لأحاديث رسول الله ﷺ بمتونها وأسانيدها. إن رحلة البخاري من موطنه في بخارى لطلب الحديث في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية تدل على حرصه على السماع من أهل اللغة العربية الذين أخذوا الحديث عن رسول الله ﷺ مباشرة، وهذا مما يدل على أنه تلقى العلم من مصادره الأساسية وبلغة أهله، بل أنه كتب صحيحه باللغة العربية، لغة القرآن، وهي نفس اللغة التي كان يتحدث بها محمد ﷺ. بل نراه اشترط شروطاً حاسمة ودقيقة لرد أو قبول الحديث، فنراه اشترط شرطي اللقيا والمعاصرة في راوي الحديث وذلك بجانب الشروط الأخرى التي وضعها من سبقه من العلماء. ولقد رأينا أن صحيح البخاري هو أول كتاب يدوّن في الحديث النبوي الشريف بهذه الشروط الدقيقة. ويكفي تعليق الذهبي على هذا الكتاب بقوله: (وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله. فلو رحل الشخص إلى سماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته). وقد رأينا العناية الفائقة التي أولاها العلماء لصحيحه حيث عقبوا عليه بالشرح والدراسة والتعليق والإختصار وغيرها.

٢ ـ عندما تحدثنا عن الإمام مسلم وجدنا أنه ولد في نيسابور عام ٢٠٤هـ وتوفي عام ٢٦١هـ، فتاريخ مولده ووفاته معروفان. ورأينا أن إسمه الحقيقي معروف والبلدة التي ولد بها معروفة. وعند الحديث عن سيرته وجدنا أن سيرته معروفة لا تخفى على أحد من المسلمين، فهو أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري نسبة إلى نيسابور، وهي مدينة مشهورة بخراسان من أحسن

---

(١) الرسالة المستطرفة.

مدنها وأجمعها للعلم والخير. توفي الإمام مسلم بنيسابور عام ٢٦١هـ. وعرفنا من سيرته أنه طلب العلم منذ الصغر. ورأينا كيف رحل إلى الأقطار الإسلامية طالباً لحديث رسول الله ﷺ، ووجدنا أنه تتلمذ على أئمة البخاري وغيرهم. فهو أيضاً رحل في طلب العلم لمعرفته من مصادره الأصلية وبنفس اللغة التي كان يتحدث بها الرسول ﷺ. ونراه اتبع منهجاً معيناً عند جمعه سنة رسول الله ﷺ، واعتمد شروط الحديث الصحيح التي رأيناها من قبل. كما التزم بشرط واحد من شرطي البخاري وهو المعاصرة ولم يشترط اللقيا مع المعاصرة كالبخاري، لذلك وضع العلماء صحيحه في المرتبة الثانية بعد صحيح الإمام البخاري. ورأينا ثناء العلماء على كتابه إذ قال بعضهم: إن أصح صحيح هو صحيح البخاري ويليه في المرتبة صحيح مسلم.

٣ ـ كما رأينا كذلك أن تاريخ مولد الإمام النسائي معروف، وتاريخ وفاته معروف أيضاً. فقد ولد عام ٢١٥هـ وتوفي عام ٣٠٣هـ، والمدينة التي ولد بها معروفة وهي نساء بخراسان، وتوفي بالرملة بمنطقة فلسطين في أرض الشام ودفن فيها، وقيل أنه توفي بمكة ودفن بها سنة ٣٠٣هـ، وإسمه معروف، وكنيته معروفة، فهو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر (النسائي) نسبة لنَساء وهي مدينة بخراسان. وعند الحديث عن سيرته وجدنا أن سيرته معروفة. فقد طلب العلم، وتتلمذ على أشهر الأئمة، ورحل في طلب العلم إلى الحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة لتلقي العلم من مصادره الرئيسية. ونقل الإمام النووي الكثير عن مآثره من حفظه وورعه وتقواه وبراعته في علوم الحديث. ولقد ألف النسائي كتابي السنن والمجتبي باللغة العربية، وجمع في السنن الكبرى الصحيح والمعلول، إلا أنه اقتصر سننه الصغرى (المجتبي) على الصحيح فقط. ورأينا ثناء النووي على سننه الصغرى حيث قال: إنه يلي الصحيحين في الدرجة. ويدلنا على مدى عناية العلماء بالمجتبي أنهم عقّبوا عليه بالشرح، وخرّجوا عليه الأطراف والرجال.

٤ ـ عند حديثنا عن أبي داود وجدنا أن تاريخ مولده ووفاته معروفان. فقد ولد سنة ٢٠٢هـ بسجستان وهي بخراسان وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. وإسمه

سليمان بن الأشعث الأزدي نسبة إلى الأزدابي وهي قبيلة باليمن، والسجستاني نسبة إلى سجستان وهي مدينة بخراسان. وسيرته معروفة. فقد عرف بالورع والتقوى. قال عنه الحاكم أبو عبدالله: كان أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة. ورأينا كيف أنه رحل إلى العراق والشام ومصر وخراسان لتلقي العلم وطلباً لحديث رسول الله ﷺ. وقد أخذ العلم عن شيوخ البخاري ومسلم وكتب عنهم أحاديث رسول الله ﷺ. ورأينا أنه اتبع منهجاً معيناً عند جمعه للحديث. فقد نقل لنا ابن الصلاح قول أبي داود: (ذكرت فيه الصحيح وما أشبهه وقاربه، وما كان في كتابي حديث فيه وهن شديد فقد بينته، وما لم أذكر فيه شيء فهو صالح، وبعضها أصح من بعض). وكتابه مكتوب باللغة العربية كما رأينا ذلك. ورأينا كذلك مدى عناية العلماء بسننه ولقد تناولوه بالشرح والإختصار.

٥ ـ رأينا كذلك أن تاريخ مولد الترمذي معروف. فقد ولد بترمذ عام ٢٠٩هـ وتوفي بها عام ٢٧٠هـ. ورأينا كذلك أن إسمه أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك السلمي بضم السين نسبة إلى بني سليم وهي قبيلة معروفة، وكنيته الترمذي، نسبة إلى ترمذ وهي مدينة على طرف نهر بلخ المسمى بجيحون الضرير. وسيرته معروفة. ولقد عرف بالتقوى والورع، ورحل في طلب الحديث إلى أقطار عديدة منها خراسان والعراق والحجاز وتتلمذ على أئمتها. وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم معروفون ومنهم الإمام البخاري. وقد شهد له العلماء بالحفظ، وبأنه ثقة، كما ذكر لنا ذلك الإمام الذهبي. وكتب جامعه باللغة العربية. والمنهج الذي اتبعه في جمعه للحديث معروف أيضاً، ولقد وضحه في كتابه وأبان للقارىء بأنه جمع الصحيح والحسن والضعيف، ولكنه بيّن درجة كل حديث في موضعه عند إيراده له. ولقد عني العلماء بجامعه وتعقبوه بالشرح والتعليق.

٦ ـ ولقد رأينا أن تاريخ مولد ابن ماجه وتاريخ وفاته معروفان. فقد ولد بالعراق عام ٢٠٧هـ وتوفي بها عام ٢٨٣هـ، وإسمه أبو عبدالله بن يزيد المعروف بابن ماجه (وهو لقب أبيه) القزويني نسبة إلى قزوين، وهي مدينة مشهورة بالعراق. وقد علمنا أنه قد عرف بالورع والتقوى، ورحل في طلب الحديث

النبوي الشريف إلى مصر والشام مما يدل على تفانيه واتخاذه جانب الجد فيما يأخذ أو يدع من أحاديث رسول الله ﷺ. أما شيوخه الذين تلقى عنهم العلم فهم معروفون، ولقد سمع عن كثير من أصحاب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه. وقد شهد له العلماء من أمثال القزويني وابن كثير بالعلم، وبفضله في علوم الحديث وبفضل كتابه السنن.

قال ابن كثير: هو صاحب السنن المشهورة الدالة على علمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة في الأصول والفروع.

وقال القزويني: كان عالماً بهذا الشأن. وقد كتب سننه باللغة العربية، وجمع فيها الصحيح وما يقاربه. وقد اهتم العلماء بسننه وتعقبوها بالشرح والتعليق.

وهكذا رأينا أن أصحاب الكتب الستة عدول ثقاة معروفون، وأنهم اتبعوا منهجاً واضحاً بينوه هم أنفسهم ووضحوه ليعرف القارىء السبل التي انتهجوها في جمع الحديث النبوي الشريف. ونجد أن بعضهم قد أورد بعض الأحاديث الحسنة والضعيفة ولكنه بينها، كلاً في موضعه. وهذا مما يدل على الأمانة التامة. ولعله من الواضح الجلي البين أن علماء المسلمين لهم منهج واضح وثابت في قبول أو رد الحديث النبوي الشريف بشروط اشترطوها في الراوي والمروي، فراعوا في المروي ألا يكون مخالفاً للأحكام والقرآن، وألا يكون مخالفاً لما ثبت نقله عن النبي ﷺ، وألا يكون ركيك اللفظ أو المعنى، وأن تثبت روايته عن النبي ﷺ بطرق عديدة، كما راعوا في الراوي أن يكون مسلماً فلا تقبل الرواية من كافر، وأن يكون راشداً فلا تقبل الرواية من طفل، وأن يكون راوي الحديث عاقلاً فلا تقبل الرواية ممن بعقله خلل، وألا يكون راوي الحديث مجاهراً بفسق أو معصية. إشترط العلماء أيضاً في راوي الحديث أن يكون عالماً بما يقول، ضابطاً لما يكتب ويتلفظ به، فلو اخْتُبر بأحد أحاديثه وقد زيد عليها لأدرك ذلك فوراً.

وعلى حسب الشروط المذكورة أعلاه قسم العلماء الحديث إلى صحيح، حسن، ضعيف، ثم موضوع. وقد تتبع العلماء الأحاديث الموضوعة بالبحث والدراسة لبيان وجه فسادها، لذلك نراهم قد أفردوا لها قسماً خاصًّا بها، وكتبت

مؤلفات كثيرة فيها استعرضنا بعضاً منها في الأبواب السابقة. ولقد رأينا صوراً عديدة من اهتمام العلماء بأنواع الأحاديث المختلفة، وألفوا كتباً في الجرح والتعديل، وكتباً في طبقات الرواة وفي علل الحديث وغيره. ومن عناية العلماء بالمتن أيضاً أنهم ألفوا كتباً في علم مختلف الحديث، وناسخ الحديث ومنسوخه، وغريب الحديث وغيره. وقد بينوا من دراساتهم أن الحديث الموضوع ليس من حديث رسول الله ﷺ، ولا يصح نسبته لرسول الله ﷺ بأي حال من الأحوال.

وخلاصة القول: أن أحاديث رسول الله ﷺ لم تحرف كما زعم المستشرقون، بل حفظت ودونت ـ مع بيان درجاتها وتفاوتها في القوة والضعف ـ في مصنفات الحديث المشهورة والمعروفة. وهذا أيضاً يبطل قول المستشرقين بأن واحداً بالمائة فقط من الأحاديث المدونة في الكتب الصحيحة يمكن نسبتها لرسول الله ﷺ. ولعله من الأمور المثيرة للعجب والسخرية معاً أن يصدر مثل هذا الإتهام عن المستشرقين وبخاصة النصارى الذين لم يلتزموا أي منهج علمي، ولم يلتزموا أي قدر من الدقة أو الأمانة العلمية عند جمعهم لأقوال السيد المسيح، ولم نجد لهم علوماً للنظر في الأقوال الواردة عن السيد المسيح عليه السلام، ولا كتباً في البحث عن سير الرواة، ولا كتباً تبحث عن تأويل الأقوال الواردة عن عيسى وهي تعج بالمغالطات والتناقضات الظاهرة بحيث يتعذر الجمع بينها كما رأينا ذلك في الباب الخاص بجمع الأناجيل. ورغم أن تلك الأناجيل ـ كما اتضح لنا ـ لا تقوم على سند يصلها بصاحب الرسالة الحقيقي، عيسى بن مريم عليه السلام، ورغم أن متون الأناجيل متناقضة إلا أن النصارى بنوا على هذا المتن الذي لا يقوم على سند، والمتناقض في حد ذاته مبادىء وأسساً أقاموا عليها ديانتهم، كمبدأ الثالوث، ومبدأ الصلب، والخطيئة الأولى، واللاهوت الخلاصي، والكنائس، والقربان المقدس، والتعميد وتأييد روح القدس لآباء الكنائس وغيره.

أما مبدأ الثالوث فقد ساد عند بعض فرق النصارى بعد حادثة الصلب المزعومة، وبعد أن ادعت تلك الفرق أن سيدنا عيسى قد قام من الموت ثانية بعد صلبه وقتله ليصير إلهاً. ورأينا أن هذا القول قد تم الإتفاق عليه بصفة رسمية، وتبناه الإمبراطور قسطنطين وأوجب على أتباعه العمل به، وذلك بمؤتمر نيقية عام

٣٢٥م. ومما يدل على أنه كانت هناك فرق أخرى كثيرة تخالف هذا المبدأ، أن القائمين عليه قد اضطروا إلى عقد مؤتمر ثان في كالسيدون عام ٥٢١م ليؤكدوه ويعيدوا فرضه على جميع طوائف النصارى. ولقد استند مؤيدو مبدأ الثالوث على بعض الأقوال التي وردت في إنجيل يوحنا من أقوال منسوبة لعيسى حيث ادعى يوحنا أن السيد المسيح قد قال: (في البداية كانت الكلمة مع الإله، وكانت الكلمة هي الإله قبل أن يخلق الله العالم. وبواسطة الكلمة خلق الإله كل شيء.. الكلمة هي مصدر الحياة والنور الذي يقود العالم)(١). ولقد وردت في إنجيل يوحنا أقوال تتعارض مع هذا القول فلا نرى سبباً لاعتماد هذا القول واعتبار أن عيسى إلهاً بناء عليه، خاصة وأن بإنجيل يوحنا نفسه أقوال تؤكد بشرية عيسى، وتوضح أنه رسول وليس بإله، فقد ورد في إنجيل يوحنا قول منسوب لعيسى فيه: (إن التعاليم التي ألقيها عليكم ليست لي، لكنها آتيه من قبل الإله الذي أرسلني)(٢). وهناك قول آخر منسوب لعيسى أيضاً: (إنني أقول لكم الحق: إن الذي يستمع إلى كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني ستكون له الحياة الأبدية)(٣).

ولقد جاء في إنجيل مرقص أيضاً أن أحد المستمعين لمواعظ عيسى قد خاطب عيسى قائلاً له: أيها الخير، أو الصالح. فكانت إجابة عيسى كما أوردها إنجيل مرقص: (لماذا تدعونني بالخير، أو الصالح، إن هناك خيراً واحداً وهذا الخير هو الإله)(٤). ولقد جاء في إنجيل متّى أن عيسى عليه السلام قد قال: (لا كرامة لنبي في وطنه)(٥) وذلك بعد أن تمرد عليه مواطنو الناصرة ورفضوا قبول رسالته.

أما القول بأن عيسى هو إبن الإله فيناقض أقوالاً كثيرة منسوبة لعيسى تقول بخلاف ذلك. ومن أمثلة تلك الأقوال ما جاء في إنجيل يوحنا من قول منسوب

---

(١) يوحنا ١ : ١ ـ ٤.
(٢) يوحنا ٧ : ٦.
(٣) يوحنا ٥ : ٢٤.
(٤) مرقص ١١ : ١٨.
(٥) متى ١٣ : ٥٧.

لعيسى فيه: (هو أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[1]، ويناقض أيضاً ما جاء في إنجيل متى من قول منسوب لعيس: (لقد بورك صانعو السلام لأنهم أبناء الإله سَيُدْعَون)[2]، وقوله: (لتصيروا أبناء لأبيكم الذي في السموات)[3]. ويناقض أيضاً القول الوارد في إنجيل متى والمنسوب لعيسى حيث يدعي متّى أن عيسى قال: (لا تدعوا أحداً بأبي في هذه الأرض لأن أباكم واحد هو الذي في السموات)[4]. كما أن إنجيلي متّى ولوقا قد نسبا عيسى لإبراهيم الخليل عن طريق يوسف النجار زاعمين أن يوسف النجار والده، ولا يستقيم هذا مع كونه إبناً للإله.

وبالأناجيل أقوال أخرى منسوبة لعيسى تدل صراحة على أنه رسول وليس إلهاً ولا إبناً للإله، ولا يشترك مع الإله في اللاهوت، إذ يصرح في تلك الأقوال بأنه مرسل، وبأنه يعمل لإنجاز إرادة الله، من ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا منسوباً لعيسى عليه السلام: (إنني لا أستطيع أن أعمل شيئاً من قبل نفسي، وكل ما أسمعه أقضي وأحكم به لأني لا أطلب إنجاز إرادتي، ولكن أعمل لإنجاز إرادة الذي أرسلني)[5]. والأقوال التي وردت في الأناجيل على لسان عيسى والتي تدل على أن عيسى بشر، وأنه ليس إلهاً بل هو رسول من قبل الإله كثيرة جدًّا، من ذلك قوله: (إنني أُرسلت لخراف بني إسرائيل الضالة)[6]. ومنها قوله مخاطباً حوارييه: (إن الذي يتقبلكم يتقبلني، وإن الذي يتقبلني يتقبل الذي أرسلني)[7]، ومنها أن عيسى قد خرج مع بعض حوارييه إلى أن أتوا إلى مكان ما حيث قال لهم: «امكثوا لأنني سأتنحى قليلاً لأصلي»[8]. ومنها قول لوقا: (وتنحى عيسى

---

(١) يوحنا ٢٠: ١٧.
(٢) متى ٥: ٤٥.
(٣) متى ٥: ١٥.
(٤) متى ٢٣: ٩.
(٥) يوحنا ٥: ٣.
(٦) متى ١٥: ٢٤.
(٧) متى ١٠: ٤٠.
(٨) متى ٢٦: ٣٦.

إلى الخلاء ليصلي)[١]. ولقد قال بولس في رسالته للعبريين: (في أيام حياته الجسدية كان عيسى يصلي، ويدعو الإله، ويبكي متضرعاً بأن ينقذه من الموت، والإله استجاب له لأنه كان مطيعاً للإله وكان يخشاه)[٢]، بل أن بولس في رسالته لأهل تيموس خاطبهم قائلاً: (إن الإله هو الحي الذي لا يموت)[٣]. وهذا يناقض قوله بأن عيسى إله، ثم قوله أنه مات على الصليب. كما أن الأناجيل قد نسبت لعيسى عليه السلام أشياء لا يصح نسبتها لبشر عادي دون دليل، ناهيك عن إله خالق بزعمهم، إذ نجدهم وصفوه بالجهل، والغفلة، وزجر والدته وبالخوف والبكاء، والانصياع للموت في ذل وهوان. لقد ادعى أصحاب الأناجيل وغيرهم من النصارى ألوهية عيسى وبنوته للإله ثم نجد في الأناجيل أقوالاً تناقض ذلك تناقضاً واضحاً. فقد ورد في إنجيل مرقص أن عيسى نام نوماً عميقاً في إحدى رحلاته مع حوارييه، وهبت عاصفة قوية فلم يستيقظ إلا أن حوارييه أيقظوه بعد لأي. والقصة وردت في إنجيل مرقص كما يأتي: (كان عيسى مبحراً مع بعض حوارييه في مركب بالبحر فاستغرق في النوم فهبت عاصفة قوية، فأيقظه من كان معه قائلين له: أيها السيد استيقظ كادت العاصفة أن تهلكنا)[٤]. وقد ورد أيضاً في إنجيل متى أن عيسى كان جائعاً فأبصر شجرة تين فذهب إليها قاصداً الأكل من ثمارها، ولكنه لم يجد ثمرة واحدة فلعنها فسقطت الشجرة في الحال[٥]. وما أظن أن عيسى كان من الجهل بحيث لا يعرف الموسم الذي يثمر فيه التين رغم أن البلدة التي كان يعيش فيها كانت مليئة بأشجار التين.

ولقد ورد في إنجيل لوقا أن جمعاً غفيراً كان يحيط بعيسى فجاءت امرأة كانت تعاني من مرض استمر معها أعواماً ولمست عيسى في وسط الزحام فشفيت تماماً من مرضها. فسأل عيسى حوارييه عن الذي لمسه فأنكر الجميع أن أحدهم فعل ذلك فقال له بيتر: أيها السيد إن الحشد كثير حولك فلا شك أن أحدهم

---

(١) لوقا ٥: ١٦.

(٢) رسالة بولس للعبريين ٥: ٧.

(٣) رسالة بولس لأهل تيموس ١: ٦ ـ ١٦.

(٤) مرقص ٤: ٣٧، ٣٨.

(٥) متى ٢١: ١٨، ١٩.

أخطأ ولمسك. ولكن عيسى أجابه قائلاً: إنني أقول إن أحداً لمسني لأنني شعرت بأن قوة خرجت مني[1]. فكيف يستقيم أن يكون عيسى إلهاً وهو حسب هذه الرواية يجهل معرفة من لمسه، ولا يعرف أين ذهبت تلك القوة التي ذكرها بعد خروجها منه.

وهناك رواية في إنجيل يوحنا تنسب الكذب لعيسى عليه السلام حيث تقول الرواية: إن أخوة عيسى جاءوا إليه يوماً وسألوه أن يذهب معهم إلى إحدى الحفلات، لكن عيسى رفض الذهاب معهم قائلاً: (اذهبوا إني لا أريد الذهاب)، وعندما ذهب أخوته مشى عيسى خلفهم سرًّا لهذا الحفل[2]. بل إن يوحنا نسب سوء الخلق لعيسى في تصرفه مع والدته. فقد زعم يوحنا أن والدة عيسى كانت معه في حفل، وطلبت منه أن يسقي القوم فانتهرها قائلاً: أيتها المرأة ماذا تريدين مني؟ إن ساعتي لم تحن بعد[3]. بل إن هناك قصة أخرى وردت في هذا الخصوص كما جاء في إنجيل متى حيث قال متى في إنجيله: (... بينما كان عيسى يتحدث إلى الحشد الموجودين حوله إذ أتت إليه والدته ومعها أخوة عيسى فوقفوا خارج الحلبة وأرسلوا إليه رسولاً ليخبره بأنهم يريدون التحدث معه. فقال له الرسول: انظر إن والدتك وأخوتك قد حضروا للحديث معك. فأجاب عيسى قائلاً: من هي والدتي؟ ومن هم أخوتي؟ وأشار إلى حوارييه وقال بتهكم: هؤلاء هم والدتي وإخوتي)[4]. كما أن هناك قصة وردت في إنجيل يوحنا ونسبت لعيسى البكاء، وهذا بالطبع لا يتمشى مع ألوهيته المزعومة حيث قال يوحنا: (وعندما مات ابن لامرأة كانت تدعى مريم بكت عليه وتألمت، ولما رأى عيسى أنها تبكي وتنوح أخذته الشفقة عليها ورثى لحالها وبكى)[5]، فإن كان عيسى إلهاً حقًّا من إله حق كما زعم المؤتمرون في نيقية لما جاز أن يوصف بصفات البشر، ولما صحت نسبته ليوسف النجار حسب ما ورد في إنجيلي مرقص ومتى.

---

(١) لوقا ٤٤، ٤٥.
(٢) يوحنا ٧: ٨ ـ ١٠.
(٣) يوحنا ٢: ٤.
(٤) متى ١٢: ٤٦ ـ ٤٨.
(٥) يوحنا ١١: ٣٣ ـ ٣٥.

أما روح القدس فقد ألهه النصارى في مؤتمر نيقية وفي المؤتمرات التي تلت ذلك المؤتمر، وليس هناك دليل من الأناجيل على ألوهية روح القدس. أما الأقوال الموجودة في الأناجيل وفي أسفار العهد القديم خاصة سفر التكوين[1] الذي اعتمد عليه النصارى في تأليههم لروح القدس فقد فندها إسبنوزا، وعزى تأليه النصارى لروح القدس لعدم إدراكهم لمعاني الكلمات التي وردت عن السيد المسيح. ويرى اسبنوزا أن معنى كلمة روح بالعبرية يختلف عن معناها بالآرامية القديمة إذ أن كلمة الروح العبرية قد تعني الحياة، وقد تعني الروح، أو إسم الملاك الذي كان يتنزل بالوحي على الرسل، كما قد تعني الرياح الشديدة أيضاً. وقال إسبنوزا: إن الريح بمعنى الرياح هي التي كانت سائدة على الكون قبل بدء الخلق، وليس روح القدس كما زعم كتاب الأناجيل.

وحتى لو افترضنا أن العالم كان يخضع لروح أو ريح قبل بدء الخلق فهل في هذا دليل على ألوهية تلك الروح أو الريح أو سمها ما شئت؟ أليس من الأوفق أن نعتبر تلك الريح أو الروح مخلوقاً كسائر مخلوقات الله دون أن نضعها في مرتبة الإله؟

أما قصة الصلب فقد أشار كثير من العلماء أنها قصة مختلفة ودخيلة على إنجيل مرقص. كما أن الأناجيل الأخرى قد أوردت قصصاً متناقضة جدًّا حول هذه الحادثة مما يدل على اختلاط الأمر على كتاب الأناجيل. وقد رأينا طرفاً من ذلك عند الحديث عن تناقض متن الأناجيل.

أما مبدأ الخطيئة الأولى ومبدأ اللاهوت الخلاصي والمعابد التي قيل أنها تمثل جسد المسيح، وقصة العشاء الرباني، أو التعميد فهي مرتبطة بمسرحية الإله الذي جاء وفدى البشرية بموته على الصليب كما يزعمون. وكلها قصص واهية ومختلقة.

أما قصة الخطيئة الأولى والتي تمثلت ـ كما رأينا ـ في عصيان آدم لربه وأكله من الشجرة المحرمة فقد اقتبسها النصارى من أسفار العهد

---

(١) سفر التكوين ١ : ٣.

القديم[1]. وقد أشارت القصة لغواية حواء ثم من بعدها آدم وكيف هبطا من الجنة. ولقد بنى النصارى على تلك القصة مبدأ جعلوه ركيزة أساسية من ركائز المسيحية مدعين أن البشر قد توارثوا تلك الخطيئة عن آدم. ولقد ظهر ذلك أصلاً في كتابات أوغسطين، وتوماس الأكويني، وأمثالهما من الكتّاب. ورأينا كيف انتقد علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر هذا المبدأ باعتبار أن الإنسان خيّر ويجب أن يفيق وينظر إلى النواحي الخيّرة فيه بدلاً من أن ينظر إلى نفسه على أنه شرير ومذنب فقط. ومما يدلنا على أن تلك القصة شائعة عند بعض الفرق المسيحية دون الأخرى أن الطائفة التي كانت تسمى بالطائفة البلجيانية، وهي إحدى فرق المسيحية في القرن الخامس الميلادي، كانت لا تؤمن بمبدأ الخطيئة الأولى إطلاقاً وتعده فكرة دخيلة على المسيحية كما نقل لنا ذلك جونز في كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية» تحت عنوان الأرثوذكس والبدع الدينية. كما أن ربط بولس للجسد بالخطيئة أدى إلى ظهور كثير من الأفكار المتناقضة في المسيحية، وأدى إلى كثير من الخلاف والنزاع حول مسألة الروح والجسد وعلاقتهما بالذنب الموروث عن آدم، وهذا بدوره أدى إلى احتقار الجسد المادي ومحاولة التخلص منه عن طريق الزهد والرهبانية وخلافه.

أما القول بأن كل البشر كانوا تحت غضب الإله ولعنته بسبب الخطيئة الأولى حتى جاء اللاهوت الخلاصي وفداهم وأنقذهم من هذه الخطيئة فرأينا أنه قول متناقض حتى مع الأقوال الكثيرة الواردة في الأناجيل بهذا الخصوص. ولو افترضنا جدلاً أن الإله كان غاضباً على البشرية طيلة المدة التي سبقت مجيء عيسى المسيح ـ الذي ضحى بنفسه حسب زعمهم لتطهير البشرية من خطيئة آدم ـ فكيف يستطيع النصارى أن يفسروا لنا ما ورد في إنجيل لوقا من أن الإله كان يتحدث إلى خلقه عن طريق أنبيائه المقدسين[2]، وكيف يمكن أن يُعدّ الأنبياء السابقون لعيسى مقدسين كما ورد في هذا الإنجيل بالرغم من أنهم بشر، ويحملون أوزار الخطيئة الأولى، وأن الإله غاضب ـ بزعم النصارى ـ على البشرية

---

(١) سفر التكوين ٣: ١ ـ ٢٤.
(٢) لوقا ١: ٧٠.

جمعاء بسبب خطيئة آدم؟ وكيف يوحي الإله برسل لهداية البشر، ولا يخبرهم بتلك الخطيئة، ولا يعلمهم أنه غاضب عليهم بسبب خطيئة آدم حتى يتصرفوا ويحموا أنفسهم من الذنب؟ بل أن هناك قولاً وارداً في إنجيل متى منسوباً لعيسى ينفي فيه عن نفسه القدرة على مغفرة الذنوب، إذ يقول متى في إنجيله على لسان عيسى: «إن إبن الإنسان ـ ويقصد به نفسه ـ ليس له سلطان في هذه الدنيا لمغفرة الذنوب»[1]. فإن كان عيسى لا يستطيع مغفرة الذنوب وهو على قيد الحياة فكيف يعقل أن يغفر الذنوب بعد موته؟ وكيف يغفر الذنوب مَنْ صُلب ـ بزعمهم ـ وعذب وأهين؟ وكيف يخلصهم من الخطيئة وهو لم يستطع حتى أن يخلص نفسه ـ كما زعموا ـ من قبضة أعدائه عند اقتياده لخشبة الصلب؟ بل أن الصياح والتوجع والهلع الذي أبداه الشخص المصلوب ليدل دلالة واضحة على العجز التام حتى عن خلاص نفسه فأنى له خلاص العالم بأسره؟

أما القربان المقدس الذي زعم النصارى أن المسيح أمر به، فقد جاء في إنجيل مرقص أن المسيح لم يكن يأبه بالقرابين. وقد روى مرقص أن المسيح قال لحوارييه: «اذهبوا وتأملوا تلك الكلمات ومعانيها جيداً: إن الإله يريد منكم التراحم والتواد ولا يريد منكم تقديم القرابين له»[2].

أما قصة التعميد فمرتبطة بقصة الخطيئة الأولى ورأينا فيما سبق أن مبدأ الخطيئة الأولى لا يقوم على أساس ثابت وبالتالي تكون قصة التعميد أيضاً واهية ولا أساس لها من الصحة.

أما مغفرة آباء الكنيسة للذنوب فيبطله قول وارد في الأناجيل من أن عيسى قد صرح بأنه ليس له سلطان على مغفرة الذنوب في هذه الدنيا. فكيف يمكن لآباء الكنائس أن يدعو من الصلاحيات ما لا يملكه عيسى نفسه؟

ولقد رأينا عند حديثنا عن تأثر المسيحية بما سبقها من عقائد وثنية وفلسفات، أن هناك تشابهاً كبيراً بين المسيحية وبين تلك الفلسفات. ومما لا شك فيه أن المسيحية قد أخذت كثيراً من مبادئها وطقوسها عن هذه الفلسفات

---

(١) متى ٩: ٦.
(٢) مرقص ٩: ١٣.

خاصة وأن رجال الدين المسيحي لا يمانعون ـ كما رأينا ـ من إضافة أو حذف ما يتوهمون من أقوال السيد المسيح دون أدنى تردد. وبناء على ذلك نجد أن المسيحية قد تأثرت، بل اشتركت في كثير من المظاهر الخاصة بالفلسفات والعقائد التي سبقتها. نذكر من ذلك ما يلي:

١ ـ تأثرت المسيحية بمبدأ الزهد ومحاولة نبذ الجسد والإهتمام بالروحانيات وبمثاليات أفلاطون ومحاولته إيجاد الطريقة المثلى للإستعلاء على الجسد المادي وذلك من أجل الوصول بالإنسان للإندماج في الخير المطلق أو الإله. وقد ظهر لنا هذا التأثر واضحاً في معظم رسائل بولس التي كان يدعو فيها للتخلص من الجسد تمهيداً للوصول إلى الكمال المطلق عن طريق الفناء في جسد المسيح الإله الفادي والمنقذ والمخلص من الذنوب بزعمه. ولقد ظهر لنا تأثر المسيحية بالفلسفة الإفلاطونية في كتابات القديس أوغسطين أيضاً والذي كان يحارب الزواج ويعتبره عملاً خاطئاً وتكالباً على ملذات الجسد لا يليق بالمؤمنين. ومن أجل ذلك حرم الزواج على القساوسة والراهبات، ولايزال هذا التحريم سارياً في بعض الكنائس حتى يومنا هذا. بل أن تأثر أوغسطين بإفلاطون قد ظهر على أوضح ما يكون في الفترة الأخيرة من حياته عندما نادى بأن الخلاص من الذنب لا يكون إلا عن طريق الفناء في جسد المسيح المنقذ والمخلص ـ بزعمه ـ من الذنوب.

٢ ـ تأثر المسيحية بأسطورة الإنسان الذي قام بعد موته وصار إلهاً: ولعله من الملاحظ أن تلك الأسطورة كانت شائعة ومعروفة في مناطق كثيرة من العالم في ذلك الزمان. ففي اليونان سادت ديانة الأم العظيمة التي مات حبيبها وبعث ثانية فعبده الناس. بل قيل أنه عندما بُعث هذا الشخص مرة ثانية، بعث معه وفي نفس الوقت خلق كثيرون كانوا قد ماتوا قبله. ونرى نفس القصة تقريباً في إنجيل متى حيث أورد حكاية الصلب والموت والقيام قائلاً: (وفي الساعة الثالثة صرخ عيسى بصوت مرتفع: إلهي إلهي لماذا تخليت عني؟ وصرخ ثانية بنفس العبارات وبعدها فاضت روحه.. وانشقت القبور وبعث عيسى، وبعث معه كثير من الصالحين الذين كانوا قد ماتوا من قبل ودخلوا المدينة المقدسة أورشليم، ورآهم

كثير من الناس)[1]. نجد تلك الأسطورة أيضاً في ديانة ميثرا الذي كان بشراً ثم مات ودفن ولكنه ـ بزعمهم ـ عاد للحاية مرة أخرى وخرج من قبره فعبده الناس.

ونجد تلك الأسطورة أيضاً في الديانة البوذية، حيث نجد أن بوذا قد مات ودفن ولكنه شق قبره بقوة هائلة ـ حسب زعم البوذيين ـ وعاد للحياة مرة أخرى، ولذا عبده الناس.

ونجد تلك الأسطورة أيضاً عند قدماء المصريين. فعندما مات أوزوريس ودفن حزنت عليه الآلهة حزناً شديداً، فما كان منه إلا أن شق قبره وعاد مرة أخرى للحياة متحدياً الموت. ولذا عبده قدماء المصريين.

وكذلك نجد نفس الأسطورة في الديانة البابلية القديمة، فنراهم يزعمون أن ما يمسى بعلاً كان بشراً عاديًا قد مات ودفن ولكنه عاد للحياة من جديد في قوة عظيمة وصار إلهاً ولذا عبده الناس.

٣ ـ تأثر المسيحية بأسطورة الإله الذي قهر الشر وخلص أتباعه من الخطايا بموته وقيامه مرة ثانية: ولقد رأينا في الأبواب السابقة أن النصارى يعتقدون بأن المسيح قد مات ثم قام إلهاً ليقهر الشر الذي تسلل إلى العالم عن طريق خطيئة سيدنا آدم. ولقد جاء في رسالة بولس للعبريين ما ترجمته: (إن الخطيئة قد تسللت إلى العالم عن طريق رجل واحد، وأن تلك الخطيئة هي التي جلبت لنا الموت. إنها جلبت الموت لكل أحفاده.. وكما أن شخصاً واحداً هو آدم قد جلب الشر للعالم، فإن شخصاً واحداً هو المسيح قد جلب الخير والحياة للعالم.. إن رحمة الإله شملت العالم بعد موت المسيح)[2].

ونجد مثل هذا الزعم في ديانة الأم العظيمة أيضاً، إذ تروي الأسطورة أن البلاء قد نزل بالأرض بعد موت أتيس حبيب الأم العظيمة، فأصاب الناس الجدب ولكن بعد رجوع أيتس في صورة إله رُفع البلاء عن الناس وكست الأرض الخضرة وعم الخير البلاد.

---

(١) متى ٢٧: ٤٦ ـ ٥٣.

(٢) رسالة بولس للعبريين ٥: ١٢ ـ ٢١.

ونجد تلك الأسطورة أيضاً في ديانة ميثرا الذي كان يلقب بالمُخلِّص والمنقذ والذبيح والفادي.

ونجد تلك الأسطورة أيضاً في الديانة البوذية حيث يروي البوذيون أن بوذا قد قال: إنني أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة.

ونجد تلك الأسطورة في الديانة البرهمية أيضاً حيث يزعم البراهمة أن كريشنا إبن الإله براهما قد مات على الصليب ليخلص العالم من الخطيئة، وليفدي جميع العالمين.

ونجد تلك الأسطورة أيضاً في الديانة البابلية القديمة حيث يزعم البابليون أن تنفيذ حكم الإعدام على بعل كان كفارة لذنوب البشر.

٤ ـ تأثر المسيحية بالديانات القديمة في قصة اضطراب الكون لموت عيسى، كما زعمت الأناجيل السنوبتيكية: زعم البابليون أنه بتنفيذ حكم الإعدام على بعل اضطرب الكون، وعم الظلام، وزمجر الرعد، واضطرب الناس، وأضاء البرق، وبعدها قام بعل وعاد للحياة مع الربيع.

ونجد أن اضطراب الكون عند موت آلهتهم المزعومة وارد أيضاً في قصة عيسى عليه السلام. فقد ورد في إنجيل متى ما يلي: (وبعد تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وانشقت الصخور واضطرب الحاضرون وخافوا)[1].

وقال لوقا: (وفي الساعة الثانية عشر بعد موت عيسى توقفت الشمس، وعم الظلام لمدة ثلاث ساعات)[2].

٥ ـ تأثر المسيحية بأسطورة الإنبثاق عن الإله والحلول فيه ثانية: إعتمد النصارى قول يوحنا في إنجيله أن عيسى هو كلمة الإله، وأن كلمة الإله كانت مع الإله منذ الأزل، وكانت الكلمة هي الإله، واستنتجوا من ذلك بأن عيسى إله انبثق عن الإله. ولقد اعتمد مؤتمر نيقية في تأليه عيسى على أمثال هذه العبارات. وقرر المؤتمرون بأن عيسى (إله حق من إله حق).

---

(١) متى ٢٧: ٥١ ـ ٥٤.

(٢) لوقا ٢٣: ٤٤.

ولقد رأينا أن مثل هذه الأساطير كانت شائعة في الفلسفات الوثنية المعاصرة للمسيحية كالإفلاطونية الحديثة، نسبة لمؤسسها فيلسوف الإسكندرية أفلوطين، الذي زعم أن جميع الأشياء خلقت عن طريق الإنبثاق عن الإله، وأنها تحاول جاهدة الرجوع إلى أصلها لتفنى في الإله مرة أخرى. وهذا القول يشابه تماماً أقوال علماء مدارس اللاهوت المتطور في القرن العشرين، بل هو نفس قول أوغسطين الذي يعتد بأقواله كثير من علماء النصارى حيث قال: (لقد صار الإله إنساناً من أجل أن يصير الإنسان ربّاً).

ونجد مثل هذه الآراء الفلسفية الواهية في الديانة البرهمية أيضاً حيث يعتقد البراهمة أن كريشنا قد انبثق عن الإله براهما، وأن براهما كان موجوداً قبل الوجود، وهو إله الخير. ولقد انبثق إله آخر عن براهما هو إله الدمار والفناء.

٦ ـ تأثر المسيحية بأسطورة الصلب: لقد أوردت الأناجيل السنوبتيكية قصة صلب عيسى ـ كما زعموا ـ في كثير من الفقرات. قال لوقا في إنجيله: «اقتادوا عيسى لخشبة الصلب.. ومزقوا ثيابه.. وكان سادة اليهود واقفين هناك يرقبونه ويسخرون منه قائلين: إن كان يستطيع إنقاذ غيره فدعوه ينقذ نفسه اليوم، إنه المسيح الذي اختاره الإله.. وإن الجندي الذي كان يقوده للصلب أيضاً سخر منه وأعطاه كأساً من الخمر وقال: (الآن انقذ نفسك إن كنت ملكاً لليهود كما زعمت). وكتبت على خشبة الصلب فوق رأسه عبارة: (وهذا هو ملك اليهود)، وبعد ذلك نفذ الحكم على عيسى»[١].

وهذه الأسطورة مشابهة تماماً لأسطورة الإله كريشنا عند البراهمية حيث يروون نفس الأحداث قائلين: (إن كريشنا انبثق عن الإله براهما الذي كان موجوداً قبل الوجود حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق. وكريشنا هو الذي خلص بني الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء لهم). ومن ثم فإن البراهمة يصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب إنسان معلق.

وفي الديانة البابلية القديمة أيضاً نجد أن بعلاً قد أُقْتيد لتنفيذ حكم الإعدام

---

(١) لوقا ٢٣: ٣٥ ـ ٤٦.

عليه، وأوذي من قبل أعدائه. وكان مع بعل مذنب آخر حكم عليه بالإعدام أيضاً. وقد جرت العادة أن يُعفي كل عام عن شخص واحد حكم عليه بالموت. وقرر الوالي إعفاء بعل إلا أن الشعب ثار وطالب بإعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر، وهكذا كان الحال. وهذه القصة الأخيرة شبيهة بما ورد في إنجيل لوقا أيضاً حيث قال لوقا: «وكان مع عيسى قاتل يدعى باراباس محكوم عليه بالإعدام، ورشح الملك بابلوت عيسى ليعفي عنه حسب العادة المتبعة، وهي العفو عن مجرم واحد محكوم عليه بالإعدام في كل عام، ولكن اليهود الذين كانوا محتشدين هناك صاحوا: أعدم عيسى وأعف عن باراباس»[١].

لقد جاء في كتاب «النصرانية والإسلام»: (أن الديانة البوذية لا تشير إلى أي خالق سوى النرفانا، ومعناها الإطلاق الطبيعي أو المتسامي. ولم يدع بوذا يوماً أنه إله أو ابن إله، ولكن مبالغة أتباعه هي التي جعلت من بوذا إلهاً، ومن مذهبه الفلسفي والإصطلاحي ديناً. ثم ابتدع الكهنة الثالوث البوذي طبقاً للآتي:

١ ـ الإله الخالق أو النرفانا.

٢ ـ بوذا الإبن من العذارء مايا، الموكل بحساب الناس بعد البعث.

٣ ـ الروح القدس، وهو الذي حل على العذراء مايا فولدت بوذا.

وهكذا انحدرت الديانة البوذية من التوحيد إلى التثليث الذي ابتدعه أتباع بوذا)[٢].

فالديانة المسيحية في هذا الشأن هي أقرب الديانات شبهاً بالبوذية كما ذكر لنا ذلك جوشيا رويس في خاتمة كتابه المسمى «مشكلات المسيحية»، حيث عقد مقارنة بين المسيحية والبوذية ذكر فيها أقوالاً شبيهة بالأقوال التي نقلها لنا صاحب كتاب النصرانية والإسلام[٣].

٨ ـ تأثر المسيحية بقصة القربان المقدس: لقد وردت في الأناجيل قصة منسوبة لعيسى عليه السلام من أنه قد أخذ خبزاً وخمراً وناولهما لأصحابه عندما

---

(١) النصرانية والإسلام: ١٠٩.

(٢) النصرانية والإسلام: ١٠٩.

(٣) انظر الفصل الأخير من كتاب: The Problems of Christianity, Volum 1.

كان يأكل الوجبة الأخيرة التي تناولها قبل محاكمته قائلاً لهم: هذا دمي، وذلك عندما ناولهم الخمر، كما قال لهم: هذا جسدي، عندما ناولهم الخبز، وقال: إشربوا دمي وكلوا جسدي. ولذلك نجد أن النصارى يقيمون احتفالاً بهذه المناسبة كل عام، يأكلون فيه قطعة من الخبز ويشربون قدحاً من الخمر، ويسمون الخبز والخمر (بالعشاء الرباني).

ويعتقدون أن هذا العشاء الرباني يعطيهم قوة ويزيدهم إيماناً، ويتسبب في حياتهم الأبدية. جاء في إنجيل متى: (. . وبينما كانوا يتناولون وجبة العشاء أخذ عيسى قطعة من الخبز وحمد الإله وشكره ثم ناولها لحوارييه قائلاً: خذوا هذا وكلوه، إن هذا هو جسدي، ثم أخذ قدحاً من الخمر وحمد الإله كذلك وشكره ثم ناوله للحواريين وقال: خذوا هذا واشربوه. إنه دمي).

ونجد أن أصحاب ديانة الأم العظيمة أيضاً يحتفلون بيوم عودة الإله (أتيس) للحياة ويذبحون ثوراً ويتمرغون في دمه، بل ويشربون الدم لاعتقادهم بأن هذا سيعطيهم حيوية وقوة ويبعث فيهم الحياة، وذلك بفضل بركة الإله أتيس. كما أنهم يعتقدون أن هذه الأعمال سوف تساعدهم على غفران خطاياهم وإكسابهم الحياة الأبدية. وهذا يماثل تماماً زعم الأب بولس من أن تقديم المسيح لجسده ودمه فداء للبشرية قد كفر عن جميع البشر كل خطاياهم، وأن كل من يعمد باسمه سوف تكتب له الحياة الأبدية[(١)].

ونجد مثل ذلك أيضاً في الديانة الميثرية القديمة حيث يقام عشاء رباني مقدس كل عام في ذكرى الإله ميثرا احتفاءً به وتخليداً لذكراه.

رابعاً: محاولة تصحيح بعض المفاهيم التي قامت عليها المسيحية اعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لقد رأينا مما سبق تشابهاً كبيراً بين مبادىء المسيحة وطقوسها وبين الديانات والفلسفات الوثنية القديمة. ومما لا شك فيه أن تلك الفلسفات والديانات أقدم من المسيحية، وقد كانت منتشرة في فترة المسيحية الأولى،

---

(١) رسالة بولس لأهل روميا ٦: ١ ـ ٤.

ومازال بعضها مستمرًا حتى يومنا هذا كالبوذية والهندوسية وغيرهما مما يدل دلالة واضحة على أن المسيحية قد اقتبست من تلك الديانات.

ولقد رأينا أن المسيحية قد اعتمدت الأقوال الواردة في الأناجيل دون بحث أو تدقيق عن مصادرها، بل أنها ما كانت تمانع من اعتماد المتناقضات أو الأقوال التي تغاير أقوال صاحب الرسالة الأصلية مغايرة صريحة وواضحة.

ولقد رأينا أيضاً أن القائمين على أمر الديانة المسيحية لا يمانعون حتى اليوم من إضافة فقرات للإنجيل، ولا يعترضون على حذف فقرات منه. ورأينا أيضاً ما قام به النصارى في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٤م من تعديل بعض فقرات الإنجيل حتى يتوافق مع مطالب بعض التنظيمات النسائية بالولايات المتحدة الأمريكية.

كل هذه الوقائع تدل دلالة واضحة على أن إنجيل السيد المسيح الأصلي قد حُرِّف وبُدِّل، وأن المسيحية قد أخذت كثيراً من المبادىء والطقوس الوثنية، خاصة في موضوع العقائد، وأضافت ذلك إلى برامجها الخاصة. ولقد رأينا أن السنة النبوية الشريفة محفوظة ومصانة، كما أن القرآن الكريم محفوظ ومصان كما هو معروف. ولقد أورد صاحب كتاب «تاريخ توثيق نص القرآن» ما يلي في هذا الشأن: (ليس في الوجود كتاب سماوي وصل إلى ذروة التوثيق العليا كالقرآن الكريم الذي كتب على أصح أسلوب التدوين، وعلى أدق قواعد الضبط في مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي ظل ينتقل إلينا بطرق يعجز البشر عن مثلها لغيره: فلقد كان نقله بوسيلتين دائماً وأبداً: الحفظ في الصدور والرسم في السطور، متداولاً ليلاً ونهاراً على طول وعرض الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان.

وبهذا الشكل الرائع الذي لا نظير له في وجود البشر اكتسب نقل القرآن الكريم صفة التواتر الذي يفيد القطع واليقين الجازم في أن القرآن وصل إلينا من غير زيادة ولا نقصان. ونحن نقرؤه الآن بنفس الضبط والاتقان الذي كان يتسم بهما في حضرة رسول الله ﷺ في حين تلقيه وأدائه على حد سواء.

وما ذلك إلا من رعاية الله تبارك وتعالى لكلامه العظيم الذي استودعه في

مصاحف الأمة. قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]. فكان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم النعمة الكبرى التي أنعم الله بها سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية. فحفظ لها به إسلامها وعقيدتها وشريعتها وآدابها وأخلاقها ولغتها وحضارتها. ولولا حفظ القرآن الكريم لكانت الأمة العربية بل الأمة الإسلامية خبراً بعد أثر.. فهي محفوظة من الزوال بحفظ القرآن الكريم)[2].

وبما أن القرآن الكريم هو كلام الله المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا من الرسول ﷺ عن جبريل عن ربه جل وعلا، وبما أن الحديث النبوي الشريف هو قول النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وبما أن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أقوال تدل على حقائق المسيحية، وأصلها، وتبين العقائد الفاسدة فيها فإننا هنا إن شاءالله سنعمل على تصحيح بعض تلك العقائد الفاسدة متخذين من القرآن والسنة معياراً ضابطاً لأقوال النصارى في السيد المسيح ورسالته، فما وافق منها الكتاب والسنة حكمنا بصحته وإلا فهو من الأشياء التي حرفت أو وضعت زوراً وبهتاناً على لسان عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

والآية تخاطب اليهود والنصارى وتبين لهم أنهم ضلوا وطمسوا معالم الحق، فأرسل الله رسوله الكريم محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليوضح لهم الحق فلا عذر لهم والحق موجود. قال ابن كثير مفسراً للآيات: (يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه أرسل إليهم رسوله محمداً ﷺ خاتم النبيين الذي لا نبي بعده على فترة من الرسل، أي بعد مدة متطاولة ما بين إرساله عيسى ابن مريم.. وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) توثيق نص القرآن الكريم: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة المائدة: ١٩.

نبي». والمقصود أن الله بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل وطموس من السبل، وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به أتم والحاجة إليه أمر أعم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين.. وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمداً ﷺ فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء ولهذا قال تعالى: ﴿إن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ أي لئلا تحتجوا وتقولوا: ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر (فقد جاءكم بشير ونذير) يعني محمداً ﷺ ﴿والله على كل شيء قدير﴾. قال ابن جرير: معناه أني قادر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني)[1].

وقد رأينا من استعراضنا لقضية اعتماد أسفار العهد الجديد أن المؤتمرين في نيقية وفي المؤتمرات التي تلت مؤتمر نيقية قد أخفوا الأسباب التي من أجلها اعتمدوا أسفار العهد الجديد خاصة الأناجيل الأربعة، بينما الشواهد تدل على أنه كانت توجد بأيدي الناس في تلك الأزمان أناجيل كثيرة ومتعددة. بل رأينا كيف كان بطريق الإسكندرية وفرقته ـ بدعم من السلطات الحاكمة ـ يطاردون كل من لا يتفق معهم من النصارى ويتعرضون للكتب التي بأيديهم بالحرق والإتلاف. بل أن محاربة بطريق الإسكندرية ـ بمساندة السلطات الحاكمة ـ لفرقة أريوس رغم كثرة أتباعه تدل على أن الذي أُخذ به في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م هو رأي الأقلية وليس رأي الأغلبية. كما أن الأناجيل ظلت مخفية عن النصارى فترة طويلة من الزمان، ومكتوبة بخط اليد ومكتوبة بلغات أجنبية. بل إن عدم تورع القساوسة وأحبار النصارى عن حذف بعض العبارات وإضافة غيرها إلى الإنجيل فيه دليل كاف على أن الحق قد بُدّل وأخفي لأغراض سياسية وأهواء شخصية. ونحن هنا بصدد بيان ذلك إن شاءالله لقوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ١، ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) سورة النحل: ٦٤.

قال ابن كثير في تفسيره للآية: (قال تعالى لرسوله: إنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه)[١].

وقال الصابوني: (أي ما أنزلنا عليك القرآن يا محمد إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من الدين والأحكام، لتقوم الحجة عليهم «وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» أي وأنزلنا القرآن هداية للقلوب ورحمة وشفاء لمن آمن به)[٢].

وقد رأينا كثيراً من أوجه الخلاف بين النصارى فيما يتعلق بأمور دينهم خاصة في مسائل العقائد والإلهيات. فاختلف النصارى فيما بينهم في مسألة الثالوث وصلة هؤلاء الآلهة المزعومين بعضهم ببعض. ورأينا أن الخلافات كانت مستمرة رغم أن المؤتمرات ظلت تعقد من وقت لآخر لوضع حد لها. ورأينا أن المبدأ الذي وافق هوى السلطان هو الذي ساد.

ونحن كمسلمين نعلم أن دين الله واحد وأن الدين عند الله الإسلام، وأن جميع رسل الله قد أرسلوا ليبينوا ويثبتوا هذا الدين الواحد الذي هو الإسلام قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٣]. يقول ابن كثير في تفسيره للآية: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك). فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهو: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٤] الآية. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٥]. وفي الحديث: (نحن

---

(١) تفسير ابن كثير ٢، ٣٣٦.

(٢) صفوة التفاسير ٢، ١٣٢.

(٣) سورة الشورى: ١٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٧.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٥.

معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد)، أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله جل جلاله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾. وقال تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الإفتراق والإختلاف)[1].

ونحن كمسلمين نعلم أن عيسى ابن مريم نبي مرسل لبني إسرائيل تصحيحاً لعقائدهم الفاسدة لأن سنة الله جرت في الخلق أن يرسل الرسل لبني آدم. وكلما ضلوا عن الطريق القويم يرسل إليهم رسولاً آخر ليردهم إلى جادة الصواب ثانية. واستمر الحال كذلك إلى أن جاء محمد ﷺ وختمت به الرسالات السماوية. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾[3].

قال صاحب صفوة التفاسير في تلك الآيات: (أي أنزلنا التوراة على موسى فيها بيان واضح ونور ساطع يكشف ما اشتبه من الأحكام ليحكم بها النبيون الذين أسلموا، أي يحكم بالتوراة أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لحكم الله.. يحكمون بالتوراة لليهود ولا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها والربانيون والأحبار أي العلماء منهم والفقهاء.. لسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه من التحريف والتضييع ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أي رقباء لئلا يبدل ويغيّر ﴿فلا تخشوا

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧٢.
(٢) سورة المائدة: ٤٤.
(٣) سورة المائدة: ٤٦ ـ ٤٨.

الناس واخشون﴾ أي لا تخافوا يا علماء اليهود الناس في إظهار ما عندكم من بعث محمد ﷺ بل خافوا مني في كتمان ذلك ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ أي لا تستبدلوا بآياتي حطام الدنيا الفاني من الرشوة والجاه والعرض الخسيس.. ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ أي اتبعنا على آثار النبيين بعيسى ابن مريم وأرسلناه عقبهم مصدقاً لما تقدمه من التوراة.. وأنزلنا عليه الإنجيل فيه هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات ﴿ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ أي معترفاً بأنها من عند الله والتكرير لزيادة التقرير.. ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ وأنزلنا إليك يا محمد القرآن بالعدل والصدق ولا ريب فيه.. مصدقاً للكتب السماوية التي سبقته ﴿ومهيمناً عليه﴾ أي مؤمناً عليه وحاكماً على ما قبله من الكتب. قال الزمخشري: أي رقيباً على سائر الكتب (أنه يشهد لها بالصحة والثبات)[1]. قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ومهيمناً عليه﴾: (قال ابن عباس: أي مؤتمناً عليه، وعنه أيضاً المهيمن الأمين قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله. وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل. وعن الوالي عن ابن عباس ﴿ومهيمناً﴾ أي شهيداً، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي.. وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن إسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى: ﴿إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2].

ونحن نعلم من القرآن الكريم أنه كان للنصارى كتاب ثابت منزل من عند الله تعالى إلا أنهم تفرقوا واختلفوا بعد رفع السيد المسيح، اختلفوا في رسالته وحقيقة أمره. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

---

(١) صفوة التفاسير ١/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٣، ٥٢٤.

﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

قال ابن كثير في هذه الآيات: (.. يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعدما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافاً كبيراً كما جاء في الحديث المروي من طرق (أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قال: من هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2] ولهذا قال: (حنفاء) أي محنفين من الشرك إلى التوحيد كقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[3][4].

أما مسألة الإيمان بوجود ثلاثة آلهة كما يدعي النصارى فهو قول باطل لوجود آيات كثيرة وردت في القرآن الكريم تنفي الشركاء عن الله سبحانه وتعالى. نذكر منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾[6]. أما القول بأنهم ثلاثة أقانيم من مادة واحدة وطبيعة واحدة فلا يتوافق مع قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾[7] فهو الفرد الصمد الذي لا نظير ولا مثيل له. فلا يعقل أن يكون هناك ثلاثة آلهة متماثلة من مادة واحدة.

والقول بأن الإله تجسّد في صورة إنسان، أو الزعم القائل بأن الإله جاء وصار جسداً، لا يتوافق مع مبدأ التوحيد الذي جاء به الدين ونزل به الوحي لكل

---

(١) سورة البينة: ٤، ٥.
(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.
(٣) سورة النحل: ٣٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧١.
(٥) سورة المائدة: ٧٣.
(٦) سورة الأنعام: ١٩.
(٧) سورة الشورى: ١١.

الرسل، ولا يتوافق مع تنزيه الله جل وعلا. بل فيه تشبيه للخالق بالمخلوق مما يتنافى مع تنزيه الله سبحانه وتعالى.

والقول بأن عيسى إله، هو قول باطل كذلك لأن الله تعالى نزه نفسه عن الشريك، وهو الواحد الأحد. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[1]. ولقد ورد في الأناجيل كما رأينا سابقاً أن عيسى نام نوماً عميقاً وهبت عاصفة قوية ولم توقظه بزعم أصحاب الأناجيل. فكيف يكون إلهاً؟ ورأينا في الآية السابقة في صفات الله أنه لا تأخذه سنة ناهيك عن النوم العميق.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس لهذا قال (ولا نوم) لأنه أقوى من السنة. وفي الصحيح عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[2]. والله سبحانه وتعالى يقول في شأن عيسى ابن مريم: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ فيه دلالة واضحة على أن عيسى وأمه كانا من البشر يحتاجان إلى الغذاء ليبقيا على قيد الحياة كسائر المخلوقات الأخرى التي تعتمد في بقائها على الغذاء. وهذا رد على فرق النصارى التي كانت تقول بأن مريم إلهة كذلك.

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[4]. هذه الآية تهدم جميع الأقوال التي جاءت حول مسألة التثليث، وتبطل حجج جميع

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٠.
(٣) سورة المائدة: ٧٥.
(٤) سورة المائدة: ٧٣.

فرق النصارى كطائفة المريمانية التي كانت تزعم بأن مريم إلهة وهي تكوّن مع الإله الأب وعيسى ثلاثة آلهة، وكالفرق التي تدعي بأن هناك ثلاثة آلهة (الأب، الإبن، الروح القدس) متحدين لأنهم منبثقين عن مادة واحدة وغير ذلك من الفرق الضالة. يقول الله تعالى أيضاً في شأن عيسى ابن مريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[١].

وهذه الآيات جميعها نزلت في فرق النصارى. قال ابن كثير: (يقول الله تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى كمن قال منهم بأن المسيح هو الله ـ تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًّا كبيراً ـ. هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبدالله ورسوله كان أول حكمة نطق بها وهو صغير في المهد إذ قال: ﴿إني عبدالله﴾ ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله بل قال: ﴿إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا﴾[٢]. كذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾[٣]. ﴿إنه من يشرك بالله﴾ أي فيعبد معه غيره ﴿فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[٤].

ويمكننا أن نقول أن الزعم الذي أكده مؤتمر نيقية من أن الله ثالث ثلاثة كفر بالله سبحانه وتعالى. ويمكننا أن نقول أن أي أقوال وردت في الأناجيل منسوبة لعيسى يقر فيها بألوهية الله وحده هي الأقوال الصحيحة، أما الأقوال التي تدل على غير ذلك فهي أقوال وضعت كذباً على لسان عيسى عليه السلام. ومن أمثلة الأقوال التي مازالت موجودة بالأناجيل والتي تقر بوحدانية الله ما يلي:

جاء في إنجيل متى: (أراد الشيطان أن يغري عيسى فرفعه عالياً وأراه جميع ممالك العالم وقال له: سأعطيك كل هذا إن سجدت لي، فقال عيسى: إذهب أيها الشيطان فإن الإله قد كتب: للإله ربك تسجد والإله وحده

---

(١) سورة المائدة: ٧٢.
(٢) سورة مريم: ٣٠.
(٣) سورة المائدة: ٧٢.
(٤) تفسير ابن كثير ١/٥٣٦، ٥٣٧.

تعبد)[١]. وورد أيضاً في إنجيل لوقا أن عيسى قال لرجل وصفه بالخير: (لا تدعوني بالخير فإن الخير المطلق للإله وحده)[٢]. وجاء في إنجيل متّى أيضاً: (لا يستطيع أحد أن يعبد ربين)[٣].

أما كلمة أبي الواردة في الأناجيل والمنسوبة لعيسى باعتبار أن الأب هو الله فربما تكون قد حرفت عن كلمة ربي. ولقد رأينا قول اسبنوزا أن النصارى أساءوا فهم كلمة ريح ظنًّا منهم أنها تعني روح القدس الذي ألهوه وعبدوه باعتبار أنه كان مع الله منذ الأزل.

ولقد ورد في إنجيل متى قول منسوب لعيسى ما ترجمته: (لا تدعوا أحداً بأبي في الأرض لأن أباكم واحد وهو الذي في السموات)[٤]. وقول آخر منسوب له في نفس الإنجيل: (إن كل من يعمل بمشيئة الإله الذي في السموات هو أخي وأختي)[٥]. وفي موضع آخر من نفس الإنجيل: (ليس كل من يقول: يا رب. يا رب، يدخل مملكة الرب أو ملكوت السموات، بل الذي يعمل بإرادة أبي الذي في السموات)[٦]. وفي موضع آخر: (إذا صليت ادخل دارك وصل إلى أبيك في السر فإن أباك هو وحده الذي يضطلع على السر، وهو الذي يجزيك)[٧]. ويقول في موضع آخر: (إن غفرتم خطايا الناس يغفر لكم أبوكم الذي في السموات خطاياكم)[٨].

وجاء في إنجيل لوقا: (إذا صليتم فقولوا: أيها الأب تقدس إسمك)[٩].

وجاء في إنجيل يوحنا: (إن الأعمال التي أعملها تشهد بأن الأب قد

---

(١) متى: ٦ ـ ١٠.
(٢) لوقا: ١٨ ـ ١٩.
(٣) متى ٦: ٢٤.
(٤) متى ٢٣: ٩.
(٥) متى ١٢: ٥٠.
(٦) متى ٧: ٢١.
(٧) متى ٦: ٦ ـ ٦.
(٨) متى ٦: ١٤.
(٩) لوقا ١١: ٢.

أرسلني)[1].

وجاء في نفس الإنجيل أيضاً: (إنني لا أقول شيئاً من عندي بل كما علمني الأب أفعل)[2]. وجاء أيضاً: (إن هذه الأقوال ليست لي، بل للأب الذي أرسلني)[3].

كل هذه العبارات تدل دلالة واحضة على أن المقصود بالأب هو الرب (الله) الواحد، ولذا ربما تصح نسبتها لعيسى عليه السلام بعد حمل كلمة أب على أنها تعني الله وذلك لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾[4]. وهذا هو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى هو رب المسيح وربهم، والمسيح عليه السلام لم يدعو الناس إلا لعبادة الله وحده، ولم يقل إلا (ربي وربكم). والأقوال الواردة في معظم الأناجيل تشير كذلك إلى أن عيسى لم يقل إن الإله أبوه وحده، بل قال ـ كما يدّعون ـ (أبي وأبيكم) أي (ربي وربكم) وبهذا يبطل الزعم الوارد بإنجيل يوحنا والقائل بأن عيسى هو ابن الإله الوحيد، حيث جاء في ذلك الإنجيل ما ترجمته: (إن الإله أرسل للعالم إبنه الوحيد)[5].

والقرآن الكريم يوضح أن عيسى ابن مريم كان رسولاً ولم يكن إلهاً. قال تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾[6]. لذا فإن أي قول ورد في الأناجيل يخبرنا بأن عيسى رسول الله هو قول صحيح وما عداه فهو قول باطل. ومن أمثلة الأقوال الصحيحة في هذا الشأن ما ورد في إنجيل لوقا من أن عيسى عليه السلام قد قال لحوارييه ما ترجمته: (أنه ينبغي أن أبشر المدن الأخرى بملكوت الإله لأني لهذا أرسلت)[7]. وجاء في إنجيل يوحنا ما ترجمته:

---

(١) يوحنا ١٤ : ٢٤.
(٢) يوحنا ٥ : ٣٠.
(٣) يوحنا ٧ : ١٦.
(٤) سورة المائدة: ٧٢.
(٥) يوحنا ٣ : ١٦.
(٦) سورة المائدة: ٧٥.
(٧) لوقا ٤ : ٤٣.

(الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني ستكون له الحياة الأبدية)[1]. وقال في موضع آخر: (إن الأعمال التي أعملها تشهد بأن الأب قد أرسلني)[2]. وقال في موضع آخر: (.. أن تؤمنوا بالذي أرسلني)[3].

وقال في موضع آخر: (إن الكلام الذي أقوله لكم ليس لي، بل للذي أرسلني)[4].

وعيسى ابن مريم عليه السلام ليس رسولاً عالميًا بل رسول خاص ببني إسرائيل، أرسله الله تعالى إليهم خاصة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾[5].

قال ابن كثير: (فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين)[6]. وعليه فكل ما ورد في الإناجيل من قول يدل على أن رسالة عيسى خاصة ببني إسرائيل والقبائل والأمم الإسرائيلية التي كانت منقسمة ومتفرقة في تلك الأزمان، هو قول صحيح وما عدا ذلك فهو باطل.

ومثال ذلك ما جاء في إنجيل متى من قول منسوب لعيسى ابن مريم مخاطباً حوارييه: (في طريق أمم لا تمضوا وفي مدن السامريين لا تدخلوا بل اذهبوا إلى بيت إسرائيل الضال)[7]. وجاء أيضاً في نفس الإنجيل: (إني لم أرسل إلا إلى بيت إسرائيل الضال)[8].

---

(١) يوحنا: ٥: ٢٤.
(٢) يوحنا ٦: ٢٧.
(٣) يوحنا ٦: ٢٩.
(٤) يوحنا ٧: ١٦.
(٥) سورة الصف: ٦.
(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٣.
(٧) متى ١٠ ـ ٥ ـ ٧.
(٨) متى ١٥: ٢٤.

أما الأقوال التي ورد فيها ذكر مجيء ابن الإنسان بعد عيسى عليه السلام ـ كما هو الحال في الأناجيل السنوبتيكية ـ فهي تشير في حقيقة الأمر إلى قرب مجيء محمد ﷺ، كما أن كل قول ورد فيه قرب مجيء الفارقليط ـ روح الحق الذي لا ينطق من عند نفسه ـ هو إشارة إلى مجيء محمد ﷺ، وإن كانت كلمة الفارقليط التي تعني بالآرامية الحمد أو أحمد قد بدّلت بكلمة المساعد أو المعزي في بعض نسخ الأناجيل[١].

أما القول بأن عيسى قد أشار بذلك إلى مجيئه مرة ثانية بعد صلبة وموته فهو قول باطل، لأن عيسى قد ذكر في الأناجيل السنوبتيكية بأن ابن الإنسان المشار إليه هو شخصية أخرى مغايرة لعيسى تماماً.

ولقد جاء في إنجيل متى قول منسوب لعيسى ما ترجمته: (إن علامات مجيء ابن الإنسان ستظهر في الأفق.. إنه سيأتي في سحب، في قوة وعظمة، وسيرسل جنوده لأركان الأرض وهم سيجمعون أمته المختارة من كل أطراف الأرض، فتيقظوا، ترقبوه لأن ابن الإنسان سيأتي في ساعة لا تدرون متى تكون)[٢].

وجاء في إنجيل يوحنا قول عيسى للمرأة السامرية: (إنه سيأتي الوقت الذي سيعبد فيه الإله في غير هذا المكان (أورشليم). إنه الوقت الذي ستعمل فيه القوة الإلهية. إن عباد الله الحقيقيين سيأتون، وسيعبدون الأب حق عبادته، وسيقدمون له العبادة الحقة التي ارتضاها هو لنفسه)[٣]. ولقد ورد في إنجيل يوحنا أيضاً قول منسوب لعيسى ترجمته: (إنني سأسأل الأب، وأنه سيعطيكم معزياً آخر وهو سيمكث معكم إلى الأبد، إنه روح الحق الذي سيوحي إليه بالحقيقة التامة عن الإله. إن الناس لن يتقبلوه لأنهم لا يرونه ولا يعرفونه.. إن المعزي (الفارقليط) الذي سيرسله الأب بإسمي سيعلمكم بكل شيء وسيذكركم بكل ما قلته لكم)[٤].

---

(١) النصرانية والإسلام ٨٨.

(٢) متى ٢٤: ٣٠ ـ ٤٣.

(٣) يوحنا ٤ : ٢١ ـ ٢٤.

(٤) يوحنا ١٤ : ١٥ ـ ١٧.

والفارقليط هو الحمّاد أو كثير الحمد أو محمود أو أحمد وكلها من صفات رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

وأما الأقوال الواردة في بعض الأناجيل من أن عيسى كان عاقًا لوالدته ومنكراً لها فهي أقوال لا تتمشى مع قوله تعالى على لسان عيسى ابن مريم في القرآن الكريم: ﴿وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيًا﴾[1].

أما الأقوال التي تدعي بأن عيسى كان مع الله منذ الأزل وبأنه مولود من الله غير مخلوق، فهي أقوال باطلة تدل على سوء الفهم لحكمة الله التي ألقاها سبحانه وتعالى إلى مريم في كلمة (كن) التي يخلق بها الله كل شيء. فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾[2].

يقول ابن كثير في تفسيره للآيات: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد أغلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً ولهذا قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[3]. وقال الإمام أحمد عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله، وهكذا رواه البخاري عن الزهري به ولفظه: فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله.

---

(١) سورة مريم: ٣٢.

(٢) سورة النساء: ١٧١، ١٧٢.

(٣) سورة التوبة: ٣١.

وقال الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد. يا سيدنا ويا ابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان: أنا محمد بن عبدالله، عبدالله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل.. وقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًّا كبيراً، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته.. فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم) أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل.. والجميع مخلوق لله عز وجل، ولهذا قيل عن عيسى كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشيء من الكلمة التي قال له بها: كن. فكان.

وقال قتادة: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ هو كقوله: ﴿كن فيكون﴾. وقال ابن أبي حاتم في قول الله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ قال: ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى[١].

وهذا الجواب الأخير مفحم لكل من يقول بأن الكلمة جاءت وصارت جسداً (أي عيسى).

وعقب ابن كثير على هذا بقوله: (.. الصحيح أنها الكلمة التي جاء جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام.. وقوله في الآية: ﴿وروح منه﴾ كقوله: ﴿سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾[٢] أي من خلقه ومن عنده وليست (من) للتبعيض، كما تقول النصارى بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى. قال مجاهد: ﴿وروح منه﴾ أي رسول منه.. إنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله عز وجل على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿هذه ناقة الله﴾[٣] وفي قوله: ﴿طهرا بيتي

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٨.

(٢) سورة الجاثية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف: ٧٣.

للطائفين﴾[1]. وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد)[2].

أما مقالة النصارى بأن روح القدس إله فهي مقالة فاسدة لأن روح القدس كما جاء بذلك القرآن الكريم هو الملك جبريل عليه السلام، وهو الذي يتنزل بالوحي من الله سبحانه وتعالى على رسله، وهو الملقب في القرآن الكريم: بالروح الأمين، وبالروح، وبروح القدس. قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا﴾[4].

وقال تعالى في شأن عيسى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾[5].

وقال تعالى أيضاً: ﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس﴾[6].

جاء في صفوة التفاسير في قوله تعالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾: أي قويناه وشددنا أزره بجبريل عليه السلام[7].

وقال ابن كثير في نفس الآية: والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية ما رواه البخاري عن أبي هريرة وعن عائشة أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك. وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لحسان: (أهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك). وفي شعر حسان قوله:

---

(١) سورة الحج: ٢٦.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٦٨.
(٣) سورة الشعراء: ١٩٣، ١٩٤.
(٤) سورة النحل: ١٠٢.
(٥) سورة البقرة: ٨٧.
(٦) سورة المائدة: ١١٠.
(٧) صفوة التفاسير: ١/ ٧٧.

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس به خفاء

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (إن روح القدس نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب)[1].

وبناء على هذه الآيات والأحاديث الواردة في التفاسير فإن أي كلمة في الإنجيل أشارت إلى (الروح) أو (روح الإله) أو (روح القدس)، فهي تعني في حقيقة الأمر جبريل عليه السلام، وهي لا تعني على الإطلاق أن جبريل عليه السلام إله أو منبثق عن الإله، بل تعني أنه ملك مقرب لله تعالى يتنزل بالوحي على رسله.

ولقد ورد في بعض الأناجيل أيضاً ما يؤيد ذلك:

جاء في إنجيل متى أن يوسف النجار عندما علم بأن مريم العذراء قد أصبحت حبلى قرر أن يتزوجها بناء على تشجيع الرب وطمأنته له. وفيما يلي نص القول الوارد في الإنجيل: (.. قال الرب: لا تخف وتزوج مريم لأنها بواسطة الروح القدس حملت، إنها ستضع غلاماً وستسمونه عيسى وإنه سيحمي أمته من الخطيئة)[2].

وجاء في إنجيل متى قول منسوب لعيسى عليه السلام يدفع فيه عن نفسه تهمة الكذب عندما اتهمه اليهود بأنه كاذب وأن الجن تساعده، فقال عيسى حسب ما أورد متى: (إنه ليس الجن الذي يؤيدني، بل هو روح الإله وهو الذي يعطيني القوة)[3].

وروح القدس أو روح الإله المشار إليه في القول أعلاه هو جبريل عليه السلام الذي كان يدعم عيسى ويؤيده، وأي قول ورد في الأناجيل يدعي خلاف ذلك فهو قول باطل مردود لا شك في ذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٨.

(٢) متى ١: ٢٠: ٢١.

(٣) متى ٢٢: ٢٣.

أما بخصوص القصص التي وردت في بعض الأناجيل وبها مسرحية الصلب المزعومة فهي قصص باطلة لا أساس لها من الصحة، وحقيقة الأمر كما أوردها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم تظهر في هذه الاية: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[1].

جاء في صفوة التفاسير تعليقاً على هذه الآية: (أي قتلنا الذي يزعم أنه رسول الله، وهذا إنما قالوه على سبيل التهكم والاستهزاء، وكقول فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾[2]... (وما قتلوه..) أي ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن قتلوا وصلبوا من ألقى عليه شبهه.

قال البيضاوي: روي أن رجلاً كان ينافق لعيسى، فخرج ليدل عليه، فألقى الله عليه شبهه، فأُخذ وصُلب وهم يظنون أنه عيسى ﴿وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه﴾. أي وأن الذين اختلفوا في شأن عيسى لفي شك من قتله. وروي أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فاختلفوا فقال بعضهم: هو عيسى. وقال بعضهم: ليس هو عيسى بل هو غيره. فأجمعوا أن شخصاً قد قتل واختلفوا من كان. ﴿وما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ أي مالهم بقتله علم حقيقي ولكنهم يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين، ونجاه الله من شرهم[3].

إذن فقصة المحاكمة والصلب وموت الرب وقيامه كلها أساطير مختلقة أضيفت للمسيحية مؤخراً. ومن الجدير بالذكر أن هذه القصة لا توجد في إنجيل مرقص وهو من أقدم الأناجيل. ولا نعني بذلك أن إنجيل مرقص صحيح ويمكن نسبته للسيد المسيح، لا نعني ذلك إطلاقاً ولكننا نرجح أن هذه الأقوال قد ألفت

---

(١) سورة النساء: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) سورة الشعراء: ٢٧.

(٣) صفوة التفاسير ٢/٣١٧.

مؤخراً وأضيفت للمسيحية لأسباب سياسية وغيرها.

أما مبدأ الخطيئة الأولى فهو مبدأ خاطىء لأن القرآن الكريم يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1]. فلا يحمل إنسان ذنب آخر، وكل نفس مسئولة عن عملها، قال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾[2].

وكما قال ابن كثير[3]: فكل إنسان مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[4].

أما قصة خطيئة آدم وما حدث بشأنها فقد وردت في القرآن الكريم كما يأتي: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[5].

قال الصابوني في تفسير هذه الآيات: (خالف آدم أمر ربه بالأكل من الشجرة فضل عن المطلوب الذي هو الخلود في الجنة.. ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ أي ثم اصطفاه ربه فقربه إليه وقبل توبته، وهداه إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب الطاعة ﴿وقال اهبطا﴾ أي قال الله لآدم وحواء انزلا من الجنة إلى الأرض مجتمعين، بعض ذريتكما لبعض عدو بسبب الكسب والمعاش واختلاف الطبائع والرغبات.

وقال الزمخشري: لما كان آدم وحواء أصلي البشر جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم، ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ أي فإن جاءتكم من جهتي الكتب والرسل لهدايتكم ﴿فمن اتبع﴾ أي فمن تمسك بشريعتي واتبع رسلي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة)[6].

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٤.
(٢) سورة الطور: ٢١.
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٠.
(٤) سورة المدثر: ٣٨.
(٥) سورة طه: ١٢١ ـ ١٢٣.
(٦) صفوة التفاسير ٢/ ٢٥٠.

أما قصة اللاهوت الخلاصي فهي قصة باطلة أيضاً. ولقد رأينا سابقاً فساد القول بأن عيسى إله. وقصة اللاهوت الخلاصي تتركز حول الإله الذي جاء ـ بزعمهم ـ ليخلص البشر من خطيئة آدم التي يعتبرها النصارى أصل الشر وأصل البلاء في هذا العالم ويحيكون حولها الأساطير. وحقيقة القصة ـ كما هو معروف من القرآن الكريم ـ أن سيدنا آدم قد عصى ربه عندما أكل من الشجرة المحرمة، ولكنه تاب فتاب الله عليه. فالموضوع بالتالي لا يستدعي كل هذه الأساطير والخزعبلات التي يرويها النصارى، من محاكمة للرب، وإهانته، وموته على الصليب، وحلوله في البشر وغيره.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. واللاهوت الخلاصي ـ كما رأينا ـ يتركز حول قصة الإله الذي مات، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه في القرآن الكريم: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (الحي القيوم: أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً، القيم لغيره)[2].

وقال الصابوني: (الحي ذو الحياة الكاملة، ومعناه الباقي الدائم الذي لا سبيل للفناء عليه.. هو الله جل جلاله الواحد الأحد الفرد الصمد ذو الحياة الكاملة الباقي الدائم الذي لا يموت، القائم على تدبير شئون الخلق بالرعاية والحفظ والتدبير)[3].

أما أن يغفر الإله ذنوب البشر بواسطة سكب دمه على الصليب فزعم سخيف، باطل، لا يتوافق مع العقل السليم أو المنطق، فالله سبحانه وتعالى قد طلب منا الإستغفار لذنوبنا ليغفرها لنا قال تعالى: ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٠.
(٣) صفوة التفاسير ١/ ١٦٢.
(٤) سورة آل عمران: ١٣٥.

يشاء﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾[6].

وهناك آيات كثيرة بالقرآن الكريم تبين أن المغفرة تكون بالإيمان بالله، ونبذ الشرك وبطاعة الله ورسله، وبالإيمان بكل ما أنزل الله، وبالعمل الصالح، وبالدعاء. فالله كامل وقادر على مغفرة الذنوب دون احتياج لتلك المسرحية الهزيلة التي وضعها النصارى، والتي تدّعي تقمص الإله لأجساد البشر ووقوعه في الأسر على أيديهم وصلبه وموته وقيامه وهروبه.. وخاتمة المسرحية أسخف من بدايتها، فالإله ـ بزعمهم ـ بعد أن عُذب وأُهين وضُرب وصُلب قام في سر وخفاء وخوف، ولم يظهر إلا لعدد محدود من أتباعه، وذهب بعدها إلى المجهول، ولم يعقب حتى يومنا هذا. وهذه النهاية لعمري من أسخف ما رأيت في الفن المسرحي. فلو أن هؤلاء النصارى قد صوروا إلههم المزعوم في صورة من تحدي خصومه وقام وظهر للعيان في قوة وعظمة وجبروت لكانت خاتمة معقولة لهذه المسرحية الساذجة تعالى الله عما يدّعون علوًّا كبيراً.

أما قصة اعتبار المعابد (الكنائس) جسداً للمسيح المخلص، ثم شركهم بالله وتعبدهم للأوثان بداخلها فتدل على أن هذه المعابد ليست من بيوت الله.

---

(١) سورة النساء: ٤٨.
(٢) سورة إبراهيم: ١٠.
(٣) سورة طه: ٧٣.
(٤) سورة النور: ٢٢.
(٥) سورة الأحزاب: ٧١.
(٦) سورة الأحقاف: ٣١.

فالنصارى يشركون داخل معابدهم مع الله آلهة أخرى هي (المسيح وروح القدس) والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾[4].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً): (كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحده وحده. وقال عكرمة: أنزلت في المساحد كلها)[5].

وهذا يدلنا على أن المساجد هي بيوت لله سبحانه وتعالى، ولا يصح أن يعبد فيها أحد غيره، أما الكنائس وغيرها فلا تعتبر من بيوت الله لأنها أماكن يشرك فيها بالله ويعبد فيها غيره، وهي عادة ما تكون مكتظة بالصور والتماثيل والأصنام التي حرم الله تعالى عبادتها على الناس جميعاً.

أما قصة مغفرة القسس للذنوب فقصة باطلة لأننا علمنا أن الذنوب لا يغفرها إلا الله وحده. أما ادعاء النصارى بأن عيسى قد قال لهم: «كل ما تحلونه تحله السماء، وكل ما تحرمونه تحرمه السماء» فهو قول واه لا يقوم على بيّنة وليس له سند قائم. والله سبحانه وتعالى هو وحده غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾[6].

يقول الصابوني في تفسيره للآية: (ومن يغفر.. إستفهام بمعنى النفي، أي لا يغفر الذنوب إلا الله)[7].

---

(١) سورة الجن: ١٨.
(٢) سورة الشعراء: ٢١٣.
(٣) سورة القصص: ٨٨.
(٤) سورة الأنعام: ٥٦.
(٥) تفسير ابن كثير ٣/٥٥٩.
(٦) سورة آل عمران: ١٣٥.
(٧) صفوة التفاسير ١/٢٣١.

قال ابن كثير: (ومن يغفر.. أي لا يغفرها أحد سواه)[1].

أما قصة التعميد التي وردت في الأناجيل والتي استدل بها النصارى على ضرورة تعميد الأطفال لتبرئتهم من ذنب آدم الذي ورثوه عنه فهي قصة مختلقة، وقد أبطلنا أيضاً قصة الخطيئة الأولى من القرآن الكريم كما رأينا من قبل. جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمجِّسانه). هذه هي الحقيقة وهذا هو الواقع الذي يتمشى مع العقل والمنطق، فلا يعقل أن يخطىء إنسان ما ثم تُحمّل ذريته عنه الخطيئة، ويستمر الحال كذلك إلى أن يجيء إنسان آخر من سلالته في آخر الزمان ليغفر تلك الخطيئة عن طريق مسرحية لا يصدقها عقل ولا يتقبلها منطق.

مما سبق يتبين لنا أن العوامل السياسية والإجتماعية كان لها أثر قوي في تغيير وتبديل وتحريف إنجيل السيد المسيح، وأن رسالته التي أنزلها الله عليه لم تبق على صفائها ونقائها الأصليين كما جاء بها عيسى عليه السلام. ويعترف النصارى أنفسهم بهذا التبديل والتحريف، ولكنهم يدعون بأنهم إنما يُحسِّنُون رسالة المسيح ويطورونها، وقد نسوا أن كتب الله المنزلة لا تحتاج إلى جهد البشر لتحسينها وتطويرها وتجميلها. إن كتب الله التي تنزل بها الوحي على رسله أعلى وأسمى من أن يكون بها خلل أو نقص، والله سبحانه وتعالى أسمى وأعلى من أن يحتاج للبشر لإكمال شرعه وهو أدرى بخلقه، وأعلم بالطريقة المثلى لقيادتهم وهدايتهم عن طريق أنبيائه عليهم السلام.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٣١٨.

الخاتمـــة

لقد رأينا في الباب الأول من هذا الكتاب صوراً من الهجوم السافر الذي شنه المستشرقون على الإسلام. وقد تتبعنا شبهاتهم حول السنة النبوية الشريفة بالذات. ورأينا أن هجومهم قد انصب على شخص رسول الله ﷺ. فقد رأينا كيف هاجموا الرسول ﷺ واتهموه بأنه مدع للنبوة وبأنه كذاب، ووصفوه بصفات لا تليق بمقام نبوته من خداع وتدليس وغيرها. بل منهم من ادعى أن الرسول ﷺ قد نقل الوحي عن اليهود والنصارى، ومنهم من قال: إن محمداً لم يكن إلا قائداً حربيًا مظفراً. كل ذلك للتشكيك في صحة نبوته ﷺ وإبطالها.

وقد حاولنا الرد على بعض تلك التهم وبيان فسادها، وأعقبنا ذلك بالحديث عن نشأة المسيحية وتطورها والأسس والمبادىء التي قامت عليها وذلك بناء على آراء علماء النصارى أنفسهم، ثم تطرقنا إلى الوسائل التي جُمعت بها الأناجيل واعتُمدت. وتتبعنا الأناجيل الأربعة وتاريخ اعتمادها قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد.

وتتبعنا كذلك الرسائل المعتمدة ضمن أسفار العهد الجديد وبينًا تاريخ اعتمادها قانونيًا ضمن أسفار العهد الجديد.

لاحظنا عند الحديث حول أسفار العهد الجديد أن النصارى لم يلتزموا منهجاً ثابتاً ومعروفاً عند جمع تلك الأسفار، بل لاحظنا أن تلك الأسفار كُتبت بلغة مغايرة للغة الأصلية التي كانت سائدة في فلسطين في الزمن الذي أُنزل فيه الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام. ولاحظنا أن جميع كتّاب أسفار العهد الجديد لم يلتقوا بالسيد المسيح، بل رأينا أن بعضهم قد تقمص شخصية الحواريين وكتب على لسانهم دون توضيح ذلك. ورأينا كذلك أن أماكن كتابة تلك الأسفار وزمان كتابتها متنازع فيه.

وعند الحديث عن مؤتمرات النصارى رأينا أنه كانت هناك مئات من الأناجيل بأيدي الناس ولكنها أُحرقت دون سبب معروف. ورأينا كيف كان الناس في صراع ونزاع حول حقيقة عيسى. ورأينا كيف تدخلت العوامل السياسية في

القرن الرابع الميلادي في تشكيل المسيحية وبنائها بالصورة التي تعرف بها اليوم. فالإمبراطور قسطنطين ـ كما رأينا ـ قد حاول توحيد كلمة النصارى تحت سلطانه خشية على إمبراطوريته من الإنقسام والفرقة، فجمع القساوسة في مؤتمر نيقية وتآمر هو وبطريق الإسكندرية واتفقا على القول بوجود ثلاثة آلة. ورأينا كيف حاربت السلطات الحاكمة كل من كان يقول بغير تلك المقالة. ولاحظنا أن الإمبراطور قسطنطين كان وثنيًا قبل أن يعتنق المسيحية، فلا غرابة أن يؤيد المقالة التي تنادي بوجود ثلاثة آلهة، لأن ذلك يتوافق مع هواه وعقيدته الوثنية السابقة.

ونقلنا صوراً من تضارب متن الأناجيل. ورأينا كيف أن الرواة قد تناقضوا واختلفوا اختلافاً ظاهراً في سرد القصة التي تدور حول حادثة واحدة تعتبر من أساسيات العقيدة النصرانية، وهي حادثة الصلب وملحقاتها من محاكمة ودفن وقيام.

واختلفوا في حقيقة الإله وتناقضت أقوالهم وتضاربت. ورأينا كيف أنهم ألّهوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وبالرغم من ذلك وصفوه بصفات لا تليق ببشر عادي ناهيك عن إله خالق. ولقد وصفوه ـ كما رأينا ـ بالجهل والكذب وعقوق والدته، بل نسبوا لأمه ارتكاب الفاحشة عند نسبتهم عيسى ليوسف النجار الذي لم يكن زوجاً لها عندما حملت بعيسى بل كان خطيبها كما يدعون.

وبعد ذلك تطرقنا للحديث عن تخبط النصارى الذي تمثل في صراع رجال الدين المسيحي مع العلوم التجريبية عند ظهور النهضة العلمية في أوربا. ورأينا كيف حاربت الكنيسة العلم والعلماء وتصدت لهم. وبعد ذلك رأينا ظهور طبقات الفلاسفة بين رجال الدين الذين عملوا جاهدين للتوفيق بين العلم ومبادىء المسيحية: ورأينا كيف حصلت هزة عنيفة للديانة المسيحية عندما حاول رجال الدين المسيحي أنفسهم تطبيق النظريات والوسائل العلمية الحديثة على المسيحية، فظهرت مدارس النقد الألماني، ومدارس البحث عن عيسى التاريخي في أوربا وخاصة في ألمانيا. ورأينا أن صموئيل ريموراس هو أول من تشجع وبحث عن عيسى التاريخي رغم أن النتيجة التي توصل إليها كادت أن تؤدي إلى هدم المسيحية كليًا. ورأينا كيف ظهر علماء القرن التاسع عشر بنفس الأفكار، ورأينا

شبه إجماعهم على أن الأقوال التي تنبني عليها الديانة المسيحية اليوم ـ متمثلة في أسفار العهد الجديد ـ لا تمت لعيسى التاريخي بصلة. ورأينا ما يشبه الإجماع بينهم على أن إنجيل عيسى الحقيقي شبه مفقود، وأنهم لم يستطيعوا التوصل لعيسى التاريخي لعدم وجود منهج ثابت ومعلوم اعتمد عليه المؤتمرون في نيقية لاعتماد الأناجيل.

واستمر التخبط في القرن العشرين وبلغ قمته عندما زعم بعض النصارى بأن الإله قد مات، وعندما زعم أصحاب مدرسة اللاهوت المتطور أن الإله ناقص وغير كامل، وأنه محتاج للبشر لإكمال ذاته. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. ورأينا كيف ظهرت الحركة النسائية في ديار الغرب، وحاولت المرأة أن تثبت شخصيتها أمام الرجل، فادعت الحركات النسائية بأن المسيحية ديانة من وضع الرجال. وقالت أن كل شيء في الأناجيل يشير إلى ذلك، وأتت في ذلك بالعجب العجاب حيث نادت بضرورة أن يكون الخالق حاوياً لعنصري الذكورة والأنوثة بقدر متوازن حتى يحفظ للجنسين حقهما المشترك المتساوي في الألوهيات. ورأينا كيف تنازل آباء الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية وخضعوا لمطالب المرأة وبالتالي غيّروا فقرات من الإنجيل خوفاً من ثورة النساء العارمة. ورأينا كيف تخبط الزنوج في الولايات المتحدة وقالوا: أن الإله يجب أن يكون زنجيًّا. ورأينا ثورتهم على تصوير عيسى في كنائس البيض في صورة رجل أبيض، وكيف حاول هؤلاء الزنوج تصوير عيسى في كنائسهم في صورة زنجي أسود.

وبعد كل ذلك تحدثنا عن جمع السنة النبوية الشريفة وتدوينها. ورأينا أن السنة النبوية الشريفة دونت بين يدي النبي ﷺ، وأنها كانت تكتب وتحفظ في الصدور. وهذا يبطل زعم من يدعي أن السنة قد ضاعت ولم يبق منها شيء. وتتبعنا حفظ ورواية وكتابة السنة النبوية الشريفة منذ عهد النبي ﷺ وإلى عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم. ورأينا كيف تم جمع السنة الشريفة في كتب المصنفات، وكيف التزم جامعو السنة الدقة والحيطة في عملهم. ورأينا كيف أنهم وضعوا أسساً ومناهج وقواعد دقيقة عند البحث والتدقيق في قبول الأحاديث أو ردها. ورأينا مدى التزامهم بتلك المناهج والقواعد في تحقيق الأحاديث. بل رأينا

كيف تكاثر كتّاب السنة وحفاظها منذ عهد الصحابة وإلى ظهور المصنفات، ورأينا كيف أنهم رحلوا في طلب الحديث الشريف وتلقوه من أفواه الثقات ثم دونوه. وهذا يماثل ما يدعو إليه العلماء اليوم، وما يسمونه بالعمل الميداني الذي هو وسيلة من أهم وسائل البحوث العلمية الجادة عندهم، وهم يعدونه من أحكم وأدق الطرق الخاصة بجمع المعلومات وتوثيقها. ثم تطرقنا إلى القواعد التي وضعها العلماء عند قبولهم للحديث الشريف، ورأينا كيف أنهم قسموا الحديث تبعاً لذلك إلى أنواع ودرجات منها الصحيح والحسن والضعيف ثم الموضوع. ورأينا صوراً من تحمّل الحديث النبوي الشريف لتوضيح مدى دقة العلماء وتمحيصهم للأقوال التي كان يتداولها رواة الحديث. وتطرقنا لذكر بعض الكتب التي صنفت في علوم الحديث، ورأينا كيف أنها تعددت وتنوعت وشملت مختلف أوجه الحديث، من دراسة لرجال الحديث، وجرح وتعديل، ودراسة لأسانيد الأحاديث ومتونها أيضاً، ودراسة لعلم غريب الحديث، وعلم مختلف الحديث، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه.. وغيرها.

ثم بيّنّا أن الحديث الموضوع هو شر أنواع الحديث، وهو المختلق المكذوب على النبي ﷺ. ثم رأينا بعض أسباب وضع الحديث، ورأينا كيف تصدى العلماء للوضع والوضاعين.

بعد ذلك أفردنا باباً للمقارنة بين الأئمة الذين جمعوا الحديث من جهة وبين كتّاب الأناجيل من جهة أخرى أوردنا فيه شيئاً عن حياة كل منهم، وسيرته الذاتية، والطرق التي اتبعها عند جمعه للأقوال التي اعتمدها في مصنفاته لنرى أي الفريقين يتمتع بالعدالة والضبط والإتقان. وبعد أن ثبت لنا أن المسلمين يمتازون بالدقة والعدالة والضبط والإتقان، وبأنهم اتبعوا منهجاً دقيقاً وواضحاً عند الجمع والتصنيف للأحاديث النبوية حاولنا أن نطبق تلك القوانين التي وضعها المسلمون على الأقوال المتضمنة في أسفار العهد الجديد. وعند المقارنة والتحليل ثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الأقوال الواردة في الأناجيل لا يمكن أن ترقى عن درجة الحديث الموضوع، وعليه فقد حكمنا بأن تلك الأناجيل ليست من الإنجيل الذي أُنزل على السيد المسيح عليه السلام. وبعد أن ثبت لنا أن المبادىء التي

تستند عليها المسيحية مبادىء خاطئة ولا تصح نسبتها لعيسى، ونسبة للخلط واللبس والتزوير الموجود بتلك الأسفار، عمدنا إلى تصحيح تلك الأقوال إستناداً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ. وعليه فقد تقبلنا من الأناجيل الأقوال التي ناسبت ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ورددنا كل قول يخالف ذلك، راجين من المولى عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين.

وفي ختام هذا البحث نشكر الله سبحانه وتعالى على حسن توفيقه، ونضع بين يدي القارىء بعض الإقتراحات التي قد تفيد فيما نحن بصدده من جهد في مجال الدعوة، ويمكن تلخيص هذه الإقتراحات في الآتي:

١ ـ استمرار القيام بمثل هذه الدراسات المقارنة بين أسس الدين الإسلامي والديانات الأخرى من مسيحية ويهودية وبوذية وهندوسية وغيرها.

٢ ـ الحرص على تعلم لغات أصحاب الديانات الأخرى والحرص على دراسة كتبهم ومخطوطاتهم ثم مقارنة ذلك بالإسلام لتوضيح سمو الدين الإسلامي والتبشير به بين الأمم الأخرى.

٣ ـ العمل على إنشاء مؤسسة علمية ضمن رابطة العالم الإسلامي أو الأزهر الشريف أو غيرهما من المنظمات الإسلامية وذلك لحصر كل الكتابات والبحوث المعادية للإسلام والتي تصدر بمختلف اللغات ثم تصنيفها والرد عليها مباشرة وبنفس اللغة التي كتبت بها.

٤ ـ ترجمة أمهات الكتب في العقيدة الإسلامية بعد تبسيطها وشرحها وتقديمها للقارىء غير المسلم لتبصيره بحقيقة الإسلام.

٥ ـ دراسة حركات الإستشراق ودراسة كتابات المستشرقين من أجل الرد عليها وتفنيد ما ورد فيها من زور وبهتان وكذب في حق الإسلام والمسلمين.

٦ ـ الاهتمام بحركات المنصرين في ربوع العالم الإسلامي ودراسة نشاطهم وفضح الأسباب الخفية التي جعلتهم يكثفون نشاطاتهم داخل العالم الإسلامي.

٧ ـ تكوين حركة تبشير إسلامي لمقارعة المنصرين الحجة بالحجة وللقيام بالنشاطات التبشيرية في البلاد التي لم يصل إليها الإسلام بصورة قوية خاصة

في بعض البلاد الأفريقية وبلاد جنوب شرق آسيا.

٨ ـ مد يد العون للمنظمات الإسلامية التي نشأت مؤخراً خاصة في أوربا الغربية وشمال أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية وقارتي أفريقيا وآسيا.

٩ ـ عدم التهيب من فتح أبواب الحوار مع النصارى وغيرهم لتوضيح الحق لهم وإيصال الدعوة إليهم وتعرية باطلهم الذي درجوا عليه طويلاً.

١٠ ـ إرسال بعض الصفوة من العلماء المسلمين وأساتذة الجامعات العربية والإسلامية وذوي القدرة والكفاءة العلمية لتدعيم الجامعات الإسلامية ومراكز نشر الدعوة التي بدأت تظهر في بلاد الغرب والولايات المتحدة الأمريكية خاصة.

١١ ـ إنشاء معاهد متخصصة لإعداد القيادات الدعوية للإشراف على النشاطات الدعوية في مختلف بلدان العالم.

المراجـــع

١ ـ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، طبعة صبيح بمصر.

٢ ـ إختصار علوم الحديث لابن كثير (وبهامشه شرحه المسمى الباعث الحثيث) بتعليق أحمد محمد شاكر، القاهرة ـ الطبعة الثانية عام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥١م.

٣ ـ الأدب المفرد لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية ومكتبتها بالقاهرة، عام ١٣٨٥هـ.

٤ ـ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني (وبهامشه شرح صحيح مسلم وشرح الإمام النووي عليه) الطبعة السابعة بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق عام ١٣٢٣هـ.

٥ ـ إرشاد الفحول للشوكاني، طبعة البابي الحلبي عام ١٣٥٦هـ.

٦ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى) للعلامة نور الدين محمد بن سلطان المشهور بالملا، حققه وعلق عليه محمد الصباغ، مطابع دار القلم، بيروت.

٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (المعروف بابن حجر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر) مع تحقيق فضيلة الدكتور طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٨ ـ أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان، طبعة دار القرآن الكريم ببيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٩ ـ إطار إسلامي للفكر المعاصر للأستاذ أنور الجندي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠ ـ أعلام الموقعين من رب العالمين لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

١١ ـ أقانيم النصارى تأليف الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا، دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى بمصر، عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

١٢ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
١٣ ـ البداية والنهاية لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل (ابن كثير) مطبعة السعادة بالقاهرة، عام ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.
١٤ ـ تأويل مختلف الحديث لأبي محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة. ضبطه وصححه محمد زهري النجار، طبعة عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
١٥ ـ التبشير في منطقة الخليج العربي، تأليف الدكتور عبدالمالك خلف التميمي، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
١٦ ـ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للإمام جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٧ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي المعلى عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، تصحيح ومراجعة عبدالرحمن محمد بن عثمان، الطبعة الثانية، مطبعة المدني بالقاهرة، عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
١٨ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النووي للسيوطي، طبع مصر عام ١٣٠٧هـ.
١٩ ـ تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، طبعة الهند ١٣٣٣هـ.
٢٠ ـ تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر بن علي الهندي (ومن زيلها قانون الموضوعات والضعفاء للعلامة المذكور).
٢١ ـ ترتيب القاموس المحيط للأستاذ طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، الطبعة الأولى، مطبعة الإستقامة بالقاهرة عام ١٩٥٩م.
٢٢ ـ تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية، وصححها نخبة من العلماء)، مطبعة دار إحياء الكتب المصرية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٣ ـ تفسير الجلالين للإمامين الجليلين العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والحبر جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (مذيل بكتاب

لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)، المطبعة الهاشمية بدمشق عام ١٣٨٥هـ.
٢٤ ـ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل تأليف أبي محمد عبدالرحمن أبي حاتم محمد بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
٢٥ ـ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح تأليف الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، حققه عبدالرحمن محمد بن عثمان، الطبعة الأولى، الناشر محمد عبدالمحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
٢٦ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد الصديق، الطبعة الأولى لبنان عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا محيي الدين شرف النووي، تعليق وتصحيح شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، منشورات مكتبة الإسراء رقم ١١.
٢٨ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبدالقادر بدران، طبعة دمشق، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩هـ.
٢٩ ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري، مصر عام ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م.
٣٠ ـ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسن الصنعاني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٨م.
٣١ ـ تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان، دار القرآن الكريم، بيروت.
٣٢ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف الرياض عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٣ ـ جامع بيان العلم لابن عبدالبر، القاهرة إدارة الطباعة المنيرية.
٣٤ ـ الجرح والتعديل لأبي لبابة حسن، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
٣٥ ـ الجرح والتعديل لأبي عبدالرحمن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند عام ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.
٣٦ ـ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة لصديق حسن خان، تصحيح وتعليق زكريا علي يوسف مطبعة الإمام بمصر.
٣٧ ـ حصوننا مهددة من الداخل للدكتور محمد محمد حسين، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٣٨ ـ الديانات القديمة (محاضرات في مقارنات الأديان) للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
٣٩ ـ رد مفتريات على الإسلام للدكتور عبدالجليل شلبي، الطبعة الأولى، دار القلم الكويت عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٠ ـ رسالة أبي داود السجستاني (في وصف تأليفه لكتاب السنن)، ومعها (تطهير الأنفاس بذكر سنن أركماس والإفصاح عن حكم الإكراه في حكم الطلاق والنكاح). علق عليه محمد زاهد الكوثري، طبعة مطبعة الأنوار بالقاهرة عام ١٣٦٩هـ.
٤١ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكناني، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤٠٠هـ.
٤٢ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين لأبي زكريا محي الدين النووي، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.
٤٣ ـ السراج الوهاج (على متن المنهاج) لشرف الدين يحيى النووي، شرح وتحقيق محمد الزهري الغمراوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، أعادت طبعه مكتبة المثنى عام ١٩٣٤م.

٤٤ ـ سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، عام ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٤٥ ـ سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، وعليه تعليقات لفضيلة الأستاذ أحمد سعد علي، الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٣م.

٤٦ ـ سنن الترمذي لأبي عيسى محمود بن عيسى بن سؤرة، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة.

٤٧ ـ سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني وبذيله (التعليق المغني على الدارقطني، تاليف أبي الطيب شمس الحق) تحقيق عبدالله هاشم، طبعة عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٤٨ ـ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن البيهقي (وفي زيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الشهير بأبي التركمان)، الطبعة الأولى بمطبعة دار المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند، عام ١٣٤٤هـ.

٤٩ ـ سنن النسائي (المجتبي) للحافظ أبي عبدالرحمن شعيب النسائي، ومعه (زهرة الربى على المجتبى للحافظ الجلال السيوطي، مع تعليقات مقتبسة من حاشية السنوسي)، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

٥٠ ـ السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٥١ ـ السنة المفترى عليها للأستاذ سالم علي البهنساوي، دار البحوث العلمية الكويت، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥٢ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٥٣ ـ سيرة النبي ﷺ لأبي محمد عبدالملك بن هشام، راجع أصولها وضبط غريبها وعلق على حواشيها ووضع فهارسها محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة.
٥٤ ـ شرح الأبي والسنوسي على صحيح مسلم (إكمال المعلم) لأبي عبدالله محمد بن خلف الوشناني الأبي المالكي، ومعه (مكمل إكمال الإكمال لأبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف السنوسي)، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.
٥٥ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، القاهرة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م.
٥٦ ـ شرف أصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت أوغلي، دار إحياء السنة النبوية ١٩٦٩م.
٥٧ ـ صحيح البخاري، طبعة المكتب الإستانبولي، تركيا.
٥٨ ـ صحيح البخاري، شرح الكرماني، الطبعة الأولى، عبدالرحمن محمد ملتزم، مطبعة المصحف الشريف بمصر عام ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م.
٥٩ ـ صحيح ابن حبان أو (المسند الصحيح) لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان التميمي، بترتيب علاء الدين الفارسي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دائرة المعارف بمصر.
٦٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي (الإمام يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي أبو زكريا محيي الدين)، تحقيق وإشراف عبدالله أحمد أبو زينة، مطبعة الشعب بمصر.
٦١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة.
٦٢ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم الكويت، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٦٣ ـ صفوة التفاسير تأليف محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.
٦٤ ـ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، مطبعة بريل بلايدن، عام ١٣٢٢هـ.

٦٥ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي التميمي القرشي، حققه وعلق عليه الأستاذ إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية فيصل أباد، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
٦٦ ـ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة، بيروت ١٩٧٧م.
٦٧ ـ عمدة القارىء بشرح البخاري لبدر الدين أبو محمد بن محمود بن أحمد بن موسى الحلبي الأصل الملقب بالبدر العيني، مطبعة دار الفكر.
٦٨ ـ الفائق في غريب الحديث والأثر للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.
٦٩ ـ فتح الباري بشرح البخاري، تأليف الحافظ شهاب الدين أبي الفضل القسطلاني المعروف بابن حجر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عام ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.
٧٠ ـ الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني) تأليف أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، الطبعة الأولى عام ١٣٧٧هـ.
٧١ ـ فقه السنة، تأليف السيد سابق، الطبعة الأولى بالمطبعة النموذجية، الحلمية الجديدة مصر عام ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م.
٧٢ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، وأشرف على تصحيحه عبدالوهاب عبداللطيف، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٧٣ ـ في ظلال القرآن بقلم الشهيد سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبان، الطبعة الخامسة، عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
٧٤ ـ القرآن الكريم.
٧٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جادالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مطبعة ومكتبة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
٧٦ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على ألسنة القصاص، طبعه وصححه وعلق عليه أحمد القلاس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧٧ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد ١٣٥٧هـ.
٧٨ - اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
٧٩ - لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، قدّم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة (حسب الترتيب الأبجدي) يوسف خياط ونديم وعشلي، دار لسان العرب بيروت.
٨٠ - لسان العرب (طبعة مصورة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة) الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨١ - لمحات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.
٨٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير العراقي وابن حجر، طبع على نسخة دار الكتب المصرية والتي عليها خط المؤلف وقراءة الحافظ ابن حجر مع مقابلة لغيرها عام ١٣٥٣هـ.
٨٣ - مختصر تفسير ابن كثير، إختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
٨٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل بهامشه (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لأحمد بن حنبل)، طبع بمطبعة المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.
٨٥ - معرفة علوم الحديث، تصنيف الإمام الحاكم بن عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري، إعتنى بنشره والتعليق عليه مع ترجمة المصنف الأستاذ الدكتور معتصم حسين رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة دكة، وطبع تحت إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية في عاصمة حيدرأباد الدكن

(منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة) الطبعة الثانية عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٨٦ ـ موطأ الإمام مالك وشرحه (تنوير الحوالك)، تاليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي ـ الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.
٨٧ ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال، تأليف ابن عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.
٨٨ ـ النصرانية والإسلام تأليف المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، دار الأنصار بالقاهرة.
٨٩ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٢م.
٩٠ ـ الوضع في الحديث، تأليف محمد حسين عثمان فلاتة، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٩١ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام إبن قيّم الجوزيّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مطبعة النهضة المصرية.

صحف ومجلات عربية:

١ ـ مجلة الأخبار، عدد ١، ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٣م، ١٧ محرم عام ١٤٠٤هـ.
٢ ـ مجلة الأمة القطرية، عدد ٣ يناير عام ١٩٨١م، ربيع أول عام ١٤٠١هـ.
٣ ـ مجلة البلاغ، عدد ٤ عام ١٩٨١م، وعدد ٧١١ عام ١٩٨٣م.
٤ ـ مجلة المجتمع، عدد ٤٣، ١٦ نوفمبر عام ١٩٨٣م.
٥ ـ جريدة الوطن الكويتية، ٢٠ مارس ١٩٨٣م.

مراجع أجنبية

1. Abraham L. Katsh: Judaism in Islam, New York, 1954.
2. A.A. Ajijola: Myth of The Cross, Kazi Publications, U.S.A. 1979.
3. Albert Shweither: The Quest of The Historical Jesus, New York, Macmillan, 1968.
4. Alfred Guillaume: The Tradition of Islam, New York, 1980. U.S.A., 1976.
5. Angus. S: The Environment of Early Christianity, New York, Charles Scribner's Sons, 1920.
6. Aveling: Socialism Utopia and Scientific mind, New York, 1892.
7. Alexander Robert and James Donald: Arenaeus Against Heresy, Erdamans Publishing Company, 1951.
8. Barnes Talum: In Quest of Jesus, John Knox Press, Atlanta, 1982.
9. Bigar Gerhardson: New Testament Studies, Stockholm V. 1972.
10. Barth, Karl: The Humanity of God, John Knox Press, U.S.A., 1960.
11. Bultman. R: Faith and Understanding, Harper and Row, New York, 1969.
12. D. Bonhoffer: Letters and Papers From Prison, New York, Macmillan, 1953.
13. L. Bauyer: Holy Scripture and Tradition as Seen by Early Fathers, U.S.A., 1947.
14. Burn A. E: The Council of Nicea, London, 1925.
15. Chester Charton: The Search For the Real Jesus, New York, 1940.
16. Charles H. Telbert: Rimarus Fragments, Philadelphia Fortress Press, 1970.
17. Conard H. Moehlman: How Jesus Became God? New York, 1960.
18. Coulson N.J: A History of Islamic Law, U.S.A., 1964.
19 Cowin V: St Ignatius and Christianity in Antoich, Yale University Press. U.S.A., 1966.
20. Dodd D. H: The Founder of Christianity, New York, Macmillan and London, 1968.
21. Donald J. Kuffmann: The Dictionary of Religious Terms, U.S.A.
22. Duncan B. Macdonald: The Religious Attitude and Life in Islam, Chicago, Illinois, 1906.
23. David Flusser: Jesus, New York, Herder and Herder, 1969.
24. Dauis W. D and D. Doube: The Background of the New Testament and its Escatology, U.S.A., 1956.
25. Dods: The City of God, Edinburgh, 1972.
26. Emil Brunner: The Scandal of Christianity, Philadelphia, The Westminister Press, 1950.
27. Edward W. M: The History of Human Marriage, New York 1992.
28. Emile L: The Creed of a savoyard Priest, London, 1930.

29. Elwes R.H: Ethics, London, 1919.
30. Frithj of Schuon: Understanding Islam, New York, 1961.
31. Freeland Abote: Islam and Pakistan, Corneil University Press, New York, 1968.
32. Fridrich Schleirmacher: The Life of Jesus, Philadelphia Fortress Press, 1975.
33. Gustaf Aulain: Jesus, Fortress Press, Philadelphia, U.S.A., 1976.
34. Geza Vermes: Jesus the Jew, London: Collins, 1973.
35. Gunther Bornkamm: Jesus of Nazareth, Harper and Brothers, New York, 1959.
36. Gorge A, Barton: Jesus of Nazareth. A Biography, New York, The Macmillan Company, 1922.
37. Guthrie W.C.: A History of Greek philosophy, Cambridge, 1975.
38. Haward Marshall: The Orgin of New Testament Christiology, Illinois, U.S.A., 1976.
39. Herbert C.M: Oxford Bible Atles, Philadelphia, the Westminister Press, 1974.
40. Herbert Braun: Jesus, U.S.A., 1969.
41. Harward W.F: The Forth Gospel in Recent Criticism, London, 1931.
42. Haws Dormus: The Synoptic Gospel and the Book of Acts, New York, 1978.
43. Humpey Fasher: Ahmadyah, Britain, 1963.
44. Iserolh. E: Reformation and the Counter Reformation, U.S.A., 1973.
45. Jones W. T: A History of Western Philosophy, New York, 1959.
46. Joseph Klusner: Jesus of Nazareth: His Lifetims and Teaching, the Macmillan Compayn, 1946.
47. James H. Cone: God of the Opressed, The Seabury Press, New York, 1975.
48. John Alden Williams: Islam, New York, 1961.
49. Josiah Royce: The Problem of Christianity, the Macmillan Company, U.S.A., 1913.
50. Joachim Termias: New Testament Theology, New York, 1971.
51. John H. Leith: Creeds of the Churches, John Knoxs Press, Atlanta, U.S.A., 1982.
52. James Hasting: The Dictionary of Christ and the Gospel, New York, 1908.
The Dictionary of the Apostolic Church, New York, 1915.
Encyclopedia of Religion and Ethics, New York, 1916.
53. James M. Robinson: The Keryzm and the Historical Jesus, U.S.A., 1960.
54. Kelly J.N.D: Early Christian Doctrines, Harder and Row, U.S.A., 1978.
55. Kenneth Cragg: The Call of the Minaret, Oxford University Press, 1956.
56. Lambert W.A: A Treatise on Christian Liberty, U.S.A., 1915.
57. Leonardo Boff: Jesus Christ Librator, U.S.A., 1979.
58. Machen J. Gersham: The Origin of Paul's Religion, U.S.A., 1947.
59. Makennal: Life of Jesus, New York, 1975.

60. Mcgregor G H: Jewish and Hellinistic Background of the New Testament, U.S.A., 1936.
61. Marzials F.T: Chronical of the Crusade, New York, 1908.
62. Moltman J: Towards a Political Hermeneutic of the Gospel: in Religion and Future, New York, 1975.
63. Mohamed Qutop: Islam: the Misunderstood Religion, Pakistan, 1978.
64. Montague: On the Subject of Primitive Christian Apocalipics, U.S.A., 1969.
65. Norman Daniel: Islam and the West, Edinburgh, 1970.
66. Norman Perrin: Rediscovering the Teachings of Jesus, New York, U.S.A., 1967.
67. Niel Stephen: Colonialism and Christian Mission, U.S.A.
68. Philip K. Hitti: Islam and the West, U.S.A., 1962.
69. Richard Bell: The Origin of Islam in its Christian Environment, U.S.A., 1968.
70. Robert A.T: Prctical and Social Aspects of Christianity, New York, 1957.
71. Robert Mellert: What is Process Theology? New York, 1975.
72. Ross. Mand Jack R; Case Study in Christ and Faith, New York, 1980.
73. Roymond, H.I: Christianity's Supreme Opportunity, U.S.A., 1981.
74. Rohde J.: Rediscovering the Teachings of The Evanglists, Philadelphia, Westminister Press, U.S.A., 1968.
75. Shwarlz. A: Luther and his Time, New York, 1971.
76. Snocr Horjerinyo: Mohammedism: Its Founder and its Origins, New York, 1924.
77. Solomon David: Jews and Arabs; Their Contacts Through Ages, New York, 1955.
78. Stanton G.N.: Jesus of Nazarth in New Testament Preaching, Cambridge University Press, 1974.
79. Stobert J.W: Non Christian Systems: Islam and its Founder New York, The Macmillan Company, 1963.
80. Streets B.N: The Four Gospels, New York, The Macmillan Company, U.S.A., 1925.
81. Tritton, A.S: Islam: Belief and Practice, London, 1951.
82. Theodor Zahan: Introduction to the New Testament, New York, 1909.
83. Turn Bull: In the Essence of Plotinus, New York, 1934.
84. Thatchar: A Source Book For Medieval History, New York, 1905.
85. Werner George Kummel: Introduction to the New Testament, New York, U.S.A., 1975.
86. William Muir: The Life of Mohammad, Edinburgh, 1912.
87. J. Wensink: The Muslim Creed, Cambridge, 1932.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

(أ)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

يوسف الأرماني
يوسف النجار

فهرس البلدان

(أ)

(ب)

مكة المكرمة

مُنستر

(ن)

الناصرة

نيجيريا

نيقية

(هـ)

الهند

هولندا

(و)

الولايات المتحدة

(ي)

اليمن الجنوبية

اليونان